

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم المؤلف : السيد عمار الحكيم

عنوان الكتاب : خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات واللقاءات المجتمعية
والإعلامية والبيانات للسيد عمار الحكيم لعام (٢٠١٢)

الطبعة الثالثة : ٢٠٢٢

الطبعة الثالثة المنقحة والمزينة

الترقيم الدولي : ISBN: 978-9922-914-22-0

العراق - بغداد - الجادرية جسر ذي الطابقين

شارع المتنبي - مقابل مقهى الشابندر - قرب مصرف الرشيد

07813614106

inky.publishing@gmail.com



خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات
واللقاءات المجتمعية والإعلامية
والبيانات للسيد عمار الحكيم
لعام (٢٠١٢)

المجلد الخامس



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وبعد . .

فهذا هو الجزء الخامس من موسوعة «خطاب الاعتدال والبناء» ، وهي الموسوعة الشاملة لخطب وكلمات رئيس تيار الحكمة السيد عمار الحكيم أعزه الله ، ويتضمن هذا المجلد ، مجموعة غزيرة من محاضرات وكلمات وخطب السيد لعام ٢٠١٢ ، بدءاً بمحاضراته في الملتقى الثقافي الأسبوعي ، تبعتها كلمات السيد الحكيم التي ألقيت في شهر رمضان الكريم ، وضمن ما تيسر منها تحت فصل الأمسيات الرمضانية .

يليه فصل ضم المحاضرات العشر ، التي ألقاها في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم الحرام ، وتناول فيها السيد عمار الحكيم مفردة مهمة ومحورية من مفردات الثورة الحسينية ، مثلت درسا إيمانيا وإنسانيا كبيرا ، وهي موضوعة التوكل على الله .

وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا في ما توخينا من هذا العمل ، والله ولي التوفيق .

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث



الملتقيات الثقافية



الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٢/١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المتتجيين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((أَنْصَفَ اللَّهُ وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَنْ خَاصَّةَ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلَمَ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيُتُوبَ.))^(١)

مازلنا في النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، ووصلنا إلى هذا المقطع من عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشر.

قلنا إن هذا المقطع من عهد أمير المؤمنين لمالك الأشر، يتحدث عن طبيعة المحسوبيات والظلم الذي قد يمارس من المسؤول تجاه من هو مسؤول عنه، فيوصي عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مالكا بالإنصاف مع الله ومع الناس، ويتمثل هذا الإنصاف بعدم توظيف الموقع، وهذه المكانة التي حل فيها الإنسان والمسؤول لمصلحته الخاصة.

قد يكون المسؤول نفسه نزيها، ولكن أولاده أو أقرباءه غير جيدين وغير نزيهين، فإن كان الإنسان المسؤول نزيها فهذا لا يكفي، لأنه مسؤول عن خاصة

أهله ، «وممن لك فيه هوى من رعيتك» . وقد لا تكون مع أولاده وأقربائه مشكلة في هذا الإطار ، ولكن المشكلة في حزبه وعشيرته والناس المحسوبين عليه ، وهؤلاء قد يُسيئون وقد يظلمون ، حينها يكون المسؤول ظالما أيضا . بحكم أنك مسؤول ، فلست مسؤولا عن نفسك وحدك ، وإنما مسؤول عن نفسك وعن الناس الذين أتيت بهم وجعلتهم مسؤولين في المكان الذي تشغله . إذا لم تنصف الناس فهذا هو الظلم عينه .

يقول علي عليه السلام : «ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده» . فالله تعالى لا يمنع المظلوم من أن يأخذ حقه ؛ التسليم والخضوع مرفوض ، ويجب على المظلوم أن ينتصر لحقه ، ولكن ليعرف أن الله يكون خصما لذلك الظالم ، «ومن كان خصمه الله أدهض حجته وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب» .

إضاعات

من أصعب الأمور أن يكون الإنسان في موقع الخصومة مع الله تعالى ، وموقع الظلم لعباد الله ، فالعذاب أليم والعوارض شديدة ، لأن الله عالم بكل شيء ، لذلك فإن أشد الخصومات هي الخصومة مع الله تعالى ، حتى أسرتك أو جماعتك أو حزبك حينما يمارسون الظلم ، فأنت تكون ظالما ، من خلال العبارة السابقة ؛ «ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده» .

يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لأنتقم من الظالم في عاجله وآجله» ، فالله ينتقم من الظالم في الدنيا والآخرة ، كثير من الطغاة وكثير من الناس لهم مظالم بمستويات أقل ، نلاحظ أن لهم أشكالا من العذاب ومصائب في الدنيا ، «ولأنتقم ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم ينصره»^(٢) .

أنواع الذنوب

لاحظوا هذه الرواية في الكافي : «صعد أمير المؤمنين بالكوفة المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الذنوب ثلاثة ثم أمسك ، فقال له أحد الجالسين : يا أمير المؤمنين قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت ، فقال عليه السلام : ما

ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها، ولكن عرض لي بهر»، والبهر حالة انقطاع النفس من الإعياء والتعب، فأمر المؤمنين حينما يستذكر هذه الأقسام الثلاثة من الذنوب تتنابه حالة من الرعب والخوف من الله سبحانه وتعالى .

ثم أكمل أمير المؤمنين: «نعم الذنوب ثلاثة، فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه، قال: يا أمير المؤمنين بيننا لنا، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم، أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين». إذا أراد الله أن يفضل على عبد يعاقبه في الدنيا، وأحيانا تجد المرض لتخفيف الذنوب، وأحيانا تجد المرض لإنسان غير مذنب ولكن لرفع الدرجات، البلاء، الحزن، الهم، المصيبة، العناء. . هذه كلها مسائل يخفف الله سبحانه بها عن عبده فيعاقبه في الدنيا .

«وأما الذنب الذي لا يُغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض، إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسما على نفسه فقال: وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كَفَّ بِكَفِّ، ولو مسح بكف، ولو نطحة ما بين القرن إلى الجماء»، والجماء هي الشاة التي ليس فيها قرن، في إشارة إلى الاعتداء على الإنسان الذي لا يحمل السلاح، «فيقتص للعباد بعضهم من بعض، حتى لا تبقى لأحد على أحد مظلمة ثم يبعثهم للحساب، وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه»، يذنب الإنسان ثم يتكرم الله تعالى عليه، فيظهر الندم على ما أذنب، وتدمع العين وينكسر القلب ويتوب الإنسان إلى الله، «فأصبح خائفا من ذنبه راجيا لربه»، أي أن لديه رجاء أن يصفح الله عن خطيئته، ولكنه في الوقت نفسه يبقى خائفا من ألا يغفر له الله تعالى، «فحن له كما هو لنفسه، نرجوله الرحمة ونخاف عليه العذاب»^(٣). . نحن أي (أهل البيت) له كما هو لنفسه، وهذه هي طريقة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنهجهم مع أوليائهم ومع الناس في تعاملهم .

الدنيا نعيم يفنى ولذة لا تبقى

في نهج البلاغة، الكلمة ٢٢٤ يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأجر في الأغلال مصفدا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشيء من

الحطام . وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى فقولها ، ويطول في الثرى حلولها»^(٤) .

«والله لأن أبيت على حسك السعدان» أي على الشوك ، والسعدان هنا زهرة ، «مسهدا» أي أبقى أعاني وأتألم من الشوك ، أو «أجرّ في الأغلال مصفّدا ، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد» . أي لو نمت على الشوك وسلبت مني الراحة ، أحب إليّ من أن أقع في ظلم أحد من عباد الله .

«وغاصبا لشيء من الحطام» ، أي أن أمد يدي على مال الناس والمال الحرام ، «وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى فقولها» ، كيف أظلم أحدا من أجل نفسي التي تسرع إلى البلى ، والبلى هو حالة الهرم والشيخوخة والتداعي ، كيف أضحى بربي وبآخرتي لنفس تسرع إلى الضعف والوهن والموت ، لا أقبل ظلم إنسان مطلقا ، «ويطول في الثرى حلولها» ، النفس التي يطول في التراب بقاؤها .

كم يعمر الإنسان؟ ، خمسين أو مئة عام ، ولكن كم تبقى النفس في التراب؟ ، آلاف السنين أو عشرات الألوف ، أين مليارات القذافي وصادم وغيرهما وأين أصبحت؟! . وبالطبع يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا القصة مع أخيه عقيل ؛ وكيف أن الجوع كان يشق عليه وعلى أبنائه مع حالة البؤس التي كانوا يعيشونها ، فجاء عقيل ليطرق باب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ باعتباره الحاكم وأمّوال المسلمين بيده ، وحالة أبناء أخيه مزرية ، والقصة معروفة للجميع ؛ كيف أخذ علي الحديدية الحامية وقربها من يد أخيه .

ثم يقول : «والله لو أعطيت الأقاليم بما تحت أفلاكها» ، أي أعطيت الدنيا وما فيها ، «على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلي ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سبات العقل ، وقبح الزلل» . . كيف أفرط بكل واقعي ومستقبلي وآخرتي من أجل لذة تُفنى؟ . . . ، لا أرتضيها لنفسي .

زيارة الموصل

لقد تشرفنا بزيارة أهلنا في نينوى، هذه المحافظة العزيزة على قلوبنا، وأهلها الشرفاء الذين يمثلون التنوع في توجهاتهم القومية والمذهبية والدينية والسياسية، ليعبروا عن باقة الورد العراقية في هذه المحافظة الكريمة، ففيهم العربي والكردي والشبكي والتركماني، والشيعي والسني، وفيهم المسلم والمسيحي والإيزيدي، بكل تلاوينهم وتنوعاتهم الطيبة وتعددياتهم القبلية والعشائرية.

إن هذه الزيارة حلقة في سلسلة من الزيارات التي قمنا بها إلى أغلب المحافظات في هذا الوطن الحبيب، فقد ذهبنا مرات عدة إلى محافظات الجنوب والفرات الأوسط، وتجولنا في مناطق بغداد الحبيبة على قلوبنا، وذهبنا إلى المحافظات الغربية، وزرنا إقليم كردستان في شمال وطننا الحبيب، وهذه الزيارة تأتي في إطار هذه الزيارات المتواصلة التي نعبر فيها عن المحبة والاحترام والتقدير لكل أبناء شعبنا في كل مناطقهم ومواقعهم.

إننا لا ننطلق في جولاتنا هذه من خلفية مذهبية أو قومية، وإنما من خلفية وطنية عراقية، فالعراقي أينما يكن فهو وجهتنا نذهب إليه وتشرف بلقائه والاطلاع على مشاكله وهمومه والعمل من أجل حل هذه المشاكل ومعالجة هذه الهموم. إننا نفتخر بأبناء شعبنا في كل المحافظات العراقية أيّاً كانت انتماءاتهم المذهبية أو القومية أو السياسية، وقد قلنا في زيارتنا لنينوى وأبنائها الشرفاء في الموصل وسنجار وتلعفر وسهل نينوى وبرطلله والحمدانية وغيرها من المدن التي زرناها في هذه الجولة، حيثما حللنا قلنا لهم إننا نحمل إليكم السلام والتحية من أهلكم وإخوانكم في بغداد وفي البصرة وفي النجف وكربلاء، وكل المحافظات العراقية، مبدأنا واحد وواضح، تبنيناه منذ البداية وسنبقى ملتزمين به حتى النهاية.

إن مبدأنا يعتمد على أن قوة الشيعي من قوة السني في هذا البلد الكريم، والعكس صحيح، إن قوة العربي في هذا البلد من قوة الكردي والتركماني والشبكي وسائر القوميات والعكس صحيح، إن قوة المسلمين في هذا البلد من قوة المسيحيين والإيزيديين والصابئة وسائر الديانات والعكس صحيح، فلن يأمن ابن البصرة إلا حينما يشعر ابن الموصل بالأمان، ولن يشيع ابن الموصل وأخوه ابن البصرة يعيش الجوع، وإنما يجب أن تستمر حالة التواصل لنعيش كالجسد الواحد، إذا

آلمه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، لذلك نحن أبناء شعب واحد وأبناء وطن واحد ، ويجب أن نبقى حريصين دوماً على بعضنا البعض .

مبدأنا التواصل مع الشعب

إن هذا المبدأ ليس شعاراً نطلقه ، وليس كلمة جوفاء نعبر فيها عن موقف سياسي ، وإنما هو منهج نعمل على ضوئه ونلتزم به في يومياتنا وفي سلوكنا ، في التعامل مع أبناء شعبنا ، وندفع ثمننا باهظاً للالتزامنا بهذا المنهج وندفع ضريبة كبيرة ، وهناك اتهامات عديدة لنا ، لأننا نتواصل مع أبناء شعبنا في كل مواقعهم .

إننا ندرك جيداً أن زمننا هذا هو زمن الاصطفافات والمزايدات ، وهي أسهل وأكثر جاذبية لاستقطاب الرأي العام ودغدغة المشاعر العامة لأبناء شعبنا ، ولكن هذه رؤيتنا وهذه رسالتنا وسنبقى أوفياء لهذه الرؤية ولهذه الرسالة ، وسنبقى متمسكين بمبدأ الانفتاح والتواصل مع كل أبناء شعبنا حتى يقتنع الجميع بأن هذا المنهج هو الذي يمكن أن يجمع العراقيين ويوحدتهم ويعالج الإشكاليات والاحتقانات والحساسيات بينهم .

إننا لا نعمل في السياسة من أجل السياسية ، وإنما نحن في هذا الموقع من أجل خدمة أبناء شعبنا ومعالجة مشاكلهم والنظر في مستقبل أبنائهم والعمل الجاد على التقليل من معاناتهم ، هذا هو سر وجودنا في العمل السياسي . إننا نعمل جاهدين في المعترك السياسي لنسهم في تعزيز الأمن والاستقرار والرفاه والازدهار لوطننا ولمواطنينا الكرام ، نحن في السياسة ليس من أجل أن نربح أو نخسر ، أو من أجل أن نحصل على عدد من الأصوات في هذا المكان أو ذاك ، وإنما نحن على ثقة كبيرة بالله سبحانه وتعالى وبشعبنا ، بأن هذا الشعب قادر على تشخيص الصادقين من غيرهم ، وهذا الشعب قادر على أن يميز بين من يريد البناء وغيره ، ونعرف جيداً أن عملية البناء شاقة وعملية الهدم سهلة ، ولكننا نبحث عن مصالح شعبنا ونسلك الطرق الشاقة ونعمل جاهدين حتى نحصل هذه القناعة لأبناء شعبنا .

التواصل مع بلدان المنطقة

وهذه السياسة نفسها نتبناها في علاقاتنا الإقليمية ، فنذهب ونزور كل بلدان المنطقة ونتواصل معهم ونشرح ونوضح لهم رؤية العراقيين في أن عليهم أن يكونوا لكل العراق ، ولجميع العراقيين حتى يحصلوا على تأثير أكبر وعلى دور أعظم في التواصل مع أبناء شعبنا ، وتبادل المصالح مع هذا الوطن الحبيب . فحينما نتخندق أي دولة مع شريحة ومع جماعة أو مع جناح من العراقيين على حساب الجماعة الأخرى ، فهي بالتأكيد ستفقد تأثيرها في تلك الأطراف والجماعات الأخرى . نحن نؤمن بعلاقات مستقرة مع دول الجوار والمنطقة ، مبنية على أساس احترام السيادة والمصالح المتبادلة بيننا ، وكل ذلك من أجل إسعاد شعبنا وشعوب المنطقة ، وندرك جيدا حجم التعقيدات الكبيرة الموجودة بين هذه البلدان نفسها ، ولكننا لا نريد أن نكون طرفا في هذه التعقيدات ، سنتواصل مع الجميع لمصلحة العراق ودفاعا عن أبناء شعبنا وتعزيزا للعلاقة هذا الشعب مع شعوب الجوار والمنطقة .

تعزيز مصالح الشعب العراقي

إن مبدأنا واحد وواضح ، ويتمثل في ضرورة العمل على تعزيز مصالح الشعب العراقي وتكليفها مع مصالح المنطقة برمتها ، لتكون جزءاً من كل ، نؤثر فيه ونتأثر به بالإيجاب . إننا نعمل جاهدين على تعزيز الأمن والاستقرار والازدهار في بلادنا والمنطقة برمتها .

إن الانطباع الذي تركز لدينا في زيارة محافظة نينوى والتجوال في مختلف الأضية ، واللقاء بأبناء نينوى الكرام من توجهاتهم المختلفة ، هو نفس الانطباع الذي حصلنا عليه حينما زرنا سائر المحافظات العراقية الأخرى ، وكأن كلمة الشعب العراقي كلمة واحدة ، وهموم العراقيين هموم واحدة لا تختلف جنوبا أو شمالا أو شرقا أو غربا . إن كل هذه الجماهير الكريمة والطيبة التي التقينا بها كانت لها رسالة واحدة ، وكان لها كلمة واحدة ، هي الاعتزاز بهذه التعددية وتقدير هذا التنوع في مجتمعنا العراقي ، والحرص الشديد على توحيد الموقف بين العراقيين بكل توجهاتهم وانتماءاتهم .

إن هذه التعددية قدر العراقيين ، ولاحظت أن أبناء شعبنا فخورون بهذا القدر ومنشدون إليه وتواقون لتعزيز العلاقة في ما بينهم ، وقد تكون المشكلة والصراع والتنافس بين الطبقة السياسية وليس بين الناس في المساحات الواسعة العشائرية والشعبية ، ولذلك أدعو نفسي وأدعو السياسيين إلى أن يتعلموا من شعبهم ويأخذوا من ثقافتهم التعايشية الطيبة ، لنبني بلدا واحدا متماسكا متحابا متعاوننا ومتعاضدا ، يكمل بعضه بعضا ويقوّي بعضه بعضا . إن ما سمعته في نينوى كان يمثل عتابا على السلوك الموجود في طبيعة تبديد الثروات وفي طبيعة المواقف التي يلاحظونها من السياسيين ، من استمرار نزيف الدم والنزاع والتدافع على السلطة والمواقع .

أبناء نينوى رفعوا أصواتهم مطالبين بأن يجدوا ، كسائر العراقيين ، مزيدا من الاحترام ومزيدا من العزة والكرامة للمواطن العراقي ، ومزيدا من التركيز والاهتمام بمصالح هذا الشعب وبهمومه وقضاياهم ، هذا حقهم وحق جميع العراقيين وهذه هي المسؤولية الأولى التي تقع على المتصددين في أن يصرفوا وقتهم وجهدهم لخدمة هذا الشعب وللمعالجة مشاكله وهمومه .

أيها الأعداء إن من يتلاعب بقدرنا في التعددية والتعايش ، إنما يتنكر لتأريخ هذا البلد ويتلاعب بحاضره ومستقبله ، وهو لن يغير من الواقع شيئا ، ولكن سيضيف مدة أطول من العناء على أبناء شعبنا ، ثم لا يصح إلا الصحيح . فما دام الأساس هو التوحد والتقارب والعمل المشترك والتحول إلى أسرة واحدة وفريق واحد وشعب واحد متماسك كما هو شأن العراقيين ، فلماذا لا نتماشى وندفع مع هذا الخيار وهذا القدر الذي أراد الله سبحانه وتعالى لنا؟ .

اسمحوا لي أيها الأحبة ومن خلالكم أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الكبير لأبناء نينوى على حسن ضيافتهم ، وكرم الضيافة التي حظيت بها وإخواني ممن شاركوني هذه الفرحة والتواصل مع أبناء نينوى ، وقد لاحظنا المشاعر الجياشة الصادقة البعيدة عن أية مجاملات وتكلف ، وتحديثوا وقالوا وسمعنا وتحديثنا ، وهكذا كانت العلاقة كما هي في تأريخها الطويل .

الإرادة الجديدة لتطبيق الحلول

يكثر الحديث في هذه الأيام عن اللقاء الوطني المرتقب، الذي يفترض أن يضع حدا للإشكاليات والنزاعات والصراعات السياسية القائمة في البلد، وقد تكرر اجتماع اللجنة التحضيرية وسلمت أوراق عمل لهذا اللقاء من قبل الكتل السياسية الكبيرة، كما أعلن عن مبادئ أساسية تمثل الأساس في جدول الأعمال ومسارات هذا اللقاء الوطني المهم والكبير. وحينما وقفنا على هذه المبادئ لاحظنا أنها نفس المبادئ التي أطلقناها في مبادرتنا في عيد الفطر قبل أكثر من ستة أشهر. إن هذا يؤكد أن المشكلة اليوم في العراق ليست في الرؤية وفي الحلول، وإنما المشكلة في الإرادة الجديدة للعمل بالحلول المتوفرة والقائمة، وما أكثر المبادرات الصادقة التي يتم تجاهلها أو رفضها لتستمر معاناة المواطنين وأبناء الشعب لأشهر طويلة، ثم يعودون من جديد ليقبلوا بنفس هذه المبادرة فتعالج المشاكل.

إذا كانت حلولاً واقعية وقادرة على معالجة مشاكل البلد، فلماذا لا نأخذ بها من أول يوم؟، ولماذا نبقي نعيش المحنة والمعاناة لأشهر طويلة ثم نعود لنلتزم بها في نهاية المطاف؟! علينا أن نخفف عن أبناء شعبنا وأن نترك الحساسيات جانبا، وتجدون أننا كلما قلنا كلمة وكلما أطلقنا مبادرة، قلنا لا تضعوا عليها اسم المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب، ليأخذها من يأخذها ويطلقها وينسبها إلى نفسه، المهم أن تعالج مشاكل البلد وأن تنتهي معاناة المواطنين، لسنا حريصين على أن نسجل هذه المبادرات لنا، بل المهم بالنسبة لنا أن تمضي هذه المبادرات وأن تكون سببا في التقليل من معاناة المواطنين.

ضرورة التهدئة الإعلامية

إن استمرار الأزمات يولد إرهابا سياسيا للكتل السياسية، ويجعل السياسيين مستغربين، ما يدفعهم لإطلاق التصريحات النارية، ويشعر المواطن بالإحراج والإحباط نتيجة هذه الصراعات، وهذه الاستفزازات التي يجدها في المشهد السياسي بشكل عام، وهذا ما نخشى ونقلق منه حينما يشعر المواطن بالضجر والألم لعدم الارتياح من الأداء السياسي العام في البلد، إننا جميعا معنيون

بإنجاح هذا اللقاء الوطني وأن نعمل جاهدين على أن يخرج بحصيلة مطمئنة لجميع الأطراف، وأن يساعد على استقرار الواقع السياسي في البلد وتهيئة المناخات العامة لمزيد من الخدمة لأبناء شعبنا.

كما أن على الجميع أن يخفف من أسقف مطالبه الكتلوية والفئوية لصالح شركائه حتى نخرج بنتيجة مقبولة، فالتمترس خلف المطالب وتشدد كل طرف بكامل ما يريد، سيعني خروج هذا المؤتمر بنتائج غير طيبة، ليلقي بعدها كل طرف باللائمة على الآخر، وتشتد الأزمة ويبقى المواطن لا يعرف أين يجد الحلول لمعاناته في خضم هذه الأزمات، لذلك أدعو أيضا أعزائي من مختلف الأطراف لإيقاف حملات التصريحات الإعلامية بين الأطراف، وتهدة الأوضاع وتعزيز الثقة، لتكون المناخات في هذا اللقاء الوطني مناخات ملائمة ومناسبة، تحقق فرص إنجاح هذا اللقاء. كما أدعو لتكثيف هذه الاجتماعات واللقاءات، والجلوس من الصباح إلى المساء أسبوعا كاملا، ونطلق عليه أسبوع التفاهم الوطني، وأن يجتمعوا ويتدارسوا ويحضرُوا لهذا اللقاء، لننتهي من هذه القضية بأسرع وقت، وينفتح المجال لتعاون حقيقي وتقدم في تجاوز الهموم العامة بما يخدم الوطن والمواطن.

نجاح المؤتمر الوطني

إن نجاح هذا اللقاء يتطلب منا أن نكون وطنيين ومخلصين حقيقيين لهذا البلد، وأن نرقى إلى مستوى نواجه فيه كل التحديات الموجودة، حتى نخرج بحلول مرضية لأبناء شعبنا ولمواطنينا. إن الوطنية ليست مادة دراسية يدرسها أبناؤنا في المدارس فقط، إنما الوطنية مسؤولية ووعي وإدراك والتزام حقيقي تجاه هذا الوطن وهذا الشعب، فعلينا أن نكون وطنيين من خلال منهجنا ومن خلال سلوكنا وحرصنا على الخروج من مثل هذه الأزمات.

إننا سنؤكد وطنيتنا جميعا حينما نعبّر عن التزامنا تجاه الوطن والمواطن، ونكون من الرجال الذين يحترمون شعبهم ويقفون أمام معاناة هذا الشعب ومشاكله ويتحملون كامل المسؤولية في إنجاح هذا اللقاء الوطني، حتى يشعر الشعب العراقي أن هناك صفحة جديدة فتحت، وأن هناك أملا حقيقيا قد انشق لحل مشاكله وللمضي قُدماً إلى الأمام بكل عزيمة وجدية.

استعادة ثقة المواطن

شهدنا انعقاد مجلس الوزراء في محافظة البصرة، واتخذت العديد من الإجراءات المهمة في هذا اللقاء، حيث منح الصلاحيات الواسعة لمجالس المحافظات وللسادة المحافظين، مما سيسهل إمكانية التسريع في خدمة المواطنين، وإنجاز المشاريع في هذه المحافظات، إنها خطوة في الاتجاه الصحيح وتستحق الشكر والتقدير والثناء على الحكومة الموقرة وجميع أعضاء مجلس الوزراء. إن النزول إلى الجمهور العراقي والوصول إلى المحافظات والقرب من الجمهور والاستماع لهموم الناس ومعاناتهم ومشاكلهم ووضع الحلول والمعالجات، هي الخطوات التي ستقلل من الفجوة بين المسؤول والمواطن، وستعيد الثقة لشعبنا بالمسؤولين.

نحن بأمس الحاجة لمثل هذه الخطوات التي تعزز التواصل مع أبناء شعبنا، ولذلك ندعو الحكومة الموقرة للاستمرار بهذه السياسة، واتخاذ قرار في مجلس الوزراء، على أن يكون في الشهر الأول على الأقل، بانعقاد مجلس الوزراء في إحدى محافظات العراق، وأن يكرس هذا الاجتماع لدراسة مشاكل هذه المحافظة واتخاذ قرارات سريعة لحل هذه المشاكل، وقد سمعنا ما ذكره المسؤولون في محافظة البصرة من أن ٨٠٪ من مشاكل البصرة حلت في اجتماع واحد، فإذا كان هذا الاجتماع يحل ٨٠٪ من مشاكل المحافظة، فلماذا لا نعجل في الاجتماعات في كل المحافظات ونحل ٨٠٪ من مشاكل سائر المحافظات العراقية، ليشعر الناس أن هناك حكومة خدومة تريد أن تخدمهم وتحل من مشاكلهم؟.

كما ندعو لتفعيل القانون ٢١ لمجالس المحافظات الذي يمنح الصلاحيات الواسعة، وإن كانت منقوصة لكنها واسعة، لمجالس المحافظات مقارنة بما هو قائم الآن، مما سيفتح المجال لأن تأخذ مجالس المحافظات والحكومات المحلية دورا متزايدا ولتساعد الوزارات في حل مشاكل الناس.

إستراتيجية وطنية لمحاربة الفقر

أشارت إحصاءات الأمم المتحدة إلى وجود أكثر من سبعة ملايين فقير دون خط الفقر في العراق من المواطنين العراقيين، بالرغم من زيادة الصادرات النفطية والموازنات غير المسبوقه في تاريخ العراق، مما يجعل الإنسان يشعر

بالإحراج ، أن نتحدث عن الفقر في دولة تمثل واحدة من أغنى دول المنطقة ، إن ذلك يتطلب وضع إستراتيجية وطنية شاملة لمحاربة الفقر في العراق ، تبدأ من إصلاح المؤسسات المعنية وجمع المعلومات التفصيلية عن هؤلاء الفقراء ، وطبيعة ظروفهم ومعاناتهم وأعمالهم ووضع الحلول والمعالجات الجذرية في خطط علمية مناسبة ، يمكن من خلالها التقليل من هذه الوطأة والانتهاء من مفهوم الفقر في بلد غني كالعراق . كما نحتاج إلى مراقبة المؤسسات المعنية في تنفيذ الخطط المقررة لإزالة ومكافحة الفقر وتحديد أسقف زمنية قصيرة ومحددة يتناقص فيها عدد الفقراء إلى ستة ومن ثم خمسة وصولاً إلى اليوم الذي لا نجد فيه فقيراً واحداً في العراق .

محطة عائمة لتصدير النفط

افتتح العراق أول محطة عائمة لتصدير النفط في الخليج ، وهي خطوة مهمة لرفع قدرة التصدير النفطي العراقي بنحو ٣٠٠ ألف برميل يوميا حسب قدرة هذه المحطة ، وهي خطوة أساسية في استكمال البنى التحتية في المجال النفطي ، وهو اليوم العمود الفقري وشريان الحياة الأساسية وعصب الاقتصاد العراقي ، إننا نشيد بالجهد الوطني المبذول في إنجاز هذا المشروع الكبير ، ونتمنى الاستمرار واستكمال سائر المحطات الأخرى التي تعمل عليها الطاقات العراقية لرفع مستوى القدرة العراقية على تصدير النفط .

إشادة بمشروع «معاً لعراق أجمل»

هناك مشاريع عراقية تعبر عن روح وطنية ، تطلق في ظل الأزمات السياسية الخانقة ، ومنها المشروع الذي تبنته بعض وسائل الإعلام ويحمل شعار «معاً لعراق أجمل» . إنها خطوة طيبة أن نهتم ببلدنا وبجماله وطبيعته ونظافته ، إننا نشيد بوسائل الإعلام التي تبنت هذا المشروع ، ونتمنى إطلاق المزيد من المشاريع التي تبعث رسالة الحياة والاعتزاز بهذا البلد وجماله من قبل المواطنين العراقيين .

عصابات السرقة والاختطاف

إن ظاهرة عصابات السرقة وخطف الأطفال التي يتعرض لها العديد من المناطق في بغداد، وبعض المحافظات العراقية، تترك أمن المواطنين وتخطر باستقرار البلد، ولا بد لأجهزتنا الأمنية الكريمة من أن تتحمل مسؤولياتها باتخاذ الخطوات السريعة، ووضع الخطط الملائمة للقضاء على مثل هذه الظواهر.

الوضع البحريني

تقترن هذه الأيام بالذكرى السنوية للاحتجاجات الشعبية في مملكة البحرين، التي راح ضحيتها العديد من المواطنين الأبرياء في البحرين الشقيقة. وقد أكدنا منذ اندلاع الاحتجاجات أن الحلول الأمنية لا تستطيع أن تعالج مثل هذه الإشكالات، والقيادة البحرينية معنية بالاستماع إلى شعبها وإجراء الإصلاحات الضرورية والمطلوبة لإعادة الوثام والوفاء بين أبناء الشعب البحريني الشقيق، واليوم وبعد مرور عام كامل ثبتت صدقية تلك الرؤية، وأنه لا حل أمنياً يمكن أن يعالج المشكلة في مملكة البحرين.

إن الفرص ما زالت متاحة، لإيجاد مخارج عملية وواقعية ومنطقية ومرضية للشعب البحريني وللقيادة البحرينية، بما يضمن الوثام والاستقرار في هذا البلد الشقيق والكريم بكل فئاته وتلاوينه، وبذلك يتعزز الأمن والاستقرار في البحرين ويسهم في تعزيز الاستقرار في المنطقة برمتها، إننا نؤكد من جديد أنه لا حل في البحرين إلا على يد أبناء الشعب البحريني وقيادته، الحلول لا تستورد من خارج الحدود، إننا نبحث عن حلول بحرينية يقوم بها الشعب البحريني وقيادته، ونحن سنكون في موقع الدعم والإسناد لإرادة هذا الشعب الكريم، ولا يكون ذلك إلا من خلال حوار صادق وبناء وجاد، يأخذ بنظر الاعتبار الظروف الواقعية ومصالح الشعب ومطالبه الحقّة.

الأزمة السورية

والحال هو الحال في الشقيقة سوريا، فالحل يجب أن يكون حلاً سورياً، والحلول الإقليمية والدولية المستوردة لم تستطع أن تعالج مشكلة، وإنما ستزيد الأمور تعقيداً، ولنا في العراق تجربة طويلة مع الحلول الأجنبية وما هو تأثيرها

في الواقع العراقي على مدار سنوات تسع مضت . لذلك نتمنى حلا سوريا يكمن في تهدئة الأوضاع وحققن دماء الشعب السوري الشقيق ، والجلوس على طاولة حوار صادق وبناء ، والقيام بإصلاحات جذرية تضمن لأبناء الشعب السوري بكل فئاته وتوجهاته حقوقهم الكاملة . نتمنى أن نشهد المزيد من الاستقرار والأمن والوئام لكل الشعوب العربية والإسلامية الكريمة ، وأن يبقى العراق محطة التقاء مهمة بين هذه البلدان الكريمة .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المتتبعين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((أَنْصَفَ اللَّهُ وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَنْ خَاصَّةَ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلَمَ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَّمَهُ اللَّهُ أَذْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيُتُوبَ.))^(٥)

الحزم مع المسؤول الظالم

كان حديثنا في اللقاء السابق عن الإنصاف، وأهميته للمسؤول، ومسؤوليته عن الإنصاف في ذويه وعائلته، وفي جماعته والناس المحسوبين عليه. وإذا لم ينصف الرعية ورجح من هو مسؤول عنهم من عائلته أو حزبه أو جماعته على الآخرين في امتيازات العمل وفي الصلاحيات وفي الفرص إلى غير ذلك، يكون قد وقع في الظلم. وقلنا إن الظلم شيء سيئ، لكن الظلم من المسؤول أسوأ وأعظم وطأة وكلفة، وهناك موقف حازم لله تعالى من المسؤول حينما يكون ظالماً،

فالقضية هنا تأخذ أبعاداً أكبر، إذ إن الله تعالى يجعل نفسه في موقع الدفاع

والخصومة مع هذا الظالم، «ومن خاصمه الله أدحض حجته»، يفقد الظالم مشروعية المشروع، ويفقد شرعية القضية والموقع، «وكان لله حرباً» من يظلم عباد الله فإنه يدخل الحرب مع الله تعالى، «حتى ينزع أو يتوب»، حتى يتوب من ظلمه ويرجع إلى رشده ويشيع العدل والإنصاف بين العباد.

إضاعات ودروس

الإضاعة الأولى/ وهو موقع الظلم لعباد الله، المسؤول الظالم، ما هي مكانته وموقعه في رؤية السماء؟. وقلنا إن ظلم المسؤول أعظم وأشد من غيره، والموقف الإلهي شديد حيال المسؤول الظالم، واستعرضنا النصوص الواردة في هذا المجال.

الإضاعة الثانية/ هي أن المسؤول حينما يظلم لن يكون له أي تسوية أو حجة أو دليل، والسبب في ذلك أن المسؤول بحكم موقعه، وهو يملك السلطة والنفوذ، يستطيع أن يضغط على من هو دونه في مساحة مسؤوليته ويسيء إليه. كما أنه أقدر على الظلم من الإنسان العادي، كما أن إمكانية استغلاله لموقعه وتأثيره القيادي للضغط على الناس تكون أعظم، والطبع البشري يجعل الإنسان راغباً دائماً في أن يهيمن ويتسلط على الآخرين، ويريد أن تُسيّر الناس بعقله وفكره وتعمل بسلوكه، وهذا طبع الإنسان، وهذا الطبع الإنساني حينما يكون له سلطة ونفوذ ومسؤولية في أي مستوى قيادي معين، فمن الممكن أن يستغل هذا النفوذ وهذه السلطة، لإرغام الناس على أن يتعاملوا بالطريقة التي يريدونها فيسلبهم حرياتهم، وهو يعتقد بأن ما يقوم به ويفكر به وما يقوله دائماً هو ما فيه المصلحة لهؤلاء الناس، وهو الأنسب والأفضل لهم، يحاول أن يحوّل الناس كلهم إلى لون واحد وإلى طريقة واحدة في التفكير.

فداحة ظلم المسؤول

لذلك يصبح الظلم من المسؤول أخطر وأكثر ألماً وتأثيراً من الظلم الذي قد يصدر من غيره، وهذا ما يجعل التبريرات والحجج والأدلة التي يقدمها المسؤول لتبرير سلوكيات معينة غير مقنعة في المنهج الإسلامي. وهذا ما يلاحظه الإنسان في حياته، حتى الطغاة والظالمون الذين صنعوا المقابر الجماعية وقتلوا الناس بالآلاف تراهم يبررون أعمالهم. المسؤول في موقع المسؤولية يسعى دائماً

إلى أن يكتف سلوكه ومواقفه تكييفات قانونية، فالمظلوم يكون ظالما، وكذلك يكون خارجا عن القانون والالتزامات والسياقات، وما إلى ذلك، في حكم ورأي هؤلاء الظلمة. وهذا هو الخطر من المسؤول حين يظلم، حيث يصبح المظلوم مدانا وليس الظالم، ولذلك تجدون التشدد الكبير والتحذير من قبل الله تعالى من ممارسة الظلم من قبل المسؤول أيّا كان في مواقع القيادة. لاحظوا الرواية الشريفة في غرر الحكم: «ظالم الناس يوم القيامة منكوب في ظلمه معذب محروم منكسر يظأطئ برأسه»^(٦)، وذلك حينما تنكشف حقيقة أمام الناس، في يوم القيامة تظهر الأمور على واقعها، الظالم يصبح مدانا ومكسورا ومحروما كما تعبر الرواية.

لا حجة في ظلم المسؤول

في بحار الأنوار: - «سئل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي ذنب أعجل عقوبة لصاحبه، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ من ظلم من لا ناصر له إلا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير»^(٧). إن الإنسان الذي ليس له حزب ولا ظهر يحميه حينما يظلم يتوجه مباشرة إلى الله تعالى بقلب منكسر، هذه معادلة السماء، هذه المعادلة العجيبة؛ ففي الأرض، كل من له مال ووجاهات وعلاقات ومن له مكانة اجتماعية مرموقة، تكون له حصانات أكثر، ولكن في منطلق السماء كلما كان الإنسان لا يمتلك هذه الوجاهات والمواقع التي تحميه، كان له حظوة أكبر في السماء ومكانة أعظم، وهذه مسألة مرتبطة بالإنسان، حينما يكون لدى الإنسان وسائل ضغط معينة نفكر بها أولاً، مثلاً؛ حينما يريد الإنسان أن يستلف مبلغاً من المال فهو يتوجه إلى معارفه الأغنياء والميسورين، فلذلك أقلنا وجاهة أكثرنا منزلة عند الله، لأنه أكثرنا انقطاعاً إلى الله تعالى، أكثرنا إلحاحاً للطلب من الله تعالى.

«من ظلم من لا ناصر له إلا الله وجاور النعمة بالتقصير»، يجب الإيفاء بواجبات النعمة ومسؤولياتها، يقول تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٨)، أي نعمة كانت، نعمة الموقع وخدمة الناس وحل مشاكلهم، شكر النعمة بالوفاء بالتزاماتها، هذا

٦. غرر الحكم ج ٤ ص ٢٨٠

٧. البحار ج ٧٥ ص ٣٢٠

٨. سورة إبراهيم: الآية ٧

الذي يحصل على النعمة ولا يشكر الله ولا يوظفها للتوظيف الصحيح، حينما يعطي الله تعالى المال والجمال للإنسان ولكنه يستخدمه ويوظفه في معصية الله، هذا أيضا تعاجل له العقوبة من الله سبحانه وتعالى، «واستطال بالبغي على الفقير»، لا تبرز قوتك وعضلاتك على الفقير والمسكين، تريد أن تطبق القانون على المتجاوزين مثلا! وكأنه ليس هناك من مشكلة أخرى في العراق، فالذي يستطيل على الفقراء، تعاجله العقوبة في منطق الإسلام، إذن الظلم من المسؤول لا يقبل له تبرير أو حجة.

عاقبة الظالمين

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم»^(٩)، فالمظلوم حين يُظلم، فلأنه مظلوم، فهناك أناس تتعاطف معه وتدعوه وقلبه مكسور وهو متوجه إلى الله، ويشعر أنه مضغوط عليه، هناك كمال ودرجات وقوة من الله لمظلوميته، وهو في الزنازين ولكنه يشعر بالقوة بسبب إخلاصه وتعاطف الناس معه، أما الظالم يوم يلقي حسابه وتنكشف أوراقه فتجد الناس تتشفى به وتفرح بعد أن عرفت أن لهذا الظالم نهاية، ورأينا في الأشهر الأخيرة الطغاة الذين نالوا جزاءهم في بلدان عربية عديدة، كيف أنه لا أحد يتحسر عليهم، وإنما العكس هو الصحيح، فالناس تتذكر اعتداءاتهم وظلمهم لهم، لذلك فإن يوم الظالم أشد من يوم المظلوم.

الإضاعة الثالثة/ حقيقة الظلم من المسؤول، هي عبارة عن حرب مع الله سبحانه وتعالى «وكان لله حربا»، لا يقول أمير المؤمنين إن المسؤول الظالم محارب، أمير المؤمنين استخدم المصدر وهذا أشد في التنكيل، حينما يستخدم المصدر يعني أن هذا الإنسان، المسؤول الظالم، ليس محاربا لله، لا، بل هو حرب ومجدد للعداء مع السماء ومع القيم والمبادئ حينما يسيء لعباد الله ويستغل موقعه بالظلم إلى الناس.

الإضاعة الرابعة/ لا خلاص للظالم إلا بأن يرعوي، ويعود إلى رشده، وينسجم مع القيم والثواب ويعيد للمظلوم حقه، ليس هناك حل آخر، «وكان لله

حرباً حتى ينزع أو يتوب»، ما لم ينزع عن الظلم ويَتُب إلى الله فالحرب مع الله مستمرة من هذا المسؤول الظالم .

الذنب الذي لا يغفر

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة ١٧٦ من نهج البلاغة، وهذا مقطع منها:

«ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات. وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد»^(١٠).

«فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١١)»، فالشرك بالله تعالى لا يغتفر، «وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات»، يرتكب الإنسان بعض الذنوب الصغيرة، يفكر في شيء، ينظر إلى شيء، يقرر شيئاً ثم يتراجع، وهذا حرام، فهناك ذنوب صغيرة، وعلى الإنسان ألا يرتكبها جهد الإمكان، ولكن الإنسان غير معصوم فتصدر منه أخطاء معينة، وهذه الأخطاء الصغيرة إذا تاب الإنسان عنها فالله تعالى يصفح عنه ويغفر له، «وأما الظلم الذي لا يُترك فظلم العباد بعضهم بعضاً»، هذا الظلم لا يغفر إلا إذا تاب الإنسان وعاد عن الخطأ.

«القصاص هناك شديد ليس هو جرحاً بالمُدَى» أي ليس طعنا بسكين «ولا ضرباً بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه». القصاص يوم القيامة لمن يظلم إنساناً أعظم بكثير من الطعن بسكين أو الضرب بسوط، قصاص الظالم أشد، والظالم يتمنى أن يُطعن بسكين أو يُضرب بسوط حينما يرى العقوبة الإلهية لظلمه، ومن هنا نجد أن تأكيد الإسلام على هذه القضية وعدم الاعتداء والتجاوز على الآخر، يمثل واحدة من السمات الأساسية والمهمة التي تنظم العلاقة الاجتماعية. على المسؤول ألا يمتد بسلطته ونفوذه ليسيء إلى الآخرين ويسلب حقوقهم. نسأل الله أن يبعثنا عن الظلم ويشيع بيننا التسامح والعدالة والإنصاف.

١٠. نهج البلاغة ج ٢ - ص ٩٥

١١. سورة النساء : الآية ٤٨

دور المرجعية في حزن الدماء

شهدنا في الأيام القليلة الماضية، أحداثا مؤسفة ومؤلمة في استهداف الوكلاء والمعتمدين ومكاتب المرجعية الدينية، في ظاهرة غريبة وشاذة في مجتمعنا لم تحصل من قبل، بالرغم من الظروف الصعبة التي مرت بالعراق. مما يتطلب وقفة جادة ومراجعة لمثل هذه الأفعال والبحث عن الجهات التي تقف وراءها.

اللافت أن تتهم المرجعية الدينية متمثلة بالإمام السيد السيستاني وأنصاره بالإساءة إلى الآخرين، وإحراق مكاتب أخرى كما تابعنا مثل هذه الأحاديث، هذه المرجعية التي حقنت الدماء ووحدت أبناء الشعب العراقي ولطالما دعت الجميع للاحتكام إلى القانون واللجوء إلى المحاكم للاقتصاص من أي مسيء أو ظالم ظلم هذا المواطن أو ذاك، وعدم المباشرة بالاقتصاص من المسيئين في ٢٠٠٣ وما بعده. وبرهنت دائما على أنها الحريصة على الإسلام والحريصة على العراق والمدافعة عن حقوق العراقيين، تتهم هذه المرجعية اليوم بأنها تقوم بأمر خلاف القانون وتسيء إلى مكاتب ومقار لأطراف هنا أو هناك، مما يمثل أسفا شديدا لمثل هذه الاتهامات وهذه الطريقة في التعامل مع المرجعية الدينية.

إننا نستكر مثل هذه الظواهر وهذه السلوكيات الخاطئة، وندعو الجميع للاحتكام إلى المنطق والعقل والالتزام بالقانون والحوار والتواصل مع من تتصورون أنه أساء لاستبيان المواقف، ولوضع حد لمثل هذه الفتن وهذه الإشكالات في محافظاتنا الجنوبية والعاصمة الحبيبة بغداد. كما أذكر الأجهزة الأمنية الباسلة بواجباتها ومسؤولياتها الوطنية في الحفاظ على الأرواح والممتلكات، ومتابعة مثل هذه الظاهرة للتعرف على من يقف خلف هذه الفتن، ومن يسيء إلى الناس ومن يربك السلم الاجتماعي في محافظاتنا الكريمة.

إن هيبة مرجعيتنا ومكانتها الدينية والاجتماعية خط أحمر لا نسمح بتجاوزه، ولا بد من أن نقف وقفة حقيقية في الدفاع عن المرجعية الدينية حينما تتعرض لمثل هذا الاستهداف لمقارها ومكاتبها ولوكلائها ومعتمديها في العديد من المحافظات العراقية.

هذه المرجعية وقفت وناصرت العراق، ودافعت عن الإسلام، ليس اليوم وإنما في تاريخ طويل، منذ ألف عام حتى يومنا الحاضر، وكانت لها الأدوار الكبيرة في توحيد الناس والتقريب بينهم، وحل مشاكلهم ومعالجة همومهم

والدعوة للتسامح بين الناس عبر الوسائل الصحيحة . هذه المرجعية كانت صمام الأمان والملجأ لكل المتخاصمين والمختلفين حينما يختلفون فيعودون إليها لتحل مشاكلهم وتحل خلافاتهم ، وهي المدافع الأول عن المحرومين والمستضعفين أيا كانت توجهاتهم وانتماءاتهم ، فليس من المعقول هذه الاتهامات التي أطلقت باتجاه المرجعية الدينية بمثل ما سمعنا .

إن المرجعية ومؤسسة الحوزة العلمية تتعرض إلى استهداف ، وعلينا أن نقف وندافع عن هذه المرجعية وعن هيبتها وعن مفاخر العلماء ، وعن الإنجازات الكبيرة التي تحققت وستتحقق على أيديها . إننا سنقف وندافع عن المرجعية بقوة ولا نسمح بالمساس بها تحت أي ظرف أو مسمى أو عنوان هنا أو هناك ، هذه مسؤوليتنا الشرعية والوطنية وسنلتزم بها ، وإذا ما كانت هناك من إشكالات أو رؤية لهذا أو ذاك فعليه أن يلجأ إلى الحوار والمناقشة لمثل هذه الالتباسات ، حتى يزول الالتباس عنه .

الأسقف المتوقعة من القمة العربية

إننا نقرب من موعد انعقاد القمة العربية في بغداد ، في ظل تجاوب إيجابي واسع لأغلب الدول العربية الشقيقة . إننا نتفاءل خيرا بهذا التجاوب ، وهو حدث يستحق الاهتمام الكبير لأنه يحمل في طياته رسالة كبيرة للعراقيين جميعا . إن عقد هذه القمة في بغداد له تأثير معنوي كبير يعيد العراق إلى دوره التاريخي المحوري والمتألق في واقع المنظومة العربية ، وفي الواقع الدولي ويفتح الفرصة ويمد الجسور لعودة الأشقاء العرب وعودة التعامل الإيجابي مع الواقع العراقي .

إننا في الوقت الذي نتمنى فيه لهذه القمة أن تحقق نجاحا كبيرا وأن تُعقد بأعلى مستويات التمثيل للزعماء العرب ، إلا أننا في الوقت نفسه وفي ظل الظروف الحرجة التي يمر بها الوطن العربي في هذه المرحلة العصبية من تأريخ أمتنا ، ندرك حجم التقاطعات والاختلافات والتعقيدات القائمة ، مما يدفعنا للنظر بواقعية سياسية وأن نبني أسقف توقعاتنا من هذه القمة على أساس هذا الواقع المرتبك وهذه التعقيدات الشائكة . فلذلك يجب ألا تكون لنا توقعات عالية من هذه القمة ، وإنما ننظر بواقعية لطبيعة الظروف والتعقيدات القائمة اليوم في الوطن العربي . كما نتمنى من الحكومة الموقرة والأجهزة المختصة بذل قصارى جهدهما لإنجاح هذه القمة بأبهى صورها ، لتحقيق تلك الرسائل الكبيرة المرجوة

من هذه القمة ، ونتمنى أن تمثل مرتكزا جديدا ونجاحا آخر يضاف إلى النجاحات التي تحققت من قبل الحكومة الموقرة ، والنظام السياسي الوليد في العراق في العقد الأخير .

إن ترؤس العراق لجامعة الدول العربية عاما كاملا سيتيح للعراق أن يلعب دورا إيجابيا وبناءً في التواصل مع الأشقاء العرب ، وفي حل الإشكالات والمساعدة على تذليل العقبات التي نشهدها اليوم في العالم العربي ، ونقل التجربة العراقية إلى الأشقاء العرب ، لاسيما البلدان الراغبة والشعوب التي قامت بعملية تغيير ، وهي تتطلع لأن تستفيد من التجربة العراقية في بناء تجاربها الجديدة .

قانون مجالس المحافظات ٢١ وتعديلاته

يجري الحديث عن تفعيل القانون ٢١ لمجالس المحافظات والقيام بتعديلات توفر له فرصا أكبر وصلاحيات أوسع لقيام مجالس المحافظات بواجباتها ومسؤولياتها تجاه المواطنين ، إنها خطوة في الاتجاه الصحيح وإن جاءت متأخرة ، ولكن خير من ألا تأتي ، وأن تبقى مجالس المحافظات تعاني من قصور في الصلاحيات والمساحات . إننا نعرف بأن هذا القانون لم يفعل حتى الآن ، وأن هذا القانون المنقوص الذي لم يلتزم بالصلاحيات الدستورية الممنوحة لمجالس المحافظات أعطى لمجالس المحافظات من الصلاحيات أقل مما منحه القانون للمتصرف في الحكم الملكي ، وهذا ما دعا مجلس الرئاسة عند تشريع القانون إلى نقضه من قبل النائب الدكتور عادل عبد المهدي في ذلك الوقت ، لأنه يتقاطع مع الدستور ولا يمنح المحافظات الصلاحيات الدستورية الصريحة لهذه المجالس ، ولكن حتى هذا القانون المنقوص لم يفعل حتى الآن وهناك الكثير من الشكوى من المحافظات في هذا الموضوع ، نتمنى أن نشهد حركة دؤوبة ومنحى حقيقيا للصلاحيات كما أقرها الدستور العراقي .

إن الحكومة الاتحادية معنية بالمشاريع الإستراتيجية التي تعود بالنفع والفائدة على جميع المحافظات والوطن بشكل عام ، فيما أن المشاريع ذات الصلة بالمحافظات إنما ترتبط بمجالس المحافظات وبالحكومات المحلية ، والحكومة الاتحادية معنية بالمشاريع الإستراتيجية والمشاريع السيادية ، وما سوى ذلك لا بد من أناطته بمجالس المحافظات . ولكن ما يؤسفنا أن التعديلات الأخيرة التي قيل إنها ستوسع من صلاحيات مجالس المحافظات جاءت لتتقضم ولتأخذ جزءاً

آخر من هذه الصلاحيات المنقوصة وتقلل منها، مما يجعلنا جميعاً أمام مسؤولية كبيرة في الدفاع عن الدستور والصلاحيات الدستورية للحكومات المحلية ومجالس المحافظات.

إن جدلية المركزية واللامركزية التي كانت مشاراً لتعدد الاجتهادات بين القوى السياسية في العراق، حسمها الدستور، حينما اعتبر العراق بلداً اتحادياً يجب أن تُمنح فيه الصلاحيات إلى الأقاليم والمحافظات، فمنح الصلاحيات الكاملة للمحافظات سيخفف من عبء الحكومة الاتحادية ويسهل لهذه الحكومة الإيفاء بواجباتها تجاه المواطنين، ومن ناحية أخرى سيسهم في تقديم الخدمة الأفضل والأسرع للمواطنين في مختلف المحافظات وهي ضرورة في مرحلتنا الراهنة.

إن الأنظمة الإدارية الحكومية الحديثة، والتجارب العالمية الناجحة في عالمنا اليوم، إنما تعتمد اللامركزية وإعطاء الصلاحيات الواسعة للمحافظات والأقاليم والمقاطعات، إلى غير ذلك من تسميات في هذا البلد أو ذاك. فعلى أن نستفيد من هذه التجارب وأن نمضي قدماً في أسلوب أمثل يمكن من تحقيق الرفاه الاجتماعي للمواطنين ويوفر السرعة في تقديم الخدمة لأبناء شعبنا.

المركزية والروتين الإداري

إن المركزية ليست هي الضمان في الحفاظ على هبة الدولة كما يتصور البعض، بل أن الضامن لهيبة الدولة هو رضا المواطنين عن أداء هذه الدولة وتقديم الخدمة لهؤلاء المواطنين بالشكل المناسب والملائم، ولذلك فكلما ذهبنا إلى اللامركزية وكلما وسعنا الصلاحيات وكلما قدمنا الخدمة الأفضل والأسرع لأبناء شعبنا، استعادت الدولة هيبتها بشكل أكبر وأخذت مكانتها في قلوب المواطنين. إن اللامركزية ستساعد على الحد من الروتين الإداري والبيروقراطية القائمة اليوم في الوزارات؛ حيث لا تكاد تنجز معاملة إلا بشق الأنفس، لكن حينما تناط المهام بالمحافظات فالمواطن سيذهب إلى مجلس المحافظة والدوائر في المحافظة، ولا ترسل معاملات المواطنين إلى بغداد، وسوف تعالج هذه المشاكل بسرعة، وهذه خطوة مهمة في حل مشاكل الناس، كما أن اللامركزية تسهم في التقليل من ظاهرة الفساد.

إن الحكومة المحلية تجلس وتتخذ القرارات، والمواطنون في المحافظة

مطلعون على المشاريع إذا لم تنفذ أو نفذت بشكل خاطئ، إذ تتم هذه العملية على مرأى ومسمع من الناس، حيث يرجعون إلى مجلس المحافظة وإلى السيد المحافظ ويعاتبونه على أي نقص أو تلوؤ، وإن أحسن الأداء فسوف يشكرونه. كما أن الرقابة الاجتماعية تكون أوفر وأسهل حينما تكون الصلاحيات بيد مجالس المحافظات، ولكن حينما تقام المشاريع في المحافظة من قبل الوزارات التي تتعاقد مع الشركات والمقاولين، فكلما اشتكى المواطن يقال له إن الوزارة الفلانية هي المسؤولة ولا دخل لمجلس المحافظة. وهنا لا يستطيع المواطن أن يتابع هذه الأمور، لذلك فإن الذهاب إلى اللامركزية ومنح الصلاحيات للمحافظات سيقبل من ظواهر الفساد الإداري والمالي في الدولة، كما أن اللامركزية تسهم في زيادة ثقة المسؤولين والمواطنين بأنفسهم، وسيشعرون بأنهم مسؤولون عن بناء محافظتهم، والمحافظات سوف تتنافس بينها، وسيراقب الناس ماذا أنجزت الحكومة المحلية في هذه المحافظة أو تلك، وبالتالي فالتجارب الصحيحة تعمم من محافظة إلى أخرى، والمسؤول يشعر بأنه في موقع يوجب عليه أن يتخذ القرارات ويتحمل المسؤولية وتبعاتها، وأن يُنجح الأمور، وبالتالي فلا مجال له إلا أن يذهب للاستفادة من الأكفاء ومن العقول والطاقات حتى ينجح مشاريعه وينجح أمام الناس.

والمواطن أيضا حينما يمنح الثقة لعدد من المسؤولين ويضعهم في مجلس المحافظة والحكومة المحلية، يبقى يراقب وعينه على أدائهم، والانتخابات على الأبواب، فإن أحسنوا الأداء جدد لهم الثقة وشكرهم وإن أساءوا الأداء عاقبهم وصوت لمن يستطيع أن يغير. إن هذا المنهج يمنح الثقة للمسؤول ويمنح الثقة للمواطن ويجعل العلاقة بين المسؤول والمواطن علاقة وثيقة ليس فيها فجوة وليس فيها صدود، وهي مسألة في غاية الأهمية. كما أن المركزية الشديدة ستدفع العديد من المحافظات إلى اتخاذ قرارات مستعجلة بتشكيل الأقاليم، وهي قرارات قد تكون في وقت غير ملائم يدفع أبناء المحافظة مضاعفاتها السلبية، ويدفع البلد بشكل عام مضاعفاتها وعوارضها السلبية، وبالتالي نكون قد فرطنا وضيعنا على أنفسنا فرصة التلاحم والتماسك والعبور في هذه المرحلة الحساسة والحرجة.

إن اللامركزية الإدارية ومنح الصلاحيات الدستورية الكاملة لمجالس المحافظات، خطوة كبيرة نحو بناء وتطوير المحافظات العراقية، ستسهم إلى حد بعيد في البناء الاقتصادي والاجتماعي الحقيقي للعراق الجديد، وستحقق توقعات المواطن العراقي من الحكومة الموقرة، ولذلك نطالب باعتبار هذه القضية قضية أساسية، وإن السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب يتحملون مسؤولية كبيرة في تعديل هذا القانون المطروح أمام أنظارهم، ليكون قانونا منسجما مع الدستور ومع الصلاحيات الدستورية الواسعة.

إحراق المصاحف سلوك مشين وخاطئ

تلقينا بأسف شديد نبأ إحراق عدد من المصاحف الشريفة في إحدى القواعد العسكرية الأمريكية في أفغانستان، ماذا يعني استهداف وحرق نسخ القرآن بهذه الطريقة؟. إن استهداف المصحف، وأي استهداف للمقدسات أو استهانة بعقيدة الآخرين، تمثل سلوكا مشينا وخاطئا. علينا أن نشجع روح التسامح والقبول بالآخر والاعتراف به، والإسلام يمثل حقيقة كبيرة في عالمنا اليوم، إن الاعتداء على مقدسات المسلمين والتنكر لعقيدة المسلمين وحرمتهم إنما يعبر عن حالة انغلاقية لا تنسجم مع كل الأطروحات التي تتحدث عن إشاعة التسامح والسلام والوئام، فأى حقد وأية كراهية هذه التي تدفع جنديا أمريكيا إلى أن يحرق هذه المصاحف الشريفة في قاعدة ما في أفغانستان أو في قاعدة في مكان آخر من العالم؟.

هذا حقد وضيعنة، هذا معناه أن بلده لم يقدم له الثقافة الصحيحة التي تساعده على أن يتعامل مع الآخرين بروح الموضوعية والاحترام، أن تختلف مع المسلم هذا حق لك، ومن حق المسلم أن يختلف معك في العقيدة، لكن احترام عقيدة المسلمين ومقدساتهم هذا واجب عليك، وعلينا وعلى الجميع. فلا بد من وضع حد لمثل هذه السلوكيات، وهذا ما يتطلب عملا كبيرا على مستوى الثقافي لكي تزول هذه الكراهية بين الشعوب والأمم، وعلى مستوى الإجراءات التي تمنع من مثل هذه الإساءات، فلا مجال للتعايش بين الأديان والأمم إلا بإشاعة التسامح والحوار والقبول بالآخر، وإن كنا مختلفين معه في قضية هنا أو هناك.

«الإيمو» ظاهرة غريبة على المجتمع العراقي

بدأت تبرز ظواهر اجتماعية غريبة في مجتمعنا العراقي بعيدة عن الأعراف والتقاليد والثوابت الدينية والأخلاقية التي يؤمن بها مجتمعنا، وتنتشر هذه الظواهر بين الشباب والمراهقين من الجنسين، كظاهرة «الإيمو» وغيرها؛ إن الملابس الغريبة الأطوار، وقصات الشعر الغريبة، ووضع الوشم على الأبدان بطريقة غير لائقة وغير مناسبة، واستخدام خواتم وقلائد، فيها صور أو فيها جماجم وما شابه، قد تكون كلها ظواهر بعيدة عن تقاليدنا وعن أعرافنا وعن قيمنا، وهي تسيء إلى مجتمعنا وتخاطر بهذا المجتمع. إن هذه الظواهر تعبر عن حجم الغزو الثقافي والأخلاقي الذي يتعرض له مجتمعنا العراقي ومجتمعنا العربية والإسلامية بشكل عام، وتوفر بيئة ملائمة لتعاطي المخدرات وللذهاب إلى ما يخالف القانون وارتكاب أخطاء ومفاسد أخلاقية معينة، ولنشر الأفكار الدخيلة على ثقافتنا العربية والعراقية الأصيلة. وهي تعبر عن غياب للأمن المجتمعي، فكما نحتاج إلى أمن يقف أمام الإرهابيين، فمجتمعنا في بعده الثقافي وفي مناعته الثقافية وفي فكره يحتاج أيضا إلى مراقبة أمنية من نوع آخر؛ أمنية ثقافية.

الأمن المجتمعي اليوم يواجه صدمة في واقعنا، حينما تنتشر مثل هذه الظواهر، ومثل هذه السلوكيات بين شبابنا الأعداء والكرام. إنها تعبر عن فهم خاطئ للتكنولوجيا والحرية وللانفتاح وما إلى ذلك، ونحن مع التطور والحدثة والانفتاح، ونحن مع الحرية، ولكن هذه المفاهيم لها قيود ولها ضوابط ولها إطار يجب أن تنتظم فيه، كما في البلدان الأخرى التي تصدر لنا مثل هذه الظواهر وهذه المفاهيم، فلها مفهوم ولها إطارها الخاص ولها قيودها ولها شروطها، فكيف تكون في العراق بلا قيود ولا شروط؟.

إنني ومن موقع المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية أوجه ندائي إلى الأسر العراقية الأصيلة، وإلى وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني المعنية بمتابعة هذه القضايا الاجتماعية، أوجه ندائي لهم وأدعوهم للحذر من مثل هذه الظواهر ووضع المعالجات الكفيلة ودراسة أسباب هذه الظواهر ومعالجتها بالشكل الصحيح، ليس بالقوة وإنما بالفكر وبالثقافة وبالإجراءات الصحيحة، لأن لها تأثيرات مدمرة على بنيتنا الاجتماعية.

الطلاق .. أرقام مخيفة

كما تشير الإحصاءات إلى زيادة مخيفة في عدد حالات الطلاق في العراق ، ولا سيما الطلاق بين الشباب ، في بلد عربي إسلامي أصيل كالعراق ، وهي ظاهرة تشمل جميع المحافظات العراقية دون استثناء ، بحسب هذه الإحصاءات ، فليست ظاهرة مركزة في منطقة دون أخرى ، هذه ظاهرة عراقية بكل المعايير والاعتبارات وهي تكشف عن وجود تساهل في دراسة عروض الزواج عند تشكيل هذه العلة الزوجية ؛ عندما تُطلب البنت سرعان ما يقال نعم ، وتمضي عملية الزواج ، أيها العريس ، دقق من التي تريد أن تتزوجها ، أيتها العروس اذهبي وشاهدي من هذا الزوج؟ ، هل يناسبك بثقافته وسلوكه وبأدائه وإمكاناته؟ . أيها العوائل ساعدوا الشباب في تشخيص الشخص المناسب للملائم لكل من الولد والبنت ، حتى تكون علاقة الزوجية ناجحة وصحيحة ، وليس بعد شهر أو شهرين أو ستة أشهر تكتشف الزوجة أن هذا لا ينسجم معها ، ويكتشف الزوج أن هذه خيار خاطئ ولا يستطيع أن يتفاهم معها ، فيذهب إلى الطلاق وهذا أمر خاطئ ، وكذلك تكشف هذه الظاهرة عن أن دور كبار السن أصبح دوراً أقل في أسرنا ومجتمعاتنا . في ما مضى ، عندما تكون هناك مشكلة يأتي الكبير ويجمع بين الاثنين ويرى ما هي المشكلة وكيف يحلها ، ويشجع بعضهم بعضاً على أن يتجاوزوا هذه المشاكل . . فأية عائلة لا تحصل فيها مشكلة هنا أو هناك؟ .

آخر الدواء الكي ، وأبغض الحلال الطلاق ويجب ألا يكون الخيار الأول ، وهذه أيضاً من المشاكل ، كما تكشف هذه الظاهرة عن وجود ضعف في المودة وفي المحبة وفي المشاعر وفي العلاقات الإنسانية بين الزوجين ، ما إن تحصل قضية يختلف عليها ، حتى يأتي مباشرة خيار الطلاق ، وهذا يعني أنه لا وجود للألفة والانسجام الكافي ، نحتاج إلى نشر ثقافة التواصل والتراحم والتحابب داخل الأسرة ، فالزوجة تحب الزوج والزوج يحب الأسرة ، ومن خلال هذه المشاعر المودة والمحبة نستطيع أن نقف أمام بعض هذه المنغصات ، كما تشير هذه الظاهرة إلى أن الواقع المعيشي للمواطنين والوضع المادي بمجتمعنا يمكن أن يكون له تأثير مباشر في مثل هذه الظواهر الخطيرة والحساسة .

إن هذه الظاهرة تعني أننا أمام عوارض خطيرة في مجتمعنا ومنها ولادة أجيال

من الأطفال سيفقدون رعاية أحد الأبوين؛ إما أن يكون مع الأب فيفقد حنان الأم، وإما أن يكون مع الأم ليفقد رعاية الأب، فينشأ جيل من الأطفال بعيد عن حالة التوازن والاستقرار النفسي المرجو والمطلوب، وهو أمر خطير للغاية، لذلك أدعو جميع الحريصين والمعنيين في أجهزة الدولة، وفي المجتمع بمختلف مساحاته، إلى دراسة هذه الظاهرة وأسبابها ومناشئها والحلول المطلوبة للوقوف أمامها، وللتقليل من مثل هذه الظواهر التي تسيء إلى واقعنا وبنيتنا الاجتماعية.

اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية

في العشرين من شباط نعيش اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، إنها فرصة مهمة لدعم الجهد الدولي في القضاء على الفقر وفي توسيع فرص العمل للعاطلين عن العمل، وفي تحقيق الرفاه الاجتماعي في مجتمعاتنا الإنسانية والاهتمام بالمرأة ومنحها المزيد من الأدوار والفرص لتحقيق حالة العدالة والتكافؤ بين الرجل والمرأة وتكامل الأدوار بينهما في بناء المجتمع.

إن العدالة الاجتماعية تمثل مبدأ أساسياً للتعيش السلمي داخل المجتمعات، وأي تعايش وأي سلم لا يُبنى بمعزل عن العدالة بين الناس وتوفير الفرص الملائمة للعيش الكريم. إن العدالة الاجتماعية تتطلب أن نكبر على الاختلافات وعلى التعدديات، وأن نقبل بالرأي الآخر والتوجهات الأخرى، وأن نزيل الحواجز النفسية بين الشعوب والاعتراف بنعمة الاختلاف إن كان على خلفية عرقية أو دينية أو قومية أو ثقافية.

إننا نستثمر هذه الفرصة لندعو المعنيين في بلدنا الحبيب في العراق إلى الالتفات إلى الشرائح الفقيرة والمستضعفة والعمل على تقليل الفروقات والتمايز الطبقي بين أبناء شعبنا، ألا تكون هناك طبقة ثرية وطبقة فقيرة، وإنما يحظى الجميع بفرص عادلة في الحياة الكريمة وفي العزة والكرامة وفرص العمل إلى غير ذلك من الأمور. ونطالب أعزاءنا السياسيين بعدم إغراق البلاد بالأزمات ليكون الفقير هو الضحية، نحن لا نريد أن يكون الفقراء حطب نار الفرقاء في هذه الصراعات وهذه الاختلافات السياسية القائمة.

يوم اللغة الأم.. دعوة للاهتمام باللغة العربية

اليوم ٢١ من شباط هو اليوم العالمي للغات الأصلية، اللغات الأم في العالم، وهي فرصة للاهتمام بهذا التنوع اللغوي، وكل لغة تعني ثقافة، وتعدد اللغات سيعني تعدد الثقافات. اللغة هي التي تحفظ التراث وتحافظ على الواقع الحضاري للشعوب والأمم. فلا بد من الاهتمام بهذه الثقافة، وبهذه اللغات المتعددة وما تستبطنه من تنوع وتعدد في الثقافات، ولا مجال إلا أن نحترم هذه اللغات المتعددة التي تسهم إلى حد كبير في إشاعة التفاهم والتسامح والحوار بين الشعوب والأمم.

إنني أستثمر هذه الفرصة لأذكر بأهمية وضرورة الاهتمام باللغة العربية التي طالما قل الاهتمام بها وبضوابطها وبحسن بيانها وبسياقاتها، ولا بد أيضا من الانفتاح على اللغات الأخرى في بلادنا؛ كاللغة الكردية والتركمانية والسريانية وسائر اللغات في العراق. ونأسف لتدني مستوى الاهتمام باللغة العربية لصالح اللغات الأجنبية في العديد من بلداننا العربية الكريمة، ولا بد من العودة إلى اللغة الأم والاهتمام بهذه اللغة، مما يمثل اهتماما بثقافتنا العربية الأصيلة.

الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَيِّ ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ^(١٢) .

عوارض الظلم وآثاره

لا يوجد شيء يعيد الإنسان عن النعمة ويقربه من النعمة بقدر ممارسة الظلم ، فالظلم أقصر الطرق إلى نعمة الله وعذابه ، وأبعد الطرق عن نعمة الله ولطفه ، «فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد» ، الله تعالى يسمع صوت المظلوم المضطهد ، هناك تأثيرات وعوارض دينوية قبل الآخرة للظلم ، ولأن المظالم من حق الناس فلا تكفي التوبة وحدها .

الظلم مدعاة لتعجيل النقمة والبلاء

في منطق علي ، وهو منطق الإسلام ، حينما يظلم المسؤول فإنه ينزع إنسانيته ويتحول إلى وحش وإلى سبع ، يعتدي على الآخرين ويسيء إليهم ويتجاوز

عليهم، ولذلك يتخلى عن إنسانيته، في اللحظة التي يظلم فيها المسؤول سيكون على سكة الأفول والزوال والسقوط، والمسألة مسألة وقت، هذه سنة الله تعالى، وهو منطق الإسلام، ما دمت تظلم وتصر على الظلم، فذلك مدعاة لتعجيل النعمة، وقرب وقوع البلاء. في رؤية القرآن الكريم يؤدي الظلم إلى السقوط، وانهيار الأنظمة، والظالم سيتعرض للعقوبة الإلهية في الدنيا قبل الآخرة.

قبل أشهر كنا نحتاج إلى شرح لهذا الموضوع، ولكن اليوم وبعد التحولات في الربيع العربي كما يسمونه، أصبح الأمر واضحاً جداً، تحول الأمر مع الحاكم الذي كان يتحكم ويسعى الجميع لتحقيق وتنفيذ أوامره ويمتلك الجيوش والهيبة والأدوات، فخلال أسابيع أصبح الشعب يريد إسقاط النظام من دون تحرك الجيوش، كل الأمور التي يعتقد بأنها كانت أذرعاً للدفاع عن هذا الحاكم تهاوت، إذن بالفعل للظلم نهاية والله يمهل ولا يهمل والنتيجة حتمية.

من مصاديق الظلم

في منطق علي عليه السلام كل شيء في غير موضعه فهو ظلم، ويقع في هذه العوارض التي تحدثنا عنها؛ موقف غير سديد، ليس فيه حكمة، متسرع أو انفعالي، هذا في غير موضعه، هذا ظلم، المواقف الانفعالية مصداق من مصاديق الظلم، على المسؤول أن يكون مستقراً هادئاً يدرس ويتروى ويتشاور ثم يتخذ القرار الصحيح. كذلك النرجسيات والمزاجيات في إدارة الأمور، هذا ظلم، موقفك، رأيك، مزاجك، يجب ألا تفرضها على الآخرين. التنصل عن أداء الحقوق، هذا ظلم، التخلف عن الإيفاء بالالتزامات والوعود والعهود، يعرض الإنسان إلى هذه العوارض والتبعات. وضع غير الكفوء في مواضع المسؤولية، هذا ظلم، لأن فيه ظلم الناس وظلم الموقع، فيتراجع البلد وتبدد الثروات والإمكانات، هذا ظلم خطير، تسليم المسؤولية لغير الكفوء ظلم يعرض الإنسان لهذه العوارض.

الانحراف عن المعايير والمقاييس والقوانين والالتزامات، هل هناك منطق يتحكم في قراراتك؟، ما هي هذه المعايير؟، في القضية الواحدة هناك موقف متشدد تجاه طرف وموقف متساهل مع آخر، وهذا ظلم.

الابتعاد عن مسارات الدين والعقل، هل هذا الموقف يخضع لمعايير عقلية

وشريعة؟ فإن كان يخضع فهنئاً لك، أما إذا لم يخضع فهذا ظلم. كل شيء في غير موضعه فهو ظلم، وإذا كان ظلماً فسيعرض صاحبه إلى هذه التبعات التي تحدثنا عنها.

النهاية الحتمية

يقول علي عليه السلام في غرر الحكم: «الظلم يدمر الديار»^(١٣). لدينا العقول والإمكانات ولا يوجد حصار، ولكن ليس هناك تقدم، وهذا معناه أن هناك ظلماً، ولكن حينما نرفع الظلم سوف تكون الأمور على السكة الصحيحة. وقد قيل إن سوء التدبير يسبب التدمير، فسوء التدبير وعدم الحكمة ومراعاة الضوابط، والانفعالات، والمواقف الارتجالية والتمسرة، كلها تؤدي إلى مثل هذه المضاعفات الخطيرة.

«من جارت ولايته زالت دولته»^(١٤)، فإذا كان هناك جور وظلم فسيؤدي إلى زوال الدولة، الجور وزوال الدولة متلازمان، «تولي الأراذل والأحداث الدول دليل انحلالها وإدبارها»^(١٥)، تولي من لا ذمة له ولا ضمير ولا تأريخ له، لا يعرف سوى مصلحته بشتى الطرق غير اللائقة وغير الأخلاقية، هؤلاء أراذل، وكذلك الأحداث، وهم الذين جعلتهم الصدفة في المقدمة، نقرأ عن الطغاة والظالمين السابقين أن الظالم تأتيه فرصة معينة ليكون الزعيم الأوحده والإمبراطور، ولكنه لا يستطيع إدارة الأمور بالشكل الصحيح، لأنه لا يملك الحصانة والحصافة الكاملة وربما يفقد توازنه، وتكون مواقفه غير مدروسة وغير ناضجة، علي عليه السلام يقول إن تولي الأراذل والأحداث الدول، أن تكون المسؤولية بيد شخص من الأراذل أو من الأحداث، إنما هو دليل انحلالها وإدبارها، وسوف تكون هذه المسؤولية غير قادرة على تحقيق النتائج، وتكون النتيجة تراجعاً وانهيائات وانحلالاً في الحكم.

١٣. غرر الحكم ج ١، ص ٢٦٧

١٤. ميزان الحكمة ج ٤ - ص ٣٦٨٩

١٥. عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٠٢

زوال الدول في أربع

في رواية أخرى عن علي عليه السلام: «يستدل على إدبار الدول بأربع، تضييع الأصول، والتمسك بالفروع، وتقديم الأراذل وتأخير الأفاضل»^(١٦).

إذا كانت لا توجد إستراتيجيات في هذه الدول ولا ضوابط ومعايير وأصول يلتزم بها، لا توجد رؤية أو إستراتيجيات، وهناك قرارات سريعة، فمعنى هذا أن الأصول ضائعة، وهذه أول سمة لزوال الدولة.

وكذلك التمسك بالفروع، أي الانشغال بالأشياء الصغيرة وترك كباثر الأمور، إذا تركت الكباثر والأصول وانشغل المسؤولون بالصغائر والتفاصيل الصغيرة.

ومن سمات الزوال تسليم الأراذل وتأخير الأفاضل، أي لا مكان للإنسان الكفوء والنزيه والقدير في المسؤوليات في الدولة، مما يؤدي إلى تركه الوظيفة والموقع، فيما نجد من لا يحمل الشهادة والكفاءة والنزاهة في موقع التصدي، فإذا كانت مثل هذه الظاهرة في بلد من البلدان، فستكون بداية الأفول والسقوط لتلك الدولة.

آهات المظلوم لا تضيع

في هذه العبارة أيضا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى قضية مهمة، وهي أن الظلم له موقع في نظام الكون، إذ إن آهات المظلوم لا تضيع وهي ستحرق الظالم أيا كان هذا الظالم.

يقول علي عليه السلام: «من جار ملكه تمنى الناس هلكه»^(١٧)، إذا تمت الناس هلاك المسؤول فهي البداية للانهيارات، لأن الناس أصبحوا يتشكون من الظالم، هذا الدعاء وهذه الشكوى تسمع من الله تعالى.

وعنه عليه السلام: «من عامل رعيته بالظلم أزال الله ملكه وعجل بواره وهلكه»^(١٨)، فالجور يؤدي إلى زوال الملك والهلاك. وقال عليه السلام: «ما من سلطان آناه الله

١٦. ميزان الحكمة، ج٢- ص ٩٣٦

١٧. عيون المواعظ والحكم، ص ٤٣٩

١٨. غرر الحكم: ٨٧٤٠.

قوة ونعمة فاستعان بها على ظلم عباده، إلا كان حقا على الله أن ينزعها منه، ألم تر إلى قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١٩)»^(٢٠).

المسؤولية أمانة، فإذا لم تُؤدَّ الأمانة بالشكل الصحيح فسوف يأخذها الله تعالى. إذا أحسن المسؤول الأداء ضمن لنفسه الموقع بل ويأخذ الأدوار المتزايدة، ولكن إذا قصّر المسؤول فإن المشكلة فيه، ولا بد من أن يتربح زوال هذه المسؤولية.

في رواية أخرى عن علي عليه السلام: «لئن أمهل الله تعالى الظالم فإنه لن يفوته أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجى من مجاز ريقه»^(٢١). في الوقت المناسب ينقض الله تعالى على الظالم، فالله تعالى أقرب إلينا من جبل الوريد، ولا يمكن إخفاء الوثائق والحقائق إلى ما لا نهاية، بل سنكتشف بالتأكيد في يوم من الأيام، وهنا يوضح أمير المؤمنين عليه السلام كيف أن الله تعالى يقف بالمرصاد للمسؤولين الظالمين ولو بعد حين.

الأمّن وأسئلة المواطنين

شهدنا في الأسبوع المنصرم سلسلة من التفجيرات المروعة والدموية، راح ضحيتها المئات من المواطنين بين شهيد وجريح في سبع محافظات عراقية، إن الذين يقومون بزرع المتفجرات لأبناء شعبنا ليقطعوا أشلاءهم ويريقوا دماءهم بهذه الطريقة المروعة إنما يرسلون لنا رسالة، وعلينا أن نرد على هذه الرسالة. إن رسالتهم تقول إنهم لا يرتوون من دمائنا ويطلبون المزيد ولا يعرفون طريقة للتعبير عن هذه الرؤية الظلامية إلا من خلال القتل والدم والدمار، ونرد عليهم وعلى رسالتهم ونقول؛ مهما كانت الاختلافات والتقاطعات داخل البيت العراقي هنا وهناك إلا أن العراقيين موحدون تماما أمامكم، وأمام فكركم الظلامي وأمام اعتداءاتكم على الإنسان وعلى الدم العراقي.

إننا موحدون تماما أمام الإرهاب، موحدون بأيدينا وقلوبنا وفكرنا، وستنخذ كل المواقف والإجراءات كعراقيين بكل تلاويننا وبكل أسمائنا ومسمياتنا للوقوف

١٩. سورة الرعد: الآية ١١

٢٠. موسوعة الإمام علي، ج٤- ص٣٢٣

٢١. نهج البلاغة ج١- ص١٨٧

بوجه الإرهاب ، ووضع حد لمعاناة أبناء شعبنا التي تستمر نتيجة هذه التفجيرات الدموية يوما بعد آخر . إننا نؤكد أنه لا اختلاف على قضية الإرهاب والقتلة ولا مساومة على دماء أبناء شعبنا ولا تساهل في أرواح المواطنين الأبرياء ، وسيزداد أبناء شعبنا تماسكا وتلاحما كلما ازدادت هذه الرسائل الظلامية من أولئك الإرهابيين ، كما أن على قواتنا الأمنية أن تضرب بيد من حديد دفاعا عن المواطنين وحفاظا على أرواحهم وعلى ممتلكاتهم وعلى أمن البلاد واستقراره .

إن أجسادنا لن تكون طعاما لذوي العقول السادية الظلامية التي وقفت وتقف كل يوم لتبطش وتفتك بأبناء شعبنا ، إننا في الوقت الذي نشيد فيه بالجهود الكبيرة التي تبذلها القوات الأمنية في توفير الأمن وفي ملاحقة الإرهابيين ، وفي تفكيك شبكات الإرهاب ، لكننا في الوقت نفسه ، نسمع تساؤلات من المواطنين العراقيين ؛ الذين يتساءلون ؛ إلى متى ستستمر وتتكرر مثل هذه التفجيرات الدموية؟ ، وما هي الطريقة لمعالجة هذه الأمور وضمان عدم تكرارها في المستقبل؟ ، ومن المسؤول عن مثل هذه الاختراقات التي يذهب ضحيتها المئات من الشهداء والجرحى في مناسبات مختلفة وفي ظروف متعددة؟ .

إن أبناء شعبنا يتساءلون ؛ متى ستتوقف هذه التفجيرات ، ومن المسؤول عنها؟ ، لاسيما أن هناك ميزانيات ضخمة تُرصد للتعاطي مع الملف الأمني ومعالجة الإشكاليات الأمنية ، وهناك صلاحيات واسعة مُنحت للأجهزة الأمنية ، حتى تقوم بهذا الدور في إجراءات وسياقات وصلاحيات تتجاوز الصلاحيات المألوفة في النظم الديمقراطية .

إستراتيجية إدارة الخلاف

كما أن الواقع السياسي ما زال متأزما في البلاد ، في ظل أزمة الثقة بين العديد من الأطراف السياسية ، مما يجعل الاندفاع ضعيفا لحل الإشكالات ولقبول كل طرف بالحلول والمعالجات التي يقدمها الطرف الآخر ، وهكذا أصبح كل يتمرس خلف رؤيته ويصر على قناعاته والحلول التي يقدمها من دون أن تندمج هذه الحلول في حل وطني واحد ، يحقق ضمانة حقيقية للخروج من الأزمة السياسية الراهنة .

إننا بالرغم مما نمتلكه من عناصر القوة والنجاح وفرص إخراج البلاد من

هذه الأزمات ، لتحقيق وتعزيز الاستقرار السياسي والأمني والانتعاش الاقتصادي في البلد ، ولكننا ما زلنا نفتقد إستراتيجية إدارة الاختلاف بيننا ، نختلف وهو أمر طبيعي ، لكن كيف ننظم هذا الاختلاف؟ وكيف نتعامل مع هذه الاختلافات وكيف نديرها؟ وما هي الأسس والأصول التي نتمدها في حل الاختلافات والإشكالات في ما بيننا؟ . ما دمنا غير متفقين على إستراتيجية إدارة الاختلاف سنقف أمام كل أزمة تواجهنا ، وتترك مضاعفاتها الكبيرة من دون أن يكون لنا قدرة على معالجات سريعة في هذا الإطار .

لا رايح من الأزمات

لا شك في أن الدستور يمثل الركيزة الأساسية لحل الاختلافات وإدارة الاختلاف بيننا ، ولكن الدستور غامض في العديد من مواده الأساسية ، والدستور بحاجة إلى أن يسند بالخطوات والتوافقات المنسجمة مع أصوله حتى نستطيع أن نخرج من هذه الأزمة ، ونكرس حالة الاستقرار في البلاد ، إننا نعتقد بأنه ليس هناك أزمة ليس لها حل ، كل أزمة بإمكاننا أن نحلها ونعالجها ، الحروب العالمية والأزمات الدولية الخائفة تبين أن لها حلولاً حينما جلس الجميع على طاولة الحوار ، حيث استطاعوا أن يجدوا حلولاً وينهوا معاناة الشعوب والأمم في أزمات دولية كبيرة ، فكيف بنا ونحن عراقيون في بلد واحد تحت خيمة واحدة تجمعنا مصالح العراق وتربطنا الوشائج الكبيرة في ما بيننا ، ألسنا قادرين على أن نجد حلاً؟ ، بلى ، نحن قادرون على أن نجد الحلول لكل الأزمات القائمة ، وهذا يعني أن كلاً منا يمكن أن يكون جزءاً من الحل حينما تتولد لديه الإرادة الحقيقية لحل المشاكل ، والجلوس على طاولة الحوار ويمكن أن يكون جزءاً من المشكلة حينما لا يريد أن يقف وينظر بموضوعية لظروف البلاد ولرؤية الشركاء .

إن إدامة الأزمات والصراعات لا يمكن أن تمثل عنصر قوة وركيزة اقتدار لأي من الأطراف السياسية على الأمد الطويل . حينما تُخلق أزمة يمكن في صلب الأزمة أن يستفيد هذا أو ذاك ، ولكن ما إن تنتهي ذروة الأزمة وثورتها وتستقر النفوس حتى يتبين أنه لا غالب ولا مغلوب في هذا البلد ، ولا يمكن أن ينجح أحدنا بكسر الآخر ، نجاحنا بنجاح الجميع وتلكؤنا بتلكؤ الجميع ولا بد من أن نبحث عن حلول تلتزم بالدستور والمعايير القانونية ، ولكن تأخذ بنظر الاعتبار المخاوف والهواجس والتطلعات والرغبات لجميع العراقيين .

الحوار واستيعاب الشركاء

إن كل أزمة تنتج أزمات أخرى ولو صغيرة، وهذه الأزمات تنمو وتكبر لتزيد من معاناة المواطنين، وزيادة هذه الأزمات وتراكمها أمر يجعلنا أمام واقع نجد أنفسنا فيه أمام طريق فيه الكثير من العثرات وفيه أزمة ثقة كبيرة وفجوة عميقة بين القوى السياسية وبين المسؤولين المتصددين لإدارة البلاد. ولذلك نقول إنه لا خيار لنا إلا أن نعود إلى طاولة الحوار ونكشف الاجتماعات الوطنية ونتدارس الأمور بشفافية ونتعامل بمرونة في مطلبنا وفي الاستجابة لمطالب الآخرين، حتى نستطيع أن نصل إلى القاعدة الرصينة التي تضمن الحقوق لنا وتضمن الحقوق لشركائنا الآخرين.

إننا نقول بوضوح إنه لا طرف من الأطراف المتنازعة اليوم في ساحتنا يملك الحقوق الكاملة والشرعية الكاملة في مطالبه، ولا طرف في ساحتنا يفتقد الشرعية الكاملة، نحن لسنا أمام أبيض وأسود، ليس هناك من يمثل الحق المطلق ولا هناك الباطل المطلق، كل منا يتحدث عن جانب من الحقيقة وعليه أن يتعامل بمرونة وأن يقبل لنفسه بهذا الجزء ويعطي الجزء الآخر ليطاشي مع الجانب الآخر من الحقيقة الموجودة مع الآخر، وبهذه الطريقة يبنى البلد وتستقر النفوس وتطيب الخواطر وتتحول إلى الفريق الواحد الذي يعمل باتجاه واحد، هو خدمة الوطن والمواطن ومعالجة مشاكل الناس وحل قضاياهم. إن الحل المنطقي لكل الخلافات القائمة هو الإرادة السياسية الحازمة والتعامل المرن والجلوس على طاولة الحوار والنقاش الحقيقي، الذي يجعلنا متماسكين ومتراسي الصفوف، وأمام رؤية واحدة في حل مشاكلنا وخلافاتنا.

تمثيل المرأة في العملية السياسية

إن مشاركة المرأة في الإدارة السياسية للبلاد تعد واحدا من المعايير التي تعبر عن مدى التزامنا بالنظام الديمقراطي والتعددي في البلاد، ومنذ ٢٠٠٣ وإلى يومنا الحاضر شهدنا حضورا وتمثيلاً غير مسبوق للمرأة العراقية في العمل السياسي، وهي خطوة تسجل لصالح النظام السياسي الجديد في العراق، ولكن هناك قلق ومخاوف من تراجع لهذا الإنجاز المتحقق، وأن يصبح تمثيل المرأة في العملية السياسية تمثيلاً عددياً ورقمياً وليس تمثيلاً نوعياً. واليوم حينما ننظر إلى مجلس الوزراء لا نجد المرأة حاضرة بالمستوى الذي ينسجم مع ثقلها السكاني وقدراتها

وكفاءتها وطاقاتها، وحينما ننظر إلى اجتماعات الحوار الوطني وإلى اللقاءات التي تناقش فيها الإستراتيجيات الوطنية، وإلى المفاصل التي تتخذ فيها القرارات الحاسمة والمصيرية في البلاد لا نجد المرأة حاضرة بالمستوى الكافي في مثل هذه الأروقة .

هل نفتقر لشخصيات نسوية كفوءة وقديرة؟. الجواب كلا، فالمرأة العراقية برهنت على مدار تسع سنوات أنها أفرزت شخصيات قيادية تتمتع بالكفاءة والقدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة والقيام بالمبادرات المهمة، لذلك نحن أمام شخصيات نسوية وطنية وقيادية فخر بها ونعتز بها أمام العالم، فلا بد من العمل الجاد لأن يكون هناك مشاركة حقيقية في إدارة وقرار البلاد من المرأة كما هو من الرجل .

تطور حجم التداول في البورصة العراقية

حسب التقارير التي قدمتها سوق العراق للأوراق المالية، هناك تطور مهم في حجم التداول الذي حصل في البورصة في السنة الماضية، مثل زيادة بلغت ١٣٥٪ عما كان في السنوات السابقة، إن البورصة والأسواق المالية في كل بلد هي محطة مهمة ومؤشر من مؤشرات الاستقرار الاقتصادي والتنموي في ذلك البلد، فهذه الزيادة وإن كانت زيادة بسيطة نسبة إلى الأرقام، ولكنها كبيرة في ملاحظة الانتقال خلال سنة واحدة، فالزيادة بنسبة ١٣٥٪ شيء مهم، وعلينا أن نعمل جاهدين في تطوير هذه النسبة والتعاملات الاقتصادية الشفافة والواضحة عبر البورصة وسوق العراق للأوراق المالية، إن العراق بما يمتلكه من ميزانية ضخمة وكبيرة ومن إنتاج نفطي متزايد ومن حركة اقتصادية في سوقه تتصاعد يوماً بعد آخر، مؤهل لأن يكون له بورصة فاعلة ونشطة ومتقدمة على مستوى المنطقة . وهذا ما يتطلب أن نجد التزاماً لهذه السوق بالمعايير الدولية وتوفير الشفافية والوضوح والعمل الموفق الذي يحقق هذا الإنجاز المهم .

شبكة الرعاية الاجتماعية

إن الرعاية الاجتماعية هي واحد من أهم الحقوق للمواطنين، لأنها تراعي شريحة مظلومة ومضطهدة من الأيتام والأرامل والفقراء والمعوزين، والشريحة المسحوقة في المجتمع . ومهما قيل ويقال عن ظواهر الفساد ومحاولات استغلال

منح الرعاية الاجتماعية من أناس لا تتوفر فيهم الشروط ، لكن ذلك يدعونا لمزيد من التدقيق والتأكد من أن هذا المال يذهب لأهله ، ويجب أن تبقى شبكة الرعاية الاجتماعية قوية وبكامل مخصصاتها ، التلكؤ في الأداء أو بعض ظواهر الفساد يجب ألا تمنعنا من دعم هذه الشبكة وتقديم المخصصات الكافية لها ، وإنما تدعونا للغرلة والفرز والتحقق والتأكد من أن هذا المال يصل إلى مستحقيه ، وهذه قضية أساسية .

إننا نشمن ما قامت به وزارة العمل والشؤون الاجتماعية من فتح خط ساخن لشكاوى المواطنين ، للإجابة السريعة على شكاواهم . وهي خطوة صحيحة ، فالمواطن الذي لديه مشكلة أصبح اليوم في عناء لا يعرف لمن يطرحها ، فيذهب للوزارات وبالتعقيدات الأمنية كي يدخل ، وإذا بأحدهم يحوله إلى الآخر ولا تنجز معاملته الإدارية لفترة طويلة من الزمن ، وجود خط ساخن يتصل به المواطن ووجود ذلك الطرف في الوزارة الذي يذهب ويعالج الأمور هو شيء حسن وخطوة تستحق التقدير تسجل لهذه الوزارة الكريمة ، إننا سندعم بتأثيرنا السياسي وحضورنا النيابي وبقوة موضوع الرعاية الاجتماعية وتحقيق أفضل الخدمات لهذه الشريحة المنكوبة في مجتمعنا .

ترحيب بزيارة بابا الفاتيكان

كما يجري الحديث عن زيارة بابا الفاتيكان لمدينة أور في ذي قار بنهاية هذا العام ، إننا نرحب بهذه الزيارة ونتمنى تحققها في الموعد المذكور ، وندعو الجهات المختصة في الحكومة الاتحادية والحكومة المحلية لاتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بحسن استقبال هذا الزائر الكبير . إن زيارة العراق من قبل الشخصيات بهذا الثقل إنما ترفع من المستوى المعنوي والدولي والمكانة الدولية للعراق ، وهي بادرة مهمة ويجب أن تستثمر ، كما أنها فرصة لنذكر أهلنا وأعزائنا المسيحيين في خارج العراق المهاجرين بأن يجددوا النظر في عودتهم ليكونوا على أراضيهم ، وفي وطنهم وإلى جانب إخوانهم وشركائهم الآخرين ، يعيشون بسلام ومحبة ووثام .

تميز الثقافة الإسلامية

تابعنا باهتمام في الأسبوع المنصرم حدثاً فريداً يحمل في طياته معاني عميقة على أكثر من صعيد، هذا الحدث يتمثل بحصول فيلم إيراني على جائزة الأوسكار، وهي من أهم وأرقى الجوائز العالمية في عالم السينما، اللافت أن جائزة الأوسكار تخصص لفيلم إيراني، ولجمهورية إيران الإسلامية، وفي ذلك رسالة واضحة من أن الثقافة الإسلامية قادرة على إنتاج فن راق و متميز وهادف يستطيع أن يتفوق على الآخرين، وأن ينال أعلى الجوائز في العالم، إن ذلك يؤشر وبوضوح بأن الإسلام ليس بالضد من الإبداع وليس بالضد من الرقي ومن النمو، ومن التألق، بل أن الثقافة الإسلامية والتربية الإسلامية تساعد على هذا التألق وهذا الحضور في مثل هذه الميادين، فالإسلام يدعم الفن حينما يكون لهذا الفن هدف ورسالة واضحة، فالمشكلة ليست في الإسلام بل المشكلة في ضيق الأفق وفي الفهم القاصر للإسلام ولرسالته السمحاء.

إذا ما انطلقنا انطلاقاً صحيحة في فهم الإسلام سنجدناه قادراً على تحقيق هذه الانتصارات الكبيرة، إنها فرصة ندعو فيها المبدعين الفنانين العراقيين الكرام لأن يبذلوا جهودهم لتقديم هذا الفن الأصيل المبني على هويتهم الإسلامية والوطنية والمنبثق من حضارتهم وتأريخهم المتجذر، ليقدموا فناً متطوراً يحظى باحترام الآخرين ويأخذ مكانته في الأروقة الفنية العالمية، إن الجانب الآخر اللافت في هذا الحدث هو أن هذه الجائزة مُنحت من لجنة تحكيم أمريكية، تمنح الجائزة العالمية الأولى لفيلم إيراني في ظرف نعيش فيه الصراع المحتدم بين الولايات المتحدة وإيران على المستوى السياسي، ونلاحظ أن هذا الصراع قد غطى على العلاقة بين البلدين، ماذا تعني هذه الرسالة وهذه الخطوة؟. إن ذلك يؤشر إلى أن الكفاءة والإبداع والخبرة تستطيع أن تتعرف على أمثالها، فإن الطيور على أشكالها تقع، المبدع يستطيع أن يتجرد من سياقاته وأن يتخذ الخطوة الصحيحة ويكرم الآخر حينما يكون بمستوى الإبداع المتطور والمتقدم.

إن هذا الحدث فيه دروس مهمة علينا أن نتعلم منها نحن في العراق وفي الوطن العربي، نتعلم من الإيرانيين كيف نبداً وكيف نتألق وكيف نواصل رسالتنا للآخرين، وكيف ندعو الآخر المختلف معنا لأن يحترم فننا، وأن يحترم الإبداع وأن يحترم إنجازنا ويقف موقف التقدير والتبجيل لهذه العطاءات ولهذه الرؤية التي

تقدمها . إن الاختصاص والإبداع يكون بمستوى يدفع الآخر لاحترامه والتعامل معه والتعاطي معه ، إن الإيرانيين استطاعوا أن يرفعوا علمهم على الأراضي الأمريكية إشارة إلى الفن الإبداعي الذي قدموه ، وهم في أوج الصراع بينهم ، هذه رسالة مهمة ، فعلينا أن نقدم وعلينا أن نتقدم وعلينا أن نطور من قدراتنا وأدائنا ، ونعرض أنفسنا بطريقة يرضى بها ويضطر الآخر لأن يتعامل معها ويتماشى معها .

كما أن علينا أن نتعلم من لجنة التحكيم الأمريكية ؛ فبالرغم من الاختلافات الكثيرة ؛ وجود ممثلات محجبات أو مخرج ملتح أو نظام إسلامي صدر منه هذا الفيلم ، لكن ذلك لم يمنعهم من أن ينظروا إلى الإبداع بكل مداليه ، من دون أن يدخلوا هذه الاعتبارات الجائبة وتعاملوا بكفاءة ونزاهة مع هذا الحدث . إن هذا يعني أن المبدع الكفوء يستطيع أن يتعامل بنزاهة ويكبر على الاعتبارات الأخرى ، لأن إبداعه أوصله إلى هذا الموقع ، ولم يصله من خلال الانتهازيات والرشوة والفساد . لنضع المبدعين ولنضع الأكفاء في مواقعهم ، وأن تكون كفاءتهم هي الحصانة وهي المناعة التي ستدفعهم لاتخاذ القرارات الصحيحة .

خطورة ظاهرة التسول

تنتشر في هذه الأيام ظاهرة التسول بشكل لافت في بغداد والعديد من المحافظات العراقية ، على خلفية مشاكل اقتصادية واجتماعية وعائلية ، تدفع هؤلاء المتسولين للخروج إلى الشوارع والقيام بالتسول . وما يثير القلق أكثر هو تحول هذه الظاهرة إلى ظاهرة منظمة ، وهناك شبكات ومافيات أصبحت تمتهن هذه القضية وتجمع هؤلاء الأطفال والنساء ولاسيما من ذوي العاهات ، لتتاجر بهم وتشغلهم في هذه العملية لتظهر عاصمتنا الحبيبة بغداد والعديد من مدن العراق الأخرى بمظهر لا يليق بها ، ولا بأولئك المتسولين ، ولا بتاريخ هذا البلد وبقدراته ، مما يسيء إلى المواطنين وإلى سمعة هذا البلد إلى حد بعيد . إن التسول أصبح تجارة يمتنها من يريد أن يربح ربحا خاليا ليس فيه خسارة وليس فيه مضاعفات ، وتشير إحصاءات بعض منظمات المجتمع المدني إلى أن في بغداد وحدها اليوم يتواجد أكثر من ١٠٠ ألف متسول ، وهذا رقم كبير جدا يدعو إلى وقفة طويلة وجادة أمام هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية .

إن على الجهات الحكومية والمجتمعية أن تتحمل مسؤولياتها كاملة ، وعلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تشكيل لجان مختصة تدرس هذه الظاهرة

وأسبابها ومناشئها وكيفية معالجتها والسيطرة عليها، كما تتطلب معالجات اجتماعية وتوعوية تمنع بعض المعوزين من القيام بعملية التسول بهذه الطريقة، أو الوقوع في فخ تلك الشبكات والمافيات التي تدفعهم إلى التسول، كما علينا توفير فرص العمل والتأمين الاجتماعي وتوفير أماكن مناسبة ومراكز للرعاية الاجتماعية تحتضن المتسولين، ولاسيما الأطفال لحين انتظام هذا الواقع العام في بلادنا. نحن بحاجة أيضا إلى وضع قوانين للحد من ظاهرة التسول ومعاقبة الجهات المتورطة في هذا العمل بما فيه من تدمير للطفولة العراقية وإساءة لسمعة العراق.

عيد المعلم العراقي

في الأول من آذار من كل عام نحتفل بعيد المعلم العراقي، إنه يوم عزيز على قلوبنا وننتهز هذه الفرصة لنهنئ كل المعلمين والأسرة التربوية بهذا اليوم، وهذا العيد الكريم. وتتمنى أن تكون محطة مهمة نستذكر فيها الجهد الكبير الذي يبذله قطاع التعليم والمدرسة التربوية في تنشئة الجيل الجديد، والجهد الكبير الذي يبذل لبناء مجتمع صالح ومتماسك. إن المعلم يمثل إحدى الركائز الأساسية في بناء الوطن والمواطن، ولا بد من أن يحظى بالاهتمام الكافي، إن كان على المستوى الخدمي والرفاهية وتوفير متطلبات العيش الكريم للمعلمين، وإن كان على مستوى التدريب والتطوير والتأهيل والدورات التخصصية التي تتيح للمعلمين التعرف على الطرق الحديثة في التدريس، مما سيرفع مستوى التعليم إلى حد بعيد. إن ذلك يتطلب جهدا مهما من الوزارات المختصة؛ وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي لتحقيق هذا الغرض المهم.

أربيل عاصمة للسياحة العربية لعام ٢٠١٣

وأخيرا اعتبرت مدينة أربيل عاصمة للسياحة العربية لعام ٢٠١٣، إنه خبر سعيد يكشف عن الجهد الكبير الذي بذلته مدينة أربيل والقائمون على إقليم كردستان في توفير الأمن والخدمات والانتعاش الاقتصادي والعلاقات الإقليمية المؤثرة، إذ مكنت هذه العوامل مجتمعة من جعل أربيل عاصمة للسياحة العربية للعام القادم. إننا نرى في ذلك إنجازا لجميع العراقيين، وكل إنجاز يحصل في

محافظة عراقية هو إنجاز للعراقيين جميعاً، فنهنيء ونبارك لأبناء أربيل اختيار هذه المدينة عاصمة للسياحة العربية، ونتمنى من الجهات المختصة المحلية في محافظة أربيل وفي الإقليم اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بإنجاح هذا العمل المهم، لتكون أربيل محطة مهمة يقصدها السياح في السنة القادمة ويتعرفون على ظروف بلادنا الحبيبة.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٣/٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ))^(٢٢) .

محورية إرادة الأمة

بعد أن انتهينا من المقطع السادس الذي يتحدث عن المحسوبية والظلم ، يتحدث أمير المؤمنين هنا عن أهمية محورية الشعب والأمة في الإدارة والقيادة ، النخبة السياسية ، الحالة الارستقراطية ، أصحاب المصالح الخاصة ، هؤلاء يجب ألا يكونوا محورا في رضاهم أو سخطهم لأداء المسؤول ، وإنما يجب أن يكون المحور إرادة الشعب وإرادة الأمة . بدأ أمير المؤمنين في وضع المعايير الأساسية والمبادئ التي تحقق النجاح . حيث يذكر عليه السلام مبادئ ثلاثة :

المبدأ الأول/ حالة الاعتدال في الركون إلى الحق والمواقف الحقة .

المبدأ الثاني/ العدالة وتعميمها في كل السلوكيات والمواقف التي يحتاج إليها الإنسان في موقع المسؤولية .

المبدأ الثالث/ أن يكون هذا الموقع أقرب إلى رضا المجموع ، ومراعاة ظروف الناس ، ومن هو مسؤول عنهم حينما يصدر التعليمات ويتخذ المواقف ، هذا مبدأ أساسي في تحقيق النجاح ، ولا بد من أن نقف عند هذه المبادئ الثلاثة بشيء من التفصيل .

أولا / الوسطية في الحق

إن السياقات والضوابط والأطر والقواعد ستؤدي إلى حالة من الترهل وإلى شعور بالرضا مبالغ فيه وغير واقعي ، لنصل إلى حالة الصدمة ، ليجد الإنسان نفسه أمام صورة ارتسمت له وهو ما يفعله الطغاة ، في أصعب الأمور والأحوال تسمعه وهو يتحدث وكأنه يتحدث عن جنة ، يتحدث عن الإنجازات والمشاريع وغيرها ، ولكن أين هذا الكلام من الواقع؟! فالناس لا ترى مثل هذه الإنجازات ، إذن حالة الترهل والتفريط والخروج من الوسطية بأي من الاتجاهات إفراطا أو تفريطا ستؤدي إلى مضيعة في المنظومة الإدارية والقيادية ، في الخطط والسياسات والمشاريع وفي التصريحات والإجراءات ، في كل هذه المساحات يجب أن يعتمد الحق ويؤخذ طريق الاعتدال والوسطية حتى تتحقق أقصى حالات النجاح للمنظومة القيادية ، هذه رؤية الإسلام كما يذكرها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومستوى ومعيار النجاح لأي قيادي ومسؤول بقدر التزامه بالوسطية والحق في مجمل سلوكه وأدائه والمواقف التي يتخذها في شتى المجالات .

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحكمة ٩٠ من نهج البلاغة : «الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ومن لم يؤمنهم من مكر الله»^(٢٣) ، عدم الاقتصار على ذكر الحكم الشرعي المتشدد فقط ، هذا حلال وهذا حرام وهذا مكروه وهذا لا يجوز ، تضع المحددات أمام الناس ، حينما تفسر القرآن تذهب إلى الآيات التي تذكر النار والنقمة والبلاء تشرحها وكأن الإسلام والحياة ليست فيهما إلا هذا الجانب ، ما يؤدي إلى أن يشعر الناس بالإحباط واليأس والناس بطبيعتهم خطأون ، فحينما تستحضر هذه الرؤية أو هذا الجانب من الحقيقة بمفرده يختل التوازن ويكون هناك شعور بالإحباط الكبير ، «ولم يؤيسهم من روح الله» ، الفقيه الحقيقي هو الذي لا يلقي اليأس من رحمة الله في قلوب الناس ، يضع صورة أمامهم بأن النار حتمية ، وإذا شعر الإنسان أنه أصبح

من أصحاب النار، فأى دافع للطاعة والحركة والحياة والإنجاز؟، لاشك في أنه سيفقدها كلها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: «ومن لم يؤمنهم من مكر الله». يذهب حين يفسر القرآن إلى الآيات التي تتحدث عن الجنة والرحمة الإلهية والتساهل في الشريعة والمواقف السهلة والله غفور رحيم، ما يجعل الإنسان يتمادى في أعماله غير الصالحة مادامت الرحمة الإلهية مفتوحة على مصراعها، الإفراط والتفريط كلاهما غير صحيح وكلاهما يمثل جزءاً من الحقيقة، والحقيقة المتكاملة هي التي فيها تلك الهواجس والعقوبات والمحددات، كما فيها الآفاق والآمال والفرص وما إلى ذلك، طرح الأمور بشكل متوازن، هذا في الجانب الفقهي الشرعي لحياة الإنسان، والمنظومة القيادية تمثل نموذجاً من نماذج إدارة هذه الحياة التي يجب أن تعتمد على حالة الوسطية.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: «من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه وبشروه بالنجاة»^(٢٤) من يأخذ الاعتدال ويمسك العصا من الوسط، ويعمل بالحق بوسطية وموضوعية وواقعية فسيحظى بالحمد والشكر، سترتاح الناس لمنهجه وتعتمد على هذا المنهج وتسير عليه، تنجح المنظومة القيادية حينما يعتمد المسؤول على الوسطية وحينما يؤخذ الحق ولكن بوسطية وبمراعاة الظروف، «ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا إليه الطريق وخذروه من الهلكة»^(٢٥). إذن فالخروج من الاعتدال هو الذهاب إلى المهلكة وتعريض المنظومة القيادية والناس المسؤول عنهم إلى مطبات ومهالك كبيرة، ولا يسلم أحد إلا بالاعتدال والذهاب إلى الحق الذي يراعي الظروف الموضوعية للناس الذين نتحمل المسؤولية تجاههم.

المبدأ الثاني/ عمومية العدل

لا يكفي أن تكون عادلاً مع البعض ولكن تستثني جماعتك وخاصتك، هذا مُخل بعمومية العدل كما يقول أمير المؤمنين «وأعمها في العدل». يجب أن يكون في العدل عمومية، موافقك ومشاريعك وقوانينك وخطواتك يجب أن

٢٤ . نهج البلاغة ج٢ - ص ٢١١

٢٥ . المصدر السابق .

تكون عادلة، يجب أن يكون العدل في كل شيء، حريات عادلة، أما تضيق على البعض وفسحة على الآخرين فهذا ليس عدلا، ولا يحقق نجاحا في المنظومة القيادية، يجب أن يكون العدل حاضرا في فهم الحريات وتعريف هذه الحريات وإشاعتها، وتمكين الناس من حقهم في الحرية ولكن بعدالة وضوابط تسري على الجميع دون استثناء.

الالتزام بالقانون أيضا عمومية في العدل، لا أن يُستحصر القانون لعموم المواطنين، ولكن يستثنى منه أكابر المسؤولين والخواص من الناس، ومن له شفاء ووسائل، بل يجب أن يطبق القانون بحذافيره على الجميع، وبخلافه لا يتحقق النجاح في المنظومة القيادية.

من أوجه العدالة

حينما لا يكون الأب عادلا في توزيع الحقوق بين أبنائه يفقد هيئته داخل العائلة، كذلك فشيخ العشيرة حينما لا يكون عادلا لا تبقى له قيمة في العشيرة، وهكذا الحال في كل المنظومات القيادية. ولكن لا بد من توفر العدالة في الامتيازات، من غير طبقية أو فجوة بين الناس، حينما يجب أن يحظى الجميع ضمن قدراتهم وطاقاتهم ومواقفهم بالامتيازات العادلة لكل إنسان، بحسب كفاءته وفرصه والدور والمسؤوليات المناطة به، ولكن ما ليس عادلا أن يكون هناك شخصان يحملان المواصفات نفسها ولهما الظروف نفسها فيُعطى أحدهما ويمنع الآخر.

العدل في الحقوق والامتيازات والممتلكات . . . يجب أن تكون هناك عدالة في الممتلكات، فلا يجوز أن يعطى الوزير ٦٠٠ متر على دجلة، فيما ليس للمواطن العادي شبر من الأرض، هذا موظف أعطوه مكانا في الصحراء، وهذا مدير أعطوه مكانا مناسباً في قلب المدينة، مثل هذا التصرف ليس عدلا في توزيع الفرص، إن العدل في الامتيازات وفي الممتلكات هو المدخل الصحيح في إنجاح المنظومة القيادية، لنسلك المسالك الصحيحة حتى نحقق المعطيات والنتائج الصحيحة، المقدمات الخاطئة لا توصل إلى نتائج صحيحة بأي حال من الأحوال، وإذا أردنا إصلاح أمورنا يجب أن نعود إلى هذه الرؤية العميقة في الإدارة والحكم والقيادة كما هي رؤية الإسلام التي يذكرها علي عليه السلام. كذلك العدالة في المهام والمسؤوليات، فالكفاءة والخير والتقدير هو الذي يكلف

بالمسؤولية، فمن هو الأكفأ والأقدر يجب أن تكون له الفرصة الأوفر والأكبر ليحظى بالمسؤولية هنا وهناك.

العدل يشمل الجميع

يقول علي عليه السلام في الحكمة ٤٣٧ في نهج البلاغة: «سئل عليه السلام أيهما أفضل العدل أو الجود؟ فقال عليه السلام: العدل يضع الأمور في مواضعها والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام، والجود عارض خاص. فالعدل أشرفهما وأفضلهما»^(٢٦)، إن العدل يضع الشيء في موضعه ويعطي لكل ذي حق حقه، أما الجود فيعني أن تضيف عليه أكثر من حقه فتعطيه وتكرمه بأكثر مما يستحق لسبب من الأسباب «والعدل سائس عام» فالعدل يشمل الجميع، حينما يكون هناك توزيع عادل فالكل يأخذ حصته وفرصته، «والجود عارض خاص»، أما الجود فلا يشمل الجميع وإنما يشمل شخصا تتكرم أنت وتجدود عليه، «فالعدل أشرفهما وأفضلهما»، ليس صحيحا أن أكون جوادا ليعيش البعض تخمة والبعض الآخر يبقى محروما، فالعدل أولى، ولكن بعد أن يتم تطبيق العدل، يُنظر إذا كان هناك زائد من الثروة أو الخيرات وتريد إعطاءها للمبدعين والمخلصين والحريصين فلا بأس بذلك، ولكن ليس على حساب الآخر، كن عادلا مع الجميع ثم جُد على من يستحق أن يخص بميزة معينة أكثر من الآخرين.

العدل شرط نجاح المنظومة القيادية

في غرر الحكم عن علي عليه السلام: «من كمال السعادة السعي في صلاح الجمهور»^(٢٧)، كيف نبني أمة صالحة، المواطنة، وحقوق وثقافة المواطنة الصالحة، نجاح المنظومة القيادية. . ؟. كل ذلك حينما يشعر الجميع بالسعادة والراحة والاطمئنان ولا يشعر أحد بالظلم، فالشعور بالمظلومية يؤدي إلى رد الفعل ورد الفعل يجابه بفعل معاكس يؤدي إلى الدخول في دوامة لها أول وليس لها آخر، إن شعور الجميع بأنه يحصل على فرصته يدفعه إلى أن يطمئن، وهذا هو الذي يحقق الاستقرار وبالتالي النجاح في المنظومة القيادية.

٢٦. نهج البلاغة ج٤ - ص ١٠٢

٢٧. غرر الحكم ج٦ ص ٣٠

حقيقة لا تقبل التجزئة

العدالة في رؤية الإسلام لا تقبل التجزئة فهي حقيقة واحدة، لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية من دون تحقيق العدالة الاقتصادية، كيف تتحقق عدالة اجتماعية من دون توزيع الثروة بشكل عادل على الشعب؟ كما أنه لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية من دون تحقيق العدالة السياسية وتوزيع الأدوار بشكل صحيح، كما لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من دون تحقيق العدالة القضائية، إذا كنت عادلاً فيجب أن تكون عادلاً في جميع هذه الجوانب، فالعدالة هي وضع الشيء في موضعه. نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يلتزم بهذه المبادئ ويعمل بها.

مبادرة البصرة عاصمة اقتصادية للعراق

تشرفنا في الأسبوع المنصرم بزيارة أهلنا في محافظة البصرة الفيحاء، عاصمة الخير، والبصرة لها مكانة خاصة في قلوبنا وضمائرنا، وكل مدن العراق لها مكانة في قلوبنا، ولكن البصرة تتميز في أنها عاصمة الخير وأنها مصدر العطاء للعراقيين جميعاً من شمال العراق إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه. البصرة كلها عطاء للعراقيين جميعاً، فيما لم تحظ بالفرص والعطاء اللازم لتحصل على جزء من خيراتها لأجل بنائها وإعمارها لتكون بالمستوى القادر على أن تستمر في عطائها الزاخر للعراقيين جميعاً. هذه مظلومية كبيرة تسجل لأهل البصرة أكثر من سائر المحافظات الأخرى، لأن من يعطي ولا يحصل على شيء ولو يسير من عطائه يشعر بمرارة كبيرة، وكل من يتحرك على أساس العدل والإنصاف سيشعر بالمرارة أيضاً ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢٨)، نحن لم نكافئ أهل البصرة ولم نبادلهم الإحسان بالإحسان، وحين الوقت ليحظى أهل البصرة بجزء من خيراتها لبناء هذه المحافظة الفريدة والكريمة والمعطاء بأهلها الطيبين المتسامحين الكرماء، بثرواتها الهائلة، بحضارتها العريقة فهي تستحق أن يمد لها العراقيون جميعاً يد المحبة والدعم والإسناد.

إن المبادرة التي أطلقناها، وهي اعتبار البصرة عاصمة للخير، عاصمة اقتصادية للعراق، لم تأت على خلفية سياسية وأجندة معينة، وإنما جاءت إيماناً منا بأن

٢٨ . سورة الرحمن : الآية ٦٠

الواقع الاقتصادي في البلاد لا بد من أن ينطلق وينهض ، وبداية الانطلاقة إنما هي من محافظة البصرة ، وقد أكدت العديد من التجارب العالمية أن الدول التي شهدت طفرة نوعية في بعدها التنموي ، إنما بدأت من مدينة ذات عمق استراتيجي ، بدأت بتلك المدينة وانطلقت منها لتشمل كل تلك البلدان ، ولا أريد أن أطيل في استعراض العديد من بلدان العالم في هذا الشأن ، والبصرة هي المحافظة ذات العمق الاستراتيجي الاقتصادي والتنموي للعراق ، فإذا أردنا اقتصادا متطورا في العراق ، فلا بد من أن نشهد هذا الاقتصاد المتطور في البصرة ، وإذا أردنا تنمية حقيقية في العراق ، فلا بد من أن نبدأ بها من البصرة ، على هذه الخلفية أطلقنا هذه المبادرة . إن البصرة من العراق كالقلب من الجسد ، والقلب يضخ الدم في الشرايين ويمنح القوة والطاقة للإنسان .

أهمية البصرة

تضخ البصرة ٧٠٪ من ميزانية العراق وإيراداته المالية ، لتمنح هذا البلد القوة والفرصة في الاستمرار وفي الحياة وفي التقدم إلى الأمام . وكلنا يدرك أن السياسة مهما تمركزت ومهما تنوعت مؤسساتها ، إلا أنها غير قادرة على الحياة والاستمرار إلا من خلال الدعم المالي ، ووجود الإيرادات الكبيرة التي تدفع المشروع السياسي والبلد إلى الأمام . فإذا كانت البصرة تمثل هذا السهم الكبير من إيرادات العراق ومن زخمه ومن قدرته على المواصلة فلا بد من أن تحظى بعناية خاصة ، وأن تكون محورا اقتصاديا أساسيا للبلد . قلما نجد محافظة تمتلك هذا القدر من الخصائص والمميزات التي نجدها في البصرة .

البصرة هي المنفذ المائي الوحيد في العراق ، وهي التي تحتوي في تربتها الخصبة على أكثر من ٨٠٪ من المخزون النفطي المكتشف حتى الآن ، وهي التي تحتفظ بخزين احتياطي للغاز بشكل كبير لا تنافسها فيه محافظة أخرى ، وهي التي توفر ٧٠٪ من ميزانية العراق وإيراداته ، وهي التي تحتضن نسبة سكانية كبيرة جعلتها من أكبر المحافظات العراقية ، وهي التي يلتقي فيها دجلة والفرات لينبثق منهما شط العرب ليقدم خيراته للخليج برتمته . والبصرة بوابة العراق على الخليج وهي الموقع الاستراتيجي ، فهي تمتلك حدودا مع ثلاث دول من دول الجوار الكريمة ؛ إيران والكويت والمملكة العربية السعودية ، وثلاث محافظات أساسية ؛ ذي قار وميسان والمثنى ، وبالتالي كل هذه السمات والصفات تؤهل

البصرة كعاصمة اقتصادية وعاصمة الخير لهذا البلد الطيب الكريم . ولذلك فهذا المشروع إنما ينسجم تماما مع الإستراتيجية الأساسية للبناء الاقتصادي والتنموي في بلادنا، ولا يمكن أن نبني اقتصادا صحيحا وصحيا من دون أن ننظر إلى عاصمة الخير، ونعطيها المحورية التي تستحقها في الجانب الاقتصادي .

دعوة الكتل لتبني المشروع

أيها الأعضاء، إنني ومن خلالكم أناشد جميع القوى السياسية الكريمة والكتل النيابية، أن تقف وتدافع وتبني هذا المشروع وتقدم العون للبصرة، كمقدمة لانطلاقة اقتصادية كبيرة يشهدها العراق برمه بعيدا عن أية حساسية أو مزایدات، إن هذا المشروع يمثل جزءا من رد الجميل للعطاءات الزاخرة للبصرة وللعراقيين جميعا، فمهما فرقتنا وجهات النظر والآراء السياسية إلا أن المشاريع الحقيقية لبناء العراق هي التي يمكن أن تجمعنا، وأن نبدأ بالالتقاء عليها والانطلاق منها. أدعو كتلة المواطن النيابية إلى أن تبني هذا الموضوع وتفتح سائر الكتل الأخرى، كما أدعو إخوتي في التحالف الوطني للنظر بجدية لهذا المشروع وتبنيه على مستوى التحالف الوطني والتواصل مع الكتل النيابية الكريمة الأخرى .

هناك طلب خاص أوجهه إلى كردستان الحبيبة، التي نعرف جيدا أن عشقها للبصرة لا يقل عن عشقها لأربيل والسليمانية ودهوك، في أن يقفوا ويجددوا ويؤكدوا مستوى وطنيتهم وعراقيتهم وحرصهم الكبير على العراق، كل العراق، بما فيه من محن وآلام وهموم مشتركة، ليمدوا يد العون والدعم لمثل هذا المشروع ويقفوا مع البصرة الفيحاء، بصرة الخير في هذا المشروع، والبصرة وقفت معهم في تأريخ طويل بعطاءاتها و ثرواتها وإمكاناتها .

أيها الأعضاء، اسمحوا لي ومن خلالكم أيضا أن أوجه ندائي إلى الممثلين للمحافظات العراقية المختلفة، ولا سيما إلى محافظات نينوى والأنبار وصلاح الدين، بأن يتبنوا هذا المشروع وأن يعملوا على أن يكون مشروعا لجميع العراقيين، لأن الخلفية في اعتبار البصرة عاصمة اقتصادية هي خلفية تصب في الصالح العام وترتبط بمصالح العراقيين جميعا، وليست مصلحة أهل البصرة وحدهم، كما أتمنى من المثقفين والمفكرين والمختصين ووسائل الإعلام وكل من له قدرة، أن يكون له رؤية ودور في هذه العملية، أن يسهم في إنضاج هذا المشروع ودفعه إلى الأمام، لنكون قد حققنا مكسبا وطنيا كبيرا لأهل البصرة وللعراقيين جميعا،

من خلال اعتبار البصرة عاصمة للخير العراقي . ولا بد لي من أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لأهل البصرة الشرفاء على كرم الضيافة والمشاعر الطيبة التي حظينا بها في هذه الزيارة .

تدهور مقلق في الوضع الأمني

شهدنا تصعيداً أمنياً خطيراً في سلسلة من العمليات الإرهابية والإجرامية التي تطول المحافظات العراقية، وتمثل هذا التفجير في مدينة حديثة الكريمة، حيث المجزرة الدموية التي راح ضحيتها العشرات من أبناء شعبنا من عسكريين ومدنيين بين شهيد وجريح . إن ملابسات هذا الحادث، وتوقيت هذه العملية الإجرامية والمدة الطويلة التي استغرقتها هذه العملية في وضوح النهار وتفاصيلها، يمكن أن تشير إلى ضوء أحمر يجب أن يشتعل أمامنا جميعاً، وإلى خطر كبير في أن تصل الاختراقات إلى هذا المستوى في مدننا العراقية، وهذا ما يدفعنا جميعاً لوقفه مسؤولة نشكر فيها الأجهزة الأمنية على جهودهم، ونقدم فيها أسئلة تدور اليوم على ألسنة أبناء شعبنا العراقي، ما هي الخطط الأمنية المعدة لمثل هذه الاختراقات، وإلى متى سيستمر نزيف الدم بهذه الطريقة، ومتى يمكن أن يطمئن المواطن العراقي لوجود أمن واستقرار؟، وأن بإمكانه أن يتحرك ويذهب ويعود من عمله دون أن يتعرض إلى مثل هذه المجازر؟. اليوم وقبل أن نجتمع أيضاً بلغنا حدث آخر عن مجزرة كبيرة حصلت في مدينة تلعفر الحبيبة على قلوبنا، وفي كل يوم يمكن أن نسمع عن العشرات من الشهداء والجرحى يسقطون هنا أو هناك .

إن هذا يتطلب أن نخرج من موقع رد الفعل إلى موقع الفعل والمبادرة والمباغته، ضمن خطط أمنية واضحة تفوّت الفرصة على الإرهابيين للنيل من أبناء شعبنا بهذه الطريقة الهمجية . إننا ندين ونستنكر بشدة هذه العمليات الإجرامية التي حصلت في حديثة وفي تلعفر وفي أي منطقة أخرى من مناطق العراق، ونتمنى على الأجهزة الأمنية أن تتحمل كامل مسؤولياتها في وضع حد لهذه المعاناة اليومية لأبناء شعبنا، ولا بد لنا من أن نقف وقفة طويلة أمام الخطط المطلوبة لحماية الحدود العراقية في ظل الإرباك الذي نشهده في الواقع الأمني الداخلي والتحويلات وحدّة الصراع الذي نشهده في المنطقة المحيطة بنا، فلا بد من أن نتخذ خطوات حقيقية ونرسم خططا كفيلة بحماية الحدود من تسلل

الإرهابيين ونقل الأسلحة من وإلى العراق، فإن ذلك يمثل خطرا على الأمن الداخلي العراقي وتفريطا بأرواح المواطنين، وقد يشكل خطرا على شعوب ودول أخرى يخرج منها السلاح أو يدخل إليها عبر الحدود العراقية.

إن العراق أكد دوما على سياسة حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى، ورغبته في أن يجد الدول الأخرى غير متدخلة في شأنه الخاص. إن مسك الحدود والسيطرة على هذه الحركة سيؤديان إلى تطور مهم في الواقع الأمني، وستقلل من فرص المناورة والحركة السريعة لشبكات الإرهاب بالطريقة التي تتحدث عنها التقارير الأمنية الداخلية والعالمية، ولذلك فإننا ندعم كل الإجراءات التي تحدثت عنها خلية الأزمة في مسك الحدود، ونتمنى جهدا استخباريا مضاعفا يوضع حدا لهذه التفجيرات الدموية والمعاناة اليومية لأبناء شعبنا.

قانون العفو العام

إن قانون العفو العام يناقش هذه الأيام في مجلس النواب لإقراره والمصادقة عليه، ونحن نرى أن إقرار هذا القانون يتطلب مراعاة توازن دقيق بين حقيقتين يجب أن نلتفت إليهما ونأخذ بهما؛ الحقيقة الأولى أن هناك مواطنين أبرياء لم يثبت بحقهم أي دليل إدانة وهم يعيشون في السجون منذ أشهر، وبعضهم منذ سنوات، وعند السؤال عن سبب احتجازهم يقولون إنهم مشكوك في أمرهم، وليس هناك من دليل إدانة، كيف تعالج هذه الشكوك وكم سيبقى هؤلاء حتى تزال هذه الشكوك؟ ولماذا يتحمل البريء كل هذه المعاناة هو وعائلته وسمعته وظروفه ليبقى في السجون؟.

وكما يُنقل في بعض التقارير، فإن أعدادهم كثيرة وليست بالقليلة، وهذه تجعلنا أمام مسؤولية شرعية ووطنية في ألا نسمح بأن يبقى بريء واحد قابعا في السجون كل هذه الأشهر والسنوات من دون أن يحصل على فرصة إطلاق سراحه والعودة إلى أهله وبيته، وهذا القانون يمكن أن يمثل مدخلا لمعالجة هذه المشكلة وهذه الحقيقة المرة. التي نعيشها منذ أمد طويل في البلاد.

والحقيقة الثانية هي القلق الكبير في استغلال هذا القانون لإخراج أناس متورطين بالإساءة إلى أبناء شعبنا وتلطخت أيديهم بدماء العراقيين، وأسهموا

بشكل من الأشكال في تقطيع أشلاء الناس على قارعة الطرق في هذه المجازر الدموية التي تحصل في كل أرجاء العراق ، وهذا ما تؤكدته التقارير الأمنية من أنه كلما حصل إطلاق سراح لأعداد كبيرة من النزلاء والسجناء ، ارتفعت وتيرة الإرهاب ، كيف لنا أن نتعرف على أولئك الأبرياء ليخرجوا ويعودوا إلى بيوتهم وإلى أهلهم وتتحفظ على أولئك المجرمين كي لا نكون سببا في مزيد من الدم والقتل والدمار في داخل البلد؟ . إن أعزاءنا السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب أمامهم الموازنة الدقيقة المطلوبة في تمرير هذا القانون ، مع وضع محددات حقيقية تضمن لنا عدم خروج أولئك السيئين والمتورطين في الدم العراقي ، وتوفر فرصة إطلاق سراح كل الأبرياء من السجون العراقية على هامش هذا القانون .

إنصاف شريحة المجاهدين

أود أن اطرح موضوعا مهما وأساسيا ، وأتمنى من أعزائي أعضاء مجلس النواب أن يأخذوه بنظر الاعتبار ، وهم يقرون هذا القانون لرفع الحيف والظلم عن شريحة مهمة من شرائح مجتمعنا العراقي ، تواجه اليوم أزمة كبيرة جراء بعض الإجراءات التي تحصل ، ألا وهي شريحة المجاهدين والسجناء السياسيين المتهمين أحيانا باستخدام وثائق غير صحيحة للوصول إلى مواقع الخدمة الاجتماعية في بعض الدوائر الحكومية .

إننا نحترم العلم والعلماء ونشدد على أهمية تصدي الأكفاء وذوي الشهادات العليا إلى مواقع الدولة وإداراتها ، وهي قضية لا تقبل المساومة ، ونشدد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الحازمة والشديدة بحق الانتهازيين والنفعيين الذين يزورون الشهادات ليتسلقوا إلى المواقع ويسرقوا هذه المواقع من الكفاءات ومن العقول العراقية ، نحن لسنا مع أي انتهازي وأي نفعي يريد أن ينتفخ على حساب العقول والطاقات والكوادر والكفاءات العراقية ، وهذه القضية لا شك فيها ، ولا بد من أن تتعامل بحزم مع هذه المسألة .

ولكن هناك شريحة قضت حياتها في خدمة هذا الشعب ، قضت عشر سنوات واثنتي عشرة سنة وخمس عشرة سنة في تلك الزنازين المظلمة ، أو قضاها في ساحات القتال وفي الأهوار وفي أماكن حيث كان يقف ليواجه النظام الصدامي ، حتى نعيش الحرية التي نعيشها اليوم ، ولولا تلك التضحيات وتلك الدماء ، ولولا

تلك الوقفات، لما كنا اليوم نعيش هذه الحرية، وكل السادة المسؤولين الذين يأخذون مواقع المسؤولية المختلفة في الدولة العراقية ما كانوا ليجلسوا على هذه المقاعد لولا تضحيات هؤلاء.

إن الحديث عن مثل هؤلاء المجاهدين الأبطال الشجعان الشرفاء، وهم الزيهون الوطنيون الذين طالما وقفوا وقدموا حياتهم رخيصة من أجل الإسلام والعراق، ألا يستحق هؤلاء أن نقف إلى جانبهم ونحترم كل هذه السنين التي ضحوا فيها من أجل شعبنا وقدموا الغالي والنفيس لشعبنا؟، أليس من الوفاء أن نقدر لهم هذه السنين من الخدمة الحقيقية، ليس في جامعة وإنما في ساحات الجهاد وفي الميدان وفي التضحيات الكبيرة التي قدموها أو في الزنازين المظلمة التي اضطهدوا فيها وضيعوا شبابهم فيها مما منعهم من مواصلة الدراسة في الجامعات؟.

إنني انظر بإعجاب كبير لموقف إقليم كردستان من أمثال هؤلاء المضحين في الإقليم، حيث نجد الإكرام والتبجيل والتقدير ومنحهم الامتيازات الملائمة التي تنسجم مع تاريخهم ومع تضحياتهم. ولكن في المناطق الأخرى من العراق يؤسفني أن أقول إننا لم نتعامل بالشكل الملائم واللائق مع هؤلاء الأعداء، ولعل البعض منهم اضطرت ليكيّف واقعه مع الضوابط والإجراءات الحكومية؛ بأن يقدم وثيقة ما حتى يحل مشكلته ويأخذ دوره، بعد أن ضيع شبابه في السجون والزنازين أو في ساحات الحروب، ثم تأتي اليوم لنلاحق هؤلاء ونترك الانتهازين والنفيعين، وأصبح بعض السجناء السياسيين الذين قضوا أكثر من ١٠ سنوات في سجون صدام، أصبحوا اليوم ملاحقين من الأجهزة الأمنية على ورقة قدموها في ظروف استثنائية ومعروفة.

الأمم تمجد أبطالها

الإنصاف شيء جيد، وإنني على علم بالضريبة التي أدفعها من الحديث بهذا الموضوع، ولكن ضميري لا يسمح لي أن أفف مكتوف اليد وصامتاً أمام ظلامة كبيرة يتعرض لها هؤلاء المضحون في البصرة. حينما ذهبت لمجلس عزاء في إحدى القرى النائية من قرى المجاهدين، وبعد المجلس اجتمع حولي الناس وقالوا يا سيد عمار في هذه القرية كنا نؤوي المجاهدين لسنين طوال، وكنا نحرم أنفسنا من لقمة العيش لنقدمها إلى المجاهدين ليستمروا بجهادهم، واليوم وبعد

تسع سنوات ما زالت بيوتنا طينية كما كانت في عهد صدام، وطرقنا ترابية كما كانت في زمن صدام، سوى قرية واحدة حينما طورد صدام في حينها قبل أن يتسلم الرئاسة في ظروف معروفة، هرب واختفى في تلك القرية ليلتين، وحين تصدى لرئاسة الدولة، قال اذهبوا وابنوا تلك القرية التي آوتني ليلتين.

صدام بيني قرية آوته ليلتين، وهؤلاء الذين هم اليوم في العملية السياسية ويقودون البلد والذين آوتناهم لسنين لم يذكرونا لينوا هذه القرية، شعرت بالإحراج الكبير وشعرت أننا نقصر بحق أبناء شعبنا، وأقول لأعزائي أعضاء مجلس النواب؛ إن الأمة حين لا تكون وفية لأبطالها وأبنائها وشجعانها، وحين لا تقف ولا تتحمل المسؤولية تجاه من ضحى من أجلها، من شأن ذلك أن يولد ثقافة سلبية، وسنكون أول من يكتوي بناها، وعلينا أن نكون منصفين ولا تأخذنا المزايدات والشعارات، نحن من ينادي بضرورة تصدي الأكفاء، ونحن من ينادي بضرورة ملاحقة ذوي الشهادات المزورة، ولكن نحن من ينادي باحتساب سنيّ السجن والتضحية والجهاد وسنيّ الدراسة الجامعية لعدد من أبطال هذه الأمة الذين وقفوا وصنعوا هذه الملاحم

عام الاستحقاقات الانتخابية الكبرى

أيها الأعزاء، إن هذا العام هو عام الاستحقاقات الانتخابية الكبرى، فهناك أربع من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن لديها انتخابات على أعلى المستويات في هذا العام، ومنها أيضا بعض البلدان في منظوماتها الإقليمية، مما سيؤثر في رسم السياسات العالمية العامة، وتأثيرات ذلك في المناخ العام في المنطقة وفي العالم. لقد لاحظنا الانتخابات الروسية وسيلها انتخابات في فرنسا وفي الصين وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد الانتخابات الروسية نترقب أيضا الانتخابات في أوكرانيا وكازاخستان، وتأثير ذلك في استقرار روسيا وفي أسواق النفط والغاز العالمية، كذلك الانتخابات الصينية للكونغرس وللحزب الشيوعي الصيني، والتقارير التي تؤكد أن هذه الانتخابات ستشهد تحولا متزايدا في القيادة الصينية، مما يؤدي إلى سياسات متجددة للقيادة الصينية التي يحكمها الحزب الشيوعي.

إلى جانب ذلك هناك الانتخابات في هونغ كونغ وتأثيراتها في الواقع الصيني والسياسة الصينية في المنطقة، وبالمثل الانتخابات الفرنسية حيث ستشهد فرنسا

انتخابات رئاسية في نيسان وانتخابات نيابية في حزيران ، وتأثير ذلك في منظومة الاتحاد الأوروبي ، لما لفرنسا من ثقل في هذه المنظومة ، والانتخابات الأمريكية في شهر تشرين الثاني من هذا العام ، ومعها الانتخابات في فنزويلا والمكسيك وتأثيرات معطيات هذه الانتخابات في الساحة الأمريكية ، كل هذه التحولات العالمية الكبيرة يمكن أن تدفعنا لرسم سياسات جديدة في السنوات الأربع القادمة .

وعلى المستوى الإقليمي شهدنا الانتخابات اليمنية ، ونستعد لتتابع انتخابات الرئاسة في مصر والانتخابات في ليبيا كما شهدنا الانتخابات النيابية في إيران ، وستعقبها بعد أشهر الانتخابات الرئاسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، كان ملفتا في الانتخابات الإيرانية أن نسبة المشاركة تجاوزت ٦٤٪ في نظام يستمر لأكثر من ثلاثة عقود ، ويخضع لحصار وضغوط كبيرة إقليمية ودولية ، ولكن الشعب مازال ملتفا حول القيادة في إيران ، ونسبة المشاركة هي أحد المعايير الأساسية التي تعبر عن نجاح الدول ومدى التفاف الشعوب حول أنظمتها ، لذلك نعتقد بأن هذه الانتخابات برهنت على تطور مهم تشهده إيران ، حيث المزيد من الانسجام والتلاحم في مواجهة الحصار المفروض عليها من المنطقة والعالم . إننا نبارك للشعب الإيراني وللقيادة الإيرانية نجاح هذه الانتخابات ونتمنى المزيد من الاستقرار والنجاح لإيران ضمن المتكاملة الإقليمية ، وأن يكون لها دور فاعل وبنّاء وإيجابي في بنائها الداخلي ، وفي علاقاتها الإقليمية ، ولاسيما العلاقة مع العراق البلد الجار الذي يكنّ الاحترام والمحبة لإيران ، ويحرص على تبادل المصالح المشتركة مع هذا البلد الكريم .

اليوم العالمي للمرأة

يقترن الثامن من آذار بيوم المرأة العالمي ، وهي ذكرى تستحق الوقوف عندها والاهتمام بها . إن اليوم العالمي للمرأة استحقاق طبيعي لمكون وركيزة أساسية من ركائز المجتمع له الدور الكبير في البناء الاجتماعي ، المرأة نصف المجتمع والاهتمام بها والوقوف عند همومها ومعاناتها والعمل على توفير الفرص والآفاق لانطلاقتها تمثل مقدمة مهمة في البناء الاجتماعي العام ، إن علينا أن نعمل جاهدين في صياغة دور جديد للمرأة ، ينسجم مع التحولات الكبيرة التي شهدتها نظامنا السياسي والدستور ومكانة المرأة في الدستور العراقي ، إن دور المرأة يجب

أن ينتقل من دور التابع إلى دور الشريك والمكمل ، ومن دور الشريك الشكلي إلى دور الشريك الحقيقي الذي يأخذ فرصته ومكانته ودوره في بناء هذا البلد الكريم ، كما أن المرأة تتحمل مسؤولية كبيرة في توفير هذه المناخات من خلال المطالبة بحقوقها والدفاع عن دورها في مجتمعنا ، وستجد الكثير ممن يقف معها في هذا المطلب الحق .

إن المرأة اليوم تقف أمام تحدٍّ كبير ، إذ إن البعض ينظر إلى المرأة على أنها خطيئة وأن حضورها مفسدة ويجب أن تبتعد عن كل ميادين التصدي ، وهي نظرة انغلاقية غير مقبولة ، والبعض الآخر يجدها سلعة تحت يافطة حقوق المرأة ، فيريد أن يجعل منها بضاعة وسلعة يروج بها مشاعر وأحاسيس قد تكون بعيدة عن السياقات الإنسانية الصحيحة ، وهذا ما تنادي به بعض المدارس العلمانية المتشددة ، لا ذلك مقبول ولا هذا مقبول ، والصحيح هو إنسانية المرأة وأدمية المرأة وكرامة المرأة والدور الصحيح للمرأة كإنسانة ، أن تقف وتأخذ فرصها وأدوارها ، فهي ليست بضاعة وهي ليست خطيئة ، وإنما هي عنصر وركيزة أساسية من ركائز المجتمع . إن الإسلام لم يغلق الباب أمام المرأة ومكّنها من أن تأخذ الأدوار والفرص الكبيرة والمهمة ، وهذا ما نجده في الصدر الأول للإسلام حينما كانت للمرأة أدوار قيادية ومحورية في المجتمع ، وقد تراجع دور المرأة بعد ذلك ولم يتقدم ولم يعزز بالشكل المطلوب .

إنجازات المرأة العراقية

إن المرأة في العراق حققت الكثير من الإنجازات والمفاخر ، وأصبحت موضع إشادة في العالم العربي ولدى المراقبين بشكل عام . ولكن أيضا لها معاناة كبيرة ويجب أن نقف مع المرأة العراقية في معاناتها ، فهناك حديث عن أن ١٠٪ من نساء العراق من الأرامل ، وأن ٣٨٪ منهن عاطلات عن العمل . . إنها أرقام كبيرة تحتاج إلى وضع سياسات صحيحة لمعالجة هذه الظواهر . كما أن المرأة تتعرض إلى سوء المعاملة والزواج القسري والاضطهاد والعنف الأسري والاجتماعي بطريقة أو بأخرى ، وكان لتعزيز العراق مبادرة في جعل اليوم الأول من صفر يوما إسلاميا لمناهضة العنف ضد المرأة ، إن التقارير الرسمية تشير إلى ٩٨٧ حالة انتحار لسيدات عراقيات خلال السنوات الثلاث الماضية ، إنه رقم مخيف وكبير ، وعلى ما يبدو من التقارير فإن الخلفية الأساسية هو العنف والضغط النفسية

والمهانة التي تتعرض لها المرأة في البيئة التي تتحرك فيها، مما يجعلنا أمام مسؤولية كبيرة في هذا السياق.

انطلاقة جيدة لتكريم عوائل الشهداء

أخيرا وبعد طول انتظار أُطلقت الدفعة الأولى من تعويض ضحايا الإرهاب والأخطاء العسكرية للمشمولين بقانون ٢٠ لسنة ٢٠٠٩، ليمنح لهؤلاء قطعة أرض ومنحة مالية وراتبا تقاعديا، إنها خطوة في الاتجاه الصحيح، وإذ نشكر على تفعيل هذا القانون المعطل منذ ٢٠٠٩ ونعتبر ذلك انطلاقة جيدة لتكريم عوائل الشهداء التي تعرضت إلى الكثير من المحن في السنوات الماضية، حينما فقدت معيلها وبقيت تلوذ بنفسها وتكافح من أجل الحياة ومن أجل تأمين الفرص المعيشية، أملنا كبير في استمرار هذه العملية وتقديم الدفعات الأخرى بسرعة لإعادة البسمة إلى وجوه أولئك الأرامل والأيتام من ضحايا الإرهاب، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لأداء واجباتنا ومهامنا، وأن نجد هذا البلد الكريم بالحلة التي يتمناها جميع العراقيين.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٣/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ،
وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ))^(٢٩)

يذكر أمير المؤمنين هنا ثلاثة مبادئ أساسية يتحقق من خلالها رضا الناس ،
عامّة الناس ، وليس النخب وحدهم ، وهي :

الأمر الأول/ الوسطية في الحق .

المبدأ الثاني / عموم العدل

المبدأ الثالث/ هو رضا الأمة

«وأجمعها لرضا الرعية» ، يجب أن يكون الموقف والقرار والسياسات والخطط والمشاريع مما تستطيع أن تستوعب المساحة الأوسع من رضا الناس . علي عَلَيْهِ السَّلَام لا يتحدث عن رضا الجميع لأن رضا الناس غاية لا تدرك^(٣٠) ، فمهما قدم الإنسان فلن يستطيع أن يرضي الجميع ، وقد رأينا أن الأنبياء والأوصياء والمصلحين

٢٩ . نهج البلاغة ج٣ - ص ٨٥

٣٠ . من أقوال أمير المؤمنين ، شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد ، ج ٢٠ - ص ٣٠٥

حينما توفرت لهم الفرص للإصلاح لم يستطيعوا أن يحققوا رضا عامة الناس على الإطلاق، فدائماً هناك من يعترض، وهذه حالة طبيعية لأن الناس على أصناف، بعضهم انتهازيون وبعضهم لهم مطامع وبعض منهم لهم نظرة أحادية للأمور لا يقتنع إلا أن يحصل على شيء.. وهكذا. لذلك فالمبدأ الإسلامي هو رضا المساحة الأوسع من الناس، وليس بالضرورة تحقيق الإجماع الكامل على موقف القيادة والمسؤول.

إذن، في نهج علي عليه السلام وفي فكر الإسلام الأصيل، يكون الشعب هو مالك الدولة والدولة يجب أن تكون في خدمة الشعب، ملية لمطالبه ومعالجة لمشاكله وأزماته، واقفة عند همومه، الدولة التي تخدم شعبها وتحقق الرضا لعموم مواطنيها، هذه الدولة يمكن أن تحظى بالنجاح ولكن الدولة التي لا ترضي الناس لا يمكنها تحقيق النجاح، فهي تتلصق وتقع في الظلم كما أشرنا في مقاطع سابقة من هذا العهد الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام.

الشعب هو الحاكم

في بحار الأنوار نقرأ الرواية التالية: «لما قُتل عثمان أقبل الناس على علي عليه السلام وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته، وهو يأبى ذلك ويقول دعوني والتمسوا غيري»^(٣١)، علي يرفض ذلك، هل لزهدي في خدمة الناس؟ أو لزهدي في التصدي لمواقع المسؤولية؟ هل هو فرار من الزحف وتلكؤ في الأداء؟. حاشى لأمير المؤمنين أن تنطبق عليه هذه الصفات، أكابر الصحابة اليوم يقولون يا علي أنت لها، لكن علياً عليه السلام يأبى لأنه لم يَرِ شروط النجاح متوفرة، فالأمة فيها تيارات ولها مصالح ومآرب مختلفة، وكل يريد خلافة علي لمصلحة ومطمع في نفسه، ونحن هنا لا نتحدث عن الجميع، وإنما عن الذين كانوا يريدون توليه الخلافة بعد عثمان، وأمير المؤمنين عليه السلام كان يعرف أن هؤلاء الانتهازيين لا يدعونهم يعمل بجد وينجح بالشكل الصحيح الذي يرتضيه الله تعالى، حينما يجد الجد ويتخذ القرارات الصحيحة تبدأ الإشكالات والتشويشات من قبل هؤلاء، حينما لا تتوفر فرص النجاح فالحكم ليس مغنماً ووجاهات وامتيازات، بل الحكم مسؤولية وأمانة كما ذكرها علي عليه السلام في مقاطع سابقة.

«ويقول دعوني والتمسوا غيري»، لا أريد هذه الخلافة بهذه الشروط التي لا تؤدي إلى النجاح في المهمة المقدسة، «فإننا مستقبلون أمراً له وجوه»، نحن داخلون في معترك والتباسات واجتهاداتكم سوف تختلف، لا تستطيعون التماشي مع الرؤية الحققة للمشروع، ابحثوا عن الشخص الذي تسيرونه كما تريدون، «فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان» قضايا ملتبسة، «لا تثبت عليه العقول»، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يتحرك وفق ثوابت ومبادئ، أما الآخرون فمبادئهم ترتبط بمصالحهم، ولذلك سوف تختلف تقديراتهم لهذه المصالح من حالة إلى أخرى، «ولا تقوم له القلوب»، المشاعر والعواطف لا تنسجم تماما مع النهج الذي يقدمه علي، وهو منهج الحق، الحق منصف والحق يعطي الفرصة لك مرة ولغيرك مرة أخرى، القلوب تختلف حينما تكون المعايير معايير حققة.

«قالوا ننشدك الله، ألا ترى ما حدث في الإسلام؟»، تشوشت صورة الإسلام وتشوهت، والناس لا يعرفون الحق والقانون ولا يميزون الصحيح من الخطأ، كل يطلب الحق لنفسه، «ألا تخاف الله؟»، يا علي أنت أمير المؤمنين ألا تخاف الله أن تتركنا في هذه الظروف الصعبة، وهؤلاء يتصورون أن عليا يتحجج ويستغل الموقف لغياب البديل حتى يرفع من سقف شروطه ويحصل على المزيد من الامتيازات!! «فقال قد أجبتكم»، ليس تنصلا من الواجب وإنما ما أراه فيكم يجعلني أعتقد بأن طريقي في الإدارة لن يكون مجديا معكم، ولن تلتزموا به وربما نختلف، «واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم»، لن أستطيع أن أسير وفق شهواتكم ورغباتكم، وحينما أصبح خليفة المسلمين سوف أطبق المعايير والضوابط والشروط الإسلامية فيكم.

«وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم»، أنا جالس في بيتي، وسوف أعطي النصائح للخليفة المقبل كما أعطيت النصائح والإرشادات للخلفاء السابقين، أعطي النصيحة والإرشاد ولكن دعوني بعيدا عن الخلافة، لأنني لا أعمل إلا بالمبادئ الإسلامية الصحيحة، وقد لا تنسجم مع طموحاتكم ورغباتكم، أنا علي أعمل بالحق والعدل ولا أخاف في الله لومة لائم، «وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم» سوف لا أتأمر عليكم، وسوف أترك المجال لكم، لا أريد أن أضعف أو أكون حجر عثرة، إذا لم تحمّلوني المسؤولية فأنا كواحد منكم لا أكثر، «بل أنا أسمعكم وأطوعكم»، علي ليس عنده مساومة أو مجاملة، حكم المسلمين بالنسبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ بقدر ما يستطيع أن يحل مشكلة

ويعيد الأمور إلى نصابها، هو كمنهج ومبدأ وعقيدة وإطار، يبحث عن دوره في خدمة الناس شريطة الالتزام بالمعايير الإسلامية الحقة.

الحق خصوصية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

«بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم»، إذا سلّمتم الراية لي، فعندي ثوابت وليس لأحد خصوصية عندي إلا بالحق، التكليف هو الذي يحرك عليا والمواقف الشرعية هي التي تحرك عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ، «فقالوا ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك»، بعد أن قال لهم كل هذه الشروط ووضعهم تحت الأمر الواقع وتفحص أمرهم، قالوا له إننا نقبل بكل ما تقوله ونبايحك يا علي.

هنا اكتملت الحجة، بعد أن صارحهم بمنهجه وطريقته في الإدارة والقيادة، «إن كان لا بد من ذلك، ففي المسجد»، أنتم النخب والمفاوضون والكتل السياسية قبلتم، ولكن المهم كلمة الشعب في المسجد وليس خلف الأبواب المغلقة، لا، ماذا تقول الناس في المسجد، ما هو رأي الجمهور والشعب والمواطن؟، «فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين وفي ملاء وجماعة»، إذا كان هناك رأي عام مساند قبلت، وإذا لم يكن هناك رأي جامع فلن يكون هناك نجاح، «فقام والناس حوله فدخل المسجد وانهال عليه المسلمون فبايعوه»، بايعه المسلمون الذين تجمهروا حوله، هذا هو منهج علي، أي سياقات وضوابط يضعها أمير المؤمنين لإنجاح المنظومة القيادية؟، من اليوم الأول أشعر الناس أنهم هم الأساس والقاعدة، وفي إشارة إلى النخب؛ إذا كان عندكم امتيازات وصفقات فإنني سأرجع إلى الناس وأوكل لهم الأمر، فالشعب هو الأساس وهو الحاكم وهو المالك، وهو من بيده القرار، هذا هو المنهج الذي وضعه علي في التصدي للعمل.

المرجعية ومنهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

لاحظوا في موقع آخر يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا ما أمرتم»^(٣٢)، أي أن حكم الشعب للشعب وهو المالك وهو الحاكم، وفي منهج مرجعيتنا التي دعمت الانتخابات، وبعد انتظام الأمور كانت المرجعية أول

من نادى بالقائمة المفتوحة، لماذا؟. قالت المرجعية لأن القائمة المغلقة تجعل كل حزب يأتي بجماعته بغض النظر عن رأي الناس فيصوت الناس ولا يرون لمن تذهب أصواتهم، أما القائمة المفتوحة فإن التصويت فيها لمن يريد هم الناس وهم يتحملون المسؤولية في خيارهم، وبعد أن أصبحت القائمة مفتوحة لا يستطيع أحد من المنصفين أن يلوم المرجعية، لأن الاختيار كان للناس، فالمرجعية لم توجه إلا بالانتخابات.

الانتخابات تعني تحمل المسؤولية وأن تأخذ حقلك، أما من تنتخب فإن المرجعية لا توجه بذلك، ويعود الأمر إلى اختيارك، بل لعل البعض استغرب أن المرجعية تقف على مسافة واحدة من الجميع حتى تبرئ ذمتها أمام الله وأمام التاريخ وأمام الشعب، وقد يكون في نظرها من هو أقرب ومن هو أبعد، هذا ممكن، ولكل إنسان تقييمات، والمرجع ليس استثناء من هذا المبدأ، والمرجع الذي عنده مبادئ وقيم تكون تقيماته مبدئية على ضوء قيم ومبادئ وثوابت التزم بها، لكن المرجعية كانت على مسافة واحدة حتى يتحمل الجميع مسؤولياتهم، واليوم لا يستطيع أحد أن يعتبر على المرجعية لأي شيء، فإن تحقق إنجاز فهو لنا وللمرجعية، لأنها نادى بالانتخابات وشجعنا عليها وهي مشكورة على كل إنجاز، أما إذا أخطأنا الاختيار فإن حسن المشاركة للمرجعية وسوء الاختيار مردود علينا ولا تتحمل المرجعية ذلك، على كل حال، هذا هو المبدأ الذي يضعه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في التعامل وفي التصدي لموقع المسؤولية.

استقلال منظمة بدر

في الأيام الماضية شهدنا إعلاناً رسمياً عن استقلالية بدر عن تيار شهيد المحراب، وهي خطوة مهمة وأمر يحظى بأهمية كبيرة ومفصلية، ولا بد لنا من أن نتعرف على خلفية هذه الخطوة وأسبابها، لماذا استقلالية بدر عن تيار شهيد المحراب في هذه المرحلة؟. وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من أن نتحدث عن محورين؛ المحور الأول من هي منظمة بدر وما هو تأريخها، والمحور الثاني لماذا استقلالية بدر عن تيار شهيد المحراب في هذه المرحلة الحساسة؟.

مسيرة جهادية في مواجهة الديكتاتورية

بخصوص المحور الأول، فالحديث عن منظمة بدر هو حديث عن تاريخ يبدأ ولا ينتهي، والحديث عن منظمة بدر هو حديث عن مسيرة جهادية سجّلت وأرّخت لمرحلة حساسة ومصيرية من مراحل مسيرتنا في مواجهة الاستبداد والطغيان والديكتاتورية، لقد ولدت بدر من رحم المعاناة لأبناء شعبنا العراقي ونمت مع هذه المعاناة وتحملت المسؤولية الكبيرة في التخفيف من معاناة أبناء شعبنا، وفي الانتصار لهم في المحطات التاريخية الصعبة. لقد عانق البديون الأبطال الشجعان التضحية بكل ما أوتوا من قوة وكانوا عنوانا بارزا لهذه التضحية فاختلفت دماؤهم بتراب العراق، هذا البلد الكريم والعزيم من أهواره إلى جباله.

وفي ذروة اليأس كانت بدر تحمل شعلة الأمل بالتححرر من الطغيان، وتتقدم الصفوف في محاربة الطاغوت، ولم تتردد في يوم من الأيام في أداء واجباتها ومسؤولياتها التاريخية الجسيمة. ولا يستطيع أحد أن يمر على تاريخ أمتنا وجهادها ونضالها من دون أن يقف عند بدر والملاحم الكبيرة التي سطرته هذه المنظمة، وسطرها البديون الأوفياء، لأن هذين التاريخين امتزجا معا، فكيف لنا أن ننظر إلى مسيرة الجهاد والتضحية في تاريخنا المعاصر من دون أن نقف عند ما حققه البديون، فالبديون هم رجال العراق الأصلاء الذين رفضوا الركوع أمام الهمجية الديكتاتورية للنظام البائد، ونازلوا الطغاة في كل الساحات وكل الجبهات ودفعوا ثمننا باهظا في هذه الملحمة التاريخية الكبيرة مع الطاغية، وبالإضافة إلى الدماء الطاهرة الزكية التي قدموها دفاعا عن الإسلام ودفاعا عن العراق، فإنهم تعرضوا إلى حملة مريضة ومنظمة من التشويه والتشويش على تاريخهم وواقعهم، حاولت بكل إمكاناتها أن تشوه تاريخهم المشرق وجهادهم الطويل وأن تستهين بتضحياتهم التي قدموها لهذا الوطن.

ومع ذلك صمد البديون الأوفياء وكنتموا في صدورهم المملوءة بالإيمان آلأمهم وآهاتهم وحرقتهم والمرارة من مثل هذا التشويش وهذا الاستهداف. وتمسكوا بقضيتهم وازدادوا إيمانا بهذه القضية، لأنهم كرجال مجاهدين كانوا يدركون تماما أن مهمتهم أكبر من أن يؤثر فيها ويوقفها تشويش من هنا أو طعن من هناك، لقد أتهم البديون في وطنيتهم في وقت كانوا يسقون الوطن بدمائهم الطاهرة. . واتهموا بعراقتهم في حين كانوا يحملون لواء العراق وحب الوطن

وهم في ساحات الجهاد وفي الزنازين المظلمة وعلى المشانق في ساحات التضحية . . واتهموا بحبهم للعراق في وقت زرعوا أشلاء أجسادهم بين النخيل وفي جبال العراق ووديانه وسهوله وهضابه .

لله درك يا بدر حين كنت رأس الحربة وعنوان الجهاد في هذا البلد الكريم ، والله درك يا بدر حين أنجبت لهذا الوطن رجالا ورجالا ، والله درك يا بدر حين يُذكر اسمك فتهتز أجساد الظالمين والطاغوت ، فيا بدر أنت لنا في القلب وفي العين ، وأنت لكل عراقي شريف ووطني يعرف تأريخك الناصع في القلب وفي العين أيضا ، أنت في ضمير الذين لا يزايدون على الجهاد وتأريخ المجاهدين ، وأنت في قلوب المحرومين الذين كانوا رصيدك الدائم والرحم التي تغذيك بالرجال جيلا بعد آخر ، فلك منا كل تقدير وإجلال وإكبار واحترام ، ولشهادتك الرحمة والرضوان والجنان ولتأريخك المشرف ولرجالك الأبطال كل التوفيق والتسديد والنجاح بإذن الله تعالى .

الاستقلالية في القرار والمواقف

وأما المحور الثاني لماذا استقلالية بدر عن تيار شهيد المحراب؟ إن ذلك يرتبط بفهمنا للعمل السياسي وتأريخ بدر والأدوار المتعددة لهذه المنظمة المعطاء منذ تأسيسها وإلى يومنا الحاضر ، فبدر وبعد أن أذن الله سبحانه وتعالى لها بالعودة إلى أرض الوطن ، من هجرة قسرية فرضت عليها ، نزعت سلاحها وشمرت عن سواعد أبنائها ، وانضمت إلى القوى الوطنية العراقية الأخرى في عملية بناء العراق الجديد . وقد كانت إستراتيجية شهيد المحراب (قدس سره الشريف) في تحويل فيلق بدر إلى منظمة اجتماعية وسياسية بعد أن كانت منظمة جهادية وعسكرية ، كانت هذه الرؤية الإستراتيجية نابعة من رؤية قيادية واعية من شهيد المحراب ، تدرك تماما ماهية رجال بدر ، والدور المطلوب منهم في مرحلة بناء العراق الجديد .

كما إنها كانت مدركة تماما للمخاطر التي كانت تتربص ببدر وتحاول النيل منها ، إذا ما استمرت بحمل السلاح في مرحلة بناء الدولة ، إن تيار شهيد المحراب منح بدر المظلة الأبوية والرعاية القيادية التي تستحقها هذه المنظمة المجاهدة ويستحقها البديرون الأبطال والشجعان ، ولكن القانون الطبيعي للحياة هو التطور والنمو واليوم حيث وصلت بدر إلى اكتمال شخصيتها السياسية ، فإن الاستقلالية

في القرار والمواقف تعبر عن حقيقة نعتقد بأنها تسير في الاتجاه الصحيح . إن الوضع السياسي والفكري الوطني إذا ما تطور فإنه سيمنح المساحة الكافية لاستقلالية الآراء والمناهج والمواقف ، وهو يضيف إلى العمل السياسي العام ولا ينقص منه ، فالابن يغادر بيت أبيه حينما يشتد عوده ، ويكون في مستوى قادر فكريا ومنهجيا وروحيا على أن يشق طريقه في هذه الحياة ، وهكذا هي التنظيمات السياسية ، تستقل متى ما شعرت أنها اكتملت فكريا وسياسيا وأن لها منهجا ورؤية ومشروعاً تستطيع أن تقدمه إلى الجمهور وتقنع الجمهور به .

قد يتفاجأ جمهورنا العراقي بهذا الانفصال الهادئ والواعي لمنظمة بدر عن تيار شهيد المحراب ، ومن حقه أن يتفاجأ ؛ لأننا لا نملك الكثير من التجارب في تأريخنا العراقي السياسي المعاصر وفي تأريخنا السياسي الماضي ، بشأن عملية انفصال تتم ضمن هذه الرؤية وهذه المبدئية . وكلما جرى الحديث عن الانفصال في تيار سياسي معين طغت عليه سمة الانشقاق ، فيما أن الانفصال هنا له مداليل أخرى كما عبرنا عنها ، إن تيار شهيد المحراب يمتلك هذه الرؤية وهذه الفلسفة للعمل السياسي ، فهذا التيار الشريف هو تيار أبوي يمنح المساحات الكافية للنهوض والتطور ، ولا يؤمن بسياسة الإقصاء والتحجيم والتخوين ، وإنما يؤمن بسياسة التطور والنمو والإضافات الجديدة والافتتاح على الجميع .

إن مشروع تيار شهيد المحراب هو مشروع الوطن بكل ما تحمله هذه المفردة من معنى ومن مشاريع ورؤى واستراتيجيات ، إننا نتمنى لبدر التوفيق والنجاح في مسيرتها الجديدة ، ونتمنى لبدر أن تبقى كما عهدناها ؛ الإسلام رايتها والوطن مساحتها ، وألا تسمح بأن يزايد عليها أحد ولا تنجر إلى ساحات بعيدة عن ساحاتها الطبيعية ، وأن تقدم مشروعها السياسي بما يخدم الوطن والمواطن وأن تحافظ على تأريخها الزاهر ، وأن تعمل لبناء مستقبل مشرق بإذن الله تعالى ، وبالتعاون مع جميع القوى السياسية الكريمة الأخرى .

التعاون لبناء العراق

كلمة أوجهها إلى أحبتي وأعزائي البدريين الشرفاء ، إخوة وأخوات . . إننا على عهدنا من الوفاء والمحبة والمودة والتقدير لكم ، وعشنا هذه المشاعر في تأريخ طويل وسنبقى نكن لكم المحبة والاحترام والإجلال في ما يأتي في قادم الأيام . إننا نجل تأريخكم وتضحياتكم وشهداءكم وعطاءاتكم ووقفتمكم من أجل

هذا البلد الحبيب ومن أجل الدفاع عن قيمنا الإسلامية النبيلة ، ومن كان منكم يرغب في أن يبقى تحت مظلة تيار شهيد المحراب ، فمكانه في القلب ، وفي المؤسسات المتعددة لتيار شهيد المحراب ، ومن كان منكم يرغب في أن يفصل ويتنقل مع إخواننا في منظمة بدر ومجاهديها فنتمنى له كل النجاح والتوفيق .

وقد أخذت على نفسي ألا أقدم نصيحة مباشرة لأي من البدرين في أن يختار البقاء تحت مظلة تيار شهيد المحراب أو الانتقال إلى المهمة التي سيمارسها أعزآؤنا في منظمة بدر ، وكل واحد هو الذي سيختار وستتمنى له التوفيق في ما سيختار ، وسأبقى بإذن الله لكم ومعكم وللعراقيين جميعا ، نتعاون ونبني هذا الوطن على الأسس الصحيحة ، كما أن كتلة المواطن في مجلس النواب ومجالس المحافظات ستحدد بمن يلتزم بتوجيهات وسياسات تيار شهيد المحراب ، التي تحددها قيادة هذا التيار ، وسيبقى القرار في البقاء في هذه الكتلة أو الانفصال عنها مرهونا بالالتزام بهذا المعيار .

العدوان الإسرائيلي

شهدنا الغارات الجوية الهمجية الإسرائيلية على غزة ، غزة الجريحة في الأيام الماضية ، في يوم الجمعة والأيام التي تلتها وعلى مدار أربعة أيام على التوالي ، ما مثل انتهاكا صارخا لحقوق الإنسان وتجاوزا على كل المواثيق الدولية في هذا الشأن ، إن هذا الاعتداء السافر الإسرائيلي خلف ٢٥ شهيدا و٨٢ جريحا معظمهم من الأطفال والنساء ، فضلا عن الخراب والدمار في البنى التحتية والأبنية السكنية في غزة ، إننا نطالب المجتمع الدولي بأخذ القرارات الحاسمة والسريعة للوقوف بوجه هذا العدوان المستمر ونزيف الدم لشعبنا الفلسطيني ، ونستغرب من الصمت للمجتمع الدولي والمنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان تجاه هذه المجازر التي تحصل في فلسطين ، فيما أنها تصرخ عاليا لحالات أخرى وتتعامل مع ملفات أخرى في المنطقة بشكل مختلف ، كما ناشد المؤسسات وهيئات الإغاثة للتحرك السريع والعاجل ، لمعالجة التبعات والإشكاليات الموجودة ، وإنقاذ المصابين وتوفير الرعاية الصحية للجرحى .

إن قضية فلسطين ستبقى قضية القلب للعرب وللمسلمين جميعا ، ولا بد من وقفة حقيقية ونصرة لأبناء شعبنا الفلسطيني في هذه المحنة التي يتعرضون لها ، إن مثل هذه الاعتداءات السافرة ستجهض كل محاولات التهدئة والهدنة التي

يجري الحديث عنها، وإن مثل هذه الاعتداءات تجعلنا ندعو لتغيير منهج الهدنة إلى منهج الفطنة والتدبر في ما يتخذ من إجراءات سلمية مع عدو غاشم يسيء إلى أبناء الشعب الفلسطيني، ويوجه إليهم فوهات السلاح بهذه الطريقة الهمجية، إن القمة العربية المزمع عقدها في بغداد معنية باتخاذ مواقف موحدة وصارمة تجاه هذا الموضوع، لتعبر عن رأي مشترك بقضية فلسطين، وللتأكيد على أنها قضية محورية مهما بلغت التحولات في الوطن العربي ومهما كانت المستجدات في واقعنا العربي الأخير، إلا أن قضية فلسطين ستبقى قضية العرب والمسلمين الأولى مهما اشتدت الجراح وتعددت وكثرت.

استخدام العنف لمعالجة ظاهرة الإيمو

كنا قد تحدثنا عن ظاهرة الإيمو في وقت مبكر، ونبها إلى خطورة هذه السلوكيات التي ينتهجها عدد من شبابنا وهي دخيلة على مجتمعنا الواعد، وذكرنا أن الفراغ الثقافي والمعرفي هو الذي يدفع بهؤلاء الشباب ليرتبطوا بأية ثقافات دخيلة من هنا أو هناك، ليضيعوا على أنفسهم فرصة الالتزام بقيمهم الدينية والوطنية وأعرافهم الاجتماعية الأصيلة، وكذلك فإن بعض الوشائج الأسرية وقلة الاهتمام التربوي في منظوماتنا التعليمية هي التي تشعر عددا من الشباب بالعزلة عن بيئتهم الطبيعية، فيبحثون عن بيئة أخرى وتجمعات أخرى ليجدوا ضالهم أحيانا في تجمعات تنتهج سلوكا غير مقبول وغير مرض لمجتمعنا، كما أن الاستخدام السيئ لوسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي دون رقيب، بكل ما فيها من غث أو سمين، أيضا يدفع بعدد من الشباب الذين لا يمتلكون الحصانات والمناعات المعرفية والثقافية الكافية لأن ينخرطوا في مثل هذه الأوضاع.

ولكن دخول هذه الظاهرة بطريقة مدروسة وانتشارها بشكل سريع كالنار في الهشيم في كل العراق، لا يدع شكاً في أن هناك أجنحة دخيلة وحركة منظمة وراء انتشار هذه الظواهر الاجتماعية السلبية في مجتمعنا. فهناك خفافيش ظلام لا يريدون أن نجد العراق يسير في اتجاهه الصحيح، ولا يريدون الخير لهذا الشعب ويعرفون أن تحقيق الإنجازات الكبرى إنما يكون من خلال الشباب الواعد، فهم الطاقة الكبيرة وأمل المستقبل، فيضيعون علينا فرصة البناء والإعمار وتطور هذا البلد بإشغال الشباب بقضايا غير مفيدة وغير صحية كما في هذه الظاهرة، ولكن مهما ذكرنا من مبررات واقعية ومن أجنحة دخيلة، تبقى هذه الظاهرة ظاهرة

سلوكية لم تتجاوز السلوك الخاطئ في الغالبية العظمى لمن تأثر بهذه الظاهرة، والظواهر السلوكية لا تعالج إلا بالتواصل وبالفكر وبالثقافة وبالنصيحة، وبيان حقيقة الأمور وبشني الشباب عن الالتحاق بمثل هذه السلوكيات الخاطئة.

أقولها بشكل واضح وصريح؛ إننا نشعر بأسف كبير لما يشاع على نطاق واسع من استهداف البعض ممن تأثر بظاهرة الإيمو من قبل مجموعات من خلال العنف ومن خلال القتل، وليس هذا هو المنهج الذي نرتضيه ونقبل به في العراق، إن مثل هذه الاغتيالات لو صحت، تطرح أكثر من علامة استفهام حول الجهة المتورطة، وإذا كانت لجهة مصلحة فلماذا لا تعبر عن نفسها، ولماذا لا تنزل وتتواصل مع هؤلاء الشباب وتنصحهم وتعيدهم إلى الطريق الصحيح؟. فمتى كان القتل وسيلة للإرشاد والنصح حتى نرتضيه اليوم في عراقنا الجديد؟. إننا ندعو الجهات المعنية للوقوف بحزم وعبر الوسائل القانونية لمنع استخدام العنف كحل لمعالجة السلبات في البلاد، سواء في ظاهرة الإيمو أو في غيرها من الظواهر السلبية، هذه الظواهر إنما تعالج بالنصيحة والحوار وبالتواصل وبالتثقيف وبالعامل التوعوي، ولا تعالج بالدم، فالقتل في هذه القضية يعتبر خطأ أحمر وأمر مرفوضاً لا يمكن أن نتساهل فيه أو نقبل به، كما نهيب بشبابنا الأعزاء زهور العراق الجديد أن يتمسكوا بأعرافهم الأصلية وبقيمهم الدينية وبمبادئهم السمحاء وبتوجهاتهم الوطنية الطيبة، أنتم أيها العراقيون خلفكم ٧٠٠٠ سنة من العمق الحضاري والمعرفي والتأريخي، أنتم تختلفون عن الآخرين، فاعرفوا قيمتكم واعرّفوا حضارتكم واعرّفوا تأريخكم، إن هذا سيمثل مناعة حقيقية من الانجرار والوقوع في مثل هذه الظواهر السلبية والدخيلة.

إلغاء معرض بغداد الدولي الثاني للكتاب

كما تابعنا بأسف عميق قرار إلغاء معرض بغداد الدولي الثاني للكتاب، والسبب المعلن عدم وجود تخصيصات لإقامة هذا المعرض في بغداد، هذا المعرض الذي كان يُفترض أن يجعل بغداد مقصداً لدور النشر العربية والإسلامية والدولية، وأن يأتي المفكرون وأصحاب القلم ودور النشر إلى بغداد بحلتها الجديدة، ويعبروا عن ترابطهم، وهي فرصة مهمة ليتعرف أبناء شعبنا على النتاجات الفكرية والثقافية في العالم العربي والإسلامي وفي الواقع الدولي عموماً، وكان من المفترض أن يعقد على هامش هذا المعرض الكثير من الندوات

الثقافية والفكرية والفنية، وكان من المفترض أن يوقع ويصادق على هامش هذا المؤتمر على عقود لدور نشر في طباعة كتب لعراقيين .

إننا بهذه الخطوة نفوت الفرصة على كل هذه الإنجازات وهذه المعطيات، في وقت يتصدى العراق لرئاسة المنظومة العربية، منظومة العمل العربي المشترك، ويفترض أن يأخذ أدواراً إقليمية ودولية متزايدة وأن يفتح على العالم، نقف عند قضية التخصيصات لنوقف مشروعاً له كل هذه الأبعاد المعرفية المهمة، في ميزانية وصفت بأنها الأكبر في تاريخ العراق وفيها ١٠٠ مليار دولار، فنعجز عن توفير ما يحقق وينجز هذا المعرض بكل ما فيه من هذه الأبعاد المعرفية! إن ذلك يكشف عن زهد وقلّة اكتراث بالثقافة والمعرفة في واقعنا العراقي لدى المسؤولين المعنيين باتخاذ مثل هذه القرارات، ولذلك ندعو وزارة الثقافة الكريمة والسادة المسؤولين في هذه الوزارة لإعادة النظر في هذا القرار، ولاسيما أننا أمام شهرين من الوقت الطبيعي لانعقاد هذا المعرض، ويمكن أن يتأجل لشهر أو شهرين آخرين حتى يُعقد ويحقق هذا الإنجاز الكبير ولتذهب الوزارة مشكورة وتطرق الأبواب والمنافذ القانونية لتسهيل توفير مخصصات تبدو متواضعة ومحدودة لإنجاز هذا المشروع الثقافي الكبير.

إن إنعاش العراق وبغداد بالعلم والمعرفة والثقافة، يمثل مدخلاً أساسياً لحل سلسلة طويلة من الإشكالات التي نواجهها في بلادنا. ولا نريد للعراق أن يبقى كما قيل؛ الكتاب يُقرأ في العراق ولكنه يُؤلف ويطلع في أماكن أخرى، نريد للكتاب أن يُؤلف ويطلع ويُقرأ ويوزع في العراق، ويتحول العراق إلى محطة مهمة في الوطن العربي وفي المنطقة لربط الفكر والعلم، وما أكثر الأفلام التي نفخر بها في بلادنا، نسأل الله أن يحقق هذه الآمال وأن يبارك هذه الجهود.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٤/١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرَضِي الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفِرُ مَعَ رَضِي الْعَامَّةِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَوْؤَنَةً فِي الرَّخَاءِ ، وَأَقْلَ مَوْؤَنَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلَمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ . وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ))^(٣٣)

يحسم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا الجدلية بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة ، فيقول عَلَيْهِ السَّلَامُ : «فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة» ، العامة إذا غضبوا ، مسيرات واحتجاجات وامتعاض ، ملاحظات وعتاب ، أزمة ثقة وفجوة مع المسؤول ، هذا يجحف برضا الخاصة ، رضا الخاصة يذهب ويضيع بسخط العامة من الناس ، على المسؤول أن يدرك هذه الحقيقة ، وهي هل إن أغلبية الناس من المنصفين والمتفهمين راضون عن الوضع أو لا؟ فإذا كانوا كذلك فهذا شيء حسن ، وإلا فإن رضا الخاصة سيضيع حينما يسخط الجمهور .

«وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة»، من ناحية أخرى إذا كان الشعب راضيا عن الوضع، بناء وإعمار وخدمات وفرص عمل وما إلى ذلك والناس في راحة، إلا أن هناك عددا قليلا من خواص المسؤول غير مرتاح للوضع، الخواص ذوو المصالح والامتيازات هؤلاء غير راضين، ففي هذه الحالة لا بأس بذلك . . الآن حينما نقيّم هل هذا الحكم ناجح أو لا، هل الناس راضون أو لا، هناك عدد قليل من المتفيعين في الأروقة الخاصة لهم وجهة نظر، نرى أنه لا أحد يقف عند هذا الكلام، ولكن الشعب إذا لم يكن راضيا فمهما مدح وأطرى بعض الخواص فهذا لا يغير من الواقع شيئا، إذ إن الأساس هو الشعب وليس الطبقة الارستقراطية .

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إن على المسؤول أن ينحاز لعامة الناس وليس للخواص القليلين . ويبدأ يوضع صفات لهذه الحاشية من هؤلاء النفعيين والخواص . . . وإن استعراض هذه المواصفات يبين السبب في ترجيح العامة على الخاصة . . .

صفات الحاشية والنفعيين.

«ليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبيرا عند ملومات الدهر من أهل الخاصة»

أولا/ «أثقل على الوالي مؤونة»، أي أن هؤلاء الخاصة يكونون معه في اليسر والراحة وحينما تقبل الدنيا على الوالي والحاكم، فهم في حالة الرخاء أثقل الناس عدّة ومؤونة، فهم يريدون الامتيازات والإمكانات الكبيرة من الحاكم .

ثانيا/ «أقل مؤونة له في البلاء»، ولكن حينما تكون هناك أزمة أو اتهام على المسؤول سوف يعمد هؤلاء ليسحبوا أنفسهم من هذا المسؤول، فحينما تحدث مشكلة لا يجد أحدا من هؤلاء، وكل منهم يقدم حجة معينة وينصرف عن المسؤول، وعلى المسؤول أن يعرف هذه الحقيقة .

ثالثا/ «وأكره للإنصاف»، لا يرغبون بالمساواة والإنصاف، وهم يعتبرون أنفسهم فوق المواطنين الباقين .

رابعا/ «واسأل بالإلحاف»، أي يكونون لجوجين ويحاولون دائما أن يستفيدوا

من المسؤول لمصالحهم الشخصية، وهذه هي صفاتهم لا تتغير على مر العصور وهكذا هم في كل زمان ومكان.

خامسا/ «وأقل شكرا عند الإعطاء»، حينما تعطيه لا يقدم لك الشكر والتقدير، أكثر المكائد التي يتعرض لها المسؤول يقف وراءها من ساعدهم وقدم لهم المعونة والفضل، ولكنهم كفروا بالنعمة ونسوا المعروف.

سادسا/ «وأبطأ عذرا عند المنع»، لا يقبل العذر حينما لا تقدم له مساعدة أو معروفا أو تحل مشكلة معينة له، بطيء في تقبّل الأعذار، لا يهتم ما يحصل للمسؤول من مشاكل أو أن يضيع هذا المسؤول آخرته أو تتأثر سمعته ومكانته، المهم ما يحصل عليه هو.

سابعا/ «وأضعف صبيرا عند ملمات الدهر» أما إذا انقلبت موازين الحياة وإذا ما أدبرت الدنيا عن المسؤول أو الحاكم وحصلت مشكلة، يكون أقل الناس صبيرا من هو أكثر الناس نفعا.

هذه الصفات السبع لهذه النخبة والطبقة الارستقراطية، وهذه الطبقة من النفعيين الذين يلصقون أنفسهم بالمسؤول، فهم في الرخاء مصيبة ويكونون نقمة عليك أيها المسؤول، وأما في الشدة فلن تجد أحدا منهم معك، بل يكشفون ظهرك ولا يحمونك أو يدافعون عنك، هؤلاء لا يُعتمد عليهم، يجب الاعتماد على العامة من الناس؛ على المواطنين، هؤلاء يقفون بصدق معك.

صفات وسمات العامة من الشعب

ثم يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ صفات وسمات العامة تأكيدا للترجيح، فيقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: -

«وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة»، فليكن صغوك لهم وميلك معهم»

١- «وإنما عماد الدين»، عموم الناس هم عماد الدين، حينما تكون هناك مشكلة أو تحدّ فهؤلاء العامة هم المعتمد والأساس والركيزة.

٢- «وجماع المسلمين». . . هؤلاء هم السواد وجماعة المسلمين وهم الغالبية، هم أصحاب المقابر الجماعية والسجون والزنانات وساحات الجهاد والوغى، وهم من يقفون المواقف حينما تشتبك الأُسنة والحروب والمحن، فهؤلاء يقفون

ويدافعون وينصرون، على المسؤول أن يختار من يقف معه وقت الشدة والمحنة، وليس من يتركه ويولّي الأدبار، من يقف معك يا مسؤول هم المواطنون والشعب وليس تلك الطبقة الانتهازية والنفعية.

٣- «والعدة للأعداء» . . عندما تشتد الحرب وحينما يصطف الأعداء تكون العدة والذخيرة في هذه المعركة هم الشعب وعامة الناس، هؤلاء المضحون والمجاهدون، طموحاتهم قليلة ونفعهم كبير، هؤلاء قليلو المؤونة كثيرو المعونة، فإذا استطاع المسؤول أن يرضي غالبية هؤلاء المواطنين فسيكون هذا هو النجاح بعينه، أما الآخرون والنخب فإذا رأوا عامة الناس وغالبيتهم راضين فهم سينسجمون أيضاً مع توجهات الغالبية من الشعب، ولكن لا يستطيع أحد أن يرضي النخبة الخاصة من النفعيين الذين يتركون المسؤول وحيداً حين الأزمات، وكذلك فإن الشعب سوف يغضب منك أيها المسؤول، وبالتالي تضيع الأمور كلها عليك.

مراعاة مصالح الغالبية

«فليكن صغوك لهم» مادام هؤلاء العامة يقفون معك ويدافعون عنك وينصرونك ويعينونك فيجب أن يكون اهتمامك بهم ورعايتك لهم، «وميلك معهم» اهتمامك بهم، كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى لولائم كبار التجار وكبراء القوم ولكنه يفضل موائد الفقراء وعامة الناس، لأن رسول الله كان يقرأ بين السطور في دعوة هؤلاء، فهو يعرف أن عامة الناس هم السند والعزة والقوة، بهم ينتصر الله تعالى لدينه ولعباده، على المسؤول أن يختار أحد هذين الخيارين، ومنهج الإسلام وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يختار الإنسان رضا العامة في أية خطوة وفي أي قانون، وفي أي قرار حكومي وفي أي إجراء، يجب مراعاة مصالح غالبية الناس وليس مصالح الخاصة.

أهم أسرار النجاح في المنظومة القيادية

إن القرآن الكريم يؤكد أيضاً هذه الحقيقة بشكل واضح؛ بقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٣٤)

وهذه الآية توضح أنه يجب الدعم والوقوف مع الذين يخافون الله تعالى ويذكرون الله في كل وقت يريدون رضاه، وليس لهم مصلحة خاصة وهم ليسوا أصحاب مطالب ومنافع. هؤلاء الناس يجب دعمهم وراعاتهم والاهتمام بهم، ولا تعرض عنهم وتتركهم وتذهب إلى مكان آخر حبا للشهوات في من يمتدحك ويطري عليك، هذا المديح والإطراء لا يمثل شيئا بقدر رضا الشعب عنك، وهذا هو المهم، لا تترك الناس الذين تكون قلوبهم طاهرة ونقية وتذهب إلى من يعيش الغفلة عن الله تعالى بعيدا عن القيم والمبادئ التي أرادها الله تعالى، يجب الالتصاق بعامة الناس الذين يريدون الخير والصلاح والبناء، والابتعاد عن أصحاب المصالح الخاصة الذين يفرطون ويوغلون في المسائل الباطلة.

يجب على المسؤول الاتكاء على الناس الذين يتبنون الوسطية والاعتدال والمصالح العامة، وهذا يمثل واحدا من أهم أسرار النجاح في المنظومة القيادية، حينما يلتفت الإنسان على من يتكئ ومن يدعم ولمن يلحظ حينما يشرع ويتخذ القرارات والإجراءات المناسبة، وهذا درس عظيم من دروس علي عليه السلام في الإدارة والقيادة.

أزمات متوالية

إن الوضع المتوتر الذي تعيشه البلاد في هذه المرحلة والأزمات المتتالية التي ما إن نخرج من أزمة إلا ووقعنا في أزمة أخرى، إن هذه الأزمات بدأت تؤثر في المنجزات العظيمة التي تحققت في السنوات السابقة، واستمرار الوضع بهذه الطريقة قد يؤدي إلى انهيار في التوافقات والالتزامات المبرمة بين القوى السياسية، التي حفظت المشروع السياسي خلال السنوات العشر الماضية، مما سيدخلنا في نفق مظلم ويدفعنا نحو المجهول لا سمح الله بذلك.

كما أن اللقاء الوطني ما يزال في مرحلة الإعداد والتحضيرات والمناقشات والمداومات والتوقيات والتأجيلات المستمرة، وكأننا أصبحنا بحاجة إلى لقاء وطني نجتمع فيه حتى نحدد جدول الأعمال للقاء الوطني المرتقب، وهذه القضية مؤسفة للغاية أن تسير الأمور بهذه الطريقة، إنني أذكر القوى السياسية الكريمة بخطورة هذا الموقف وهذا الواقع المؤلم، وأدعو الجميع إلى توخي الحيطه والحذر من الانجرار وراء هذه التوترات والتشنجات مما سيترك أثرا سلبيا في واقع المشروع السياسي في العراق، وفي أبناء شعبنا بشكل عام. علينا

ألا نجعل الوطن والمواطن ضحية هذه الاختلافات لكي لا يكون الدجاجة التي تحترق لاختلاف الطباخين في هذا المكان أو ذاك .

اللقاء الوطني بداية مهمة

إننا اليوم أمام خيارين وعلينا أن نختار أحدهما بوضوح كامل ، فإما أن نَعقِد اللقاء الوطني وإما أن نَعقِد هذا اللقاء ولا نذهب إلى حل المشاكل بيننا ، إننا نؤكد أن اللقاء الوطني إذا عقد بنوايا سليمة وبإرادة سياسية واضحة من جميع الأطراف فإنه سيمثل بداية مهمة للحل ، ولكن علينا ألا نرفع من سقف توقعاتنا من هذا اللقاء ، فإن مثل هذا اللقاء لن يكون قادرا على حل كل مشاكل البلاد دفعة واحدة ، ولا بد من الذهاب إلى مثل هذا اللقاء ليتحقق الحد الأدنى المطلوب من كسر هذه القطيعة بين القيادات السياسية والعودة إلى التواصل ومد الجسور بين القوى السياسية الكريمة ، وتشخيص نقاط الضعف ووضع الحلول والمعالجات المطلوبة لهذه الاختلافات القائمة بين القوى السياسية .

إنني أوجه ندائي إلى إخوتي من القيادات السياسية في البلاد ، بضرورة الإسراع إلى عقد اللقاء الوطني حتى نضع حدا لمثل هذا الواقع المتراجع في عمليتنا السياسية ، ونطلق إلى الأمام في بناء لحمية وطنية ورؤية موحدة لحل الإشكالات ، ووضع خارطة طريق تمكننا من الخروج من الواقع الصعب الذي نعيشه اليوم .

سياسة المبادئ والاستراتيجيات

كما لاحظنا في الفترة الأخيرة حساسيات مفرطة مما نقوله في هذا الملتقى وفي غيره من اللقاءات ، ولا نعرف السبب في مثل هذه الحساسيات . . فهل هذا ناتج من سوء فهم لما نقوله أو إنه ناتج من نية مسبقة لتحريف وتشويه ما نتحدث به؟ بالرغم من أننا نتبنى خطابا معتدلا في مثل هذه اللقاءات وهذا الحديث وهذا الموقف ، وتجنب الدخول في القضايا الخلافية التفصيلية ، ولا ننحاز لأحد بقدر انحيازنا للوطن والمواطن أولا وأخيرا . فنحن لا نهاجم شخصا بعينه ولا نسعى لتسقيط أي من الشخصيات والكيانات في واقعنا السياسي في العراق ، ولغتنا تجاه الحكومة لغة التشجيع والتأييد والدعم للمنجزات والخطوات الصحيحة المتخذة ، ولغة إلفات النظر والنصح تجاه السلبيات إذا ما حصلت هنا أو هناك ، فإذا كان

البعض يشعر بصعوبة فهم كلماتنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن ييسر له فهم هذه الكلمات ، حتى لا يأخذها بمعنى غير ما هو مقصود منها .

وإذا كان هناك تشويه وتحريف متعمد لهذا الكلام الذي ينطلق من قلب صادق تجاه هذا الوطن وتجاه هذا الشعب الكريم ، فإذا كانت مثل هذه التأويلات ومثل هذا التحريف والتشويه ناتجا من غايات خاصة ومن حسابات ضيقة ، فنتمنى من أولئك الأعزاء ألا يختبروا صبرنا كثيرا ولا يراهنوا على استهداف عقلانية الخطاب والمسار الذي نتتجهه ، فإن سياستنا نابعة من مبادئ نؤمن بها ومن استراتيجيات وضعناها لأنفسنا في هذه الحركة ، وهي مترسخة في عقولنا وفي ضمائرنا ولا يمكن أن نستدرج لا قدر الله إلى سلوك آخر غير السلوك الذي نسير فيه ، ولا يمكن أن نقع في مطبات حملات التشهير والإساءة للآخرين من هنا أو هناك ، ولا تنقصنا القدرة على إطلاق التصريحات النارية و خلط الأوراق والمزيادات العاطفية .

ولكن نربأ بأنفسنا أن ندخل مثل هذه المداخل وسنبقى نسير في طريق الاعتدال والاستقامة ، ونكون صوتا بإذن الله تعالى لهموم أبناء شعبنا وللتقريب في وجهات النظر بين الفرقاء السياسيين ، إننا أصحاب مشروع ، ومشروعنا هو بناء الدولة العصرية الناجحة لخدمة الوطن والمواطن ، دولة تحترم مواطنيها وتخدمهم وتقدم الرعاية لهم ، ودولة تحظى باحترام الآخرين واهتمامهم ، وما سوى ذلك فهي مناورات سياسية بعيدة كل البعد عن استراتيجياتنا .

تحسين علاقات العراق بدول الجوار

إننا نتابع باهتمام الجهد الحكومي في إرسال الوفود إلى دول الجوار وتهذئة الأوضاع ، وإعادة المياه إلى مجاريها ، فقد تحدثت وسائل الإعلام مؤخرا عن وفد حكومي زار الشقيقة تركيا ونقل إليها رسائل التهذئة إلى قيادتها وحكومتها الموقرة ، وكذلك فإن العلاقات العراقية- الكويتية تشهد تطورا واللجان المشتركة ستبدأ أعمالها في الأيام القليلة القادمة ، وهناك وفود تجوب في دول أخرى في المنطقة وتسعى لتهذئة الأوضاع وتطيب الخواطر وإزالة الالتباسات بين العراق وهذه البلدان . إنها خطوات صحيحة تتسق مع مسارات الدستور العراقي ومع المصالح العليا للبلاد ومع البرنامج الحكومي الذي على أساسه تشكلت الحكومة العراقية ، وكان لنا شرف كبير في وضع لبنات أساسية في هذا المسار من خلال

زيارات وسفريات واتصالات عديدة قمنا بها إلى هذه البلدان لنوفر الأرضية لنجاح مثل هذه المهام التي تقوم بها الوفود الحكومية الكريمة .

وإن كانت تلك الجهود المهمة لم تفهم في حينها بالشكل الصحيح ، ووقعت ضحية بعض التحليلات والاتهامات الخاطئة التي فسرتها بعيدا عن أهدافها الحقيقية ، إننا نؤكد بأنه لا خيار إلا التهدئة والحوار الصادق والبناء في حل مشاكلنا الداخلية ، وفي التعاطي مع دول المنطقة والعالم وفي إدارة ملف العلاقات الخارجية للعراق ، إن الحوار والتواصل والتهدئة والبحث عن المصالح المشتركة هي الطرق التي يمكن أن تجمع العراقيين في الداخل ، وأن تعيد للعراق قوته وعزته ومكانته وعلاقاته الطيبة مع دول المنطقة والعالم .

تأجيل الانتخابات خط أحمر

إن الانتخابات هي الركيزة الأساسية في النظام الديمقراطي ، وفي بناء العراق الجديد . وهي المظهر الأوضح لأي بلد ديمقراطي ؛ أن تجرى فيه الانتخابات في مواعيدها المحددة والواضحة ، سواء كانت انتخابات مجالس المحافظات أو انتخابات مجلس النواب . إن أي مساس بهذه الركيزة إنما هو مساس بأحد أهم الأسس التي بُني عليها العراق الجديد ، وإن أي تأجيل أو تغيير في مواعيد الانتخابات إنما يعتبر خطا أحمر مهما كانت المبررات والذرائع التي تطلق لمثل هذا التأجيل ، فإننا لاحظنا أن أبناء شعبنا العراقي في ظروف أصعب بكثير من الظروف التي نعيشها اليوم استطاعوا أن ينجزوا عمليات انتخابية متعددة ، حظيت بنجاح كبير . فإذا كنا قادرين على تحقيق الانتخابات وإجرائها في تلك الظروف الصعبة ، فلماذا لا نكون قادرين على إنجازها في الوقت الراهن وقد تحسنت الأوضاع إلى حد كبير؟ .

فما نسمعه اليوم من همس خجول يتحدث عن إمكانية تأجيل الانتخابات مرفوض من قبلنا جملة وتفصيلا ، ولا يمكن أن نتساهل في هذه القضية ، ونرجو من جميع القيادات السياسية الكريمة من دون استثناء أن تؤكد على قداسة العملية الانتخابية واحترام توقيتات الانتخابات ، وعدم فتح المجال لأي تغيير في هذه التوقيتات مما يخاطر بالواقع الديمقراطي لتجربتنا الوليدة ، وفي هذا السياق نتمنى من أعزائنا السيدات والسادة أعضاء مجلس النواب أن يتخذوا قرارا واضحا بتمديد كامل الصلاحية لمفوضية الانتخابات لحين الانتهاء من تشكيل المفوضية

الجديدة، لكي لا يبقى العراق يعيش فراغاً في المؤسسات الانتخابية ليوم واحد لا في الرجال ولا في الصلاحيات، فما دنا غير مهيين لمفوضية جديدة لا بد لهذه المفوضية أن تبقى فاعلة وأن تحظى بكامل المشروعية، وأن يكون لها كامل الصلاحيات، وفي اللحظة التي تتهيأ الظروف للبدل الكامل الناجز المقبول وطنياً فلكل حادث حديث، ولكن التمديد لأوقات قصيرة ومحددة، ولا نعرف ما إذا كان الجهد النيابي سيكتمل في هذه المدة أو لا يكتمل، فيه مخاطرة لدخول العراقي في فراغ كبير وتكون هناك فترة ليست لنا فيها مؤسسة معنية بشأن الانتخابات وإجرائها وهي قضية خطيرة، أرجو من الأعداء في مجلس النواب الالتفات إليها.

القروض الميسرة للشباب

تبنت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية مشروع منح القروض الميسرة للشباب، إنها خطوة صحيحة ومهمة ودوماً نحاز للشباب، ولا يمكن أن نتحدث عن تنمية لمستقبل العراق من دون أن نقف طويلاً عند الشباب، وهمومهم وقضاياهم ومشاكلهم، ولكن ما يؤسفنا أن هذا المشروع انطلق ضعيفاً ومتركباً، والتقارير تشير إلى أنه في العام الماضي لم يقدم قروضا إلا لـ ٢٠٠٠ شاب فقط، بالرغم من الأعداد الكبيرة للشباب الراغبين بالاستفادة من مثل هذه الفرصة.

كما أن هذه المبالغ الممنوحة جاءت متواضعة وبسيطة في مقدارها وبشروط صعبة تصل إلى حد التعجيز لبعض الشباب في حالات ما، إننا نتمنى من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن تطور هذا المشروع وتنميه في هذا العام، وأن توسع من مساحة المشمولين به من الشباب وأن ترفع مستوى هذه السلف ليكون كحد أدنى ١٠ ملايين دينار، مما سيساعد الشاب بالبداية بمشروع شخصي يوفر له حياته وفرص العمل الحقيقية، كما سيشجع مجموعة من الشباب على أن يشتركوا في مشروع واحد من خلال جمع قروضهم الممنوحة لهم في مثل هذا المشروع، ليبدؤوا بمشروع جماعي يضم عدداً من الشباب، وهذه فرصة لتطوير الاقتصاد وإخراجه من الواقع الأحادي الذي نعيشه اليوم.

إن هذا المشروع سيسهم بشكل فاعل في تقليل البطالة بين الشباب وفي تنمية المشاريع الخاصة للشباب، التي تنعش الاقتصاد وتقلل الحاجة إلى الوظائف الحكومية التي أصبحت الوجهة الوحيدة للشباب في وقتنا الحاضر، كما تشير إلى

ذلك تقارير وزارة التخطيط العراقية، فقد كشف معالي وزير التخطيط عن وجود ما يقرب من ٦ ملايين و ٥٠٠ ألف موظف في العراق، وهناك ٣ ملايين ونصف المليون من الموظفين هم على الملاك الدائم، ومليون ونصف مليون موظف من ذوي العقود المؤقتة ومليون ونصف مليون منتسب لوزارة الدفاع والداخلية، مما يجعل المجموع ٦ ملايين ونصف المليون من الموظفين المرتبطين بمؤسسات الدولة، وهو رقم كبير جدا بكل المعايير العالمية.

يقارن ذلك نسبة بطالة في العراق تصل إلى ٣٣٪. بين بطالة كاملة وبطالة ناقصة لأناس لا يتوفر لهم العمل على مدار الأسبوع، يعملون يوماً أو يومين ويجلسون أياماً، هؤلاء أيضاً يعبرون عن حالة من البطالة الناقصة، إذا جمعنا بين ٦ ونصف مليون موظف و ٣٣٪ من البطالة سنجد أن المساحة الأخرى من القطاع الخاص شبه معدومة في مثل هذه الأرقام.

إن تراكم العمالة سنة بعد أخرى بفعل كثرة المتخرجين ونزول اليد العاملة الجديدة إلى سوق العمل، التي لا تحمل في كثير من الأحيان الخبرة العملية المطلوبة للمهام الحساسة، وعدم امتصاص العمالة المقنعة لتتحول إلى مصدر قوة حقيقية في إنتاج هذا البلد، كل ذلك سيصيب جسد الدولة بالشيخوخة ويستهلك موارد الدولة العراقية ويجعلها عبارة عن مؤسسات استهلاكية وليست إنتاجية، مما يتطلب صرف أموال طائلة على هذه التشغيليات والرواتب من دون أن نحصل على فرصة للبناء وللإستثمار ولتغيير ظروف هذا البلد بالشكل المناسب، مما قد يؤدي إلى ردادات اقتصادية عنيفة في واقعنا الاقتصادي في العراق. ولا مجال للخروج من هذه الأزمة إلا بتفعيل القطاع الخاص والإستثمار في المشاريع الإستراتيجية، وهناك نقص كبير في هذين الأمرين مما يتطلب الاهتمام البالغ بهما.

معرض للسلاح وآخر للزهور

يقام في معرض بغداد الدولي في هذه الأيام معرض للدفاع والأمن، وليس لدينا اعتراض على الدفاع والأمن فإنه الأساس الذي إذا توفر تنطلق الأشياء الأخرى والمجالات الأخرى في البلاد، ولكننا نستغرب من ترتيب الأولويات ومن نوع الإشارات التي نطلقها لأبناء شعبنا وللمراقبين في الخارج، ففي الوقت الذي نلغي فيه معرضاً للكتاب في بغداد في شهر نيسان نقيم معرضاً للسلاح، ولا بد من أن نذكر بمعرض الزهور المقام في هذه الأيام في بغداد في خطوة

جميلة ورائعة ، وكنا نتمنى أن يتزامن معرض الزهور مع معرض الكتاب ليعزز العلم والمعرفة في هذا البلد الكريم ، إن وجهة نظرنا في هذا الموضوع وفي غيره من الأمور إنما تعتمد على تحديد الرؤية والأولويات في الخطوات التي نتخذها ، ونحن اليوم بأشد الحاجة لمعارض نوعية تعوضنا عن سنين العزلة التي عُزلنا فيها عن العالم ، وتسهل علينا الاطلاع على التكنولوجيا والتطور العلمي والمعرفي والتقني الذي شهده العالم خلال العقود الماضية ، ليعود العراق لاعبا أساسيا ومحورا مهما في هذه الميادين .

مليون توقيع لدجلة الخير

أطلقت وزارة الموارد المائية مبادرة لإدراج نهر دجلة في قائمة محميات التراث العالمي في منظمة اليونسكو الدولية ، إن المصادقة على هذه المبادرة تتطلب جمع ٣٠ ألف توقيع من المواطنين العراقيين ، إننا في الوقت الذي نرحب بهذه المبادرة نناشد المؤسسات الحكومية والمدنية ومنظمات المجتمع المدني ، للمساهمة بهذه الحملة وجمع مليون توقيع وليس ٣٠ ألفا ، لأن دجلة يستحق منا مثل هذه الخطوة كي يكون في ضمن هذه المحميات الدولية ، إن نهر دجلة كان معنا وكنا معه منذ آلاف السنين وبُنيت الحضارات العراقية على ضفافه وبنيت المدن أيضا ببركة وجوده وعشنا الحياة من بركات ماء دجلة ، فنهر دجلة يتطلب منا مثل هذه الوقفة وأدعو المؤسسات الإعلامية إلى تحمل مسؤولياتها في الترويج لهذه الحملة .

«خمسة زائد واحد» في بغداد

راقبنا باهتمام كبير اجتماع دول «خمسة زائد واحد» ، الذي يرتبط بالملف النووي الإيراني في مدينة اسطنبول في الأيام القليلة الماضية ، إننا نشجع مثل هذه المبادرات التي تسهم في إنهاء هذه الأزمة والتعامل بتعقل تجاه حق طبيعي لأي شعب من الشعوب في أن يحظى بفرصة حقيقية في امتلاك الطاقة النووية السلمية ، كما نشم الخطوات التي بادرت لها الجمهورية الإسلامية وما قدمته من حسن نية في هذا الاجتماع ، ونرى أن تقابل هذه المبادرات بمبادرات من الولايات المتحدة ومن الدول الغربية بشكل عام ، فليس من المنطقي أو العادل أن تعيش الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني المسلم العقوبات الدولية والاقتصادية ،

فيما تطالب بمزيد من المبادرات ومن الخطوات لما يسمى بتعزيز الثقة، إن على الأطراف الدولية أن تقدم أيضا ما يثبت حسن نيتها تجاه إيران والشعب الإيراني والحقوق المشروعة للشعوب في الوصول إلى الطاقة النووية السلمية، وليس أن يكون طرف واحد هو المعني بتقديم مثل هذه المبادرات وخطوات حسن النية.

إننا ننصح الولايات المتحدة والدول الغربية بالنظر إلى الجمهورية الإسلامية نظرة مختلفة بعيدا عن النظرة النمطية والتقليدية التي عهدناها لعقود طويلة من الزمن، كما نشجع المسؤولين في إيران على تقديم المبادرات التي تؤمن موقفهم أمام المجتمع الدولي وتحرج أعداءهم، إن التطورات في هذا الملف تحظى باهتمام كبير من العراق، لأن إيران جارة مسلمة، فأى شيء يرتبط بها ومعها سيترك آثاره على دول الجوار وعلى العراق بشكل خاص، مما يجعلنا معنيين بهذا الملف، وكلنا أمل في أن يكون الاجتماع القادم لهذه الدول الذي سيعقد في بغداد قادرا على دفع هذا الملف خطوة أساسية إلى الأمام.

يوم الأسير الفلسطيني

في السابع عشر من نيسان يحيي الشعب الفلسطيني الشقيق ذكرى يوم الأسير الفلسطيني، وتعتبر قضية الأسرى من أهم القضايا الحساسة في الواقع الفلسطيني في طريق نضاله الشاق والطويل، مع الاحتلال الإسرائيلي لتعزيز الحرية والوصول إلى الاستقلال، وقرابة خمس الشعب الفلسطيني، أي ما يعادل ٨٠٠ ألف مواطن تعرضوا إلى الأسر والسجن منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ وإلى يومنا الحاضر، وما زال أكثر من ٨ آلاف سجين وأسير في السجون والمعتقلات الإسرائيلية ومراكز التوقيف والتحقيق، إننا نتضامن مع عموم الأسرى في العالم ومع أسرى الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص، ونرفع صوتنا عاليا أمام المنظمات الدولية والهيئات العربية والإسلامية في أن تتحمل مسؤوليتها تجاه هذه الظاهرة المؤسفة والمؤلمة، لمتابعة هذا الملف والسعي الجاد لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى وإعادة حقوقهم المغتصبة وتعويضهم ماديا ومعنويا عن الأضرار التي لحقت بهم وبعوائلهم، إن العدل والإنصاف والوقوف إلى جانب المظلوم تمثل مدخلا أساسيا لاستقرار المنطقة، وقد اعتاد أبناء شعبنا العراقي على أن يكونوا دوما مع المظلوم في مواجهة الظالم، فليس لنا إلا أن نتضامن مع أبناء شعبنا الفلسطيني.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٥/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا ، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ)) (٣٥)

معايير اختيار المستشارين

على المسؤول ألا يقرب المستشارين الذين يبحثون عن عورات وأسرار الناس ويحرضونه على الآخرين . أبعد الناس عنك وأبغضهم يجب أن يكونوا أولئك الذين يذكرون الناس عندك أيها المسؤول ، هؤلاء الذين يكتبون التقارير ، يجب على المسؤول إبعادهم والغلظة عليهم ، كلما أبعدتهم سلمت ونجحت في قيادتك وإدارتك ، وكلما أخذت بالتقارير الكيدية وسمعت لأصحاب المصالح الخاصة وأحطت نفسك بمستشارين يحرضونك على الناس ويكشفون عثرات الناس إليك ستجد نفسك في لحظة أنك معزول عن الشعب وعن المواطنين ، «وليكن أبعد رعيته منك» لا تقرب هؤلاء ولا تسمع منهم «وأشنؤهم عندك» أبغضهم لديك

«أطلبهم لمعائب الناس» الذين يبحثون عن عثرات الناس ، فيجب أن تبعد هؤلاء عنك ؛ لأنهم يمثلون الخطر .

«فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها»، الناس خطاؤون وليسوا معصومين ، وكل منهم عنده كبوة ومشكلة ، الله يتبلي عباده بأنواع البلاء وهذه الدنيا هي دار البلاء ، الله يتبلي الإنسان بنفسه وبأهله وهذه سنة الحياة ، هذه العيوب يكون المسؤول أولى بأن يسترها ، حتى لا تتبين إلى الناس ولا ينكسر أحد ، يجب أن يستر ما يطول الناس أو أعراضهم ، ولا أحد يعرف الصحيح من الخطأ ، الوالي أحق بسترها ، والمسؤول هو أحق الناس بأن يستر هذه الأخطاء والعثرات ، هنا الكلام عن الخطأ الحقيقي والمشاكل الحقيقية ، وعلى الوالي أن يسترها ، «فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها» ، كونك مسؤولاً لا يحق لك أن تضع جهاز الإنصات حتى تراقب الاتصالات الهاتفية للشعب ، ولا يحق لك التجسس على الناس بواسطة الكاميرات أو اللاقطات ، «فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها» لا يحق لك أن تكشف عن أسرار الناس وقضاياهم الخاصة وهذا ليس من واجبك .

«فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك» ، إذا كانت هناك خطيئة أو موبقة ظهرت لوحدها وانكشفت للناس ، هنا يجب عليك العمل على تطهير المجتمع من هذه القضية ، «فاستر العورة» الأساس هو الستر وليس الكشف ، ولو كانت ثمة عورة وبحكم مسؤوليتك وموقعك اطلعت عليها فعليك أن تسترها حتى لا تشيع ويتعرّف عليها الناس ، ولكن إذا انكشفت لوحدها حينها يمكن لك أن تحتويها وتقلل من آثارها ، هذا هو الأساس في التعاطي ، «فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك» ، حينما تكون في موقع القوة اليوم وتكشف عن عورات الناس ، فسوف يأتي اليوم الذي يكشف الله تعالى عن خطيئتك وعوراتك ؛ لأنك إنسان وغير معصوم من الزلل والخطأ ، كيف تريد أن يتعامل الله تعالى معك ، عليك أن تتعامل بنفس الطريقة مع من هو دونك في مساحة مسؤوليتك ، ارحم تُرحم ، استر تُستر ، اكشف تُكشف عوراتك ، كما تدين تدان . إذن على المسؤول ألا يقرب المستشارين الذين يبحثون عن عورات وأسرار الناس ويحرّضونه على الآخرين .

دروس وإضاءات

أولاً/ رفض مبدأ تعقب أخطاء الناس وعثراتهم

لا يحق للإنسان أن يبحث عن المستور ويتجسس ويتلصص حتى يكشف أسرار الناس ، المنظومة القيادية معيارها المودة والمحبة والعطف ، كشف الأسرار والفضائح وإبراز أخطاء الناس سوف لا يجعلهم صامتين ، بل يدافعون عن أنفسهم وهذا يربك صفو العلاقة في المجتمع . وهو يعني مزيداً من التراشقات والتوترات والأزمات ، وتأخذ القضية مدياتها الواسعة والكبيرة ، من يفضح أسرار الناس سوف يضعف وتقل هيئته وموقعه عند الناس ، الروابط القلبية والعلاقة الإنسانية تتصدع وترتبك حينما يبدأ الإنسان بكسر الحواجز وكشف نقاط الضعف للناس .

إشاعة ثقافة الفضيحة

فالقائد أو المسؤول الذي يصغي لمستشاريه وهم يجلبون له خطيئة أو سيئة أو مخالفة لأحد من الناس يشجعهم ، وهذه الحالة من شأنها أن تشجع الآخرين القريبين من المسؤول للتسابق في تقديم معلومة ، أو يوظفون آخرين لجلب المعلومة لكي يكونوا الأقرب إلى المسؤول ، فتشيع ثقافة كشف الأسرار والفضائح للناس هنا أو هناك ، وهذه قضية ستؤدي إلى إرباك وعزل المسؤول عمن سواه وإشاعة حالة من سوء الظن ، ويصبح المسؤول لا يثق بأحد حتى بأقرب الناس منه ، يعيش عندها المسؤول نظرية المؤامرة ، وهذه تؤدي إلى إشكالية كبيرة وعزلة وخوف ورعب يعيشه المسؤول ، لأنه يقطع الجسور والتواصل مع الناس .

يقول علي عليه السلام في غرر الحكم : «من تتبّع خفّيات العيوب حرمه الله سبحانه مودّات القلوب»^(٣٦) . من يبحث عن عثرات الناس وعيوبهم سوف يحرمه الله تعالى المودة والمحبة ، ويصبح القلب حجراً قاسياً ، لا يوجد عطف وأحاسيس ومشاعر إنسانية ، الله يحرم الإنسان منها ، وهذا أثر وضعي لتتبع عثرات الناس وعيوبهم ، لذلك أيها المسؤول إذا أردت أن تنجح فعليك أن تبعد الانتهازيين والناميين ، وألا تسمح لأحد أن ينقل لك أسرار الناس حتى لو كانت هذه الأسرار

٣٦ . غرر الحكم ج ٢ ص ٢١٤

صحيحة، حينما تبدأ هذه الظاهرة بالتفشي ويصبح كل واحد يتكلم عن سيئات الآخر فهذا من أخطر الأمور.

النقد حرصا على المنظومة

يستخدم علي عليه السلام في هذه العبارات الكريمة أفعل تفضيل؛ «أبعد رعيتك»، ليس البعيد بل الأبعد، «وأشنؤهم»، ليس البغيض بل الأبعض، ماذا نفهم من ذلك؟ هذا إشارة إلى خطورة هذه الحالة وتأثيراتها المدمرة في الإنسان، وأنها إذا نمت داخل المنظومة القيادية أياً كانت هذه المنظومة ستكون بمثابة غدة سرطانية تنتشر بسرعة وملؤها القيح والنتن، ورائحتها الكريهة ستشمل كل مكان وتملاً الأجواء، ويجد الإنسان نفسه عاجزا عن مواجهتها. إن المنظومة القيادية إذا زُرعت بها مثل هذه الغدد السرطانية في إشاعة العثرات والأخطاء للناس والمواطنين، فسيكون ذلك سببا في فشل ودمار تلك المنظومة من حيث لا يشعر المسؤول، هنا أمير المؤمنين عليه السلام لا يقول أبعد الناس من ينتقد، أو أبعد الناس من يعترض عليك، المعترضون والمنتقدون ليسوا أبعد الناس عن المسؤول، ولكن هؤلاء القريبين منك الذين يكشفون عن عورات الناس هم أبعد الناس وأبعضهم، إن كنت تعرف أو لا تعرف.

إذن الانتقاد والاعتراض يمكن أن يكون مقبولا ومسموعا، والمعترض والمنتقد يمكن أن يُحسن الظن به، قد يكون من يعترض إنما بسبب حرصه على المشروع وعلى المسؤول وعلى المنظومة القيادية وعلى المساحة التي تتصدى أنت لها، ما أكثر ما يكون المعترضون والمنتقدون أصدقاء ومحبين ومشفقين وحريصين، ليس كل من ينتقد يكون عدواً أو منافسا، هناك من ينتقد وهو يريد الخير والنجاح لك وللمشروع، فالنقد والاعتراض ليسا دليل بُعد وإنما إشاعة الأخطاء هي دليل البعد كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام.

عواقب مدمرة على المسؤول

يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى حقيقة أخرى، وهي أن هؤلاء الذين يتعلمون ويتعودون على ذكر عثرات الناس، وهم قرييون من المسؤول، تشأ لديهم بمرور الوقت ثقافة كشف عثرات الآخرين وأخطائهم، ولا يستطيعون التخلص من هذه الحالة، ما يؤدي إلى أن تشمل هذه النار المسؤول أيضا، حينما يجلس معك

ينتقد الآخرين، وبالعكس يكشف أخطاءك حينما يكون أمام الآخرين، وأنت في موقع المسؤولية تكون أخطاؤك أكثر بحسب قدرتك الأكبر، إذا قرّبت هؤلاء الناس ستراهم في أية لحظة في الخندق الآخر، ويكشفون كل أخطائك وعثراتك ولن تستطيع عمل أي شيء. يقول أمير المؤمنين: «إياك ومعاشرة متبّعي عيوب الناس فإنه لن يسلم مصاحبهم منهم»^(٣٧) اليوم صديقك وغدا شيء آخر، اليوم يتحدث عن أخطاء الآخرين وغدا يذكر أخطاءك.

ثانيا / ضرورة ستر العيوب من القيادي والمسؤول

ليس للمسؤول حق في أن يطلع على عيوب وعثرات الناس، وكذلك من يتكلم عن الناس، لا تسمح لمن ينقل لك عيوب الناس أن يتحدث بها أمامك، كذلك حينما تنكشف لك العيوب لا تحرّض الناس وتلوّح بها؛ لأنك سوف تفقد كل العلاقات الإنسانية وتتقطع أوصالك وتصبح معزولا عن الآخرين، ولا تستطيع أن تقوّي حكمك وموقعك، «فإن في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها»، لا تكشف عن عيوب وأسرار الناس حتى لو اطلعت عليها، وهذا كلّ من المحرمات وقد يحدث الانهيارات الكبيرة في المجتمع، وهذا خلاف ما أراد الله تعالى، تستخدم اليوم التقنيات استخداما خاطئا في الإساءة للناس، وفي تهديد الناس بعضهم لبعض، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مهما كانت هذه السيئة التي يأتي بها المستشار المقرب من المسؤول كبيرة إلا أن سيئة الاستماع لهذه الثغرات والعثرات والعورات تكون أكبر وأعظم من تلك الخطيئة الصادرة، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تتبع العيوب من أقبح العيوب وشر السيئات»^(٣٨). أقبح العيوب هو تتبع سيئات الناس وعيوبهم، المسؤول أولى أن يلتزم بهذا المبدأ؛ لأن المسؤول بحكم مسؤوليته له الفرصة في أن يطلع على عثرات الناس أكثر من الآخرين وإذا أراد أن يفتح هذا الباب على نفسه ويكشف عن هذه الزلات والعورات فسيكون معزولا، ولا يكون قادرا على إنجاز مهمته القيادية.

٣٧. غرر الحكم ج ٢ ص ٢٩١

٣٨. غرر الحكم، ج ١- ص ٣٠٨

الحوار مدخل لحل الأزمات

شهدنا في الأيام القليلة الماضية العديد من اللقاءات بين القادة السياسيين، لقاءات ثنائية ولقاءات خماسية ولقاءات بين عدد من القوى في بغداد وأربيل ومناطق أخرى من العراق. الهدف من هذه اللقاءات كما أعلن عنها كانت دراسة الأزمة السياسية القائمة في البلاد والبحث عن الحلول والمعالجات لهذه الأزمة والتحضير لإنجاح الملتقى الوطني، لنكون أمام رؤية واضحة ومقبولة من القيادات السياسية تساعد على حل الأزمة، بل العقدة السياسية القائمة في البلاد، إننا نجدد ترحيبنا ودعمنا لكل لقاء ولكل خطوة من شأنها تهدئة الأوضاع السياسية في البلاد، ومن شأنها البحث عن الحلول والمعالجات للأزمات المتلاحقة في بلادنا، لنعود إلى الوئام والمحبة والتعاون وحل الإشكالات وتعزيز الثقة. ونؤكد من جديد أن الحوار والتفاهم بين القوى السياسية هو المدخل الوحيد لمناقشة هذه الأزمات وحل المشاكل بين القوى السياسية وتهذبة الساحة العراقية، تمهيدا لبناء وإعمار وتعاون على خدمة المواطنين.

لا مناص من الحوار والتفاهم بين الأطراف لحل الإشكالات القائمة، فما دما نعيش التعددية السياسية والديمقراطية، سنعيش الرؤى والقراءات المتعددة في بلادنا، وسيكون هناك من له رأي ومن له رأي آخر ولا طريقة لتوحيد الرؤية وتخفيف الاحتقانات إلا من خلال الحوار الصادق والبناء بنية صادقة، حينما يجتمع الجميع على طاولة الحوار ويعالجون مشاكلهم، فعلينا ألا نقلق من أي حوار صادق تجريه بعض الأطراف والقيادات لتخفيف التوترات ولحل المشاكل العالقة في البلاد، إن مثل هذا الحوار والطاولة التي تجمع الفرقاء السياسيين كفيلا بالحفاظ على وحدة العراق والحفاظ على مستقبل هذا البلد الكريم وتعزيز الثقة بين الأطراف السياسية وتطمينها، مما سيوفر مناخات الاستقرار السياسي، ونحن بأمس الحاجة إلى الاستقرار السياسي حتى نبني ونعمر ونحقق الرفاه للمواطن الكريم . . .

شروط النجاح

نجاح الحوارات والتفاهمات يكمن في أمور أربعة ، وإلا سنشهد المزيد من التصعيد والإشكالات :-

١- أن تكون هذه الحوارات ذات نظرة إستراتيجية عميقة وشاملة لمشاكل البلد وللحلول المرجوة والمطلوبة ، ولا يمكن أن نحقق حلا حقيقيا لواقعنا العراقي من دون أن نصل إلى هذه الرؤية الشاملة التي يجتمع عليها العراقيون ، والتي تلحظ كامل الحثيات والهواجس والمخاوف للأطراف العراقية المختلفة . فلا يمكن أن نصل إلى الوئام الوطني المنشود إلا من خلال رؤية إستراتيجية وشاملة .

٢- التباني على الالتزام بتنفيذ ما يتم اتخاذه من قرارات والتزامات . فإذا كان القادة يجلسون على طاولة ويتحاورون ويلتزمون بإجراءات معينة ويتخلفون عنها ، سوف لا تبقى فرصة للثقة الحقيقية بين هذه الأطراف ، وسوف تتعقد الأمور ، الإنسان يجب أن يكون عند كلمته ، إما أن لا يعد ، أو إذا وعد يفى بوعوده والتزاماته تجاه الآخرين ، فلا بد من أن نتباني ، فإذا كان القادة السياسيون يدخلون إلى الحوار وهم سلفا قرروا أن يتحاوروا للحوار ، حتى يقال جلسنا ، لكن لا توجد إرادة حقيقية للحل ، فإن الأمور سوف لا تحل ، نحن بحاجة إلى التباني على الالتزام بما تنفق عليه حتى نعزز الثقة بين الأطراف ، وهذا يتطلب وضع ضمانات حقيقية تطمئن الجميع بأن ما يتفق عليه قابل للتنفيذ ضمن أسقف زمنية قصيرة ومحددة .

٣- الذهاب إلى الحلول وتجنب الصفقات ، وفرق كبير بين الحلول والصفقات ، إن الحلول تعني تشخيص المشكلة وتحديد الطرف أو الأطراف المتضررة في قضية أو في أزمة سياسية معينة ، ووضع المعالجات التي تضمن المصالح العامة للبلاد وتعزز الاستقرار السياسي ، هذا يسمى حلا ، ويجب أن تكون الحقوق في إطار حقوق جميع العراقيين ، والمطالبات ضمن مطالبات جميع أبناء الشعب العراقي . يجب أن تأخذ حقلك وليس أقل منه ولكن ليس أكثر منه ، لا أكثر ولا أقل ، فإذا أخذت أكثر من حقلك فهذا يعني أنه من حق الآخر ، وإذا أخذت أقل من حقلك فهذا يعني أن حقلك أخذه الآخر . لذلك نحن بحاجة إلى

حلول، أما الصفقات فهي تعني تفاهات بين طرفين أو أطراف تحت الطاولة، والالتزامات أساسها مصالح الطرفين المتصافقين في هذه الصفقة وليس المصالح العامة، لذلك نحن نعلن دعمنا لكل الحلول ونتحفظ على كل الصفقات التي لا يعلم بها الشعب العراقي، وتكون لأسباب خاصة بعيدة عن مصالح أبناء الشعب العراقي.

٤- شرط النجاح في هذه التفاهات الوضوح والشفافية، وإطلاع الرأي العام وأبناء الشعب العراقي على ما يتفق عليه القادة، وكلما تم اتفاق يصل إلى مسامح الرأي العام أن هناك أوراقا سرية تم التوقيع عليها وتبادلها بين الأطراف المتفقة، وهذا ما يثير الكثير من علامات الاستفهام لدى الشارع العراقي عن الأسباب التي تدعو إلى التكتم على هذه الالتزامات المتبادلة بين الأطراف. فإذا كانت مصالح عامة وكانت حقا لماذا تُحجب عن الشعب؟! أما إذا كانت مسائل خلاف المصالح العامة، فمن الذي خوّل أياً منا أن يعطي مصالح الشعب للآخرين في صفقات غير معروفة وفي أمور غير واضحة للعيان ولأبناء الشعب العراقي؟ وهذا ما نلاحظه حينما تشتد الأزمات بين الأطراف، فكلما حصلت أزمة بين طرفين هدد البعض منهم أنه سيكشف عن الأوراق والاتفاقات التي كانت مع الآخرين، وهذا بحد ذاته يكشف عن أن بعض ما تم التوقيع عليه فيه أمور محرجة لهؤلاء المسؤولين أمام الشعب.

إذا لم تكن محرجة فلماذا لا يعلم بها الناس، ولا يكون هناك سبب للتلويح والتهديد بها، هذا التهديد وهذا التلويح يكشفان عن أن بعض هذه الاتفاقات هي اتفاقات لا يرتضيها أبناء الشعب، لذلك تمت في الخفاء وبعيدا عن الأضواء، وهذا ما سمعناه مؤخرا من ممثلي المراجع العظام حينما قالوا وبشكل واضح إن من الضروري كشف الاتفاقات السياسية التي تمت وعلى أساسها انطلقت الحكومة الموقرة وشُكلت في الأشهر الماضية. لذلك علينا أن نتجنب مثل هذه الاتفاقات السرية ونتعامل بوضوح وشفافية أمام شعبنا، ونقول لهم هذا ما اتفقنا عليه وهذا يخدم المصالح. فما كان خلاف المصالح يجب ألا نقبل به ولا نتفق عليه، وإذا كان ضمن المصالح فيجب ألا نخشى منه وأن نظهره للعيان حتى يتعرف أبناء الشعب العراقي على طبيعة هذه الاتفاقات.

جدية القوى السياسية في حل الأزمة

إن الالتفات إلى هذه الشروط الأربعة سيعني الذهاب إلى تفسير الأزمات ، وتطبيب الخواطر وتهذئة الساحة العراقية . وسيعني مزيدا من ثقة الشارع العراقي بالسلطة المسؤولين وبالقوى السياسية ، وبدونه إذا اختلت هذه الشروط فهذا سيعني أننا نذهب إلى تفتيس الأزمات وتكاثر الأزمات من أزمة إلى أخرى ، ولا بد من أن نعمل على التفسير وليس على التفتيس للأزمات حتى نكون أمام واقع أفضل لمواطنينا ، نشدد ونؤكد على أن هذه الأزمات يدفع ضربيتها المواطن العراقي ، سواء في واقعه الأمني أو واقعه الخدمي أو في واقعه المعيشي ، فهو يدفع الضربة الكبيرة حينما تتصاعد هذه الأزمات ، وكلما عمّ الوثام والاستقرار والهدوء استفاد المواطن العراقي وانطلقت عجلة الإعمار واهتم الجميع بخدمة المواطن ، وليس الانشغال بالصراعات السياسية .

إن الملتقى الوطني يمثل تحديا أساسيا واختبارا حقيقيا للقوى السياسية لتعبّر عن مدى جديتها وإرادتها الحقيقية ، ورغبتها بالحوار وبحل المشاكل بيننا ، لخدمة الوطن والمواطن ، وإذا استطاع هذا الملتقى الوطني أن يضع النقاط على الحروف ويحدد رؤية إستراتيجية واضحة واقعية شفافة مقنعة للشارع العراقي ومطمئنة للقوى السياسية ، فهذا سيعني أننا أصبحنا على السكة في طريق الحل والمعالجة لمشاكلنا ، إذا تفانينا في تنفيذ ما نتفق عليه في هذا الملتقى الوطني ، فهذا سيعني أننا نسير بالطريق الصحيح لحل الإشكالات والعودة إلى التعاون الحقيقي الذي يجعل من جميع القوى السياسية فريق عمل واحدا لخدمة الوطن والمواطن ، وإذا تلكأنا في عقد هذا الملتقى الوطني أو عقدناه ولم نخرج منه بنتيجة واضحة ، فسيؤدي ذلك إلى مزيد من التصعيد والذهاب إلى المجهول لا قدر الله .

وقد لفت انتباهنا دعوة كريمة أطلقتها قناة الفيحاء الفضائية بيث اللقاء الوطني على الهواء ، حتى يتعرّف أبناء الشعب العراقي على ما يدور في أروقة السياسيين وكيف يتعاملون وما مستوى جدية القيادات السياسية في حل المشاكل وخدمة الناس ؟ . إنني كمواطن عراقي أدعم وبقوة مثل هذه المبادرة ، التي جاءت لتعبر عن تطور في إعلامنا الوطني في بعده الفكري إضافة إلى التطور التقني الذي تشهده وسائلنا الإعلامية ، وأيضا لا بد من التأكيد على أن الإعلام الحقيقي هو

ليس الإعلام الذي ينشر ويتعاطى الخبر فقط ، وإنما هو الإعلام الذي يشترك بالحدث ويترك بصماته في الحدث ، ومثل هذه المبادرات يمكن أن تترك مثل هذا التأثير . إن المهم أن نسمع إلى مبادرات حقيقية وجادة وأن ندعم ونشجع مثل هذه المبادرات ، مع قطع النظر عن أن السياسيين سیرتضونها أو يرفضونها ووسائل الإعلام لا تستطيع أن تجبر السياسيين على الأخذ بمبادراتها ، ولكنها قادرة على أن تنور الرأي العام وتقدم الثقافة الصحيحة التي تحدد لأبناء شعبنا والسياسيين ما يفضّل لهم أن يأخذوا ويعملوا به .

تعزيز العلاقات العراقية- الكويتية

تابعنا باهتمام اجتماعات اللجنة المشتركة العراقية الكويتية ، وسررنا بالتقييم الإيجابي الذي أطلقته كل من اللجنتين أو كل من الوفدين العراقي والكويتي . وكان التقييم إيجابيا لهذه الاجتماعات والعلاقات ، إن العلاقات الإيجابية بين العراق والكويت وحل الإشكالات العالقة بين البلدين ، يمكن أن يكون نموذجا لعلاقة إيجابية بين العراق والدول العربية الخليجية الكريمة . وهناك العديد من الملفات العالقة بين العراق وهذه البلدان . إن تواصل الاجتماعات بين البلدين والجدية بين هاتين اللجنتين والجدية الحقيقية من الطرفين والحوار البناء والنية الصادقة ، هذه العناصر الأربعة إذا ما استمرت فسنشهد معالجة حقيقية للكثير من المشاكل وسنطوي الملفات العالقة الواحد تلو الآخر وسيقضي ذلك على كل الشكوك التي زرعتها سنين الجفاء وسياسات النظام البائد بين البلدين الشقيقين .

إن المصالح المشتركة التي تجمع بين هذين البلدين ، هي أكبر بكثير من الاختلافات والقضايا العالقة بينهما ، ونتمنى على الإخوة والأشقاء في الكويت أن يساعدوا العراق على خروجه من الفصل السابع واستعادة السيادة الوطنية الكاملة للعراقيين ، كما نتمنى على أشقائنا في الكويت المساهمة والمساعدة في معالجة الديون والتعويضات العالقة ، فإن المصالح المشتركة والمنافع الاقتصادية بين البلدين أكبر بكثير من مثل هذه الديون والتعويضات وما شابه ذلك ، إن بإمكان العراق أن يحسّن علاقاته مع جميع دول المنطقة والعالم إذا توافرت الإرادة الحقيقية والحوار البناء والنية الصادقة للعراق ولتلك الدول ، واجتمعوا على طاولة الحوار وحلوا مشاكلهم . فعراق اليوم هو عراق الانفتاح ، وهو عراق يبحث عن

المصالح المشتركة والاحترام المتبادل بينه وبين هذه البلدان وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية الشقيقة .

البطاقة التموينية

إن موضوع البطاقة التموينية قضية لا تنتهي ، وأصبح للعراقيين تأريخ طويل مع قضية البطاقة التموينية ، فلقد تغيرت الأنظمة ولم تتغير البطاقة التموينية ومشاكلها . والمفارقة أن البطاقة التموينية تستخدم في الدول ولدى الشعوب الأخرى لتنظيم عملية توزيع الغذاء ، حينما يكون شعب من الشعوب في ظروف الحرب أو ظروف الأزمات ، لكن أن تتحول إلى سياق في الحياة الاعتيادية للناس فهذه ظاهرة فريدة من نوعها في المنطقة ، ولكن البطاقة التموينية أصبحت جزءاً من حياة أبناء الشعب العراقي ، وهي موضوع يدعو إلى الإزعاج المستمر للمواطنين بسبب العديد من الإشكالات والتلكؤات التي تحصل فيها ، ومن المستغرب أن تكون البطاقة التموينية وثيقة تطلب كجزء من الوثائق في تمشية الأمور وفي المعاملات الإدارية الحكومية وحتى غير الحكومية ، لتتحول إلى وثيقة قومية تؤكد الانتماء العراقي للمواطنين ، وهذا شيء يدعو إلى الاستغراب الكبير ، فلا تنجز أي معاملة إلا بتقديم بطاقة تموينية وصولاً إلى فتح حساب في مصرف أو تسجيل ابن في مدرسة أو الدخول في دورة عامة ، وفي أي قضية ، يقال هات لنا نسخة من البطاقة التموينية .

والمستغرب أن هناك أكثر من مليوني عراقي يعيشون في المهجر أو يعملون في تلك البلدان ، وهؤلاء يعودون إلى وطنهم ولديهم معاملات فلا تُمرّر معاملاتهم إلا بتقديم البطاقة التموينية ، وهو لا يحتاج إليها ، مليوناً مهاجر يُرغمون ويُجبرون على إصدار هذه الوثيقة ، وبالتالي تخصيص حصة تموينية لهم وهم يغادرون البلد ولا يحتاجون إلى هذه البطاقة وإلى هذه الحصة فيقدمونها لأصدقائهم وأقاربهم ؛ لأنها مفروضة عليهم ، أية عدالة هذه وأية حكمة في مثل هذا الموقف؟ . إن هناك ثلث أبناء الشعب العراقي تحت خط الفقر ويحتاجون إلى حصة مضاعفة ومحسنة من البطاقة التموينية فلا تُقدّم لهم ، فيما تُفقد على مليوني مهاجر في الخارج ميسوري الحال ، وهكذا تقدم الحصة إلى من لا يحتاجون إليها ونحجب المستوى المحسّن عن المحتاجين إليها ، ولو كانت تحجب عن الذي لا يحتاج

إليها وتُحسَّن وتُزيد لمن هو محتاج إليها من المعوزين من الفقراء وذوي الدخل المحدود، كُنّا قد حققنا نجاحا وقدمنا حصة كاملة من دون أن نرهق ميزانية الدولة العراقية بميزانيات إضافية .

إن ذلك ليس بالأمر الصعب وليس بالأمر المستحيل ، ولكنه يتطلب تجاوز الروتين القاتل ، ويتطلب التفكير بوسائل تخدم المواطنين وتسهّل حياتهم ، إنني أدعو السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب للنظر بهذا الملف الحساس والمهم ، وتشريع قانون بخصوص البطاقة التموينية من حيث نوعيتها ومستحقوها إلى غير ذلك ، حتى تتمكن من أن نقدم حصة كاملة ومحسّنة بنفس هذه الميزانيات من دون أن نرهق ميزانية الدولة ، ومن دون أن نحرم الفقراء والمعوزين من حصة كاملة . ولا بد من الابتعاد عن أجواء المناقصات المشبوهة التي طالما يجري الحديث عنها وشبهات الفساد الكبيرة التي أصبحنا نستمع إليها كثيرا إعلاميا ونيابيا ، في ما يخص البطاقة التموينية ، وطريقة توفيرها وتوزيعها بين المواطنين .

تراجع نسبة التعليم المبكر

إن التعليم المبكر وأعني به التعليم دون الابتدائية يمثل أساسا مهما ، تُبنى عليه الدراسة الابتدائية والإعدادية والجامعية . وإذا كان الأساس رصينا فستكون الدراسة في المراحل اللاحقة قوية ومتينة ، وإذا كان الأساس ضعيفا فستكون النتائج أيضا ضعيفة ومتلكئة . وهناك ٤١ ٪ في المعدلات العالمية من الأطفال دون الابتدائية يدخلون إلى الروضات ويتعلمون في سن مبكرة ، وفي المنطقة تبلغ النسبة لمن يتعلم ١٨ ٪ ولكننا في العراق تنخفض لدينا نسبة التعليم المبكر إلى ٧ ٪ فقط و ١٠ ٪ من هذا الرقم المتواضع تشمل الأرياف والمناطق الريفية و ٩٠ ٪ داخل المدن ، مما يعني أن هناك نقصا كبيرا في مسألة التعليم المبكر ، وتحتاج إلى معالجات حقيقية . كل ذلك حسب إحصائيات اليونسكو واليونسيف ، هاتان المنظمتان الدوليتان اللتان تتعاملان مع وزارة التربية العراقية بتطوير هذا الواقع . إننا بحاجة إلى وعي وثقافة شعبية واسعة لدفع أطفالنا إلى التعليم المبكر وبحاجة إلى إجراءات من وزارة التربية للاهتمام بهذه الشريحة الواسعة والكبيرة ، وهذا يتطلب استحداث مديرية في وزارة التربية تختص بشؤون التعليم المبكر .

مشكلة الألغام في العراق

بحسب تقارير الأمم المتحدة فإن العراق هو أكثر البلدان في انتشار الألغام والمخلفات الحربية، وهناك أكثر من ٣٠ مليون لغم تغطي ١٧٣٠ كيلومترا مربعا في العراق، ثلثها في البصرة وثلثاها في المناطق الأخرى. القسط الأكبر منها هو في عاصمة الخير وهذا يترك أثرا كبيرا على ٢١٪ من السكان العراقيين، ويؤسفنا أن نقول إن ٩٠٪ من هذه الأراضي التي حُرمتها نتيجة وجود الألغام هي أراض زراعية وفيها أراض نفطية مما يترك أثرا في الواقع الزراعي والواقع النفطي في البلاد. إنها أرقام مخيفة تعبر عن خطورة هذا الموضوع وضرورة المعالجة السريعة، ولا يكون ذلك إلا من خلال إستراتيجية وطنية لإزالة الألغام وكلنا شكر وتقدير للجهات الحكومية التي اهتمت بهذا الموضوع وتخطط الآن لوضع هذه الإستراتيجية، وعسانا أن نرى العراق خاليا من الألغام في القريب العاجل.

تحسين الواقع العمالي في العراق

في الأول من أيار نحتفل بيوم العمال العالمي، وقد احتفل عمال العراق بعيدهم بصمت، كما هي معاملهم ومصانعهم منذ سنوات طويلة، إننا في الوقت الذي نحيا فيه العمال العراقيين والعمال في العالم بهذا العيد العالمي، نطالب بالعديد من الأمور لتحسين الواقع العمالي في العراق.

١- إننا بحاجة إلى إعادة صياغة لقانون العمل بشكل منصف، حتى يستطيع أن ينصف العمال وحقوقهم المهذورة في كثير من الأحيان.

٢- إعادة النظر بالقانون المشرّع في زمن النظام البائد، الذي حول العمال إلى موظفين، ومنعهم من تشكيل نقاباتهم للدفاع عن حقوقهم وقضاياهم، على خلفيات سياسية كانت في ظل النظام البائد، وانتفت بسقوط ذلك النظام وبناء الواقع الديمقراطي في العراق.

٣- إننا بحاجة إلى تشريع ينظم العمل النقابي العمالي ويبيده عن أجواء المشاحنات والتسييس ومحاولات استغلال النقابات العمالية لأطراف سياسية هنا أو هناك.

٤- ضرورة تحويل الأجور اليومية والعقود إلى ملاكات دائمة ليشعر العمال بضمان لحقوقهم ومستقبلهم ومستقبل عوائلهم.

- ٥- ضرورة شمول العمال بالضمان الصحي والاجتماعي .
- ٦- نطالب بعودة المعامل إلى العمل وفق التقنيات الحديثة التي ستساعد على تطوير الواقع الصناعي في العراق .
- ٧- ضرورة حماية المنتج الوطني من إغراق السوق بالسلع المستوردة مما يؤثر كثيرا في منتجاتنا الوطنية .
- ٨- دعم نهوض القطاع الصناعي والإنتاجي في العراق عبر تشريعات وتقنيات وإجراءات حكومية ملائمة .
- ٩- إعادة تفعيل المصرف الصناعي الذي يمكن أصحاب المعامل من الحصول على القروض الميسرة لتطوير معاملهم أو إنشاء معامل جديدة .

اجتماع الأدباء العرب في بغداد

شعرنا بسعادة كبيرة لقرار الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء العرب ، بعقد اجتماعهم القادم في بغداد بعد قطيعة استمرت لسنوات طويلة ، وإن ذلك يكشف عن واقع جديد يعيشه الظرف الثقافي والإبداعي في العراق في ظل التطورات التي يشهدها . إنها فرصة مهمة لعودة العراق إلى الساحة الثقافية والإبداع الأدبي العربي بشكل واسع ، ونتمنى من اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين أن يستثمروا هذه الفرصة بما نعرفه عنهم من مهنية وكفاءة كي يتألقوا ويستثمروا هذا الحدث لدور أكبر تشهده الساحة الثقافية العراقية ، وتأثير أوسع في الساحة الثقافية العربية . كما أننا ندعم الاتحادات والنقابات العراقية في تنشيط دورها العربي والإقليمي والدولي ، ونتمنى أن تحمل هذه النقابات والاتحادات رسالة العراق إلى العالم أجمع .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٥/٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم في هذا المجلس الكريم ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ غُيُوبًا ، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ .))^(٣٩)

في هذا المقطع من حديث أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يمكن أن نقف على مجموعة من الإضاعات

الإضاعة الأولى : رفض تعقب عشرات الناس ومناقصهم ، فلا يجوز البحث عن ثغرات وعيوب الناس ، وعلى المسؤول ، مديرا كان أو وزيرا أو أميرا أو مسؤول قسم أو رئيس شركة أو رئيس مصنع أو مدير منظمة مجتمع مدني ، أو أي

شيء آخر، أي مسؤول، عليه ألا يلاحق الناس ويبحث عن عثرتهم، فهذا ليس من عمله.

الإضاءة الثانية: ضرورة ستر العيوب اذا اطلع عليها بشكل خاص، وليس إذا شاعت، لأنها إذا شاعت فهناك بحث آخر، لكنك اطلعت عليها لأنك مسؤول وجاءتك التقارير والوشايات، فالأخبار هي التي تأتي إليك؛ فالمسؤول من حيث لا يريد تأتية الأخبار، فاستر فإن الله يحب الساترين ولا تعبت في الجراح، فالجرح عندما تعبت فيه يكبر ويتحول إلى مشكلة كبيرة.

الإضاءة الثالثة: ضرورة إصلاح ما ظهر من الأخطاء والعيوب، فإذا ظهر وانكشف يجب عليك أن تطهره وتعالجه، ليقى المجتمع يتحسس من الأخطاء والرذيلة والسلوك الخاطئ، فمن أخطر الأشياء أن يعتاد المجتمع على الخطأ، فلا تتحسس الناس تجاهه، ولا يهمهم الحرام والعيوب ويضعونها تحت تسميات مثل الحرية، وتحت لافتة الحرية تضيع القيم والمبادئ، فلا حلال ولا حرام، فالمجتمع الذي ينكشف ظهره لا توجد له محددات ولا كوابح مثل سيارة تسير في منعطف خطير بلا كوابح، والنتيجة أنها تأخذك إلى الهلاك.

حصانة المجتمع

إذن، المجتمع الذي ليس له كوابح، وليس له مصدات وفلترات، وليس له حصانات، هذا مجتمع خطير وسيذهب إلى الهاوية. اليوم هناك مجتمعات صناعية ودول كبرى يحتل اقتصادها المرتبة الأولى في العالم ولا أحد ينافسها، لكن لا حظوا التفكك الأسري فيها، ونسب الطلاق والجريمة والرذيلة وتعاطي الكحول والمواد المخدرة . . . إلى آخره، ومؤشرات الرحمة والشفقة والإنسانية تجدها منخفضة والمؤشرات السلبية مرتفعة، وأصبح الزواج في مثل هذه المجتمعات حالة إضافية، إذ يعيش معها عشرين سنة، تحت مسمى الصداقة، والأولاد لمن؟، وأين السياقات؟، وتجد مثل هذه الحالات تظهر في المسلسلات الأجنبية والتركية، ويمكن أن يراها الإنسان غير المحصن وتصبح لديه الحالة طبيعية في دولة إسلامية.

كنت أقرأ في إحدى الصحف قبل يومين أو ثلاثة، أن هناك رجلاً تزوج بنت أخيه؛ كيف هذا وأنتم دولة إسلامية؟، أين وصلنا وأين نذهب؟، لا تستبعدوا

أن يذهب المجتمع الذي ليس له حصانات إلى الهاوية، لذلك، فإن الخطأ إذا شاع فعليك أن تعالجه أيها المسؤول وتتخذ موقفاً تجاهه، لتبقى حرمة للمعصية، فيمكن أن يخطئ بعض الناس، لكن في الخفاء، وتبقى للخطأ حرمة، ويمكن أن يدخل الشاب، لكن ليس أمام الكبير، وأبوه يعلم لكن لا يمكن أن يدخل الشاب أمام والده.

حدود المسؤولية

ليس من مهام المسؤول أن يتجسس على الناس وليس من واجبه، بل لا يجوز له ذلك، لكن مشكلة المسؤول أنه أحياناً يتقمص ثوب الإلوهية، فيكون بدل الله والعياذ بالله، فالله سبحانه وتعالى هو العالم بكل شيء؛ بالنوايا والخبيا والأسرار، لماذا يا مسؤول تتقمص ثوب رب العالمين، وتريد أن تعرف كل شيء؟، من قال إن هذا يجوز لك؟.

لاحظوا الخطبة الـ ٨٦ لعلّي عَلَيْهِ السَّلَامُ من نهج البلاغة في صفات الله وسماته سبحانه وتعالى: «قد علم السرائر»، أي أن الله يعلم ما يخفى، «وخبير الضمائر»، أي أن الله سبحانه وتعالى يعلم ماذا يدور في ضمير الإنسان، فالله هو المحيط بكل شيء، والعالم بكل شيء، وله الغلبة على كل شيء، والقوة والقدرة على كل شيء، هذا عمل رب العالمين، لكنك يا مسؤول تقوم بعمل رب العالمين، فمن أعطاك هذا التخويل؟، أنت مسؤول وليس أكثر من هذا، ولا يجوز لك أن تبحث عن عثرات الناس وعيوبهم.

الإضاءة الرابعة: الآثار الوضعية للكشف عن نواقص الناس وأخطائهم وعثراتهم، إذ يوجد أثر وضعي، فإن الله يبتليك بنفس الابتلاء، وكلما كان الإنسان أقدر بإمكاناته وقدراته تكون قدرته على المعصية والعياذ بالله أكبر، فالإنسان البسيط يخاف، أما المسؤول فإن الناس تصفق له مهما كان الخطأ الذي يرتكبه، وقد يتهامسون بينهم لكنهم لا يتجرؤون على أن يقولوا هذا في وجهه، أي تكون جرأته على المعصية أكبر. وهناك من ليس معه نقود وليس له القدرة على المعصية، أما عندما تصبح لديه ملايين فتصبح القدرة على المعصية أكبر.

كما تدين تدان

أنت يا مسؤول، لأنك مسؤول فإن احتمال وقوعك في الخطأ والمعصية والفضيحة أكبر من الآخر، وحين تكشف وتفضح الناس وتفتح الملفات فستدور الدائرة وتُفتح ملفاتك وتُفضح أسرارك، وإذا فتحت ملفات الناس البسطاء العاديين، ربما يدخل أحدهم السجن شهرين أو ثلاثة، أو يخرج خبر في موقع إلكتروني أو أي فضائية، أما أنت يا مسؤول ففضائحك تسجل في التاريخ وتدخل في وثائق «ويك ليكس» حتى لو بعد مئتي سنة تُذكر وتعاد.

ادخلوا الآن على كثير من المواقع، مثل اليوتيوب، واكتبوا اسم أي قيادي وأي زعيم، وستخرج لكم أسماء الكل، وما فعلوه وما لم يفعلوه وكل تاريخهم، فيا مسؤول، إذا أردت أن تحفظ أسرارك حافظ على أسرار الناس، وإذا أردت ألا تظهر فضائحك للآخرين فلا تظهر فضائح الآخرين، كما تدين تدان، ومن حفر بئرا لأخيه وقع فيها، هذه سنة الحياة، وهذا هو الدرس البليغ للإمام علي عليه السلام، «فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعبتك»، الشيء الذي ترغب في أن تخفيه عن الناس، استر عورات الناس لكي يستر الله سبحانه وتعالى عورتك.

لذلك فإن حالة الآثار الوضعية للمعصية وكشف الأسرار وكشف المعائب يجب أن يلتفت لها من يتصدى لمواقع المسؤولية، والإنسان ليس خاليا من الأخطاء، فكل بني آدم خطأؤون، وستخرج هذه الأمور مهما حاول الإنسان ضبطها، لكن الله سبحانه وتعالى يسهل بروزها وظهورها.

العاقل من شغله إصلاح عيبه

يقول علي عليه السلام في هذا الأمر، في غرر الحكم في الجزء السادس صفحة ٢٩٢: «لا تتبع عيوب الناس فإن لك من عيوبك إن عقلت ما يشغلك عن أن تعيب أحدا»، أي إذا كانت لديك القدرة على أن تفكر وتوظف عقلك، فسوف تعرف أن الانشغال بعيبك يشغلك عن عيب الناس، اهتم بنفسك وبأخطائك وراجع حساباتك وانظر ماذا عملت وماذا قلت لكي تعالج هذه الأخطاء، أفضل من أن تبحث عن زلات وأخطاء الآخرين.

في رواية أخرى عن علي عليه السلام: «من أبصر عيب نفسه لم يعب أحدا»،

أي أن الذي يرى عيوب نفسه لا يعيب الآخرين، وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وسلم: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»، هنيئاً لمن ينشغل بعيوبه
ونواقصه ولا ينشغل في البحث عن عيوب الناس، وهذا أيضاً درس كبير وعظيم.
الإضاعة الخامسة: سعة الصدر. نستفيد من هذه العبارات أن على المسؤول
أن تكون لديه سعة الصدر. يجب عليك أيها المسؤول، أن يكون لديك التسامح
والصفح، ويجب أن تكون حليماً إذا أردت أن تنجح، فالحلم مسألة ضرورية
ومهمة. يا مسؤول، إذا أردت أن تنجح لا يمكن أن تكون حقوداً ولا يمكن أن
تكون شامتاً.

صفات القيادي الناجح

عندما تصبح مسؤولاً وتحمل هذه الأمانة، يجب أن تفتح صفحة جديدة مع
الناس، والذي ينقل لك الخبر توقفه عند حده، وترجره عن إزعاجك ودفعك إلى
اتخاذ مواقف سلبية تجاه الآخرين، عندما توقفه مرتين، فلن يتكلم أحد بعدها
وتقضي على كل هذه الأمور وتشيع روح المحبة في المساحة التي أنت مسؤول
عنها، وتعزز الثقة وتطيب الخواطر وتهدي النفوس، وعندما تضع رأسك على
الوسادة ليلاً تنام وأنت هانئ البال، ولا تبقى هذه الأخبار والمعلومات تشغلك
وتدور في رأسك.

النظرة الضيقة لا تساعد على نجاح المهمة القيادية، ومن يكون في مواقع
التصدي يجب أن تكون نظرتة واسعة وقلبه كبيراً وصدرة رحباً لكي يستطيع أن
يتحمل كل هذه الأمور ولا يعيش الحقد والكراهية، الله سبحانه وتعالى حينما يريد
أن يمدح رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويظهر فضله بما تفضل عليه؛ ما هي
المنة لأفضل وأكمل إنسان يريد الله أن يذكره بها؟، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ
نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٤٠)، ألم نعطك سعة الصدر، الصدر الرحب، هذه مكرمة
الله سبحانه وتعالى لأعظم إنسان، أن أعطاء سعة الصدر وانسراح الصدر والنظرة
الواسعة.

كان قوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤذونه ويسبونون إليه ويسبونونه ويهتكونه ولا
يتورعون عن أي شيء، وهو رسول من عند رب العالمين، يكفي أن يرفع يديه

٤٠ . سورة الشرح: الآية ١

ويدعو عليهم، ودعاؤه مستجاب، حتى ينزل العذاب عليهم، لكن الرسول كان يرفع يديه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فهم لا يعلمون»^(٤١)، لا تحاسبهم لأنهم لا يعلمون ولا يفقهون، هكذا هي سمات القيادة، أن يكون الإنسان كبيرا.

سئل أمير المؤمنين عن رسول الله، فقال في وصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كان أوسع الناس صدرا»، إذن، أكبر الناس مسؤولية أوسع الناس صدرا، أي كلما كبرت مسؤوليتك يجب أن تكون سعة صدرك أكبر.

استر يستر الله عليك

يروى الإمام الحسين سلام الله عليه عن أمير المؤمنين في وصف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ترك الناس من ثلاث» رسول الله كان لا يعمل ثلاثا، «كان لا يذم أحدا». كما في العامية «ينق»، لأن تكرار النصح يجعل الناس تمل حتى وإن كان هذا صحيحا، أي أنه إذا كان يريد أن ينصح أحدا فلا يجرحه، فمرة ينصحه مباشرة ومرة أخرى بالكناية ومرة بالإشارة عن طريق شخص، أي بوسيط، وهكذا، من دون أن يجرحه، هذه كانت سمة رسول الله؛ أنه لا يذم أحدا، «ولا يعيره»، ولا يذكره بشيء مضى يكرهه الإنسان، «ولا يطلب عثرته»، كان رسول الله لا يسمح لأحد بأن يتكلم في الناس، إذ كان يقول: «استروا ما ستره الله»، اسكتوا عما سكت الله عنه، لكي تبقى الأخوة والتسامح والمودة، النصف الممتلئ من الكأس.

وهذه حقيقة ودرس بليغ في الحياة أن ترى النصف الممتلئ وليس النصف الخالي، وهو نفس الكأس، وأنت كما تشاء؛ إذا كنت ترى النصف الممتلئ فقل إنه ممتلئ، وإن كنت ترى النصف الفارغ فقل إنه فارغ، فالحقيقة واحدة، وأنت وما ترى. يجب أن نكون إيجابيين في الحياة وننظر إلى الإيجابيات ونبني عليها، والسلبيات نغض النظر عنها، كل هذه الأشياء تعطي لحمة للمجتمع وتجعلنا أكثر تماسكا.

هذه دروس الحياة والتصدي من الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهو ينقل القراءة الصحيحة لرسالة الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين.

اشتداد الأزمة السياسية

إن العراق يمر اليوم بأزمة خانقة، وكنا قد حذرنا في مرات عدة من تحول الأزمات السياسية إلى عقدة سياسية، إذا لم تعالج ولم نضع الحلول المناسبة لها، وعلى الجميع أن يفهم أن سياسة كسر الآخر لا يمكن أن تجدي نفعاً ولا يمكن أن تنفع أياً من الأطراف من دون استثناء، ولا خيار أمامنا لحسم الأمور إلا بالعودة إلى الحوار وطاولة الحوار والنقاش الصريح والجاد في المشاكل والهواجس وفي المخاوف وفي الحلول والمعالجات المرجوة والمطلوبة لحل هذه الإشكالات، فنحن نعمل في وطن واحد وننتمي إلى وطن واحد وإلى شعب واحد، ولتعلم القوى الوطنية أنها لا تمثل نفسها وزعماءها فحسب، وإنما تمثل جمهورها وشعبها، ولا بد لها حين تتخذ القرارات المصيرية من أن تنظر إلى هذا الشعب وتبعث فيه الأمل وتعزز فيه الاطمئنان وتشعره بالأمان، فإن أي موقف يتخذه طرف من الأطراف لا يساعد على تعزيز الأمان والاطمئنان لدى الشارع، لا بد من إعادة النظر فيه والتأكد من صحة مثل هذه المواقف.

وكان الأجدر بنا ألا نجعل صورة الخلاف المحتدم هي الصورة الماثلة أمامنا، ليجد الشارع العراقي أن قياداته يتابعون المشهد بكثير من التوتر، ويطلقون التصريحات الشديدة لكسر بعضهم البعض الآخر، ويتبادلون الاتهامات مما يشعره بكثير من القلق. إن الوضع العراقي الذي نعيشه اليوم يشهد حالة من التفكك وحالة من التراجع في واقعه السياسي، وبدأ يتخذ منحنيات خطيرة، والوضع الإقليمي يعيش حالة مأزومة ومتوترة ومفتوح على كل الخيارات، وفي ظل هذه الظروف فإن الأجدر بنا جميعاً أن نعود إلى طاولة الحوار وإلى التهدئة وإلى الحلول الواقعية التي تضمن مصالح الجميع وتطمئن الجميع، ومن غير المقبول أن تكون الخيارات حادة وحديّة، لأن الكسر لا يستطيع أن يعالج مثل هذه الإشكالات التي نعيشها اليوم. وإذا كان الجميع يدعو إلى الإصلاح، فما هو السبب الحقيقي الذي يمنع الجميع من أن يجلسوا على طاولة الحوار، وأن يضعوا كل مخاوفهم وكل مطالبهم على الطاولة ليعالجوها ويناقشوها ويصلوا إلى حلول واقعية تجاهها؟.

تنازلات متبادلة

إننا بحاجة إلى النوايا الصادقة والإرادة الجادة من جميع الأطراف ، وألا نتحدث بلغة السياسة والسياسيين ، وإنما نتحدث بلغة الوطن والوطنية التي تمكّنا من تجاوز هذه الإشكالات ومن المضي قدما بما يخدم أبناء شعبنا . إن ذلك يتطلب التعامل بمرونة من جميع الأطراف من دون استثناء لنزع فتيل الأزمة المفخخة القائمة اليوم وإبطال مفعولها ، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى الحوار عبر اللقاء الوطني المرتقب لنجلس ونطرح هذه المواضيع ، ونعالجها حتى نحقق الاطمئنان لأبناء شعبنا ، وحتى ندفع بواقعنا السياسي إلى الأمام خطوات كبيرة .

إننا بحاجة إلى تنازلات متبادلة يقدمها الجميع حتى نمسك العصا من الوسط ونأخذ بالعراق إلى بر الأمان . . إن العراق يستحق منا أن نبدي المرونة لحل المشاكل حتى تبحر سفينته بسلام ، والشعب العراقي الذي عبر عن أعلى مستويات الوفاء والتقدير لقياداته وقواه الوطنية في الشدائد والمحن يستحق أن يرى في القوى السياسية والقيادات المتصدية ، المرونة المتبادلة في القضايا التي تثير مخاوفه .

إن بقاء الأطراف متمسكة برؤيتها وكل يتمترس في موقف وفي رؤية معينة . . فهذا يقول أريد كذا وذاك يقول أريد كذا ، لا يمكن أن يمثل حلا للمشاكل التي نجدها اليوم ، ولن نحصد من هذا التشدد إلا المزيد من التفكك والظنون السوداء وتعطل البلد ومصالح المواطنين بشكل عام ، ولذلك فإننا نشعر بأسف كبير وقلق شديد لما يحدث ولما نسمعه من تصريحات وصلت إلى درجة الحرب الكلامية بين قوى سياسية تتحرك في الساحة ، وما دامت المشاكل والمؤاخذات المتبادلة واضحة ومعروفة للجميع ، وكلما جلسنا مع طرف سرد قائمة طويلة من ملاحظاته على الطرف الآخر ، فإذا كانت المؤاخذات معروفة والمشاكل محددة ، فلماذا لا نجلس ونناقش هذه المشاكل ؟ ونضع الحلول والمعالجات المطمئنة للجميع ، التي تعود بنا إلى الوئام ورأب الصدع والمحبة والفريق الواحد لخدمة الوطن والمواطن ؟ . إن عدم الواقعية في حل المشاكل ، وبقاءنا ندور حول المشاكل دون الذهاب إلى حلولها ومعالجاتها ، سيعمقان من هذه المشاكل ، ويوسعان من حلقاتها ، ولن يستفيد أحد من هذه الحالة .

الحفاظ على صفو العلاقة العربية- الكردية

إن العلاقة العربية الكردية علاقة إستراتيجية وتاريخية، وهي ليست قضية فرضناها على الواقع وإنما هي نتاج طبيعي لوحدة المصير ووحدة النضال والتأريخ المشترك الكبير بين العرب والكرد في هذا البلد الكريم. وأن أيّ إخلال بهذه العلاقة العربية الكردية، إنما هو إخلال بوجود العراق الواحد دولة ووطننا وأمة، ولا بد من أن نكون حريصين في الحفاظ عليها، إننا نشدد على عدم تحويل الصراع السياسي إلى صراع ذي أبعاد قومية أو مذهبية، وضرورة إبقائه ضمن دائرته، لأن الصراع السياسي يمكن أن يعالج ولكننا إذا ذهبنا إلى صراعات قومية أو مذهبية فسوف تتعقد الأمور كثيرا، وسوف تصبح الحلول والمعالجات أصعب بكثير.

إننا ندعو إلى عدم المخاطرة بهذه العلاقة التاريخية، عبر التباري بالتصريحات المتشنجة والتراشقات الإعلامية وكسر الآخر هنا وهناك، فإن هذه العلاقة هي ليست ملكا للسياسيين، وإنما هي علاقة يمتلكها الشعب العراقي بعربه وكرده، وهي علاقة أسسها الزعماء الكبار خلال العقود الطويلة من الزمن والعمل المشترك والجهد الكبير الذي بذله العرب والكرد، وتوثقت هذه العلاقة بفعل الدماء الطاهرة التي أريققت من أجل تعزيز الحرية والعزة والكرامة لأبناء شعبنا العراقي في كل مواقعهم. ولذلك نتمنى إبعاد السياسة والمواقف السياسية عن هذه العلاقة بين العرب والكرد، وكذلك بين سائر المكونات الأخرى، لأن الحفاظ على صفو العلاقة بين المكونات والقوميات والمذاهب والديانات هو الذي سوف يحفظ العراق ويوحده، وسيجعلنا قادرين على تجاوز كل الإشكالات القائمة.

لا يمكننا أن نتناسى المقابر الجماعية التي دُفن فيها أبناء شعبنا من العرب والكرد في مقابر موحدة، ولا يمكننا أن نتناسى أشلاء شهدائنا الذين تشابكت وتقيدت أيديهم من قبل سجان واحد، حينما زجّوا في الزنازين وقتلوا عبر المقابر الجماعية وحلبجة والأنفال وغيرها. . لا يمكننا أن نتجاوز كل ذلك التأريخ الحافل والمليء بالمواقف المشتركة والظلمات المشتركة والتحديات المشتركة والإنجازات المشتركة الكبيرة، فإن دماء الشباب العربي امتزجت بدماء الشباب الكردي فوق جبال كردستان، وهم ينشدون نشيد الحرية ويقارعون أعتى

ديكتاتوريات القرن الماضي ، التي تمثلت بالنظام الصدامي الذي استهدفنا عربا وكردا وتركمانا بكل توجهاتنا وبكل مواقعنا .

يجب ألا تفرقنا السياسة

إننا كنا رفاق الأمس في المحنة الكبيرة وفي مواجهة الديكتاتورية ، وسنبقى رفاقا وسنبقى متعاونين وسنبقى متحالفين مهما كانت الظروف . ولا بد لنا من أن نضع حدا لمثل هذه الإشكالات والمؤاخذات المتبادلة حتى نعود إلى لحمتنا المنشودة والمعهودة ، نحن الذين وقفنا في أيام النضال وعشنا أعلى مستويات التعاون والوحدة ، هل يمكن أن تفرقنا السياسة؟! لا يمكن أن نسمح بذلك ، وسوف نبقى نصون العلاقة العربية الكردية التركمانية والعلاقة الشيعية السنية والعلاقة الإسلامية المسيحية الصابئية الإيزيدية . . وغيرها . سنقف ونصون كل القوميات وكل الطوائف وكل الديانات في هذا البلد الكريم ، حتى نكون عصابة واحدة ولحمة واحدة نقف وندافع عن قضايانا المشتركة . إن على الجميع أن يغادر منطقة الاختلاف ويعود إلى منطقة الحوار والتفاهم والتعامل بين هذه الأطراف ، ومن خلال هذا الحوار والتفاهم سنستطيع بإذن الله تعالى تعزيز وحدتنا ولحمتنا والحفاظ على كل المنجزات والمكتسبات التي حققناها معنا ، والحفاظ على المصالح الوطنية الكبرى ، فحذار من أن نخدش هذه العلاقات والبنائات التاريخية والمهمة .

اللامركزية الإدارية وتوزيع الصلاحيات

قلنا مرارا إن اللامركزية الإدارية ليست دعوة إلى التفكيك والتقسيم ، وإنما هي دعوة إلى وحدة البلد . من يريد الوحدة الحقيقية عليه أن يذهب إلى اللامركزية الإدارية ويمنح الصلاحيات الواسعة للمحافظات والحكومات المحلية للمحافظات ، لأن هذه الحكومات المحلية قادرة على أن تنهض بالمشاكل الكبيرة التي تعاني منها مناطقنا وأبناء شعبنا والمواطنون في هذه المحافظات ، وستقلل من الضغوط على الحكومة الاتحادية وتجنبها تبعات التلكؤ والفشل في تنفيذ المشاريع ، لتبقى الحكومة الاتحادية في المركز بمنأى عن الصراعات وعن الإخفاقات المحلية مما يعزز دورها المرجعي والمحوري ويقوّي من دورها في توحيد البلد ، ومن هيبته لدى كافة المحافظات . فحينما تكون الحكومة الاتحادية في المركز طرفا

في هذه المشاكل ستفقد هذه الفرصة، ولكن حينما تبقى راعية للمحافظات، وكلما حصل الاختلاف في المحافظات والحكومات المحلية رجعوا إلى الحكومة المركزية ليتحاكموا عندها ويشتكوا لديها ويطلبوا الحلول منها، فحين ذاك سيتعزز دور الحكومة الاتحادية ويقوى وتأخذ الحكومات المحلية دورها وفرصتها في خدمة الناس وفي حل مشاكلهم.

إن اللامركزية الإدارية ستساعد على تقليل الحساسيات تجاه السياسات المتخذة من الحكومة الاتحادية في المركز، ولا سيما تلك الانتقادات ذات الصلة بمشاكل الناس وخدماتهم وهمومهم اليومية، فكل يوم نسمع الكثير من الشكاوى عن تعطل في مشاريع أو تلكؤ في أخرى، ويقال إن هذه المشاريع إنما تعاقدت معها وزارات اتحادية وليس للحكومة المحلية أية سلطة عليها، أو على هؤلاء المقاولين المعنيين بتنفيذ هذه المشاريع. فلماذا تدخل الحكومة الاتحادية وتصبح طرفاً في مثل هذه المناوشات وهذه الاتهامات؟

إن من الأفضل أن تبقى راعية لكل العراقيين وتعطي الفرصة للحكومات المحلية في أن تنهض بمثل هذه المهام الكبيرة، إننا نشدد على ضرورة منح الصلاحيات الواسعة لمجالس المحافظات وللحكومات المحلية، كما أقرها الدستور من دون نقيصة، مما سيساعد على تعبئة الطاقات وتفجير القدرات الكبيرة والهائلة، وإعطاء الفرصة للعقول العراقية المنتشرة في كل هذه المحافظات في أن تعمل وتقدم وتتنافس بما يحقق خدمة الوطن والمواطن.

فيما أننا نرى أن العديد من الوزارات الخدمية في المركز أصبحت كبيرة ومترهلة وتعاني من الروتين والبيروقراطية الإدارية والمحسوبيات والمنسوبيات والفساد في العقود، كما يكثر الحديث عنه من السادة النواب وفي وسائل الإعلام، وأصبحت بعض هذه الوزارات تفتقر إلى الكفاءات النوعية وإلى القدرات والطاقات التي تمكّنها من تحقيق المشاريع الكبيرة المرجوة منها، فبدأت تتلأأ في تقديم الخدمة للمحافظات والإيفاء بالتزاماتها تجاه المحافظات العراقية، فلماذا كل هذه الدائرة المليئة بالمشاكل والانتقادات، ولماذا لا نسمح لمجالس المحافظات بأن تتحرك وتبني وتتنافس بينها، والحكومة في المركز ترصد وتقيم وتتأكد من صحة الأداء والمسارات؟

لقد أصبح اليوم من الصعوبة بمكان على المواطن أن ينجز معاملة في مثل

هذه الوزارات ، فإن المواطن العراقي هو الذي يدفع الضريبة بالدرجة الأساسية حينما يريد أن ينجز معاملة إدارية أو يحل مشكلة من مشاكله ، ويضطر لأن يقضي وقتا طويلا في أروقة الوزارات ويأخذ هذا وذاك ويرمي به إلى الآخرين ، ويبقى يصرف الوقت والجهد من دون أن تُعالج مشاكله . فلماذا يُطلب من أبناء محافظاتنا العراقية المختلفة أن يأتوا إلى بغداد ويذهبوا إلى الوزارات حتى يعالجوا مشاكلهم؟ ولماذا لا نعطي هذه الصلاحية للحكومات المحلية في أن تحل مشاكل الناس وهم في أماكن سكناتهم؟ . هذه قضية أساسية يجب أن نعرفها ، كما أن الحكومات المحلية هي الأخرى من يدفع الثمن نتيجة هذه السياسات حينما تتلصق المشاريع ، وحينما تقف أمام الشارع العراقي وأمام المواطنين وتُعاتب لعدم إنجاز المشاريع ، والكثير من هذه المشاريع خارجة عن اختصاصاتها .

إن اللامركزية الإدارية هي الخيار الناجح لحل الكثير من المشاكل التي نواجهها اليوم في البلاد ، وعلى رأسها مشاكل الفساد والبيروقراطية والتخلف الإداري والبطالة المقنعة التي نجدها متفشية ومنتشرة في العديد من وزاراتنا ، إن اللامركزية ليست خيارا نقبله أو نرفضه وإنما هي حقيقة دستورية وحل وحيد لإحداث نهضة تنموية شاملة وكبيرة في البلاد لدفع العراق إلى الأمام ، ولخدمة الوطن والمواطن ، وستثبت الأيام صحة هذه الرؤية التي طالما تحدثنا بها وذكرنا بها ونوهنا بالمواد الدستورية التي تؤكد على هذه الحقيقة . ولكننا في الوقت نفسه نؤكد على ضرورة احترام الصلاحيات الكاملة للحكومة الاتحادية ، حتى تكون قوية وقادرة على الحفاظ على وحدة البلد وهذا لا يتقاطع مع اللامركزية الإدارية .

البعثات والزمالات الدراسية

خصص مجلس النواب العراقي في موازنة هذا العام مبلغ ٤٨٠ مليار دينار لإرسال وإيفاد ١٠ آلاف من شبابنا وشاباتنا ، في بعثات دراسية لجامعات مرموقة في العالم ، ليدرسوا ويتعلموا . وكان لوزارة التعليم العالي دور مهم في إقناع مجلس النواب بهذا المسار ، إننا نشكر ونشتم لمجلس النواب ولوزارة التعليم العالي هذا الجهد الكريم وهذا التخصيص الكبير لإيفاد ١٠ آلاف شاب وشابة من العراقيين ليتعلموا في أرقى الجامعات العالمية في عام واحد ، وهو يمثل خمسة أضعاف ما رصد في العام السابق ٢٠١١ ، هذه خطوة مهمة إلى الأمام وهي خطوة

في الاتجاه الصحيح ، إن بناء الإنسان وتطوير الطاقات والقدرات والكفاءات هي الطريقة الوحيدة لأن نتطلع إلى مستقبل مشرق لأبناء شعبنا ، ونطلق فيه على ضوء التقنيات الحديثة والتطور العلمي الكبير الذي يشهده العالم اليوم .

علينا أن نأخذ هذه التجارب العالمية ونتعرف عليها ، وليس عيباً أن نتعرف على ما يقوم به الآخرون ، وعلينا أن نبدأ من حيث ما انتهى الآخرون ، فلا بد من أن نرسل عقولنا وطاقاتنا الشبابية لتتعرف على آخر التطورات العلمية ولاسيما بعد العزلة الطويلة العلمية التي فرضت على العراق منذ مطلع الثمانينيات وإلى ما بعد ٢٠٠٣ ، حينما احتكر النظام البائد البعثات الدراسية لمجموعات ترتبط بالحزب الحاكم ، ومنع الآخرين من الاستفادة من هذه البعثات . ولكننا اليوم أمام فرصة حقيقية في دفع العقول والطاقات الشبابية للاستفادة من مثل هذه الفرص الكبيرة ، للمساهمة في إعادة إعمار العراق وازدهاره .

إن مثل هذه الخطوة رسالة كبيرة لجميع الشباب العراقيين على أن يتنافسوا ويسعوا ليكونوا ضمن من يأخذ هذه الفرصة ويذهب ويدرس في أهم الجامعات العالمية ، ليعود المتخرج إلى العراق بعلمه وخبرته وتجاربه الكبيرة ليقدمها لأبناء شعبه ، ولكن وزارة التعليم العالي اليوم أمام مسؤولية كبيرة وأمام تحد كبير ؛ كيف ستستطيع وضع وسائل شفافة وعادلة تضمن الفرص الحقيقية للطاقات والكفاءات العراقية؟ ، لكي لا يتصور أي من الشباب أنه كان يمتلك الكفاءة والقدرة ولكنه حُرم من هذه الفرصة ، ليكون ضمن المبعوثين لهذه البعثات .

يجب أن تكون هناك آليات شفافة وواضحة ، وأن تُعطى الفرصة للكفاءات وألا يميز أحد على آخر على خلفية سياسية ، وألا يسيس ملف البعثات والزمالات الدراسية إلى الخارج . وبذلك نظهر صدقية مشروعنا أمام الآخرين ونحقق العدالة الحقيقية حينما نرسل الأكفأ ، كما لا بد من مراعاة العدالة في توزيع هذه البعثات بين المحافظات العراقية حسب الكثافة السكانية ، لكي لا نجد محافظة محرومة وأخرى متخمة ، نريد عدالة حقيقية حتى تتوزع هذه الفرص بين جميع المحافظات ، وكل أبناء شعبنا وشبابنا يكون لهم الفرصة في أن يستفيدوا من مثل هذا الأمر .

خروج الجيش من المدن

أعلن بدء انسحاب قطعات من الجيش العراقي المتواجدة داخل العاصمة بغداد إلى أطرافها بأمر من القيادة العامة للقوات المسلحة، لتحل محلها قوات من الشرطة العراقية. إنها خطوة صحيحة وتصيب في الاتجاه الصحيح، فالجيش لا بد من أن يعود إلى الثكنات لينشغل بالتدريب والتطوير والبناء الداخلي والاستعداد إذا ما احتجنا إليه في يوم من الأيام، للدفاع بوجه خطر أو عدو خارجي يستهدف البلاد لا سمح الله، أو تطورت الأحداث الداخلية لا قدر الله في مكان ما مما يتطلب تدخل الجيش للحل من دون أن يكون طرفاً في الضغط على المواطنين، فما هو مألوف في كل العالم أن جهاز الشرطة هو من يوفر الأمن داخل المدن، والجيش يتواجد في الثكنات ويستعد لدرء الأخطار ومواجهة الاعتداء من الخارج لو حصل في يوم من الأيام، ونسأل الله أن يقينا مثل هذه الأخطار.

إننا نثمن الجهد الكبير الذي بذله أبناء الجيش العراقي الباسل خلال السنوات الماضية، بوقفهم ومواجهتهم للإرهاب ونصرتهم لأبناء شعبهم والمساهمة الجادة في إحلال الأمن. ونتمنى لهم في المهمة الجديدة أن يبذلوا جهودهم في التطوير والإعداد والبناء، ليكونوا على أهبة الاستعداد في الدفاع عن العراق إذا ما تطلب الأمر، وكلنا أمل في أن الشرطة العراقية اليوم تتألق وتعبّر عن قدراتها وطاقاتها الكبيرة في إحلال الأمن، وفي تعزيز الاستقرار والدفاع عن المواطنين وعن أمنهم وممتلكاتهم وأرواحهم. وفي الواقع الجديد، فإن تخفيف السيطرة وفتح الطرقات وإزالة الحواجز الكونكريتية غير الضرورية، كل ذلك يمثل رسائل طيبة لأبناء العاصمة الحبيبة بغداد، ونتمنى أن تستمر هذه السياسات لتعم جميع المحافظات العراقية الكريمة.

تأجيل مشروع النجف عاصمة للثقافة الإسلامية

أعلن تأجيل مشروع النجف عاصمة للثقافة الإسلامية في هذا العام كما كان مقرراً، إلى العام ٢٠٢٠، إنه خبر مؤسف، وكانت فرصة مهمة للتعريف بواقع النجف وتاريخها وحضارتها وإنجازاتها وإسهاماتها الفكرية في خدمة الإنسان، وفي خدمة واقعنا الإسلامي على مدار مئات السنين بل آلاف السنين، كانت فرصة للتعريف بعلماء النجف وكبرائها والتعريف بالفكر العميق الذي انطلق من النجف، ليشمل مناطق واسعة من العالم، وبالرغم من التخصيصات الكبيرة

التي خُصصت لتكون النجف بالحلة الملائمة كعاصمة للثقافة الإسلامية ، إلا أن الإجراءات يبدو أنها لم تُستكمل ولم تتهيأ لتكون النجف قادرة على استضافة هذا الحدث الكبير . إننا نأسف كثيرا على هذا الأمر ونتمنى أن تدرس الأسباب التي تحرم العراق ومناطق العراق من أن تتألق وتعرّف بنفسها وتاريخها وحضارتها إلى العالم بأسره .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ١٦/٥/٢٠١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ))^(٤٢)

المستشارون وأحقادهم

مازلنا في الحديث عن المستشارين كما يشير أمير المؤمنين في هذه العبارة العميقة، «أطلق عن الناس عقدة كل حقد»، أطلق هذه العقدة أي احلل هذه العقدة، عقدة الحقد، يا مسؤول عليك أن تحلها وتفتحها، لا تستطيع أن تحكم وتدير وتقود في منظومة مكرسة ومشبعة بالأحقاد، بالكراهية وبالقلوب المظلمة والسوداء، لا تستطيع أبداً، هذه عقدة الحقد افتحها، ولا تضع معك أناساً يزرعون الكراهية والحقد تجاه الآخرين في نفسك وقلبك، «واقطع عنك سبب كل وتر»، كل ما يكون سبباً ومنشأً ودافعاً للعداوة والبغضاء، حاول أن تقلعه، ابحث عن الأسباب وضع الحلول والمعالجات المناسبة لكي لا تبقى هذه العداوات

والخصومات، كي تنجح وتدير، وتستطيع أن تقود المجموعة التي أنت مسؤول عنها، مسألة الحقد والكراهية من الأخلاق المذمومة لكل الناس، لكن هذا السلاح الشرير والفتاك، عندما يصبح بيد المستشار القريب من المسؤول الذي من الممكن أن يؤثر ويحرك المسؤول يكون خطره أعظم بكثير، المنظومة القيادية يجب ألا تكون معبأة ومشحونة بالأحقاد والثرات، هذا نلاحقه وهذا نفعل به كذا، لا تستطيع أن تقود بهذه الطريقة.

سياسة لي الأذرع

إن الأمور لا يمكن أن تُدار بكسر العظم ولي الذراع، مادامت القلوب مشحونة بالبغضاء وبالأحقاد تجاه الآخرين لا تستطيع أن تدير الأمور ولا تستطيع أن تكون فاعلا ومؤثرا في هذه المنظومة القيادية، لذلك فالحقد يمثل السم القاتل ويمثل الغدة السرطانية حينما يدخل وينفذ ويخترق المنظومة القيادية ويعيش بها، فتصبح الأجواء أجواء مشحونة وموبوءة ومسمومة، والنظرات إلى الآخرين مليئة بالحقد والكراهية وهذه من الأمور الصعبة جدا، المستشار الذي يثير الحقد لدى المسؤول تجاه منظومته وتجاه الآخرين يرتكب أكبر الأخطاء، ويُفشل مهمة المسؤول الذي يعيش الحقد والكراهية تجاه الناس الذين يعيش معهم، والمسؤول الذي يخلق وينشر هذه الكراهية والحقد بين الناس ويضرب بعضهم ببعض على قاعدة (فرّق تسد)، القاعدة المعروفة، هذا المسؤول أيضا لا يستطيع أن يقود، يعطي معلومة لهذا، ويعطي معلومة لذلك، ويضرب رأسا برأس، ويجعل الناس تتشائم وتختلف حتى يكون هو مرجعا لهم ويمسك الأمور بيده.

إنه واهم؛ فاليئة عندما تكون بيئة حقد وبيئة ظلامية وفيها كراهية، ففي مثل هذه البيئة لا تستطيع أن تحقق نجاحا وأن تندفع باتجاه الأهداف المرسومة، ولذلك نجد تشديدا كبيرا على موضوع الحقد في مجمل تراثنا الإسلامي، وفي الروايات الواردة عن علي عليه السلام في أكثر من موقع، ففي غرر الحكم يقول علي عليه السلام: «الحقد خلق دنيّ ومرض مردي»^(٤٣)، يعني الحقدارة أجلكم الله، والدنو والضعفة في الحقد، وهو حالة خسة، لأن الإنسان الكبير، الإنسان الرفيع، الإنسان الذي لديه سعة صدر، الذي لديه قلب كبير، الإنسان الذي يملك عقلا

واسعا لا يمكن أن يسجن نفسه بجدران الحقد والكرهية وينعزل عن الآخرين ولا يقبل بذلك لنفسه .

«ومرض مردي»، يعني مرض قاتل، الحقد مرض قاتل، ويبدأ الإنسان يفقد الاستقرار ويفقد الطمأنينة ويفقد معنى الراحة ويغلي دمه دائما، ويريد أن يشرب دم الآخرين، ويريد أن ينتقم من الآخرين ويريد أن يفترس الآخرين، أين الرحمة والشفقة والمودة والمحبة؟ أين التسامح أين الإخاء؟ أين الانفتاح؟ أين الرقة؟ كل هذه المفاهيم تتبدد وتزول حينما يتحكم الحقد بوجود الإنسان ويعشش في وجود الإنسان .

في رواية أخرى في المصدر نفسه: «الحقد داء دوي^(٤٤)» داء عضال، ليس له حلول سهلة، حلوله صعبة حينما يتمكن من الإنسان «ومرض موبى» يعني مهلك من الأمراض المهلكة، ولذلك يكون سببا في الأزمات، أزمة سياسية تجد منشأها الحقد، تتمرس بعناوين المصالح الوطنية والحق العام والانتصار للمظلوم والدفاع عن الشعب ومائة عنوان مقدس آخر، لكن ابحت ما بين السطور ستجد أحيانا في صلب القضية حقدًا لسبب من الأسباب، وتبدو هذه كلها ترقيعات ورتوشات وحللا وجلباب، يزيّن بها هذا الفعل السيئ، أزمة اجتماعية، مشكلة عشائرية، تدافع بين الناس، تقارير كيدية، طموحات غير مشروعة، إذا دفعته وجلست بمكانه، فلان قال أخذ بثأره . الحقد سبب لكثير من الأزمات ومنشأ للكثير من حالات الانحراف، ماذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سبب الفتن، الحقد»^(٤٥) . الكثير من الفتن والإشكالات التي تحصل بالمجتمع إذا بحثنا في جذورها سنجد الحقد هو الجذر وهو المنشأ وهو السبب لكل هذه الأمور .

الأحقاد سلاح الشر

في رواية أخرى: «سلاح الشر، الحقد»، الشر لديه سلاح هو الحقد، أينما كان الحقد كان تعبيراً عن الشر وليس عن الخير، عن الظلام وليس عن النور، وعن الإساءة وليس الخير، ولا يستطيع الحقد أن يكون للخير أو يكون خطوة صحيحة، سلاح الشر الحقد، ولذلك جاء التأكيد على ضرورة السعي للتخلص

٤٤ . غرر الحكم ج١- ص ٣٨٨

٤٥ . ميزان الحكمة ج١- ص ٦٤٨

من الحقد إذا ما تورط به الإنسان وابتلي به، مثل أي مرض جسدي، عليه أن يعمل جاهدا ويراجع الطبيب ويلتمس العلاج أو يجري عملية جراحية، حتى يقتلع المرض، وقد يضحى بأشياء كثيرة لكي يعالج نفسه، الأمراض الأخلاقية لا تقل خطورة عن الأمراض الجسدية، بل قد تكون أخطر بكثير، المرض الجسدي يعاني منه الإنسان الواحد، لكن المرض الأخلاقي يمكن أن يترك آثاره في أمة من الناس ومجتمع بأكمله ويصبح مثل الوباء، وهناك أخطار مثل أنفلونزا الطيور والأنفلونزا البوائية قد تستنفردولا لأنها أمراض خطيرة، المرض الأخلاقي تأثيراته لا تنحصر بالإنسان وحده بل تشمل الآخرين، ولذلك فهو مرض عضال وقتاك كما شاهدنا في الروايات التي استعرضناها، يقول علي عَيْهَ السَّلَامُ أيضا: «إنما اللبيب من استسل الأحقاد»^(٤٦)، صاحب العقل والرؤية يبحث عنها ويجتثها.

تطهير النفس من الأحقاد

من المهم للإنسان أن يجتث مكامن الحقد في وجوده، ويرميه خارجا كي يرجع إلى الطهارة والنقاء، حتى ترجع إلى الحالة الإنسانية الطبيعية المرجوة منك، فمن طرح الحقد ورماه خارجا وتخلص منه استراح قلبه ولبه، تريد مشاعر إنسانية صادقة تجاه الآخرين؟، عليك بإزالة الحقد، تريد عقلا سليما يخطط بشكل صحيح بعيدا عن مؤثرات أخرى؟، عليك أن تطرح الحقد عن نفسك، المشاعر والأحاسيس والقلب تطهر وتنظف بإزالة الحقد، والعقل أيضا يستقيم ويتخذ القرارات الصحيحة وينظر إلى الأمور نظرة صحيحة إذا ما جرد من الحقد، انظروا إلى تأثير الحقد.

بداية العلاج معرفة الأسباب

يشير أمير المؤمنين في هذه العبارة الكريمة في عهده لمالك الأشر إلى ضرورة تشخيص أسباب الحقد والعداء للآخرين، عندما تعرف السبب ستستطيع أن تعالج، أخطر الأمراض هي التي لا يُعرف منشؤها، تذهب إلى الطبيب ويرى أن الفحوصات لا تظهر شيئا، هذا أخطر مرض عندما يقول لك الطبيب لاشيء لديك، مجساتنا لا تقول شيئا، هذا أخطر مرض، يبدو أنه لم يُكتشف بعد،

٤٦ . المصدر السابق نفسه

المرض عندما يُكتشف سيكون علاجه سهلا لذلك عليك باكتشاف مناشئ الحقد الذي يدخل إلى قلب الإنسان وإلى وجوده لا قدر الله لتستطيع أن تعالجه .

«واقطع عنك سبب كل وتر»، الوتر هو العدا، وهذا يتطلب أن يبدأ الإنسان من نفسه، يا مسؤول تريد أن تزيل الحقد من الناس، الناس مرآة لك، ارجع لنفسك، هل أزلت الحقد من نفسك؟ إذا أزلت الحقد من نفسك ونظرت إلى الناس نظرة مودة ومحبة وحسن ظن فإن الناس ستراك بنفس النظرة، إذا كنت تريد أن تزيل الحقد من الآخر، أزله من نفسك أولا .

انظروا إلى هذه الرواية عن علي عَليهِ السَّلَامُ: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»^(٤٧)، الشر احصده من صدر غيرك ومن قلب غيرك، كيف؟ بقلعه من صدرك، أزله من صدرك فسيزال من صدور الآخرين، فالله سبحانه وتعالى جعل هذه القلوب تتلاقى، نحن نؤمن بالغيب، هناك جانب غير محسوس وغير مادي، لا تقل لي ما علاقة قلبي بقلب الآخرين؟ لا، أصلح نفسك ورؤيتك تجاه الآخر وانظر إلى الآخرين نظرة صحيحة وأبعد الكراهية عن قلبك ستجد الناس كلها أيضا بدأت تبادلك المشاعر والعواطف، وفكر بطريقة صحيحة ومنصفة في هموم الناس واحرص عليهم، الناس ستميزك عن الآخرين، وستقول هذا الحريص، الذي يقول الحق، وهكذا.

البدء بتطهير النفس قبل الآخرين

ابداً من نفسك، هذه هي القاعدة الأخلاقية بحسب رؤية الإسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤٨). ابدا من نفسك، والحمد لله فالله سبحانه أكرم الإنسان بخصوصية مهمة، عندما يرجع إلى نفسه لا تلتبس الأمور عليه، وقد تلتبس عليه عند الآخرين، الإنسان قد يخطئ في تقييم الآخرين، لكن في ما يخص نفسه ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^(٤٩) لذلك ابداً من نفسك، فإذا طهرت القلب وصلحت النية واستقمت في سلوكك وفي فكرك ورؤيتك ونظرتك للآخرين، اعلم بأن الآخر سيصلح أيضا، لا مجال

٤٧ . نهج البلاغة ج٤-ص ٤٢

٤٨ . سورة الرعد: الآية ١١

٤٩ . سورة القيامة: الآيتان ١٤ و ١٥

لقلع الحقد من قلوب الآخرين تجاهك إلا بأن تبدأ من نفسك . وهذا الحل حل مقدور عليه وممكن، ولا تقل هم حاقدون ولست أنا، بل انظر إلى نفسك، طهر قلبك تطهر قلوب الآخرين .

الابتعاد عن المظاهر الكاذبة

المجتمع لا يخلو من أناس بعيدين عن الاستقامة، لكن الجو العام هم الناس الطيبون الذين يسرون بالطريق الصحيح، ليروا منك الثقة وحسن النية، ولا تتظاهر، وهذا ما قلناه في مقاطع سابقة، وأشعر قلبك بالرحمة للرجعية، حالة الشعور وحالة التفاعل الوجداني، أنت يا مسؤول ويا متصدلاً لا تستطيع أن توهم الناس، ترون اليوم أن هناك سياقات دبلوماسية، اجتمعوا بقمة وبمؤتمر بمكان ما، جاء اثنان لقمة ثنائية ويقفان خلف العلم، وقبل قليل كانوا يتصايحون خلف الأبواب، ويبدؤون بالابتسام ويتصافحون أمام الناس، لكي تظهر الصورة أجمل، مسرحية لا تمر على الناس، وترى الناس الضحكة صفراء ملؤها الحقد والكراهية، لا تستشعر من هذه الابتسامه أية صدقية، فإذا كنت لا تشعر بهذه القضية في أعماقك، فلا يمكن أن تنقل الرسالة الصحيحة إلى الناس ولا يمكن أن يبادلوك المشاعر والعواطف، لذلك توزيع الابتسامات والتظاهر وجلب خبراء محللين في علم النفس والاجتماع كي يكتبوا لك الخطابات الرنانة، كل هذه لن تجد لها صدق في قلوب الناس .

تكلم بما تعتقد

إذا لم تخرج من القلب وإذا لم تتكلم بما تؤمن وتعتقد به فإن صرف الكلمات ولقلقة اللسان لا تؤثر شيئاً، هذه في الحقيقة هي التأثيرات الغيبية المعنوية في الواقع المادي للإنسان، وإذا لم ندخلها بالحساب نكون أخطأنا خطأ كبيراً وتأتي النتائج عكسية، فإيا أيها المسؤول إذا اخترت مستشارين عليك أن تختار من هو بعيد عن الحقد والكراهية لا من هو مزروعة فيه ويحاول زرعها في نفسك ويحرضك على الناس لتضرب بعضهم ببعض، هكذا تُبنى المنظومة القيادية التي فيها الطمأنينة والاستقرار والمحبة والتعاقد وفيها فريق العمل الواحد وفيها شحذ الهمم وفيها الاندفاع لتحقيق الأهداف إلى غير ذلك، هذه البداية الأساسية .

الأبعاد المعنوية والروحية

نحن نغفل عن أمور وتأتي النتائج ليس كما نتوقع، لماذا نتعب ولا ينجز العمل؟ لماذا نضع ١٠٠ مليار وتمر السنة ولا نرى النتائج الملموسة؟ وهذه الـ ١٠٠ مليار ستتحول إلى ١٠٠٠ مليار في تأثيرها إذا اقترنت بتلك الأبعاد المشاعرية والروحية والمعنوية والواقعية والعلاقات الإنسانية الصحية، والتكامل في الأدوار والمحبة بين الناس، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن يبعد عن نفسه الحقد والكرهية، وألا يرتضيها لنفسه ولذويه ولمن يحيط به من الناس الذين يتحمل المسؤولية تجاههم.

لا منهج في إدارة الأزمة السياسية!

إننا اليوم نعيش ظروفًا سياسية صعبة، ولا نظن أن هناك من يرتضي ومن يشعر بالارتياح من الواقع السياسي ومن الأزمات المتلاحقة التي نعيشها، وأن الأمور وصلت إلى درجة ما كنا نتمنى أن تصل إليها، ولكننا نعتقد بأن الحل ممكن ومتاح إذا ما أردنا أن نحل هذه الأزمات ونعالجها، وهو يكمن في وضع منهج لإدارة هذه الأزمة، لأن غياب عنصر الإدارة في الأزمة سيجعلنا في حالة من التخبط والانفعال ولا يحقق النتائج المرجوة. نحن بحاجة إلى إدارة لهذه الأزمة، والأزمات حينما تحدث يجب ألا ندعها تتفاعل كيفما تكون من دون ضوابط، وأن تتحرك من دون محددات، في حركتنا هناك خطوط حمراء ويجب أن تخضع الأزمات لهذه الخطوط الحمراء، لنختلف ولكن بحدود ولتحصل بعض المشاكل وقد يكون ذلك أمرًا طبيعيًا ولكن بضوابط، وإذا ما حصلت الأزمات فلا بد من أن نؤطرها بإطار ونحددها بحدود ونضيق عليها ونذهب لمعالجتها، ولكن إذا كُسرَت هذه الحواجز وهذه الخطوط الحمراء فسندهب إلى طريق اللاعودة، وهو طريق المجهول الذي لا نتمنى أن تُستدرج البلاد إليه في يوم من الأيام.

المسارات الثلاثة للحل

إننا متأكدون من أن هذه الأزمة يمكن أن تُعالج بنفس الطريقة التي عولجت فيها الأزمات السابقة في بلادنا. إن الأساس في حل هذه الأزمة وسائر الأزمات هو النظرة الواقعية، فعلينا أن نكون واقعيين في تقييم الأزمات وفي البحث عن الحلول والمعالجات، وإذا أردنا أن ننظر بنظرة واقعية سنجد أن العراق يسير ضمن

مسارين؛ الالتزام بالدستور والالتزام بالتوافقات غير المتقاطعة مع الدستور. هذان المساران كنا نجدهما في كل أزمة وفي كل مفصل وفي كل محطة من محطات بناء العراق، ولكننا اليوم نحتاج إلى أن نضيف مسارا ثالثا لتعقد هذه الأزمة وتحوّلها من أزمة إلى عُقدة، وهذا المسار يتمثل بالتنازلات المتبادلة لتحقيق المصلحة الوطنية العراقية، فإذا ما اجتمع مسار الالتزام بالدستور، والالتزام بالتوافقات غير المتقاطعة مع الدستور، والتنازلات المتبادلة والمنسجمة مع المصلحة الوطنية، حينذاك سنكون قد وضعنا خارطة الطريق لحل واضح للأزمة الراهنة.

فالمشاكل الدستورية نعود فيها إلى الدستور ونعالجها على أساس ما يشير إليه الدستور، والإشكاليات التوافقية نعود فيها إلى ما توافقنا عليه وتوافقت عليه الأطراف، على ماذا توافقوا وعلى ماذا وقعوا وتكاتبوا؟، وننفذ هذه الأمور على أساس هذه التوافقات، وهناك جزء آخر من المشكلة لا هو دستوري ولا هو توافقي، وإنما هو نتاج لمشاكل سابقة أصبحت اليوم جزءاً من المشكلة الراهنة، وهي قضية غير منظورة، وهذا ما يتطلب التنازلات المتبادلة ضمن المقبول والمقنع لجميع الأطراف، حتى يمكن أن نخرج من هذه الأزمة ونضع الرؤية لحلول هذه الأزمات القائمة.

نحن طرف في الحل لا الأزمة

إننا حريصون جدا على ألا نكون طرفا في هذه الأزمة، ولكن مبدئيتنا وقيمنا ورؤيتنا ومسؤوليتنا وقناعاتنا تدفعنا لأن نتحمل المسؤولية ونكون طرفا في الحل لهذه الأزمات، لأن مصلحة الجميع تهمنا وحقوق الجميع تعيننا، ومصلحة الشعب العراقي أولا وأخيرا هي الأساس الذي نطلق منه ونعتمد عليه في مجمل مساراتنا وفي حركتنا. ولذلك لن ندخر جهدا ولن نتوقف عن مواصلة الاتصالات مع كافة الأطراف السياسية لإقناعهم بهذه المسارات الثلاثة؛ من الالتزام بالدستور وبالتوافقات المبرمة بين الأطراف والتنازلات المتبادلة لتحقيق المصلحة الوطنية العراقية.

وقد أجرينا العديد من هذه الاتصالات وزرنا قيادات واستقبلنا قيادات من مختلف المشارب والأطياف، وسنستمر بهذا الجهد، فعلينا أن نكون جزءا من الحل وشركاء في حل هذه الأزمة، إننا حينما نتحدث عن المسارات الثلاثة فإننا لا نتحدث عن نسبة متساوية لهذه المسارات في الحل ليقول قائل لاحقا إن عمار

يقول إن ثلث الحل في الدستور وثلثا في التوافقات وثلثا في التنازلات ، أنا لم أقل هذا الكلام ولم أحدد نسباً لأي من هذه المسارات ، ولكن ما أقوله إن هذه المسارات الثلاثة هي خارطة الطريق لحل الأزمة الراهنة ، وكلما اندفعنا أكثر باتجاهها كنا أقرب إلى الحل ، وكلما ابتعدنا عنها وأصررنا على مواقفنا ، كان الحل أبعد ، واشتدت الأزمة وتركت آثارها السلبية في واقع المواطنين .

إن التنازلات المتبادلة التي قدمها القادة السياسيون ليست مهدورة الثمن ، وإنما هي انحناء وتنازل للعراق وللشعب العراقي ، وهذا الشعب يستحق أن ننحني من أجله وهذا الوطن يستحق أن نتنازل من أجله . . فإن الأزمات وصلت إلى مرحلة من الشدة بحيث أصبحت مصدر إزعاج للكثيرين من أبناء شعبنا وأصبحت معطلة لمصالح الناس ، ولا يمكن أن تستمر الأمور بهذه الطريقة ، فلا بد من حلول واقعية تتمثل بالمسارات الثلاثة التي أشرنا إليها .

تطورات الملف النووي الإيراني

إننا نتابع باهتمام التحضيرات الجارية لعقد اجتماع ٥ + ١ في بغداد في الأسبوع القادم ، إن هذا الاجتماع وانعقاده في بغداد يطلق رسالة مهمة علينا أن نقرأها جيدا ، ولا سيما أن هذا الاجتماع يأتي بعد تصريحات إيجابية من الطرفين عن الاجتماعات التي تمت في إسطنبول وفي فيينا ، مما يجعلنا أكثر تفاؤلا بأن تكون اجتماعات بغداد قادرة على أن تخرج بنتيجة مرضية للطرفين ، وأن تكون سببا في غلق هذا الملف وتجاوز تداعياته من الجميع . إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومنذ انطلاقتها كانت متوافقة دوما مع آليات المجتمع الدولي ومحترمة لقوانينه ومساراته ، بل إن المجتمع الدولي هو الذي قام بظلم الجمهورية الإسلامية في أكثر من موقع ، أو غض الطرف عن الظلم الذي لحق بالجمهورية الإسلامية في محطات عديدة خلال العقود الثلاثة الماضية ، وبالرغم من ذلك لم نجد أن إيران تتحرك في يوم من الأيام خارج إطار الشرعية الدولية وقوانينها والتزاماتها العامة .

إن إيران ترفض بعض سياسات الدول الغربية ولكنها دولة لها منهجها ولها سياساتها ولها ثوابتها وبقيت ملتزمة بهذه الثوابت و متمسكة بهذا المنهج ، وهذه هي السياقات للدول التي تتمتع بالاستقلالية والسيادة الكاملة وهو ما نجده في الدول القوية الأخرى في العالم . والمشكلة النووية التي نتحدث عنها اليوم هي مشكلة ثقة بين إيران والغرب وليست تجاوزا على القانون الدولي أو خروجا على

الشرعية الدولية، في إيران دولة كبيرة وعدد نفوسها يتجاوز ٨٠ مليون نسمة ولديها خطط طموحة في تطوير اقتصادها وتحقيق الإعمار والإزهار لبلادها، وتوفير الرفاه لشعبها، والطاقة النووية السلمية هي طاقة المستقبل.

المشكلة هي أزمة ثقة بين الطرفين

إن من حق إيران ومن حاجة إيران كما هي سائر البلدان الأخرى أن تتمتع بهذه التقنية وبالطاقة النووية السلمية، وقلق الغرب إنما يتمثل في أن استخدام إيران للطاقة النووية السلمية قد يدفعها لاستخدامه في مسائل عسكرية، ولكن ليس من مؤشر حتى هذه اللحظة على نوايا إيرانية لاستثمار الطاقة النووية في شؤون غير سلمية وفي جوانب أخرى. إذن كل المشكلة تكمن في قلق وفي أزمة ثقة وفي استنتاجات يقوم بها الغرب فيعيق عملية تخصيص اليورانيوم ويضغط على إيران لمنعها من امتلاك هذا الحق الطبيعي، الذي منحه لإيران ولسائر الدول الأخرى القوانين الدولية؛ فمن حق إيران أن تمتلك الطاقة النووية السلمية، ومن حق كل الدول الأخرى الاستفادة من هذه الطاقة حينما تكون سببا في تطور البلدان، ومع ذلك لاحظنا أن إيران تجاوزت مع هذه المخاوف وقدمت الضمانات المطلوبة على سلمية مشروعها النووي، واستطاعت أن تقدم العديد من المؤشرات، ومنها إخضاع كل منشآتها النووية لإشراف الوكالة الدولية.

واليوم يصل هذا الملف إلى مرحلة حساسة وحرجة، ولا بد من أن يتخذ القرار النهائي في حل هذه المشكلة، وفي تقبل هذا الحق الطبيعي لإيران كما هو لسائر البلدان الأخرى، وعلى الجميع أن يدرك أن حل هذا الملف لا يصب في المصلحة الإيرانية وحدها وإنما يصب في مصلحة الدول الغربية كلها، ويصب في مصلحة دول المنطقة وازدهارها، فالعالم اليوم يعيش مرحلة القلق من وجود الكثير من المشاكل والأزمات العالقة والمتراكمة، كما أن الأزمة الاقتصادية العالمية بدأت تؤثر في الاتحاد الأوروبي، وبدأت تغيّر من شكل العلاقة بين أعضاء هذا الاتحاد. كما أن منطقتنا تمر بظروف استثنائية ومصيرية، حيث يعاد تشكيلها بصورة جديدة، وأي انتكاسة أو تطور سلبي في الملف النووي الإيراني لا سمح الله سوف لا يزيد المشهد السياسي العام والاستقرار السياسي في المنطقة تعقيدا فحسب، وإنما سيخلط الأوراق المختلطة أساسا بصورة معقدة وسيجعل المنطقة برمتها مقبلة على الكثير من المفاجآت، فالجميع مطالب بأن يتقدم خطوة إلى

الأمام وليس أن يتراجع خطوة إلى الخلف ، وتقدم هذه الخطوة إلى الأمام من أي طرف يجب ألا يُحسب على أنه تنازل من هذا الطرف فيدفع الآخر لمزيد من الضغوط ، لأن ذلك سيعني العودة إلى نقطة الصفر وإلى المربع الأول .

استضافة المحادثات في العراق رسالة مهمة

إن على المتحاورين أن يقدموا تنازلات و يبادروا بخطوات إلى الأمام ليلتقوا في منتصف الطريق ، وبذلك نكون قد حققنا حلا حقيقيا لهذا الملف الذي كان مصدر توتر وقلق في المنطقة والعالم على مدار السنوات الماضية ، إن تقدم هذه الخطوة في بغداد وإمكانية البحث عن حلول ومعالجات حقيقية على الأراضي العراقية سيكون له إشارة واضحة وانعكاسات إيجابية مهمة ، ستجعل من هذا الحدث حدثا مهما وقد يكون سببا في معالجة الكثير من الملفات والتعقيدات والإشكالات الشائكة والمعقدة الأخرى ، التي لا تندرج ضمن الملف النووي وإنما تندرج ضمن ملفات أخرى .

إننا نتمنى نجاح هذا اللقاء وهذا الاجتماع في بغداد ، لأن هذا النجاح سيؤسس لبدایات جديدة ولنجاحات جديدة أخرى في العديد من الملفات العالقة في المنطقة ، كما إنه سيسهم في تقوية العراق والوضع العراقي في أدواره الإقليمية والدولية ، وسيعطي للعراق مكانة مرموقة ودورا أساسيا في الملفات الإقليمية ، وكلما قوي العراق في منظومته الإقليمية انعكس إيجابا في واقعه الداخلي وعلى تماسكه السياسي وعلى ضعف التأثيرات الإقليمية والدولية في واقعه وقراره .

ضرورة دعم الفلاحين

إن الفلاحين والمزارعين الكرام يحصدون محاصيلهم الزراعية من الحنطة والشعير في هذه الأيام ، ويبدلون جهدا كبيرا في هذا المجال ، ولكنهم يواجهون تحديات كبيرة في تسويق محاصيلهم ، ويعيها لمؤسسات الدولة ؛ فالمراكز التسويقية والساليوات بعيدة عن أراضي المزارعين ، وهو ما يكلف المزارع أثمنا باهظة في نقل هذه المحاصيل إلى هذه الساليوات ، والزخم الكبير والطواير الطويلة على المراكز التسويقية تجعل هؤلاء المزارعين ينتظرون ساعات طويلة ، بل أياما حتى تصل النوبة إليهم لتسلم محاصيلهم من قبل هذه المراكز ، وهذا ما يمثل عبئا ماديا وجهدا كبيرا على هؤلاء المزارعين ، والعقبة الأكبر التي تقف

أمام الفلاحين والمزارعين هي عملية فحص العينة المأخوذة وتصنيفها لتحديد سعر شراء هذه المحاصيل الزراعية، إن كانت من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو تكون مرفوضة أساسا، هذا بالإضافة إلى امتناع مراكز التسويق من شراء المحاصيل المنتجة خارج الخطة الزراعية المقررة للفلاح.

فإذا استطاع الفلاح أن يزرع كمية أكبر، فإن هذه المراكز التسويقية لا تشتري منه المقدار الخارج عن الخطة المقررة له، ويبقى حائرا كيف يبيع هذا المحصول الزراعي، كل ذلك فتح الباب لذوي النفوس الضعيفة لمصادرة جهود الفلاحين والاستحواذ على أرباحهم من خلال شرائها على الأرض، بأسعار بسيطة ومتواضعة، ويقومون هم بما يمتلكونه من علاقات مع مراكز التسويق بإيصالها إلى هذه المراكز بأقصى سرعة وبيعها بأعلى الأثمان، ويأتي الربح لهؤلاء الوسطاء ويغيب الربح عن الفلاح والمزارع الذي بذل كل هذه الجهود، وكذلك عملية ابتزاز المزارعين من قبل بعض المنتسبين في الساييلوت ومراكز التسويق الذين يطالبون بدفع مبالغ مالية مقابل رفع التصنيف حتى لا تُحسب هذه الحنطة أو الشعير من الدرجة الثالثة وتكون من الثانية أو الأولى، فيطلب منهم مبالغ إضافية وهذا ما يحتمل الفلاح الكثير من الإحراج ومن النفقات.

إضافة إلى حرب الإشاعات المسعورة التي تقوم بها هذه الحيتان البشرية، التي تجعل الفلاح يائسا ومحبطا وغير قادر على تسويق بضاعته لبيعها إلى هؤلاء بئس بئس، وهذا ما يمثل صدمة كبيرة لواقعه. ولمعالجة ذلك لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات ومنها:

١- ضرورة تسلم جميع المحاصيل على أنواعها مع الإبقاء على التصنيف ومستويات هذا المحصول في الجودة.

٢- ضرورة تفعيل السيطرة النوعية مع وجود رقابة وإشراف نزيه على هذه المحطات، حتى لا تكون سببا في ابتزاز الفلاحين والمزارعين والاحتفاظ بالنماذج المأخوذة من الفلاحين، لتسهيل عملية الإشراف والتدقيق لاحقا لمعرفة مدى الغبن الذي يلحق بالفلاح في تصنيف محاصيله الزراعية.

٣- ضرورة تنشيط العمل في هذه الساييلوت وجعلها لثلاث وجبات على مدار اليوم الكامل، حتى لا يضطر المزارعون والفلاحون لأن ينتظروا هذه الفترة

الطويلة . وكل ذلك في فترة الحصاد ، وهي فترة قصيرة ، فأى ضمير أن تقدم مثل هذه التسهيلات في مراكز التسويق .

٤- ضرورة تسلم المحاصيل المنتجة حتى لو كانت خارج الخطة الزراعية الموضوعة للفلاح ، مع وضع ضوابط مشددة تقف بوجه المفسدين ، ولكن نفسح المجال أمام المزارعين والفلاحين في أن يطوروا من قدراتهم ومن زراعتهم .

٥- ضرورة الإسراع في دفع الاستحقاقات المادية وأجور هذه المحاصيل الزراعية ، فإنها تتأخر لأشهر طويلة في بعض الأحيان ، ويبقى المزارع ينتظر بعد أن قام بجهده وسلم هذه المحاصيل ولكنه لم يتسلم المبالغ المطلوبة ، كما نشدد على ضرورة تفعيل الدور الرقابي للمفتشين العاميين في الوزارات المختصة ، واللجان الزراعية في مجالس المحافظات ، لضمان حقوق الفلاحين والمزارعين وحمايتهم من الوقوع فريسة لمثل هذه الحيتان البشرية .

الاستثمار لحل أزمة السكن

إن أزمة السكن تزداد اتساعاً يوماً بعد آخر في أغلب المحافظات العراقية ، مما جعل سعر العقار في بغداد وفي بعض المحافظات يضاهي سعر العقار في أكبر العواصم العالمية ، كطوكيو أو لندن . وهذا شيء مقلق للغاية في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها العراق ، وهذه الأسعار قابلة للزيادة بشكل مطرد ما لم تُخلق حالة من التوازن المطلوبة كما هي في سائر البلدان ، إن هذا المنحى سيكرس الطبقة لنكون أمام أغنياء وأثرياء يعيشون في قصور وفقراء لا يتمكنون حتى من توفير السكن اللائق لهم ، وهذه قضية خطيرة تحتاج إلى وضع الخطط والتصورات المناسبة من الأجهزة المختصة ، ولا سيما أن من اللافت احتكار سوق العقارات من قبل مجموعات معينة وعدم سيطرة مؤسسات الدولة على مجمل أسعار العقار ، فيما أن هذه القضية خاضعة لمراقبة مؤسسات الدولة في أغلب البلدان الأخرى ، حتى لا نكون أمام فارق طبقي كبير كما يحصل اليوم في العراق .

إن أسعار العقار في كل البلدان تتحدد على أساس الواقع الاقتصادي فيها ، ليكون المواطن قادراً على أن يدفع أقساطاً مريحة لتتوفر لديه فرصة الحصول على وحدة سكنية في الأمد الطويل ، من دون أن يؤثر ذلك في حياته الشخصية

والمعاشية . إن ذلك يجعل السادة المسؤولين أمام مسؤولية مهمة ومضاعفة في ضرورة الإسراع لبناء المجمعات السكنية الواطئة الكلفة، التي تحد من مشكلة السكن وتوفر الوحدات السكنية المطلوبة، وتحدث وزارة الإسكان عن حاجة العراق اليوم لمليون وحدة سكنية إضافة إلى ١٥٠ ألف وحدة سكنية في كل عام، كي نواكب زيادة السكان والنمو السكاني الحاصل في العراق، ونحن بعيدون كل البعد عن هذه الأرقام، مما يعني أن أزمة السكن والأسعار ستبقى في ارتفاع مستمر ما لم نحل هذه الأمور عبر بناء مجمعات سكنية كبيرة، ولا بد للاستثمار وللقطاع الخاص من أن يكون لهما دور في هذه العملية .

التعداد السكاني ضرورة وطنية ملحة

أعلن الجهاز المركزي للإحصاء أنه أنهى كافة الإجراءات الفنية واللوجستية والإدارية للتعداد السكاني المزمعة إقامته في الأشهر القليلة المقبلة، إضافة إلى عملية إحصاء وترقيم وحصر المساكن في عموم العراق عن طريق الصور الفضائية بعيداً عن الطرق التقليدية التي كان يعمل بها سابقاً. إن التعداد السكاني ضرورة وطنية ملحة لأن أغلب الخطط والإستراتيجيات إنما تعد على أساس قاعدة بيانات لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال التعداد السكاني، فخطط التنمية ومكافحة الفقر والتعليم والصحة والضمان الاجتماعي والنفوس والجنسية والبناء والإعمار وكل ما يتعلق بتطوير البلد، إنما يرتبط بالتعداد السكاني والوصول إلى قاعدة بيانات واضحة تحدد حاجة البلاد في كل هذه المجالات. إننا نشيد ونثمن الجهد الذي يقوم به الجهاز المركزي للإحصاء، ونثمن إدخاله للتقنيات الحديثة في هذه العملية مما سيجعل المخاوف من القوى السياسية المتحفظة على التعداد السكاني تتضاءل وصولاً إلى القرار السياسي بإجراء هذا التعداد السكاني، الذي أصبح ضرورة وأصبح تأخره تعطيلاً لمصالح البلاد ولا يمكن أن تبقى الأمور على هذه الشاكلة .

ذكرى يوم النكبة

في ١٥ من أيار عام ١٩٤٨ كان يوم النكبة الفلسطينية، حينما هُجّر من فلسطين أكثر من ٨٠٠ ألف مواطن فلسطيني وصودرت ممتلكاتهم من قبل الكيان الصهيوني، ليعيشوا في مخيمات اللاجئين في غزة وفي الضفة وفي دول

عربية مجاورة . وقد بلغ عددهم اليوم بعد مرور ٦٤ عاما على يوم النكبة أربعة ملايين و٢٠٠ ألف لاجئ فلسطيني ، إنها أكبر عملية تطهير عرقي تشهده المنطقة ويشهده تاريخنا الحديث ، حينما يُطرد هذا العدد الكبير ويُهجّر من بلاده وتصادر ممتلكاته ، وستبقى قضية فلسطين تمثل جرحا نازفا في قلوبنا جميعا ، نتعاطف معها ونقف إلى جانبها .

إن الشعب الفلسطيني يحيي في هذه الأيام يوم النكبة ويتقدم بإرادة ثابتة وعزيمة لا تلين في المطالبة بحقوقه المشروعة ، في حق العودة إلى الديار ، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، ومواجهة كل التحديات التي تقف بوجهه . . . ويوم النكبة الفلسطيني في هذا العام يقترن مع معركة الأمعاء الخاوية التي يقوم بها الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية . إننا نعبر عن تضامننا وتعاطفنا مع فلسطين ومع شعب فلسطين الشقيق وستبقى القضية الفلسطينية القضية الأساسية والمحورية في همومنا الإسلامية والعربية العامة ، فسلام عليهم . . . ونتمنى لهم التوفيق والتسديد وتحقيق الأمانى من خلال تماسكهم ووحدتهم ، وبذلك تتحقق الإنجازات الكبيرة بإذن الله تعالى .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٥/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضْحُكَ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ طَغَاشٌ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.))^(٥٠)

التغافل عن الصغائر والتفاصيل الجزئية

ما زلنا في عهد أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لمالك الأشر، وكان حديثنا عن المستشارين، وهنا نصل إلى سمة أخرى من سمات المستشارين كما في هذا العهد الشريف، حيث يقول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «وتغاب عن كل ما لا يضح لك» عن كل ما لا يظهر لك، أيها المسؤول الأمر الذي لا يظهر أمامك ولا تراه، من أخطاء جزئية أو قضايا هامشية وما يصدر من البعض من إساءات بسيطة بحق الدولة أو بحق المسؤول نفسه، على المسؤول أن يتغافل عن هذه الأخطاء التي قد يقع فيها الناس من التفاصيل والجزئيات التي لا تتضح أو تتبين، قد تحدث مرة مخالفة قانونية أو جرم مشهود أمامك، يحدث هذا الأمر على رؤوس الأشهاد

وأمام الناس ، وهذا بحث آخر ، الحديث عن الأشياء غير الواضحة التي يجب على المسؤول أن يتغافل عنها .

مغبة التصديق بالناممين

«ولا تعجلن الى تصديق ساع» الساعي هو النمام ، لا تستعجل أيها المسؤول بتصديق ما ينقله النمامون والوشاة وحملة التقارير لك ، لا تتعجل بالحكم والتصديق بالتقارير الكيدية التي قد يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة ، ويتوجب عليك حينها الاعتذار ، «فإن الساعي غاش وإن تشبهه بالناصحين» ، النمام من طبيعته الغش ، أصحاب التقارير يغشونك وإن ظهروا لك بمظهر الناصح والحريص ، فعليك ألا ترتب الأثر على تقارير هؤلاء لأن ذلك سوف يؤدي إلى ضياع المسؤولية والفرصة في قيادة المهمة التي أنت مسؤول عنها .

هذه العبارات على قصرها تعطي درسا مهما للحياة . على المسؤول أن ينظر إلى الأمور بعين ثاقبة ويتجاوز التفاصيل الصغيرة والجزئيات ، على المسؤول أن ينظر للاتجاهات والبوصلة بالاتجاه الصحيح ، أما باقي التفاصيل الجزئية والقييل والقال ، فيجب عدم الوقوف عندها حتى تنجح المهمة القيادية ويحصل التطور والتقدم في الواجبات القيادية مهما كانت . . إن سعة الصدر والتعامل بعقلانية وحلم وضبط النفس وعدم الذهاب وراء الانفعالات الشخصية وتغليب المصلحة العامة في المهمة القيادية . . هذا درس كبير من دروس علي عَلَيْهِ السَّلَامُ . أما الانغماس في التفاصيل فسوف يترك أثرا سلبيا في نفس المسؤول ، وبالتالي يرى نفسه معزولا عن مجتمعه ورعيته ، إن الاهتمام بالصغائر وهي تصدر من الجميع توصل المسؤول لأن يكون معزولا حتى عن أقرب الناس إليه ، وإن متابعة التفاصيل سوف تفشل المهمة القيادية .

استحضار الأهداف الكبرى

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تحف العقول : «لا تداقوا الناس وزنا بوزن وعظموا أقداركم بالتغافل عن الدني من الأمور»^(٥١) ، لا تتعامل مع الناس بالمشاقيل ، لا تقفوا عند اللقطات العابرة ، وارفعوا من شأنكم وقيمتكم ، أما الأمور الدنيئة والبسيطة والجزئية فاتركوها وتغافلوا عنها .

في غرر الحكم: «إن العاقل نصفه احتمال»^(٥٢). تحمّل وسعة صدر «ونصفه التغافل»، غصّ الطرف عن الجزئيات والصغائر، على المسؤول أن يستحضر الأهداف الكبرى والمسائل المصيرية لتحقيق الأهداف الكبيرة في مهمته القيادية، كما أن على الوزير أن يهتم بأمر وزارته وخدمة المواطن.

في غرر الحكم أيضا: «لا حلم كالتغافل»^(٥٣)، حلم الحليم في تغافله في هذه الجزئيات، «لا عقل كالتجاهل» وعقل العاقل في التجاهل في هذه الجزئيات والأخطاء التفصيلية^(٥٤).

في غرر الحكم أيضا: «من لم يتغافل ولم يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته»^(٥٥). إن الاهتمام بالقليل والقال والتفاصيل يؤرّق المسؤول وتتحول حياته إلى نكد، ويفقد الاستقرار والطمأنينة، وينشغل عن المهمة الأساسية له في خدمة من هو مسؤول عنهم.

التغافل عن الجزئيات دليل قوة

في نهج البلاغة: «من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم»^(٥٦)، يحاول المسؤول هنا التغافل عن الأخطاء والسلبيات الصغيرة، هذا هو المنهج والطريق في الإدارة والقيادة، هنا أوجه ندائي للأب والأم وهما رب الأسرة؛ لا تحاولوا محاسبة أبنائكم على صغائر الأمور ماداموا سائرين في الطريق الصحيح، وصغائر الأمور لها عدة معان ومفاهيم؛ فهي في الأسرة ليست كما في مؤسسات الدولة الكبيرة، يجب أن ننظر إلى الأمور كل بحسب ماهيته.

البعض يرى أن التجاهل والتغافل لهذه الجزئيات إنما هو دليل ضعف، وقد يقول المسؤول كيف أكون مسؤولا إذا لم أعرف وأدرك ما يحصل في دائرتي؟ وإذا لم أنشر العيون لمراقبة الناس في كل مكان؟ من قال إن هذا دليل قوة، من قال إن التغافل مؤشر للضعف! التغافل والتجاهل عن الصغائر دليل استقامة في السلوك، ودليل قوة في المهمة القيادية، ودليل التشخيص الدقيق لفقهِ الأولويات

٥٢. غرر الحكم ج٢ ص ٥٢٦

٥٣. المصدر السابق، ص ١٦١

٥٤. المصدر السابق، ص ١٢

٥٥. المصدر، ص ٣٠٨

٥٦. نهج البلاغة ج٤ ص ٣٥

والأسبقيات في المسارات القيادية، دليل أنك عارف أين هو اتجاه البوصلة ولا تدع الآخرين يتحكمون بك، لديك مهمة كبيرة عليك السير بها في الاتجاه الصحيح، إذن التغافل والتجاهل دليل قوة وليس دليل ضعف.

التغافل لا يعني التهاون

في بحار الأنوار عن علي عليه السلام: «أشرف خصال الكرم غفلتك عما تعلم»^(٥٧)، الشريف في القوم، وأشرف خصال الشريف التغافل، إنه دليل قوة وهو بذل الجهد في ما يستحق وعدم الاهتمام بالترهات والتفاصيل الجزئية الأخرى، ولكن يجب ألا يفهم أن التجاهل والتغافل عن الصغائر وعن التفاصيل الجزئية تجاهل للأخطاء وخرق القانون والاعتداء على حقوق المواطنين وانتهاك الحرمات، فالظلم الذي قد يقع على الناس يجب ألا يُتهاون معه ولا يُسكت عنه، مظالم تطول المواطنين، تعامل سيئ مع الناس.

هذه أمور لا يجب السكوت عنها، الأخطاء ومخالفات القانون والتجاوز على الحقوق، كلها أشياء يجب الوقوف عندها ويجب معالجتها، ويجب عدم السماح بأن تأخذ مسارات ومديات بالشكل المفتوح ويصبح المواطن خائفاً على نفسه وعلى أمنه وعلى حقوقه، هذه الأمور ليست جزئية يتغافل عنها، هذه مسائل يجب الوقوف عندها لأنها ترتبط بصميم المهمة القيادية. كذلك في موارد الشبهة يجب الوقوف وعدم الاندفاع ومحاسبة الآخرين، ولعلك تحاسب إنساناً نزيهاً وشريفاً لا يساوم ويدافع عن حقوق الناس، وهناك أناس انتهازيون لا يعجبهم العمل الصحيح.

عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أدرؤوا الحدود بالشبهات»^(٥٨)، حتى لا تقعوا في ظلم الناس، فالإتهامات والظنون والأقويل لا يمكن اتخاذ الإجراءات الصحيحة وفقها، فقد يُسجن إنسان مظلوم ويفقد معها عمله ثم يُطلق سراحه بعد عدة أشهر، هذا غير صحيح، من يتحمل كل هذه المعاناة المادية والمعنوية لذلك الإنسان؟ إن الأخذ بالظنون والإتهامات والتساهل في اتهام الناس قضية خطيرة

٥٧ . البحار ج ٧٢ - ص ٤٩

٥٨ . من لا يحضره الفقيه، ج ٤ - ص ٧٤

جدا، إن الاعتداء ومخالفة القانون وكسر هيبة الدولة تتطلب موقفا حازما، ولكن التفاصيل والجزئيات والتقارير الكيدية تتطلب تريثا وتوقفا وحكمة في التعاطي .

إبعاد النمامين والوشاة

يجب إبعاد النمام والواشي؛ لأنه يسيء للمسؤول، ويخرج مواقفه ويجعله دائما غاضبا على الآخرين، ويعيش أزمة الثقة معهم. يقول الله تعالى في سورة القلم: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾^(٥٩) رغم أنه يحلف بأغلظ الإيمان فلا تطعه أو تسمع لهذا النمام الذي يحاول إبعادك عن المجتمع الذي أنت فيه، فلا تقربه حتى تنجح .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والنميمة»^(٦٠) من ينم لك فإنه سينم عليك في يوم آخر، فالنمام فيروس خطير، «لا يدخل الجنة نمام»^(٦١)، لا تتبعوا عثرات الناس وتوقعوا الناس بعضهم ببعض، الجنة تحرم على النمام، هذا ما يقوله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

يذكر الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبره بأن هناك من يتكلم ويتهجم على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأجابه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا هذا إن كنت صادقا مقتناك» إذا كان كلامك صحيحا فإنني أمقتك، لا يسمح علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لأحد أن ينقل كلاما عن الآخرين وأخطائهم الشخصية إليه حتى وإن كانت صحيحة، لأن ذلك مدعاة للضعينة والأحقاد، «وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن أحببت القليل أقلناك» وضع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الخيارات أمام الرجل؛ فإن أراد سحب تقريره الكيدي فإن العفو ينتظره، وقد كان هذا الرجل يأمل أن يكافئه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على نقله لأخطاء الناس بحقه ويحصل على امتيازات، إلا أنه رأى عكس ما أراد «فقال أقلني يا أمير المؤمنين»^(٦٢)، اختار العفو والصفح وسحب تقريره ووشايته، إن النميمة لا تؤدي إلا إلى الكراهية والعداء والأحقاد، على المسؤول ألا يقف عند الصغائر والأخطاء الجزئية للرعية، هذه تربية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٥٩ . سورة القلم : الآيتان ١٠ و ١١

٦٠ . ميزان الحكمة ، ج ١٠ ، ص ٤٨٨

٦١ . البحار ج ٧٢ ، ص ٢٦٨

٦٢ . الاختصاص ، ص ١٤٢

التريث وعدم قبول النميمة

في غرر الحكم يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتبعد عن الله وعن الناس»^(٦٣). إن البغضاء والشحناء والخصومة هي آثار النميمة، وبالتالي فهي تبعد الإنسان عن الله، لأنه يتخذ مواقف لا يرضى بها الله تعالى، كما تبعد المرء عن الناس، لأنها تحدث النزاعات بين الناس، وفي بحار الأنوار عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياكم والنمائم فإنها تورث الضغائن». . نسأل الله تعالى أن نتجنب ذلك ويجعلنا نقرّب الناس ونشاور معهم، يقدمون لنا النصح في ما هو خير ويقربوننا من الآخرين ولا يبعدوننا عنهم.

يوم الشهيد العراقي

مر علينا يوم الشهيد العراقي، ذكرى استشهاد شهيد المحراب ورحيل عزيز العراق، وهو اليوم الذي نستذكر فيه كل شهداء العراق الذين سقطوا ضحية النظام الدكتاتوري المستبد البائد وضحايا الإرهاب الذين استهدفتهم يد الإرهاب المشلولة، الإرهاب الأعمى الذي استهدف المواطنين وقتل الناس على قارعة الطريق منذ سنوات عديدة، في يوم الشهيد العراقي نستذكر كل هؤلاء الشهداء ونقف إجلالا وإكبارا وتعظيما لتضحياتهم وعطاءاتهم وما قدموه لهذا الوطن وما حققوه من دفاع والتزام بشؤون هذا الوطن الكريم، وفي يوم الشهيد العراقي نستذكر كل أولئك الشهداء من أعالي جبال كردستان إلى أهوار الجنوب إلى كل محافظة من محافظات العراق، حيث سقط شهيد، والدم العراقي الطاهر أريق في كل مكان وفي كل محافظة ومن كل مكونات العراقيين.

في يوم الشهيد العراقي نستذكر كل أولئك الشهداء ونستذكر ذويهم وأسراهم ومسؤولياتنا كشعب وأمة ودولة تجاه أسر الشهداء وعوائل الشهداء وذويهم، فإن الدستور قد ضمن لهم حقوقا ما زالت بعيدة عنهم، وإن القوانين السارية المفعول في بلادنا تحدد لهم مخصصات وامتيازات وقطع أراض وغيرها من الأمور، ولكن عملية منح الحقوق وتعويض أسر الشهداء عملية بطيئة جدا، وهذا ما يحتمل المؤسسات المعنية مسؤولية كبيرة في التصدي وتحمل أعباء هذه المسؤولية وتعويض أسر الشهداء وضحايا الإرهاب، فهذه الأسر تعيش ظروفًا

٦٣ . البحار ج ٦٨ ، ص ٢٠٣

صعبة في هذه الأيام، الأرامل والأيتام يعيشون في أماكن غير ملائمة وغير مناسبة وفي ظروف اقتصادية حرجة، وهذا ما يجعلنا نتحسس محتتهم وألامهم في مثل هذا اليوم الذي نعيش فيه يوم الشهيد العراقي.

إن تكريم عوائل الشهداء وأسرههم ليس منة من أحد، إنما هو واجب شرعي ووطني نتحمل جميعا المسؤولية تجاهه لرفع الغبن عن هذه العوائل، ومن الذي يمكن أن يعوض عن فقد حبيب وعزيز؟. المسألة ليست تعويضا عن ذلك الراحل الكبير والشهيد العزيز وإنما هو تضميد للجراحات المعنوية لهذه العوائل وهذه الأسر الكريمة، إن يوم الشهيد العراقي يجب أن يتحول من طابعه الرمزي إلى واقع وعمل حقيقي يمجّد فيه شهداء العراق بكل ألوانهم وأطيافهم وتنوعاتهم ويضمن فيه العيش الكريم لعوائلهم وأسرههم.

مسؤولية تاريخية كبيرة

لقد وُفق تيار شهيد المحراب في رحاب هذه المناسبة، ليقوم بالعديد من الفعاليات النوعية والنشاطات الكبيرة، كان في مقدمتها المؤتمر الحادي عشر للهيئة العامة للمجلس الأعلى، حينما عقد هذا المؤتمر وجرّت فيه مناقشات ومداومات معمقة ومستفيضة، في الشأن الداخلي لتيار شهيد المحراب وفي الشأن الداخلي العراقي وفي الأوضاع الإقليمية والدولية، وخرج بنتائج مهمة وكبيرة على مستوى تيار شهيد المحراب ومستوى ترميم مؤسسة المجلس الأعلى وإعادة هيكلتها وتوزيع الأدوار القيادية فيها، ثم الذهاب إلى الانتخابات الشفافة الحرة للمكتب السياسي وللهيئة القيادية ولرئاسة المجلس الأعلى أمام شاشات التلفاز، على مرأى ومسمع من الرأي العام، في بادرة عصرية وجديدة يفخر بها العراق والوطن العربي، أن يكون هذا التطور في القوى السياسية، وهذه الشفافية في أداء هذه القوى، حينما تتعامل بمسؤولية كبيرة في تطوير ذاتها وعرض واقعها بشكل جديد، لتكون وفيّة لشعبها والتوقعات الكبيرة المرجوة منها، فقد غطت وسائل الإعلام هذا الحدث الكبير بتفاصيله، وكان مشار الإعجاب للمراقبين في داخل العراق وفي خارجه.

إن الإجماع الذي حظي به ترشيحنا لرئاسة المجلس الأعلى، يضعنا أمام مسؤولية تاريخية وأخلاقية في الوفاء لهذه المسؤولية أمام أبناء تيار شهيد المحراب، وأمام أبناء شعبنا العراقي بشكل عام، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن

يوفقنا لأداء الأمانة ونكون بمستوى المسؤولية وموضع حسن الظن لأبناء شعبنا العراقي .

ملحمة الوفاء

ثم بعد ذلك كان الاجتماع المليونى لتيار شهيد المحراب الذي تم في ١٦ محافظة في وقت متزامن في داخل العراق ، وفي ١٣ دولة لتنظيمات تيار شهيد المحراب للجالية العراقية المتواجدة في تلك البلدان ، أربعة منها في وقت متزامن والأخرى في احتفالية مستقلة لأن التوقيتات لم تكن تلائم تلك الدول والمناطق ، إن هذا يمثل تحولا كبيرا حينما يحصل مثل هذا التجمع الكبير المليونى في هذا العدد الواسع من المحافظات العراقية ، وفي وقت متزامن وبإيقاع واحد وتنظيم عال وبشعارات موحدة ويتوجه واضح ورسالة موحدة لأبناء شعبنا العراقي ولجميع المراقبين في العالم .

إن مثل هذا الحدث قد يكون الأكبر في العراق منذ ٢٠٠٣ وإلى يومنا الحاضر ، فلم يشهد العراق تجمعا بهذه السعة وهذا التنظيم وهذا التنوع الذي شهدناه بهذه المناسبة الكريمة ، إن هذا العمل الكبير والمميز يضع تنظيمات تيار شهيد المحراب أمام مسؤولية تاريخية كبيرة ، ولا بد من أن يتحمل تيار شهيد المحراب هذه المسؤولية ويقف وبواجباته تجاه أبناء شعبه ، حينما يمتلك هذا التنظيم الكبير والواسع والمؤثر وبطاقات شبابية كبيرة ، لا بد من أن يكون له حضور لخدمة الشعب وخدمة الوطن والمواطن بما ينسجم مع ثقله وحجمه ومع قدرته على الحركة والتأثير الكبير ، ومثل الوفاء لأبناء شهيد المحراب وبناته ، الوفاء للشعب العراقي حيث قطعوا وعدا على أنفسهم ولشعبهم في أنهم سيجددون وسيتعرفون على الأخطاء ويعالجونها ويعيدون بناء أنفسهم وسيبعثون في هذا التيار الروح الشبابية والحماسة والعزيمة وسيقفون في خدمة الوطن والمواطن ورفعوا ذلك شعارا لهم .

إنهم قاموا بعملية المراجعة والتصحيح والتطوير وبناء الذات وقدموا أنفسهم كما وعدوا بذلك لأبناء شعبهم . إن الانفتاح الذي يشهده تيار شهيد المحراب على الطاقات الشبابية وعلى العشائر العراقية وعلى المرأة العراقية وعلى كافة الشرائح الاجتماعية ، إنما هو إيفاء بتلك الوعود التي قطعناها على أنفسنا مع الله سبحانه وتعالى ومع أبناء شعبنا ، فتحول هذا المهرجان الكبير إلى ملحمة للوفاء

لتنظيمات تيار شهيد المحراب تجاه شعبهم وتجاه أمتهم ، إنني أوجه شكري وتقديري واعتزازي لكل تنظيمات تيار شهيد المحراب في داخل العراق وخارجه على هذه الملحمة التي سطروها ، وعلى هذا الأداء المميز الذي قاموا به ، وعلى هذه الحماسة التي عبروا من خلالها عن وفائهم لشهيد المحراب وعزيز العراق ، ولهذا النهج المبارك ، وأخص بالشكر والتقدير والثناء المئات من القيادات الشبابية في مختلف مناطق العراق الذين وقفوا وأداروا هذه العملية وحققوا هذه الملحمة الكبيرة ، فشكري واعتزازي لهم ، وشكر الله أعظم .

التحلي بالتواضع والتواضع

ولكن أود أن أوجه لهم توصيات في هذه المناسبة أيضا ، اعلموا يا أعزائي أن هذا الانتصار إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى ، وقد تربينا في تربيتنا الإسلامية على نهج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام ، إذا ما تحقق انتصار وإنجاز فنرى أن ذلك بعين الله وبقدير من الله سبحانه وتعالى وبغاية ورعاية ولطف من الله سبحانه وتعالى ، والله وحده من له الفضل في هذه الإنجازات وهذه الانتصارات ، وإذا ما حصلت كبوة أو تلكؤ أو تعثر فهو من عند أنفسنا ونحتاج إلى همم عالية كي نتجاوز هذه الكبوات والعثرات ، لذلك نرى أن هذا الانتصار وهذه الملحمة هي من عند الله سبحانه وتعالى وليست من عند أنفسنا . نحن قمنا بما علينا والله سبحانه وتعالى هو الذي سدد ووفق وحقق مثل هذا الإنجاز الكبير .

يا أبناء وبنات شهيد المحراب وعزيز العراق ، إن هذا الحضور الرائع والمميز والواسع يجب أن يشعرونا بمزيد من التواضع وخفض الجناح وخدمة المواطنين ، إن شعار خدمة الوطن والمواطن شعار رفعتموه لأنفسكم ويجب أن تكونوا أوفياء لهذا الشعار وأن نكون في خدمة الوطن والمواطن في كل ظروفنا وأحوالنا ، الغرور والتكبر والاعتداد بالذات والاستعلاء على المواطنين يجب أن يُمحي من قاموسنا ويكون التواضع والتواضع أمام المواطنين وخدمة الناس هي شعارنا وهي هدفنا وهي غايتنا ليس إلا ، وكلما ازددنا قوة ازددنا تواضعا وخفضا للجناح وتواضعا أمام الناس ، وعلينا أن نكرس ونوظف هذه القوة في خدمة الناس ، كما أوصيكم أحبتي بالتهيؤ لمواصلة المشروع بكل عزيمة وإصرار وثبات ، فإننا في بدايات البداية وما زلنا بعيدين عن أطروحاتنا كل البعد ، ونحتاج إلى الكثير من الوقت ومن الجهد حتى نحقق الطموحات التي تجعلنا كما يتمنى أبناء شعبنا وكما نتمناه

لأنفسنا من أن نكون على مستويات الجهوزية والاستعداد لخدمة هذا الشعب الكريم، ولذلك علينا أن نستمر في تأهيل أنفسنا وتطوير قابلياتنا وتوفير عنصر الكفاءة والالتزام والاستقامة والثبات في نفوسنا.

إننا اليوم ندخل مرحلة البناء العقيدي والفكري والبناء السياسي والتهيؤ لخدمة المواطنين بكل ما أوتينا من قوة، ولا بد من أن نعمل جاهدين على إيصال رسالتنا إلى أبناء شعبنا ليفهموا مشروعنا وليتعرفوا على نوايانا وليحسنوا الظن بنا، في وقت قلّ حسن الظن من الناس بالسياسة وبالسياسيين على وجه العموم. إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾^(٦٤)، وكل ما أنهينا جولة وانتهينا من إنجاز علينا أن نتهيأ للجولة الأخرى ونستعد للخطوة الأخرى، متوكلين على الله سبحانه وتعالى، مستمدين منه القوة بثبات ووضوح وإخلاص له سبحانه وتعالى في أن نمضي قُدماً ونشق طريقنا. ، وإن الله سبحانه وتعالى هو حامينا وهو ملاذنا وهو الذي سينصرنا، لأن هذا وعده، إن الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بنصره، فلنكن مؤمنين ونتحمل مسؤولياتنا تجاه شعبنا حتى نحظى بنصر الله سبحانه وتعالى.

الشكر للقادة السياسيين

كما عُقد الاجتماع الرسمي في ذكرى شهيد المحراب وفي ذروة الأزمة السياسية والاحتقان السياسي بين القيادات العراقية، ولكننا لاحظنا في هذا الاحتفال حضور كافة القيادات العراقية الكريمة على اختلاف توجهاتها ومشاربها، ولا بد من أن نوجه الشكر والتقدير لكل الذوات والقادة الذين شاركوا بأنفسهم أو أرسلوا مندوبين عنهم وشاركوا هذا الاحتفال الكبير والمهم، وبعد ذلك كان اللقاء بالمراجع العظام، وهكذا تعودنا بعد كل إنجاز أن نذهب لمراجعنا العظام ونطلعهم ونخبرهم عما نقوم به وما نفكر وما نخطط له وقد لاحظنا الكثير من التقدير والاحترام والتفهم لمسارات المجلس الأعلى من قبل مراجعنا العظام، ما جعلنا نشعر بالغبطة ونشعر بثقل المسؤولية الملقاة على عواتقنا، ونسأل الله أن نكون دائماً عند حسن ظن مراجعنا العظام، وعند حسن ظن أبناء شعبنا. إننا نجدد التزامنا تجاه شعبنا العراقي الأبى بأن نبقي أوفياء نصون الأمانة وندافع عن المشروع ونخدم هذا الشعب ونقف بوجه المفسدين بكل ألوان وأنواع الفساد

٦٤ . سورة الشرح: الآيتان ٨٥٧ .

المالي والإداري وغير ذلك ، لنكون أوفياء لشعبنا وأن نفي بما قطعناه مع أنفسنا ومع شعبنا .

المزيد من الحكمة والحنكة

تتصاعد حمّى التصريحات النارية بين الفرقاء السياسيين مع تعاضم الحلول المقترحة من كل طرف من الأطراف ، وعدم القدرة على الوصول إلى نتيجة موحدة لحل الأزمة السياسية القائمة في البلاد . ولا بد من أن نكون صريحين مع أبناء شعبنا ، وأن نعترف بأن الأزمة وصلت إلى حدود تنذر بالخطر ونحن نمر بمرحلة في غاية الحساسية ، مما يتطلب المزيد من الحكمة والحنكة والتأني والروية وحساب الخطوات بدقة ، حتى لا نضيع على أنفسنا فرصة لملمة الشتات ومعالجة الأزمة والعودة إلى الوئام والاستقرار والمحبة والتسامح والمودة بين العراقيين .

وبدون ذلك سيغرق المواطن في المخاوف والهواجس التي يعيشها جراء هذه الأزمة المحترمة ، وما يراه من تدهور مستمر للأمر ومن تحول هذه الأزمة إلى عقدة سياسية مزمنة يصعب حلها وتفكيكها ، حتى أصبحت الحلول تعطل بعضها بعضاً وتحول إلى كسر الإيرادات ، وهذا ما يشعرنا بالقلق الكبير لأن المواطن يخسر بهذه الطريقة والوطن يخسر بهذه الطريقة ، وكلنا سيخسر المشروع الذي ضحينا من أجله بالدماء الزاكيات للشرفاء والوطنيين من أبناء هذا الوطن .

إقحام الشارع العراقي خطيئة كبيرة

إننا لا نريد حلاً يخسر فيه المواطن ويربح فيه بعض السياسيين ، فإن الوطن والمواطن يجب أن يكونا الأساس والقضية الأولى التي على أساسها تنتظم كل المصالح والقضايا الأخرى ، إننا نؤكد من جديد على ضرورة إبداء المرونة واعتماد مبدأ التنازلات المتبادلة بين الأطراف السياسية ضمن إطار المصالح الوطنية العامة والحوار الجاد والمضي قُدماً نحو المؤتمر الوطني الذي تجتمع فيه وعلى طاولته كل الأطراف السياسية ، لتناقش بجديّة ومسؤولية وإرادة صادقة القضايا الأساسية العالقة ، وتخرج من هذه الأزمة التي تعيشها البلاد . وبذلك نغلب مصالح الوطن والمواطن والمصالح العامة للبلاد على أي مصلحة أخرى . فإننا لا نعرف حلاً ممكناً ومقبولاً ، يضمن المصالح العامة للبلاد ويجنبنا المزيد

من الأزمات ولا يوسّع الأزمة ولا يذهب إلى الحلول الترقيعية والمنقوصة، إلا بهذه الخطوات التي طالما تحدثنا بها وذكّرنا بها، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمكننا من مواصلة هذا المشوار وأن نشهد المزيد من الاستقرار السياسي والوئام بين الأطراف السياسية.

كما نحذر من إقحام الثوابت الوطنية والحقوق الدستورية والشعبية في الأزمة السياسية الراهنة، وكلما وقفنا عند أزمة من الأزمات خرج البعض من هذه المحافظة أو تلك ونادى بالفيدرالية، ولوح بها للضغط على الشركاء الآخرين، لتتحول الفيدرالية من حقيقة دستورية إلى أداة سياسية وورقة ضغط سياسي يُلوّح بها من كل طرف تجاه الطرف الآخر، وكلما استقرت الأمور خرج البعض ليتحدث عن أن الفيدرالية سبب في تجزئة العراق وتقسيم العراق ويجب تجنبها، وكلما اشتدت الأزمة عاد نفس هؤلاء الناس ليتحدثوا بحديث آخر ويعتبروا أن الفيدرالية حق دستوري وأنها طريق لنيل حقوق المواطنين، إن مثل هذه الازدواجية في المعايير واستخدام هذه الثوابت والحقوق الدستورية لأبناء شعبنا ضمن ورقة الجدل السياسي والضغط السياسية المتبادلة بها إساءة للدستور ولهذه الحقوق الدستورية.

وهكذا الحال في موضوع وحدة العراق وزجها في الأزمات السياسية، وكلما حصلت أزمة لوّح البعض من هنا أو هناك بأن هذا يخاطر بوحدة العراق، على الجميع أن يعرف أن الحكام جاؤوا وذهبوا في تاريخ طويل وبقي العراق موحداً، وأن الأزمات حُلّت ومضت ورحلت وبقي العراق وحدة موحدة دون تجزئة، فلذلك علينا ألا نربك وحدة العراق بالإشكالات والأزمات السياسية اليومية التي نعيشها في بلادنا، وكذلك إقحام النزعات القومية والمذهبية والتمترس خلف القوميات والطوائف في صراع سياسي وجدل سياسي، إن هذا يسيء لأمن واستقرار هذا البلد الكريم وسيزيد من تعقيد هذه الأزمات، حينما ندخل أطرافاً جديدة في الأزمة من الصعب التحكم بها أو السيطرة عليها، مما سيخلق المزيد من الإشكالات.

وكذلك إقحام الشارع العراقي في الأزمات السياسية والتلويح بالنزول إلى الشارع وإخراج الناس ليصطفوا مع هذا أو ذاك في هذه الأزمات، خطيئة كبيرة لا تُغتفر، فالجميع يمتلك شارعا، وإذا أراد كل من القيادات أن ينزل شارعه ليخرج الشارع الآخر ونجعل الصراع ينتقل من صراع بين السياسيين إلى صراع بين

الناس على الأرض ، ولاسيما مع التنوع القومي والمذهبي والعشائري والمناطقية الذي نعيشه في العراق ، فهذا سيعني زرع الكراهية والبغضاء بين الناس ، والذهاب إلى المجهول والدخول في نفق مظلم ، وسيتحمل كامل المسؤولية عن ذلك من يتحرك نحو الشارع وينزل الشارع لحل أزمات السياسيين هنا وهناك .

الدور المحوري للمرجعية الدينية

استمعنا مؤخرا إلى تصريحات ممثل المرجعية الدينية ، وما عبر عنه من إحباط المرجعية الدينية من عدم أخذ الكتل السياسية بنصائح وإرشادات المرجعية . وما يخلف ذلك من أضرار بمصالح الوطن والمواطن ، إننا نؤكد من جديد على الدور المحوري للمرجعية الدينية ورعايتها للأموال والشؤون العامة في البلاد ، وأن موقعها المعنوي واحتكاكها المباشر مع الناس يجعلها من أهم الروافد للتعرف على مشاكل الناس وهمومهم ، وعلى نبض الشارع والرأي العام ، ويجعلها ضمير الأمة وقادرة على تحسس آلام ومعاناة المواطنين بشكل عام . فلا بد من الأخذ بتوجيهات وإرشادات المرجعية الدينية لتتطور الأمور وتحسن الأوضاع ويُخدم المواطن وتتعزز ثقته بالسادة المسؤولين .

الشمولية في فكر الإمام الخميني (رض)

تمر علينا الذكرى السنوية لرحيل الإمام الخميني ، قدس سره الشريف ، هذا المرجع الكبير الذي ترك بصماته في تاريخنا المعاصر ، ليس على مستوى الشعب الإيراني وحده وليس على مستوى المنطقة والدول الإسلامية ، وإنما ترك بصماته في واقعنا الدولي بشكل عام . وقف بوجه حكم الاستبداد البهلوي وتحمل ما تحمّل من المعاناة وعاش النفي عن البلاد وعن الوطن لخمس عشرة عاما ، وهاجر فيها إلى تركيا ثم العراق ثم إلى فرنسا ثم كانت العودة إلى أرض الوطن ، عاد منتصرا بعد معاناة طويلة ومحنة وألم كبيرين تحمّلها خلال فترة النفي من البلاد ومتابعة المواجهة المستمرة للنظام المستبد والدكتاتوري البهلوي في إيران .

إن ثبات الإمام الخميني وإصراره على مشروعه وعلى ثوابته وعلى رؤيته في إنقاذ الشعب الإيراني وإيمانه الكبير بالله سبحانه وتعالى وبنصرة الله للمؤمنين ، إذ لم يتزحزح ولم يتردد في لحظة من اللحظات بالرغم من المعاناة الطويلة التي مر بها ، وقيادته الحقيقية للملايين من أبناء الشعب الإيراني المسلم ، في ظروف

بالغة التعقيد وتوحيده للمعارضة الإيرانية بكل أطرافها وتوجهاتها وانتماءاتها، كل ذلك مكن الإمام الخميني من أن يحقق هذا الانتصار الكبير للثورة الإسلامية في إيران، وأن يكون مرجعا يقود هذا الشعب ويقود هذه الدولة الكريمة باتجاهات الرفاه والبناء والإعمار والازدهار على المستوى الديني والخدمي.

إن المرجعية الدينية كانت دوما سندا ومنارا ومحورا للوحدة الوطنية ومقارعة الظلم والطغيان والوقوف بوجه الاستبداد، وتحملت كل الآلام والمتاعب من أجل رفاه وحرية الشعوب الإسلامية، إن المهم في شخصية الإمام الخميني هو الشمولية في الشخصية؛ فكان فقيها واستطاع أن يجدد في الفقه ويقدم نظريات مهمة وجديدة، ولاسيما على مستوى الفقه السياسي والفقه الدولي، وكذلك كان عارفا استطاع أن يؤسس لمدرسة عرفانية على ضوء مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكان فيلسوفا وكان مصلحا اجتماعيا وكان قائدا سياسيا بارعا استطاع أن يقف بوجه كل الأخطار والتحديات ويحقق إنجازا عظيما لشعبه والشعوب الإسلامية وللمستضعفين في العالم، فأصبح منارا يقتدى به ويستفاد من تجربته ليس في التجربة الإيرانية وحدها، وإنما في كل مواقع العالم، وكان له اهتمام كبير بالشباب وبالمرأة في مجمل مشروعه وحركته.

النظرية السياسية للإمام الخميني

ويمكننا أن نختزل النظرية السياسية للإمام الخميني التي أصبحت أساسا في فلسفة الدولة الإسلامية، وفي الإطار العملي للنظام السياسي القائم في إيران، يمكن اختزالها في اثنتي عشرة نقطة:

أولا/ سيادة القوانين الإلهية، الإمام الخميني كان يرى ضرورة أن يكون الحكم إسلاميا وأن يرجع إلى التشريعات الإسلامية وأن تكون أساسا في التشريعات والقوانين التي تسيّر البلد الكريم.

ثانيا/ تحكّم الجماهير بمصيرها وأن يكون للجمهور الدور بمصير البلاد وشؤون البلاد المختلفة في كل ما يحصل من قرارات وتوجهات.

ثالثا/ قيادة الفقيه العالم العادل لهذه الدولة، حتى يحكم بالعدل وحتى يطمئن أن القرارات المتخذة قرارات تنسجم مع الفهم الإسلامي.

رابعاً/ اعتماد مبدأ الخدمة وليس مبدأ السلطة والرئاسة، ونجد ذلك بشكل مكثف في أحاديث وبيانات سماحة الإمام.

خامساً/ بناء النظام السياسي الإسلامي على أصوات الجماهير واقتراعهم، ونجد بغضون ثلاثين عاماً هناك ما يقرب من هذا العدد من عمليات انتخابية تمت في الجمهورية الإسلامية، أولى الاهتمام الكبير بالانتخابات وصناديق الاقتراع والعودة إلى الشعب في حسم الكثير من الخيارات.

سادساً/ إلغاء جميع ألوان التمييز والاحتكار والطبقية في المجتمع.

سابعاً/ إلغاء جميع صنوف الاستبداد والإكراه والدكتاتورية وفرض الرأي والهيمنة في الداخل والخارج على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي. ثامناً/ الحرية ومكافحة الظلم والجور والاستكبار، فقد كانت لسماحته الأدوات المشهودة على هذا الصعيد.

تاسعاً/ إلغاء كل إشكال الصنمية ومحورية الفرد الواحد وهذا ما نجده في نظيراته بشكل واسع.

عاشراً/ مراعاة حقوق الناس كافة والعدالة الاجتماعية.

حادي عشر/ التأكيد على المعرفة والتعريف بالإسلام المحمدي الأصيل، إذ كان يعتقد بأن الإسلام له قراءة مشوشة وفهم مغلوط، وله قراءة صحيحة تتمثل بالرؤية الأصيلة لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويجب أن تُقرأ هذه القراءة الصحيحة للإسلام.

ثاني عشر/ الوحدة بين جميع الأجيال والشرائح والمذاهب والقوميات والمكونات، فكان مصدراً للوحدة بين المكونات للشعب الإيراني ولكل الشعوب المسلمة، وكذلك نادى بالوحدة والتكامل بين الحوزة والجامعة كرافدين أساسيين للمعرفة. هذه كانت البناءات الأساسية التي انطلق منها الإمام الخميني في مشروعه.

مصر القلب النابض في الوطن العربي

تابعنا الانتخابات المصرية باهتمام كبير، ولاحظنا النسبة العالية من الناخبين مما ذكرنا بالملاحم التي سطرها العراقيون ما بعد ٢٠٠٣ في العديد من العمليات الانتخابية، وهذا ما يكشف عن أن الشعب المصري الشقيق بدأ يتخذ الخطوات

واحدة تلو الأخرى لتعميق وتعزيز النظام الديمقراطي والوفاء باستحقاقاته، إننا نهنيئ الشعب المصري بنجاح المرحلة الأولى من الانتخابات الرئاسية ونتمنى أن تشهد المرحلة الثانية نجاحا كبيرا ونتمنى اللحمة بل الانسجام والوحدة الوطنية لأبناء الشعب المصري الشقيق، فإذا كان المرشحون متعددين فلا بد من أن ينجح واحد منهم، فإذا نجح أي مرشح ونزل أتباع ومحبو المرشحين الآخرين إلى الشارع ليعترضوا على النتائج، فهذا سيعني المخاطرة باللحمة الوطنية للشعب المصري الشقيق.

مصر تمثل القلب النابض في الوطن العربي، ونريد لها القوة ونريد لها العزة ونريد لها التماسك والتلاحم، ونتمنى القبول بنتائج الانتخابات في المرحلة الثانية مهما كانت النتائج، وأن نشهد مزيدا من الاستقرار السياسي في هذا البلد الكريم. وهكذا تابعنا الانتخابات الرئاسية التونسية من ذي قبل، وترقبنا انتخابات المؤتمر الوطني العام في ليبيا، وهكذا تتعزز وترسخ تقاليد العمل الديمقراطي في البلدان العربية الكريمة، مما يعبر عن وعي متزايد للشعوب العربية في استعادة حقوقها وفي تمكين إرادتها في إدارة شؤون بلدانها ونتمنى التوفيق لجميع هذه الشعوب الكريمة.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَلًا يُعَدِّلُ بِكَ عَنِ الْفُضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.))^(٦٥).

المستشار البخيل

«ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر»، يا مالك لا تضع في طاقم مستشاريك من هو بخيل، أنت في موقع قيادي وإداري مهم وتريد أن تقود شعب بلد بأكمله، والناس لديها مطالب ولها استحقاقات ولديها توقعات، وأنت تضع ضمن طواقم مستشاريك شخصا كلما أخرجت من جيبيك نقودا أو أردت أن تصدر أمرا بتحسين حياة الناس، كما نرى اليوم مثلا من تحسين الرواتب وزيادة رواتب المتقاعدين، وحل مشاكل الفلاحين ورفع أسعار

المحاصيل الزراعية، ومساعدة المتجاوزين وبناء مساكن وبيوت للفقراء، إلى آخر هذه الإجراءات، فحين يمسك المسؤول القلم ويهمّ باتخاذ إجراء من هذا النوع، يأتيه هذا النوع من المستشارين الذين يتصفون بالخل، فيحاولون منعه من تقديم الإحسان إلى الناس، ويحاولون توجيه القوانين والبحث عن الثغرات لعرقلة الإجراء وتثبيط الرغبة.

لهذا لا تضع بخيلا ضمن مستشاريك، لأنه لن يعطيك المجال للخدمة، ومجال المسؤولية يعني الخدمة والعطاء وتقديمها للآخرين، ومن دون العطاء لا تستطيع أن تحسن إدارة العملية وقيادة المجموعة التي تقود، «ويعدك الفقر»، سيقول لك هذا المستشار البخيل إنك ستفرغ الميزانية وسنضيع، ولا يعطيك مجالاً للخدمة وتقديم شيء للناس، هذه وصية علي (عَلَيْهِ السَّلَام).

مخاوف المستشار الجبان

«ولا جباناً يضعفك عن الأمور»، المستشار الجبان يلقي الرعب في روعك، والإدارة تحتاج إلى قرارات حاسمة وجرأة وإقدام مع حكمة، تحتاج إلى شجاعة بلا تهور. وعندما تريد أن تأخذ القرار الجريء، فإن هذا القرار سيرضي كثيرين لكن قد يغضب البعض، فإذا كنت تريد اتخاذ قرار جريء وتقلل من امتيازات الطبقة المرفهة والمسؤولين وذوي الدرجات الخاصة وتعطي للفقراء والمساكين، فسوف لا يرضى المستشار عن ذلك وسيقول لك إننا سنهيج الآراء ضدنا وسيظهرون على الفضائيات يتكلمون، ولن يدعك تفعل ذلك بسبب المخاوف التي يعرضها أمامك. فلا تضع مستشاراً جباناً لأن الحكم لا ينجح، والإدارة تتطلب القرارات الشجاعة والجرئية والمستشار الجبان لا يدعك تتخذ مثل هذه القرارات.

الحريص يزيّن الشره بالجور

«ولا حريصاً يزيّن الشره بالجور»، ولا تضع مستشاراً حريصاً يزيّن لك ويبحث لك عن مداخل، لتستحوذ على أي شيء من دون وجه حق، فأحياناً قد تضع يدك على الحق ولكن تسترجعه بالجور، ويأتي لك هذا المستشار بمائة صياغة قانونية ليبرر لك مائة امتياز يخصك به عن الآخرين ومائة ثغرة في القانون لكي تتمدد وتضع يدك على كل شيء على حساب الآخرين، وهذا الإنسان الحريص

طبعاً ليس ذا حرص إيجابي، فالحرص الإيجابي على المال العام ومصالح العباد والبلاد والالتزام ورعاية القانون شيء حسن، «الشرة بالجور» يفتح شهيتك على الظلم والتعدي والتمدد وعلى بسط اليد على حقوق الآخرين، هذا الإنسان لن يفيدك ولا تضعه مستشاراً؛ لأنك ستندم في ما بعد.

البخل والجبن والحرص يجمعها سوء الظن بالله

«فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى»، أي طبائع مختلفة وليست طبيعة واحدة، ولكن يجمعها سوء الظن بالله، لكن مصدرها ومنشأها واحد، فالبخل والجبن والشرة بالجور يريد أن يأخذ كل شيء ولا يعطي شيئاً للآخرين، وكلها ناتجة من سوء الظن بالله، لماذا يبخل؟، لأنه يخاف من نفاذ النقود ولا يعرف أن الله الذي أرسلها سيرسل غيرها، والحكمة في الإنفاق ووضع خطة للصرف شيء جيد، لكن إذا كنت تعتقد أنك ستسير حياتك بالأرقام فأنت مخطئ، لأن الله هو من ربها، أعقلها وتوكل واستخدم الحكمة وتوكل على رب العالمين، إن البخل من سوء الظن بالله.

والجبن يخاف من ثوران الناس عليه، يجب السير إذا كان الموقف صحيحاً ومحققاً فيمكن الدفاع عنه، امض على بركة الله واشرح ووضح ودافع، فأهل الخير ودعاة الحق كثيرون، والحق يخدم المساحة الأوسع ومن ضربت مصلحته وهم القلة يجب عدم الاكتراث بهم أمام مصلحة العامة الذين سيوافقون ويعتبرون خطوتك صحيحة، فالجبن أيضاً هو سوء ظن بالله، وكذلك الشرة والحرص على أن تأخذ كل شيء بالجور وتضع يدك عليه ولا تعطي دوراً لأحد، ولا تسمح لأحد بالتنفس، وإذا كان في البيت فلا يعطي المجال للمرأة والأطفال، أو رئيس الشركة يريد حين يدخل أن يرى الجميع يرتعب في واحدة من صور الإرهاب الفكري والسلوكي. هذا الشرة ووضع اليد على كل شيء وأخذ كل شيء دليل واضح على سوء الظن بالله تعالى، لأنه يعني أنك لم تكن تملك ثقة بنفسك وبربك الذي يعطيك الفرص من دون الاعتداء على الآخرين.

الدروس من هذه العبارات الوجيزة لعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولا / أهمية المشورة

وهي مهمة جدا، فلا يتصور أحد أنه قادر على الاستغناء عن مشورة الآخرين، وأنه يفهم كل شيء. فمهما كنت عالما وخييرا في مجال ما، فقد تلتفت إلى جهات وتغيب عنك جهات أخرى، استشر الآخرين وشاركهم عقولهم وتجاربهم وأفكارهم ورؤاهم، وبهذا تصبح العقول والتجارب ورؤى وأفكار الآخرين في خدمتك وتقلب الأمور والمسائل من زوايا مختلفة، وتصبح لديك ثقة بالموقف الصحيح، فالخطوة التي ليس فيها مشورة ليس فيها بركة، البركة تأتي عند التشاور مع الآخرين، وعند مشاركتك عقولهم وطاقاتهم وقدراتهم، ماذا تخسر؟، ستمحص القرار ويصبح القرار مطبوخا وناضجا وفيه حكمة ومراعاة لكل الجوانب.

استشر واسأل وقلّب الأمور واتخذ القرار الصحيح، وكلما جاءت ثغرة ستقول نحن التفتنا إليها، وهكذا عالجنها وهذه المسألة تجاوزناها بهذه الطريقة، لن تندم ولن تتراجع عن قراراتك، ليس عزة بالإثم، ولكن لأن القرار أخذ كل الجوانب التي تطرح كعوائق ومصدات أمام مثل هذا الموقف، لذلك نجد في الرؤية الإسلامية تأكيدا كبيرا على قضية المشورة، ومن ذلك الآية الشريفة التي تتحدث عن الشورى والمشورة، حيث تجعل المشورة واحدة من أهم الفرائض والواجبات الإسلامية، لاحظوا قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٦٦)، الاستجابة لله والصلاة والإنفاق والشورى جاءت في سياق واحد، ما يعني بمقتضى السياق أن هناك تقاربا في المفاهيم، وأن الشورى هذا موقعها في الرؤية الإسلامية ويجب أن تتحول إلى سياق، والآية لا تقول وبعض أمرهم شورى وإنما أمرهم في كل شيء.

يجب أن تتشاور، وليس المشورة الوقتية، تلك التي تحتاج إليها في أوقات الأزمات، كلا، بل المشورة في كل حين مع الأزمة ومن دونها، مستوضحا أو غير مستوضح، فقد يكون الاستيضاح ناتجا عن رؤية أحادية ومن المفضل أن

٦٦ . سورة الشورى : الآية ٣٨

تتشاور للتأكد من موقف الجميع ، كما يجب علي أنا كمستشير ألا أعطي رأبي للمستشار ، فإذا أعطيته رأبي فهنا أكون قد حددت له الخيار وسيفصل المشورة على وفق ما أريده ، وهذه مجرد مشورة شكلية حتى أقول إنني استشرت .

وللأسف فإن بعض مؤسسات الدولة العراقية يكون المستشار لديها ليس لتقديم المشورة بل لتكييف القانون مع قناعات المسؤول ، يا مستشاري القانوني أريد أن أعمل كذا وأريد منك مدخلا يبرر هذه القصة ، فالمستشار هنا لا يقول هذا صح أو خطأ ، بل يأخذ الموقف ويبحث له عن ثغرات في القانون ، وفي اليوم الآخر يحدث أمر معاكس ويبحث عن مادة قانونية مختلفة ، وهذه ليست استشارة بل هو استخدام لخبراء في تكييف الواقع على ضوء أمزجة المسؤول ، وهذه ليست الاستشارة التي تحدثنا عنها ، فيا أيها المسؤول إذا ما أردت أن تستشير فلا تتكلم برأيك ، بل قل ؛ يا مستشارون أعطوني رأيكم ، وخذ الكلام الصحيح بحرية وانظر إلى رأيك هل هو صحيح وينسجم مع هذه الرؤية أو لا؟ ثم اخرج بنتيجة .

مشاورة الرسول لأصحابه

كان الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالرغم من عصمته وعلمه الغزير وخبرته الواسعة والعالية بين من عاش معهم ، وهم بسطاء ولا يصل أي منهم إلى جزء بسيط من علمه ، ومن يملك عشر معشار رسول الله ، من خبرته وحكته وحكمته وعمقه ومعها العصمة ، فماذا يستفيد من زيد وعمرو إذا استشارهم؟ . ومع هذا كانت سيرته أنه يتشاور مع أصحابه قبل أن يتخذ القرار ، وهذه ليست مجرد حالات استثنائية . لاحظوا هذه الرواية في الوسائل عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : «إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يستشير أصحابه ثم يعزم على ما يريد»^(٦٧) ، كان يستشير ودائما يستشير قبل أن يتخذ القرار ويسمع منهم جميعا ، ثم يأخذ القرار ، إذا كان القرار منسجما مع قناعاتهم وإذا لم ينسجم يوضح لهم ويناقشهم والله ورسوله أعلم .

وكم لدينا من روايات عن رسول الله يسأل فيها ، ولدى أصحابه جواب يناقشهم به الرسول ، ويقولون الله ورسوله أعلم ، ويعطيهم الموقف أو يأخذ برأيهم إذا

كان صحيحا . وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابه بالمشورة . حين أرسل علي بن أبي طالب الرجل العالم العملاق إلى اليمن أوصاه : «يا علي ولا ندم من استشار»^(٦٨) . أما إذا كانت آراؤه خاطئة فقل له إن رأيك غير صحيح ، وبهذا فقد أشركت الآخرين معك ، حتى لو كانت عندك معرفة كافية فمع الاستشارة سيشعر الآخرون بأنهم شركاء معك في القرار ، وسيقفون لدعم قراراتك التي قد تعيق تنفيذها بعض المصداك والمشاكل .

الاستشارة دليل العقل

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لا يستغني العاقل عن المشاورة»^(٦٩) . عجيبة هذه الرواية عن علي ، والعاقل إذا رأى نفسه لا يحتاج إلى مشورة معناه أن هناك شكافي عقله ، فإذا كنت عاقلا فلا تستغني عن استشارة الآخرين ، فإذا استغيت إذن شك بعقلك لأنك لو كنت عاقلا لكنت استشرت . وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : «ما تشاور قوم قط إلا هُتدوا لأرشد أمرهم»^(٧٠) ، أي قوم إذا اعتمدوا المشورة سيصلون إلى أقصر الطرق في تحقيق غاياتهم ومبتغاهم وأهدافهم ، وستتحقق أفضل النتائج من خلال المشورة ، استشر تصل إلى أفضل الطرق في حل المشاكل والتعقيدات المحيطة بك .

في معيار المشورة فإن الطبقة الاجتماعية والجنس لا يعينان شيئا ، المشورة تتحكم بها طبيعة المواصفات الذاتية والمعايير التي يجب أن تتوافر في المستشار ، أن يكون لديه علم وحكمة وخبرة ورؤية ، عنده شجاعة وإنصاف وموضوعية وصدقية ، عنده بعد نظر وتغليب للمصالح العامة وبعيد عن العواطف والمشاعر والأمزجة والانفعالات ، قد يكون رجلا أو امرأة ، وقد يكون كبير السن أو صغيرا ، قد يكون من طبقة الفقراء أو الأغنياء ، فهذه لا تعني شيئا ، فالمشورة ترتبط بأوصاف المستشار ، إذ إن قيمة الإنسان ليس بما يملك من الأموال ، وإنما قيمة الإنسان بأمر لا تُنتزع منه ، كالعلم والمعرفة والخبرة والصدقية ، فهذه أمور لا يمكن أن تُسلب من الإنسان .

٦٨ . بحار الأنوار ج ٧٥ ، ص ٧٨

٦٩ . ميزان الحكمة ج ٢ - ص ١٥٢٥

٧٠ . تفسير الرازي ج ٩ - ص ٦٦

صفات أخرى لمستشاري السوء

إذن فقد استعرض علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العهد بعض الأوصاف السلبية التي تمنع المستشار من تقديم المشورة الصحيحة، ذكرنا ثلاثة منها في هذا العهد، ولكن الأمير لا يذكرها على نحو الحصر، وهناك أوصاف أخرى يمكن أن يتلمسها الإنسان في نصوص أخرى لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ . ومنها:

الكذب وقلة الخبرة والتهور وضييق الأفق

الكذب وقلة الخبرة والتهور وضييق الأفق، وتأليب العواطف والمشاعر على حساب العقل والمنطق، هذه كلها سمات وصفات سلبية تمنع من تقديم المشورة الصحيحة، ونجدها في روايات واردة عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تستشر الكذاب؛ فإنه كالسراب يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب»^(٧١).

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تشاور الأحمق، فالأحمق يجهد لك نفسه ولا يبلغ ما يريد»^(٧٢)، حتى لو كان مخلصا لا يجلب لك الوصفة الصحيحة، تحتاج إلى أناس عندهم الحكمة ليعطوك الرأي السديد، وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تشاورن في أمرك من يجهل»^(٧٣).

سمات تساعد المستشار على المشورة

أما السمات التي تساعد المستشار على المشورة، فمنها خشية الله . فعلى المسؤول والمتصدي أن يبحث عن مستشارين يخافون الله تعالى، يتحلون بالتقوى والحكمة، استشر الحكماء لأنهم يعطون الرأي السديد، ولديهم الخبرة المعرفة .

فعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «واجعل مشورتك من يخاف الله تعالى»^(٧٤).

وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل»^(٧٥)، شاور

٧١ . ميزان الحكمة ج٢ - ص ١٥٢٦

٧٢ . المصدر نفسه .

٧٣ . عيون الحكم و المواعظ ، ص ٥١٨

٧٤ . تفسير التستري ، ص ٢٨

٧٥ . البحار ج٧٥ - ص ٩٨

المتقين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا، هؤلاء يقدمون المشورة الصحيحة، قد يخسر هو فيها كمستشار ولكنه يربح الآخرة ويؤثر على نفسه ويقدم مصالح الآخرين على مصلحته .

المسألة ليست سهلة كما تتصورون؛ فالوزير بين يديه المليارات، إلى أي حد يستطيع أن يراعي مصالح البلد ويغلب المصلحة العامة على مصلحته الخاصة؟ . شركة عالمية مهمة مهمة كبيرة، ومثل هذه الشركات لا تعطي الأموال تحت الطاولة ولا تعطي عمولات لأنها تخاف على سمعتها، وشركة ثانية بائسة ولكنها تعطي عمولة جيدة، فلمن نوقع؟، لتلك الشركة الجيدة التي لا تعطي العمولة أم لهذه البائسة التي أكسب منها، والناس يعانون من سوء الخدمات المقدمة والمنشآت التي تنفذها هذه الشركة؟ .

كنت في زيارة رسمية إلى ألمانيا وزرت غرفة التجارة الألمانية، فقال التجار إن الناس تشتري البضاعة الألمانية لجودتها، وحينما نضع تسعيرة فحتى ننجز لكم عملا حقيقيا، عملنا لكم سكك حديد في السابق، وحتى الآن ما زالت هذه السكك موجودة رغم الحروب والمشاكل التي مررت بها، لكن اليوم، هناك شركات بائسة ليس لديها حتى موقع انترنت، ولكنها تبيع في المناقصة بمبلغ أقل، وتعطي خدمات رديئة. لاحظوا كم ابتعدنا عن قيم الإسلام، يقول علي عليه السلام: «استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا»^(٧٦)، ربما يكون الندم بعد فترة من الزمن وليس سريعا .

ثورة الكترونية لنصرة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لقد عبّر العالم الإسلامي يتقدمهم الشباب المسلم الواعي ومعه كل الشرفاء في العالم على اختلاف دياناتهم وعقائدهم، عبّروا عن استهجانهم الشديد للعمل المشين والمخجل في الإساءة إلى الذات المقدسة لرسول الرحمة والإنسانية . وفي العراق هبّ أبناء شعبنا الأبّي هبة واحدة ومعهم تنظيمات تيار شهيد المحراب وأعرّبوا بطريقة حضارية وبطريقة سلمية عن استنكارهم واستهجانهم وإدانتهم لمثل هذه الممارسات المخجلة التي صدرت بحق رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إننا نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكل هذه المشاعر

الجياشة ولكل هذه العواطف ولكل هذه الجهود من المخلصين ومن الطيبين ومن الصلحاء ومن الشرفاء في عالمنا العربي والإسلامي وفي المجتمع الدولي عموماً .

واسمحوا لي أن أخص بالشكر والتقدير شركاءنا وأهلنا المسيحيين في العراق وفي الشرق الأوسط الذين وقفوا وقفة واحدة واستنكروا واستهجنوا بأوضح العبارات الإساءات التي صدرت بحق رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، إننا بحاجة إلى الابتعاد عن التعانف والسعي إلى التآلف ، هذا هو المدخل الذي يعزز التسامح والتقارب بيننا ، ولكننا لاحظنا أيضاً أن هذه الاحتجاجات قد اتخذت في بعض مساراتها أساليب غير سلمية وغير حضارية في بعض البلدان ، ومثل هذه الأساليب هي إحدى الوسائل لتشويه سمعة الإسلام ورسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ودفع المنحرفين إلى التطاول على الذات المقدسة لرسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

إن علينا عدم الاكتفاء بالردود الانفعالية والوقفية في التعامل مع هذه الإساءة الكبرى بحق رسولنا الكريم ومقدساتنا وديننا . وعلينا أن نستمر في إدانة زخم الضغوط باتجاه المنع من تكرار مثل هذه الإساءات في المستقبل أيضاً ، ونطالب الجهات الثقافية بأن تعمل جاهدة من خلال أعمالها الأدبية والفنية على تثبيت وتشريح وإيضاح المكانة الحقيقية لعظمة رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وتسخير المسرح والدراما والتشكيل والأعمال الأدبية الشعرية والنثرية ، كل ذلك للتعريف برسولنا الكريم وشخصيته الفذة والعظيمة .

الحرية لا تعني الاعتداء

وبهذا المنهج الحضاري نقف بوجه كل محاولات التشويه التي يتعرض لها رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، كما ندعو الشباب المسلم الواعي الذي قاد الثورات العربية بالأمس ، إلى أن يقود ثورة الكترونية كبرى لنصرة رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وأن يستثمروا التقنيات الحديثة في رد واع وحضاري بالكلمة والموعظة الحسنة والتعريف بالأخلاق المحمدية الكريمة لرسولنا ولديننا ، وبذلك نترجم الخلق النبوي الرفيع مستلهمين من القرآن الكريم قوله : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾^(٧٧) .

هذا هو منهجنا وهذه هي طريقتنا في الرد على هذه الإساءات التي يتعرض لها ديننا ورسولنا وعقيدتنا، نؤكد من جديد على ضرورة العمل على بلورة عمل إسلامي وموقف دولي بحق هذه الممارسات التي تزرع الحقد والكراهية بين الشعوب وتوفر فرصة يغتنمها أولئك المنحرفون في كلا الطرفين، إننا أمام حدث قد يؤدي إلى إشعال حرب على أساس العقيدة والدين بين الناس، فإن النار تبدأ من شرارة في بيئة ملائمة، ويجب ألا نجعل البيئة متوترة وملائمة لأن تتحرك فيها المشاعر ويتقاطع فيها الناس ويتضاربون بعضهم مع بعض، إننا أكدنا مرارا أن الحرية لا تعني النيل من مقدسات الآخرين، وحرية الرأي يجب أن تقف عند حدود حرية آراء الآخرين ومعتقداتهم ومبادئهم، ويجب أن يكون ازدياء الأديان والرسول والرموز الدينية لجميع الأديان جريمة دولية يعاقب عليها القانون الدولي والإنساني.

تجريم دولي

إن علينا ألا نترك البشرية في مهب الريح تحت رغبات مريضة ومنحرفة من هذا الطرف أو ذاك، ولذلك فإننا نطالب الأمين العام للأمم المتحدة بالعمل الجاد لوضع حد لمثل هذه الإساءات البليغة وما تخلفها من حقد وكراهية بين الناس والشعوب في مجتمعنا الإنساني. إننا أمام مسؤولية كبيرة في هذه الظروف الحساسة التي يصل فيها اللا انضباط الديني والأخلاقي إلى أوجه وذروته، فماذا لشعوب الأرض غير أن تنعم بالسلام وتشعر بالأمان؟. ومن هذا المنبر نطالب منظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة التعاون الإسلامي ودول عدم الانحياز والأمم المتحدة وكل الشرفاء في العالم بتشريع قانون دولي يجرم ازدياء الأديان السماوية تحت أي ذريعة كانت، لقد تم تحريم الاستعباد والعنصرية في قوانين دولية سابقة وصدرت قوانين دولية لحماية الملكية الفكرية، أفلا تستحق عقائدنا وأدياننا وأنبياؤنا تشريع قانون يجرم مثل هذا الاستهداف ومثل هذه الانتهاكات.

إننا نتوجه إلى الشعب الأمريكي الكريم ونطلب منه نبذ مثل هذه السلوكيات المنحرفة من أولئك المنحرفين والعنصريين والذين يسيئون إلى المسيحية بقدر إساءتهم إلى الإسلام ونبي الإسلام نبينا ث. كما يطالبنا الشعب الأمريكي بأن نبذ الإرهابيين الذين يتلبسون بلباس الدين ظلما وكذبا ويقتلون النفس المحترمة ويتجاوزون على حرية الإنسان وكرامته التي كفلها الإسلام، ديننا الحنيف.

معادلة إنسانية ونفسية

ما أكثر صرخات الغرب في وصف الشرق بأنه معقل المتطرفين ، ونحن نتحفّظ على هذا الوصف ، فالغرب أيضا ينتج متطرفين لهم أفعال مدمرة ذات أبعاد خطيرة ، ولكننا نذكر الغرب بقياداته وبمؤسساته وبمفكره ونخبه ، بأن سياسة المعايير المزدوجة هي الغذاء الأمثل لمثل هذا التطرف ، وهم يغذون هذا التطرف في الشرق بقصد أو بغير قصد ومتى ما توقف الغرب عن سياسة المعايير المزدوجة سيتوقف الشرق عن إنتاج التطرف والمتطرفين . إنها معادلة إنسانية ونفسية لا تقبل النقاش . والتعامل اليوم هو أن ما يصح لدولة لا يصح لأخرى وما يجوز لشعب تمنع منه شعوب أخرى وكأننا نعيش في عالم منفصل وليس عالما واحدا يجب أن تكون له معايير واحدة وحقوق والتزامات واحدة ، إن الشعب الفلسطيني يُترك وحيدا ويُعتبر ذلك أمرا طبيعيا ولا أحد يتوجه بملامة للكيان الإسرائيلي ، ولكن هناك دول أخرى تنهال عليها العقوبات لادعاء أسباب مماثلة لما يتعرض له الشعب الفلسطيني ، ويسمح لدول بأن تتطور وتتقدم ؛ لأنها جزء من المنظومة العالمية الجديدة ، في حين تنهال العقوبات على دول أخرى ، وتمنع من هذا التطور والتقدم ، لأنها لا تعتبر جزءا من المنظومة العالمية .

إلى متى ستبقى هذه السياسة المقيتة والعرجاء تتحكم بمسارات العالم وسياساته؟ . العالم اليوم بأمس الحاجة إلى قيادات حقيقية تحدث الفرق في حياة الشعوب وتطور من مسارات الإنسانية ، ولقد تعب العالم من سياسات دولية تعاني من الانفصام في الشخصية السياسية والإنسانية .

أزمة تعطيل القوانين

أضيفت في الفترة الأخيرة إلى المشهد السياسي العراقي أزمة جديدة تضاف إلى أزماته الأخرى ، وهي تعطيل القوانين والمشاريع والمبادرات من قبل هذا الطرف أو ذاك ، وهذا يدل على أننا سياسيا لم نصل إلى النضج السياسي الوطني الذي يجعلنا نقدم ونغلب مصالح المواطنين على التقديرات والمصالح السياسية الخاصة بهذا الطرف أو ذاك ، إن مثل هذه الإشكالية تجعلنا لا نميّز بين الموقف السياسي والمشاريع والقوانين ذات الصلة بمصالح المواطنين .

إننا نؤكد على أننا مع كل قانون ومع كل تشريع تكون فيه خدمة للوطن

والمواطن بغض النظر عن موقفنا السياسي من الجهة التي تطلق هذا القانون، فنحن مع قانون الدفع الآجل الذي تقدم به دولة رئيس مجلس الوزراء، وكل الذي نريده هو أخذ الملاحظات الموضوعية التي تقدم بها السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب، والتي ستساعد على تحقيق ضمانات بحماية المال العام، وتحقيق المزيد من الشفافية والنزاهة، ليصب هذا القانون كما أريد له في مصلحة المواطنين وخدمة الفقراء، وفي بناء البنية التحتية لهذا البلد الكريم، ولا يكون سببا جديدا من أسباب الفساد المالي، تضاف إلى قائمة أخرى من مداخل الفساد، في قوانين ومشاريع الدولة العراقية.

ونحن مع قانون العفو العام، مع ضمانات بالحفاظ على حرمة الدم العراقي وعدم شموله من تلطخت أياديهم بدماء الشعب العراقي ومن كان جزءا أساسيا في الشبكات الإرهابية والتكفيرية تحريضا وتمويلا وتخطيطا وتنفيذا، ونحن مع قانون البصرة عاصمة اقتصادية للعراق واستغربنا كثيرا من مطالبة الأمانة العامة لمجلس الوزراء بالتريث في إقرار هذا القانون في مجلس النواب، فيما أنه خير لأهل البصرة وخير لأهل العراق جميعا، وليت التريث كان يتوجه لبعض المشاريع غير الضرورية التي تخدم المسؤول ولا تخدم المواطنين وأبناء الشعب، ونحن مع قانون إعادة تأهيل ميسان كما كنا مع قانون حقوق أهالي رفحاء الكرام ومع قانون المنحة للطلاب في المدارس والجامعات، ومع قانون رواتب المتقاعدين وغيرها من القوانين التي تخدم الشعب وتكرس الإمكانيات لخدمة المواطنين.

إن الأمور يجب أن تعود إلى طريق الصواب، ولا تصبح القوانين ساحة للصراع السياسي أو المساومات بين القوى السياسية، وأرجو من جميع الإخوة أصحاب القرار في الأحزاب والتيارات السياسية والمكونات، أن يدركوا جيدا أن ذاكرة الشعوب قوية وألا يتمادوا في لعبة جر الحبل في التعامل مع القوانين والتشريعات التي تخدم الوطن والمواطن.

ندعم بقوة مسار توحيد الرواتب

إن بناء الدولة العصرية العادلة يتطلب مراعاة العدالة في جميع الميادين، ومنها في مسألة الرواتب التي تقدم إلى موظفي الدولة ومنتسبيها، فلا بد من أن تخضع لسلم موحد يشيع العدالة والإنصاف بين هؤلاء الموظفين والمنتسبين، وصاحب الاختصاص من الموظفين يجب أن يحظى بمقابل واحد في جميع مؤسسات

ووزارات الدولة العراقية، وإذا كانت طبيعة هذه المؤسسات مختلفة، فهذا ليس ذنب صاحب الاختصاص الذي يحصل على راتب في وزارة ويحصل على نصف هذا الراتب في وزارة أخرى بنفس الاختصاص ونفس الخبرة ونفس سنين الخدمة وما إلى ذلك، عدم العدالة في توزيع الرواتب بلغ أحيانا مستوى امتد فيه إلى الوزارة الواحدة، فالراتب في مديرية يختلف عن الراتب في مديرية ثانية في نفس الوزارة.

إن مثل هذه الظاهرة السلبية تخلق شعورا بالغبن الاجتماعي لدى مساحة واسعة من المنتسبين للدولة، وتُضعف من روح المواطنة، وتزيد من التنقلات بين دوائر الدولة، وتسهم في قلة الإنتاج وتزيد من الفساد الإداري والمالي الذي يمكن أن يستشري بشكل أكبر، وتؤدي إلى رحيل الكفاءات الوظيفية من أماكنها، والكل تواق لأن يذهب إلى وزارات وإلى مواقع ومفاصل فيها رواتب أفضل فيما تفرغ وزارات ومواقع مهمة من خبرات ومن كفاءات نتيجة هذا الفرق والتميز في الرواتب بين الموظفين.

إن ذلك يتقاطع مع المادة الرابعة عشرة من الدستور العراقي التي تتحدث عن تساوي المواطنين في الحقوق والواجبات، والمادة السادسة عشرة من الدستور التي تنص على مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين. إننا ندعم بقوة مسار توحيد الرواتب وندعو لشمول ذوي الدرجات الخاصة بالسلم الموحد أيضا، تقليلا للفجوة الطبقية الآخذة بالاتساع. وكذلك الحال بالنسبة للمتقاعدين وهم يقتربون من مليوني متقاعد في بلادنا أغلبهم يعيلون عوائل كبيرة وقدموا عز شبابهم وطاقاتهم لخدمة هذا البلد ورواتبهم بحسب السلم المعتمد في الوقت الراهن متواضعة إلى حد كبير وما يقرب من الثلثين من هذه الشريحة رواتبهم دون خط الفقر كما أوضحت ذلك التقارير الرسمية في الدولة العراقية.

قانون الزيادة على رواتب المتقاعدين

الشرف كل الشرف لكتلة المواطن النيابية وبدعم من الكتل النيابية الأخرى، حينما أقرت إضافة خمسين ألف دينار على رواتب المتقاعدين ممن لم يبلغ راتبه أربعمئة ألف دينار، ولكنه رقم متواضع ولا يمكن أن يعالج الأزمة التي يمر بها هؤلاء المتقاعدون، واليوم هناك لجنة في الأمانة العامة لمجلس الوزراء وبحضور وعضوية الدوائر والوزارات المختصة تعمل بتشجيع حثيث ومتابعة

مستمرة من كتلة المواطنين ، لإعداد سلّم موحد لرواتب المتقاعدين ، وإضافة تعديلات عليه ليقدم في هذا الفصل التشريعي إلى مجلس النواب عسى أن يُقرّ وتدخل هذه الزيادة من مطلع العام المقبل على رواتب المتقاعدين ، مما يمثل بلسما ومعالجة لهذه الشريحة ولمشاكلها الكبيرة ، واسمحوا لي باسمكم وباسم هذه الشريحة أن أدعو السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب إلى التصويت لهذا القانون حينما يُعرض ، حتى يكون مدخلا لمعالجة محنة هذه الشريحة الكبيرة والضغوط الاقتصادية الكبيرة التي يتعرضون لها .

ندعو إلى وقف إطلاق النار في سوريا

إن قلوبنا تتقطع ألما وحرقة على معاناة أبناء الشعب السوري الشقيق ونزيف الدم المستمر في هذا البلد الجار الكريم . ونحن في العراق نستذكر جيدا تلك العقود التي استضافنا فيها هذا الشعب الكريم وتقاسم معنا رغيف الخبز في الظروف الصعبة التي مرت بنا وبهم ، ونحن لسنا ممن ينسى الخير لأهله ونحن بنخوتنا العراقية علينا أن نقف موقف المساندة والدعم الإنساني لهذا الشعب الكريم والتضامن معه في محنته . إن هذا الألم في سوريا يجب أن يتوقف وهذه المحنة يجب أن تنجلي وسياسة كسر العظم لا تستطيع أن تحسم المعركة لصالح أي من الطرفين المتنازعين على الأراضي السورية . وسيبقى الشعب السوري هو من يدفع الضريبة الكبرى جراء هذا النزاع ونزيف الدم المستمر .

إننا نتفأل خيرا بالجهود التي يبذلها مبعوث الأمم المتحدة والمبعوث العربي في الملف السوري الأستاذ الدكتور الأخضر الإبراهيمي ، ونتمنى له مهمة ناجحة وموفقة في وضع حد لهذا النزاع . وإننا ندعو إلى وقف سريع وكامل لإطلاق النار بين الطرفين المتنازعين في سوريا لتتفتح الآفاق لمعالجات وحلول سلمية لهذه المشكلة ، والجلوس على طاولة الحوار لضمان حقوق الشعب السوري ولتعزيز الاستقرار والأمن في هذا البلد العربي الكريم ، وتكريس الديمقراطية والتعددية في سوريا والذهاب إلى شراكة حقيقية بين جميع القوى السياسية والمكونات المعبرة عن فسيفساء الشعب السوري الكريم ، وإجراء انتخابات نزيهة حرة بإشراف أممي .

لا حل للأزمة السورية إلا على يد السوريين أنفسهم ، بما يمتلكون من حكمة وحكمة ودراية وهوية ، كما نعبّر عن دعمنا لهذا المسار السلمي الذي يخوضه

الأستاذ الأخضر الإبراهيمي ، والذي تتحدث عنه الدول الأربع (إيران وتركيا والسعودية ومصر) في اجتماعاتها المتكررة، وندعو إلى تضافر كافة الجهود العربية والإسلامية والدولية في هذا السياق، ونشدد على التماسك والوحدة السورية أرضاً وشعباً.

مسؤولية وزارة التربية

بعد أيام قليلة ستُفتح أبواب المدارس بوجه أبنائنا وطلبتنا الأعزاء. إن هؤلاء الطلبة يمثلون الأمل لهذا الوطن ولهذا الشعب. إننا نبارك لجميع الأبناء والبنات بداية العام الدراسي الجديد، ونتمنى لهم النجاح والتوفيق ونتوقع منهم التفرغ لطلب العلم والمعرفة واستثمار فرصة الفتوة لبلوغ المداوج العلمية العالية، ولكن علينا أن نستذكر أن بعض أبنائنا سيذهب إلى مدارس متهالكة وبعضها من الطين، وإلى صفوف رحلاتها مكسرة وشبايبها خالية وفارغة من الزجاج.

وأرجو من الإعلام أن يركز على الاستعدادات التي تُبذل لبداية هذه السنة الدراسية وعودة أبنائنا وبناتنا إلى المدارس، فلا مجالمة ولا تسويق في مستقبل أبنائنا، وأتمنى أن تكون وزارة التربية قد استعدت بشكل ملائم وجيد في تهيئة المستلزمات والاحتياجات والمناهج لطلابنا الأعزاء، وألا يحصل التأخير الذي شهدناه في السنة الماضية، حينما تأخرت هذه الاحتياجات لأسابيع عديدة. إن الأمة التي لا تهتم بالتعليم ليس لها مستقبل، والتعليم هو البداية وهو الهدف، وما بين البداية والهدف تتشكل مسارات الأمم والشعوب والدول، والإسلام دين التعليم والتعلم، وقد بدأ رسالته بكلمة (اقرأ) فلا بد من أن نكون متقدمين في الاهتمام بهذه الجوانب.

اليوم العالمي للسلام

إن اليوم الحادي والعشرين من أيلول من كل عام هو اليوم العالمي للسلام، ما أجمل هذا اليوم وما أجمل أن يخصص يوم عالمي للسلام، نستذكر فيه أهمية التعايش والسلام في ما بيننا ونستحضر فيه المواقع والمناطق العديدة التي يغيب عنها السلام في عالمنا اليوم، إننا بحاجة إلى نشر ثقافة السلام وترسيخ مفاهيمها لدى الأجيال، وهو ما يتطلب خطوات عديدة، ومنها التعامل مع مسائل ملكية

الموارد الطبيعية والسيطرة عليها والإدارة المستدامة لها وإنعاش الاقتصاد فيها لصيانة الأمن في مثل هذه البلدان .

ذكرى استشهاد السيد محمد صادق الصدر (قدس)

تمر علينا الذكرى الرابعة عشرة لاستشهاد شهيد الأمة الشهيد السعيد السيد محمد الصدر (قدس) وولديه الشهيدان ، ونستذكر في مثل هذه المناسبة الدور الكبير الذي قام به هذا الشهيد الكبير والمؤثر في تاريخنا المعاصر ، والتيار الذي أوجده من المتدينين في تلك الظروف الصعبة وأجواء الدكتاتورية وإشاعة شعيرة صلاة الجمعة وغيرها من السنن الصالحة والطيبة . فهنئاً له الشهادة التي حصل عليها وانتقل إلى ربه ، ونسأل الله أن نستفيد دائماً من شخصياتنا وعلمائنا في مساراتهم وفي ما حققوه وتركوه لهذه الأمة .

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٣/١٠/٢٠١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم، الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا، وَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي الْأَثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ: أَوْلَيْكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَخْيَ عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُ لِغَيْرِكَ إِفْئًا، فَاتَّخِذْ أَوْلَيْكَ خَاصَّةً لِخَلْوَاتِكَ حَفَلَاتِكَ))^(٧٨)

يتحدث هذا المقطع من العهد عن الوزراء، والوزير هو المساعد، وهنا يحدد أمير المؤمنين (عليه السلام) مواصفات من يجب استيزارهم، ومواصفات من يتجنب استيزارهم.

شر الوزراء

«إن شر وزراءك من كان للأشرار قبلك وزيرا»، أسوأ أناس تعتمد عليهم في إدارة المهمة المناطة بك من كان عوناً للظالم، وكانوا ضمن البلاط وجهاز الديكتاتور، فهؤلاء يجب ألا يكونوا ضمن فريق عملك، وهذا أسوأ شيء لك ولنجاح مهمتك، فإذا كنت تريد النجاح عليك أن تبعد من كان يضع يده بيد الأشرار من قبلك، هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشر، «ومن شركهم في الآثام»، هؤلاء الأشرار لا يقربون أحداً إلا لظخوه بسوء سمعتهم وسوء مواقعهم وسلوكهم، يورطونه بالآثام والمعاصي والجرائم، لأنهم لا يضمنون ولاءه لهم إذا لم يكن متلطخاً بالآثام معهم ويصبح شريكاً لهم في الإثم والجريمة.

«فلا يكونن لك بطانة»، البطانة القسم المستور من الثوب والمسؤول أيضاً عنده بطانة لا يظهرون على الشاشات، ولكنهم مصنع القرار وهم أذرعهم في تحقيق مشروعه وأهدافه. هؤلاء المقربون من الأشرار قبلك وكانوا عوناً لهم لا تجعلهم بطانة لك. «فإنهم أعوان الأئمة»، أي هؤلاء أعوان الظالمين الأئمة المجرمين المسيئين المذنبين، فلا تجعل أعوان المذنبين إلى جانبك «وإخوان الظلمة» لأن الطيور على أشكالها تقع، فمن يضع يده بيد الظالم ويتعامل مع الأشرار يصبح من إخوان الظلمة، لا تجعل هؤلاء معك لأنهم يظلمون الناس، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول يا مالك الأشر سوف لا تفرق الناس بينك وبين من كان قبلك حينما يكون هؤلاء ضمن فريقك، فليس بالضرورة أن تلتقي وتحتك بالناس على الدوام بنفسك، فمن يحتك بهم هم فريقك ومساعدوك، والناس ترى أخلاقهم وسلوكهم وعليك أن تختار الناس الصالحين.

إشكال مطروح ورد

ولكن هناك إشكال كبير لا أعرف إن كان مالكا الأشر قد طرحه على الأمير وأجابه عَلَيْهِ السَّلَامُ أو أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أعطى الجواب من دون سؤال، والإشكال هو أن الناس تقول إن هؤلاء وإن كانوا من أعوان النظام السابق إلا أن لديهم كفاءة وهم أهل حكم، وإن من كان في صفوف المعارضة لا يعرف إدارة البلاد ولا يستطيع، لكن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ يجيب عن هذه الإشكالية، «وأنت واجد منهم خير الخلف» إنك تستطيع أن تجد خيراً منهم وأكثر كفاءة وقدرة وفهماً وأكثر معرفة،

ما أكثر المخلصين والوطنيين والشرفاء والذين لديهم كفاءة وفهم صحيح ، بل أكفأ من أعوان الظلمة ، ولكن يجب أن تجدهم .

«وأنت واجد منهم خير الخلف» ، أحسن وأكفأ من أعوان الظلمة ، «ممن له مثل آرائهم» ، أي أنك ستجد من المخلصين والوطنيين من يمتلك نفس الرؤية والقدرة ونفس الفهم ، «ونفاذهم» ، النفاذ يعني الدخول ، يعني مواقفهم بالرأي والمشورة ، هؤلاء المخلصون والوطنيون سوف تجد من يملك منهم نفس الرؤية وأفضل مما عند أعوان الظلمة ، هل تريد مواقف وحرمة على الأرض ومشاريع ؟ . سوف تجد أناسا ميدانيين ويعملون أفضل من أعوان الظلمة .

وأعوان الظلمة هؤلاء - في زماننا نسميهم اللوبيات - مستولون على مفاتيح المشاريع والمؤسسات في الدولة ، فإذا كان من جماعتهم يسهلون له الطريق ويقفون معه ويسدون ثغراته ، ويدعمونه ويظهرون هذا الرجل وكأنه يعرف الكثير ، أما إذا لم يكن من جماعتهم فإنهم يضيّقون عليه ويؤذونه ويصورونه للناس على أنه لا يعرف شيئاً ولا يفقه من عمله شيئاً ويبحثون عن زلاته ، فلذلك يعملون بهذه الطريقة حتى يوحوا للمسؤول ؛ انك لا تستطيع أن تحصل على واحد أفضل منا ، فنحن الذين نعرف ونستطيع أن نسيّر الأمور بالشكل الصحيح ونساعدك وننجحك ، ولكن إذا ما وضعت يدك بيد غيرنا فسوف تنكسر يا مسؤول ، ومن العجيب أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل ١٤٠٠ سنة يقول هذه الحقائق ، وهي تتجدد في كل زمان ومكان ، واليوم عندما نقرأ هذا العهد فكأننا نحكي المنظومة الإدارية في بلادنا أو أي بلد آخر ، وعندما نقول إن هذه قواعد ووثيقة تاريخية فلأن أمير المؤمنين وضع اليد على الجرح .

«وليس عليهم مثل آصارهم» ، آصار جمع إصر ومعناها زلاتهم وذنوبهم ، أي أن من تختاره من غير أعوان الظالم هو بمثل كفاءتهم وأفضل منهم ، ولكنه لم تلوّث سمعته بذنوبهم وممارساتهم السابقة ، وما كان لهم من أوزار .

مواصفات الوزير والمساعد

هناك سمات وصفات للطيبين والصلحاء الذين يجب أن تستعين بهم يا (مالك) ، هذه السمات يجب أن ينتبه ويلتزم بها أي مسؤول إذا أراد أن ينجح ، فعليه إذن أن يبحث عن أناس يمتلكون هذه الصفات الست :-

أولا / «ممن لم يعاون ظالما على ظلمه»: أول ما يجب أن تبحث عنه شخص لم يضع يده بيد الظالم، فلمعاونة الظالم أثر وضعي، الأمر يشبه شخصا يعتني بصحته ويتحاشى الأماكن الموبوءة ولكنه صافح شخصا لا يعرف أنه مصاب بالأنفلونزا فانتقلت إليه العدوى، هنا سواء عرف أو لم يعرف الإنسان فإن الإصابة بالفيروس لها مضاعفات، أحيانا يمرض الإنسان لإهماله وعدم توقيه وأحيانا أخرى يأتيه المرض وفي كل الأحوال فهو مريض ويعاني من عوارض معينة.

قد يرمي الإنسان بسيارته في وادٍ، وهنا هي حالة انتحار يختارها المرء بنفسه، ومرة يقع الحادث دون اختيار منه كأن تأخذه الغفوة أثناء القيادة، وعليه فإذا انتحرت بفعل إرادتك فهذا حرام، أما إذا كان نتيجة خطأ فستموت أيضا ولكنك لست مذنبا، إذن هناك آثار وضعية، والذي يسير مع الظالم يؤثر في سمعته، سواء كان مضطرا أو لا، نعم لا نحاسب الجميع على حد سواء، فمن يضطر أن يتماشى وقلبه ليس مع الظالم ولم يساعده، ولم يسهل أموره وانتصر للمظلوم فهذا مكانه محفوظ، نرى أن علي بن يقطين كان رئيس وزراء مع الحاكم الظالم ومع هذا يطلب منه الإمام الكاظم أن يبقى في المنصب ليساعد المظلومين.

ثانيا / «ولا آثما على إثمه»: ولا يكون ممن يقف ويعاون آثما مذنبا في ذنبه. الذي يصبح مع الظلمة سيبدأ بالمزايدة ويسهل عليهم.

ثالثا / «أولئك أخف عليك مؤونة»: ليس لديه توقعات كثيرة ولا يريد امتيازات كثيرة، وعينه على الخدمة والعمل، قليل المؤونة كثير المعونة كما يقول علي عليه السلام، لا يريد الكثير ولكن يساعد كثيرا، أما ذاك فمن البداية يعطيك قائمة بطلباته وامتيازاته، فهو يريد حمايات وامتيازات وقائمة طويلة عريضة يجب أن توقع عليها ليقول بسم الله ويعمل معك.

رابعا / «وأحسن لك معونة»: وبالعامل تجده يقف ولا يعرف ليلا ولا نهارا ولا ساعة إدارية، قبل أيام قال أحد السادة الوزراء في وزارتي لدي ٥٠٠٠ موظف، منهم ٢٠٠ أو ٣٠٠ يركضون ليل نهار والبقية لا تعرف رأسهم من أساسهم، إذن هناك مخلص وصاحب قضية وليس عينه على الراتب والامتيازات فقط، بل يريد أن يخدم فهو صاحب قضية ومشروع، أولئك عندما تأتي بهم فأنت مستفيد وعملك يسير بصورة صحيحة.

خامسا/ «وأحنى عليك عطفًا»: هذا عندما جلبته وقلت أنت مدير عام ومسؤول، سيقول هذا ذكرني وعرفني ووقف معي وأراد أن يستفيد من طاقتي ولم يغر بوهج الآخرين و(السير الذاتية) الخاصة بهم التي تحتوي على ما شاء الله، وهذا سيكون سببا في أن ينشد إليك ويفي معك، واليوم نريد نحن وفاء ومزيدا من الالتحام والحس الوطني، نريد أناسا قلبهم يحترق على الوطن وعلى المواطنين المسكين، نريد حرقه قلب ووفاء بحق المواطن وبحق الإنسان، نريد أن نرى سلوكا إنسانيا حينما يكون الإنسان في موقع المسؤولية، المواطن المسكين أمره بيدك أيها المسؤول، فحين تكون لديه مشكلة أو معاملة فلا تتعبه وسهل أمره وساعده وأوص صاحبك الثاني لحل مشكلته، واسع لأجل حلها وسترى أن مائة هم وغم سيزول عنك، والله يأخذ مثل هذه المواقف الإنسانية بنظر الاعتبار وحاشى لله أن يضيع لأحد موقفا نبيلًا وشريفاً.

سادسا/ «وأقل لغيرك إلفا»: لأن الذي كان من أعوان السابقين لديه منظومة وأصدقاء وأناس لديهم خط مائل معه وعلاقات، مادمت أنت بخير وعافية وأموال وإمكانات وامتيازات فهو معك، أما إذا اندلعت أزمة فجأة فستجده في الصف الآخر ليقف ضدك، وعندما تأتي صيحة بوجهك تجده يغطي رأسه ويخفيه تحت الرمال لكي لا يصيبه شيء، وهذا غير مستعد لأن يقف معك، فهو إنما يأخذ منك ولا يعطيك، قلبه في مكان آخر وفي لحظة واحدة يعود إلى سابق عهده، وقد تجده في حزب العودة وهو لسنوات يحصد الرواتب والمخصصات والامتيازات، مثل هذا السلوك لا تجده عند الإنسان النظيف الذي لا يملك علاقات مع الظلمة أبداً ويبقى وفيها، وكم نحن بحاجة إلى هذا الأمر. «وأقل لغيرك إلفا» لا يألف الآخر، ويحب بلده ويحب وطنه ويحب ناسه، ولا يشترى ويباع في سوق النخاسين والعمالة للأجنبي، هذا وطني شريف نبيل.

«فانتخب أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك»، في خلواتك ووقت المشورة وخلف الأبواب المغلقة تأتي بهؤلاء، وحفلاتك أي حضورك بين الناس، خذ أولئك معك والناس ستنتظر، سيعرفون فريقك وسيرون فيهم الإنسان المجاهد والإنسان الطيب، والصالح والوطني والنزيه، والناس عندما ترى الفريق وترى من معك ستقول؛ الحمد لله، أمورنا بخير إن شاء الله، وإذا رأيت غيرهم ستقول؛ عجباً! هؤلاء الوجوه نفسها؟ فلذلك استفد من مثل هؤلاء المخلصين، سواء

خلف الأبواب المغلقة أو في الواجهة أيضا، فاستفد منهم واجلبهم معك أمام الناس، واستعن بهم فهؤلاء من يستطيعون أن يعينوك.

تلکۆات المؤسسة الأمنية

لطالما دعونا القوى الأمنية في معركتها مع الإرهاب والإرهابيين، ولطالما أكدنا أن العراق يعيش أخطارا حقيقية كبيرة ومتنوعة ومتشعبة، ولكن أن تصل الأمور إلى هذا الحد من الاختراقات الأمنية التي لاحظناها وعشناها في الأيام القليلة الماضية، ليكون شهر أيلول المنصرم هو أكثر الشهور دموية منذ سنتين من الزمان، وكأننا نعود إلى المربع الأول حينما يصل عدد الضحايا في البلاد إلى ٣٦٥ شهيدا و٦٨٣ جريحا بحسب الإحصاءات الرسمية لوزارة الصحة ووزارة الداخلية. وهكذا هروب العشرات من أمراء الإرهابيين وكبارهم المحكوم عليهم بالإعدام، والواحد منهم يتجح أنه قتل عشرات أو مئات أو الآلاف من أبناء الشعب، ودخلوا في المحاكم وانتظرنا سنوات وصدرت أحكام الإعدام بحقهم ووقّع على إعدامهم، ولكن في غضون دقائق يهرب ٤٧ من هؤلاء الأمراء المحكومين بالإعدام كما يذكر بيان وزارة الداخلية ومعهم العشرات من الإرهابيين!، إلى هذا الحد تصل الأمور؟!.

إننا نقف بقوه كي نقول للأجهزة الأمنية وأبنائنا في القوات المسلحة؛ إن المسؤولية أمام الله وأمام التاريخ وأمام هذا الشعب المظلوم تقع على عاتقكم، وعليكم أن تتحملوها كاملة وأن توقفوا هذا الانحدار الأمني الخطير الذي نعيشه في هذه الأيام. إن عليكم أن تواجهوا هذا التدهور الأمني الخطير بطرق وأفكار جديدة واستراتيجيات واقعية وناجحة، والإصرار على الخطط السابقة سيعني المزيد من الثغرات والانهيارات والإشكالات في واقعنا الأمني، ماذا يعني أن تُستهدف السيطرات التي وُضعت لتحمي المواطنين؟، ألا يعد ذلك تحديا للمؤسسة الأمنية؟، ماذا يعني أن يتفنن الإرهابيون في عملياتهم الإجرامية ضد أبناء شعبنا وضد أبناء قواتنا المسلحة على حد سواء؟، فبين تفجيرات عشوائية مروراً بإرهاب أسلحة الكاتم للصوت وصولاً إلى بعض العمليات الإرهابية النوعية التي تستهدف مفاصل حيوية في المؤسسة الأمنية، فدائرة الجرائم الكبرى والإرهاب تارة، واستهداف السجون تارة أخرى وغيرها مما نسمعه كل يوم، ألا

يعطي ذلك إشارة إلى القادة الأمنيين من أن الإرهاب يتحداهم وأن الإرهاب أخذ زمام المبادرة وييده الفعل في هذه المرحلة؟ .

إن البعض سيقول بضرورة دعم المؤسسة الأمنية وعدم مهاجمتها وهو أمر صحيح ، ولا بد من أن نشد على قلوب وأيدي قياداتنا الأمنية وأبناء مؤسساتنا الأمنية وجنودنا الأوفياء ، الذين يقدمون الغالي والنفيس من أجل هذا الوطن ، ولكن الدعم هل يتمثل بأن نقدم المدح على بعض السلوكيات وبعض الخطط التي بانث عليها علامات الفشل والإخفاق ، أو علينا أن نقدم المشورة والنصح والتسديد بدوافع الحرص على أمن البلد والوطن والمواطن؟ أن نقدم لهم هذه المشورة لتصحيح مساراتهم وأدائهم؟ .

إن الإرهاب يجب أن يُسحق ، ويجب أن تُقلع جذوره من هذا الوطن ، وإن المواطن يجب أن يشعر بالأمان والاستقرار وألا يكون رهينة بيد الإرهابيين يقتلونه متى ما يشاؤون ، وهذا لا يكون إلا إذا اعترفت المؤسسة الأمنية بأن بعض خططها فاشلة وبعض قياداتها غير كفوءة . إن ذلك من مصلحة المؤسسة الأمنية أن تعترف بوجود تلكؤات وأخطاء ، لتذهب وتعالج هذه الأخطاء ، لأنه مع كل التبريرات التي قيلت على مدار السنوات الماضية سنفقد تبريرا نقدمه إلى المواطن العراقي نتيجة استهداف المواطنين واستمرار هذه العمليات الإجرامية والإرهابية طوال هذه المدة .

إرهاب منظم ودعم خارجي

إننا نعرف جيدا أن الذي يحصل في العراق ليس عملا إرهابيا عشوائيا ، وإنما هو إرهاب منظم تدعمه أجنداث خارجية وتسهّل عمله بعض التيارات السياسية التي تضع يدا في الحكومة ويذا أخرى في هدم الحكومة والدولة ، وأن الأشهر القادمة قد تشهد تطورات دولية وإقليمية كبيرة ، وهذا بدوره سينعكس سلبا على الواقع الأمني في العراق ، وقد حان الوقت لتفكر أجهزتنا الأمنية بحلول جذرية للواقع الأمني الذي نعيشه وأن تراجع تقييم أداء القيادات الأمنية ومدى فاعلية الخطط الأمنية التي وُضعت في الظروف السابقة .

أن نضع سيطرات لحماية السيطرات ، فهذا ليس حلا أمنيا وليست إستراتيجية أمنية صحيحة يمكن أن تحقق لنا نجاحات في المستقبل ، أن تلهو المجاميع

الإرهابية في شوارع بغداد وبيدها المسدسات الكاتمة للصوت فهذا يعني أن استخفافها بالمواطنين قد وصل إلى حد الاستهزاء بأرواح الناس ، ولا بد من وضع حد لمثل هذه الظاهرة التي تنتشر يوماً بعد آخر ، إننا نخطب أبناءنا في الأجهزة الأمنية ونقول لهم لا تغرقوا في الحسابات السياسية وإنما ركزوا على مهمتكم في مواجهة الإرهاب والإرهابيين ، فقد قدمتم الكثير من التضحيات ونحن نشهد لكم بهذا العطاء وهذه التضحيات والسهر على أمن الوطن والمواطن ، ولكن عليكم أن تكونوا أكثر براعة في مواجهة هذا الموت الذي ينتشر في شوارعنا .

مبادرات لصالح المواطن

على الرغم من ارتباك الساحة السياسية وانشغال السياسيين في تصفية الحسابات إلا أنه كان لنا الشرف في إطلاق العديد من المبادرات الوطنية لخدمة الوطن والمواطن ، هذه المبادرات التي لم تأت من مصلحة شخصية أو حزبية أو فئوية ولم تكن فرقعات إعلامية لإشغال الرأي العام لأيام عديدة وإظهار أننا حاضرون هنا وهناك ، وإنما هي مبادرات واقعية وعملية تنبع من الحاجة الفعلية لشرائح مهمة من مجتمعنا العراقي ، وهي تمثل رسائل أمل لأبناء شعبنا وسط هذا الشعور باليأس والإحباط ، الذي بدأ يتسلل إلى النفوس .

فعندما طالبنا بأن تكون البصرة عاصمة اقتصادية للعراق ، كنا ننطلق بدافع النهوض بالواقع الاقتصادي العراقي بخطوات إستراتيجية لا يمكن بدونها أن نحقق اقتصاداً حقيقياً لهذا البلد ، وعندما أطلقنا مبادرة إعادة تأهيل ميسان فإننا كنا ننظر إلى محافظة مهمة ومحورية ولكنها مهملة ومنسية ، وكان لها الدور الكبير في الماضي في رسم تاريخ العراق وسيكون لها دور كبير في رسم مستقبل العراق ، وقبل أيام وتزامنا مع بدء العام الدراسي الجديد أطلقنا مبادرة صندوق لتنمية ورعاية الطفولة في العراق .

إن هذه الشريحة هي الأهم إذا أردنا أن نبني مجتمعاً مستقبلياً يكون أكثر وعياً وأكثر إدراكاً لمسؤولياته تجاه هذا الوطن ، إذن نحن لا نتحرك في إطلاق مبادراتنا من مصالح شخصية أو حزبية أو سياسية ولا نداعب مشاعر الجمهور وعواطفه ، وإنما ننطلق من مسؤولياتنا في بناء دولة تحترم شعبها أولاً وتحترم نفسها ثانياً ، وتفرض احترامها على الآخرين ، فليس من المنطقي أن يبقى الناس يتابعون نتائج الصراعات السياسية ومسلسل الأزمات التي لا تنتهي في هذا البلد ، إن علينا أن

نُشعر أبناء شعبنا بأننا نهتم بأموارهم وشؤونهم ونقدم لهم ما يمكن تقديمه لوضع أحلامهم وطموحاتهم موضع التحقق والتنفيذ وعلينا أن نُشعر الناس بأن هذا الوطن هو وطنهم حتى ينشدوا إليه .

ضعف الوطنية من تركت الماضي

علينا أن نعزز الحس الوطني وحب الوطن والولاء لهذا الوطن ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا شعر المواطن بالعدالة ، إلا إذا شعر بأن هذا الوطن يتعامل معه بالعدل والإنصاف ، فالمواطن الذي يشعر بأن الوطن ليس عادلا معه لا يمكن أن تتوقع منه الانشداد والاندفاع والالتواء لهذا الوطن بشكل كبير ، إننا اليوم نعاني من أزمة في الوطنية ؛ لأن سياسات الديكتاتورية الغابرة استهدفت العلاقة بين الوطن والمواطن وأصبح الإنسان يشعر بأنه ليس عزيزا وكراما في وطنه . وعلينا أن نغير هذا الانطباع ونكسر العلاقة الوثيقة بين الناس ووطنهم ، وذلك لا يكون إلا من خلال إشاعة العدل والإنصاف وحل مشاكل الناس والاهتمام بخدمتهم ورعايتهم وحل قضاياهم .

ماذا حصل عليه المواطن العراقي من هذا الوطن؟ إما حصار ظالم امتد لفترات طويلة دفع ضريبته هذا الشعب بشكل كبير وواسع وإما إدخاله في حروب لم يكن السبب فيها ولا مصلحة له منها ولم يكن مشاركا في قرارها ، وإما دفعه إلى المنافي ليعيش الغربة والهجرة لفترات طويلة من الزمن أو دفعه إلى المعتقلات ليعيش في تلك الزنازين المظلمة من دون أن يعرف الجريمة التي اقترفها ، كل ذلك سبب ضعف الحس الوطني وقلّة في الشعور بالمسؤولية تجاه هذا الوطن ، وما نعانيه اليوم من فساد ورشوة وتورط بالإرهاب من بعض المواطنين إنما يأتي من مثل هذا الشعور بضعف الحس الوطني وأن الوطن لم يكن عادلا مع بعض هؤلاء الناس .

صندوق تنمية ورعاية الطفولة في العراق

إن مبادرة إنشاء صندوق تنمية ورعاية الطفولة في العراق يجب ألا يُنظر لها على أنها مجرد مبادرة لتطبيب الخواطر ، إنما هي ركيزة مهمة وأساسية في مشروع بناء الدولة العصرية العادلة التي نسعى لتحقيقها ، وهي جزء من التخطيط الاستراتيجي لبناء هذا المجتمع والبدء من أساس هذه البنية الاجتماعية المتمثل بالطفولة ،

فالمجتمعات تبدأ من الطفولة وتبنى عليها كل البناءات الأخرى ، فإذا كنا لا ندرك التخطيط الاستراتيجي لبناء المجتمع فكيف لنا أن ندرك التخطيط الاستراتيجي لبناء الدولة ، إن هذه الشريحة (شريحة الطفولة) تمثل ٤٠٪ من مجتمعنا العراقي ، لأن المعايير المعتمدة لدى المنظمات الدولية تعتبر كل المواطنين دون الـ ١٨ سنة ينتمون إلى شريحة الأطفال .

إذن نحن نتحدث عن شريحة تمتد لتشمل نصف المجتمع تقريبا ، وفي العشرين سنة القادمة ستمثل كل المجتمع ، فهذه الشريحة ستكون هي شريحة الكبار ويأتي نصف آخر ليملاً شريحة الصغار فتكون هي المجتمع في غالبيته ، فما هي خطتنا لهذا المجتمع وما هي برامجنا التي يجب أن نضعها اليوم لبناء هذا المجتمع؟ وكيف نرعى ونممي هذه الشريحة التي ستكون هي المجتمع العراقي على مدار العشرين سنة القادمة؟ .

إنها أسئلة محورية وأساسية ولا بد من أن نجيب عنها لنعرف آفاقنا المستقبلية في بناء هذا الوطن ، وأية مسؤولية أعظم وأهم من أن نفكر ونخطط ونضع رأسمالنا في بناء مجتمعنا في مراحل القادمة؟ . وإذا نجحنا في بناء المجتمع فسنستطيع أن ننجح في كل البناءات الأخرى ، اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وتعليميا وغير ذلك ، لأن كل هذه المحاور تعتمد على طبيعة المجتمع الذي نتعامل معه ، فإذا كان مجتمعنا مستقيما بعيدا عن الأمراض الاجتماعية والنفسية فسيكون قادرا على أن ينهض بواقعه وأن نبني هذا الوطن بأفضل ما يكون .

إن علينا أن نكون صريحين وصادقين مع أنفسنا ونعترف بأننا اليوم كمجتمع يعاني الكثير من الأزمات والأمراض الاجتماعية ، وذلك لأن الجيل الذي يمثل المجتمع اليوم نشأ في العقود السابقة في ظروف استثنائية وغير سليمة ، فكانت النتيجة أن نتعامل مع الواقع الذي نعيشه اليوم ، واليوم إذا لم نفكر بتنشئة الطفولة تنشئة صحيحة ستستمر هذه المعاناة للجيل القادم ، وعلينا أيضا أن نستبق الحدث وأن نفكر في آفاق المستقبل وأن نضع الحلول والمعالجات الصحيحة . سيقول البعض إن سياسة الاستقطاع من الموازنة في كل مبادرة أو مشروع هي سياسة غير واقعية ، وفي كل مشروع توضع نسب مئوية من الموازنة ، فهذا ليس أمرا واقعا وعمليا ، ولكننا نرد على هذا القول بأن هذه السياسة هي السياسة الواقعية الوحيدة التي تتبعها الدول المتطورة في تعاملها مع موازنتها ، فالدول تحدد مستواها التعليمي من خلال معرفة النسبة التي تستقطعها من الموازنة للبحث

العلمي ، أقول للبحث العلمي وليس لرواتب المعلمين ، فالدول لا تحسب رواتب المعلمين ضمن رأسمالها في التنمية التعليمية في البلاد .

واليوم حينما نسأل كم وضعنا لقطاع التعليم؟ ، يتم احتساب أجور الموظفين ، وهذه مغالطة تقع فيها في العراق ، والدول حينما تحدد قوتها الأمنية تنظر إلى النسبة التي تحددها في الموازنة للتسليح ولتطوير وتحديث وتجديد منظوماتها الدفاعية ، وأقول التسليح والمنظومة الدفاعية وليس رواتب الجنود ، وهذا ما يجب أن يفكك حتى نعرف ما هي الإنفاقات التي تسهم في البنية التحتية لأي قطاع من القطاعات ، وهناك دول تنشئ رصيذا استراتيجيا ماليا للأجيال القادمة وتقتطع نسبة من ميزانياتها لتضيفها إلى صندوق خاص لدعم الأجيال القادمة .

إذن سياسة تحديد النسب المعينة والمحددة في الموازنة العامة للمشاريع الإستراتيجية هي من أساسيات إنشاء الدول العصرية والحديثة ، واليوم نحن نطالب بتخصيص واحد ونصف في المائة فقط من الموازنة العامة ليُنفق على الطفولة وهي نصف المجتمع اليوم ، وهي كل المجتمع في العشرين سنة القادمة ، هل هذا رقم كبير؟ وهل يمكن أن تخضع مثل هذه القضية للمزايدة والمناورة؟ . إن هذه المبادرة ليست مبادرة سياسية تختص بطائفة أو منطقة محددة من البلاد ، إنها مبادرة لكل أطفال العراق من شوارع الفوا إلى شوارع زاخو مروراً بشوارع الفلوجة .

بناء الإنسان ثم بناء الأوطان

ولتكون الصورة أكثر وضوحا للبعض ممن يشكك في مثل هذه النسبة ، اسمحوا لي أن أقدم لكم بعض الأرقام والنسب التي وضعتها الدول الأخرى لصندوق الطفولة ، حتى تجدوا أننا أخذنا الحد الأدنى ولم نأخذ النسب العالية وغير الواقعية في هذا الموضوع ، وسنعرف جيدا أن الدول التي تعافت وتقدمت وتطورت وضعت ميزانيات وإنفاقات كبيرة لقطاع الطفولة ، فاستطاعت أن توجد إنسانا متصالحا مع نفسه مستكملا لمقومات إنسانيته فاستطاعت أن تحقق ذلك التطور الكبير ، ففي اليابان مثلا هذا البلد المتطور جدا تصل النسبة المستقطعة للطفولة إلى ٤ ٪ ، وحينما نقول اليابان يعني أنه يمتلك ميزانية كبيرة وفي تلك الميزانية الهائلة يخصص ٤ ٪ للطفولة ، وفي ألمانيا تصل النسبة إلى ٢, ٣ وفي ماليزيا في سنوات الانطلاق لبناء ماليزيا الحديثة بلغت النسبة ٥ ٪ .

هكذا أنفقوا واهتموا بتنشئة الجيل الواعد وجيل المستقبل والطفولة فحققوا هذه النتائج الكبيرة في إعمار بلدانهم . إذن ما نلاحظه من مجمل هذه الأرقام وأرقام أخرى كثيرة غيرها ، هو أن الدول كلما أرادت أن تتطور أكثر خصصت ميزانيات أكبر للطفولة والاهتمام بهذه الشريحة المهمة ، واليوم حينما نقول في العراق إننا نريد أن نصل بعد عشرين عاما إلى المستوى الفلاني من التنمية والتطور كما تصنع ذلك وزارة التخطيط وكل من هو معني بشأن التخطيط في بلادنا ، نقول ؛ إلى أين يصل العراق بعد عشرين سنة؟ ، فكيف لنا أن نضع سمات العراق المقبل من دون أن نرسم صورة للمجتمع بعد عشرين سنة؟ . هذه قضية يلزم بعضها بعضا ، إذا اهتمامنا بالطفولة اليوم فالعراق بعد عشرين سنة إلى خير كثير ، وإذا لم نهتم وأنفقنا المال حتى لو أنفق بشكل صحيح ، وهو لا ينفق بشكل صحيح اليوم ، ولكن لو أنفق بشكل صحيح أيضا ، لا يمكن أن نتأكد أن العراق بعد عشرين سنة سيكون في ظروف أفضل بكثير من ظرفه الراهن .

بناء الإنسان ثم بناء الأوطان ، هذا الشعار الذي يجب أن نرفعه ونهتم بالبنية الاجتماعية أولا ثم تأتي عملية التنمية والإعمار والبناء لتأخذ مدياتها بسرعة ، إننا نتحرك منذ البداية ضمن مشروع واضح المعالم لبناء دولة ومجتمع ، ويجب ألا نشغل عن هذا الهدف المهم ، مهما كانت المبررات التي تدفعنا للانشغال بالقضايا الأخرى ، فإن السياسة هي مجرد عملية اجتماعية غايتها التعامل مع الناس ، ويجب ألا تتحول إلى الهم الوحيد الذي يأخذ كل الانشغالات وكل الوقت على حساب الإنسان ، على حساب المواطن ، الذي يمثل أساس المجتمع وأساس حركتنا وليست السياسة إلا لبناء العلاقة بين أبناء هذا المجتمع ، فنحن نبتكر السياسة حتى نوجد علاقات اجتماعية صحيحة ، فننشغل بالصراع السياسي عن المجتمع ، وهو الأساس وهو الأصل في هذه العملية وعلى أساسه تُبنى الدولة .

مراعاة ظروف الطلبة الأعراف

تابعنا باهتمام كبير قرار مجلس الوزراء بإعطاء فرصة لدور ثالث لطلابنا المكملين ، إنها فرصة جيدة نشكر فيها الجهات المسؤولة على ما قدمته من مراعاة لظروف أبنائنا في الواقع الصعب الذي نمر به في العراق ، إننا في الوقت الذي نشدد فيه على أهمية الاحتفاظ بالمستويات العلمية المتطورة وأن يبقى العراق رائدا في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي وفي الشرق الأوسط في مستوياته

التعليمية، إلا أننا ندعو إلى أخذ ظروف العراق والعراقيين وطلبتنا وأبنائنا الكرام بنظر الاعتبار في الإجراءات التي تُتخذ، وهنا أدعو أبنائي الأعزاء من الطلبة الى أن يستثمروا هذه الفرصة وأن يصرفوا وقتهم وأن يركزوا جهودهم على المواد الدراسية التي يطلب منهم إجراء الامتحان فيها ليُفرحوا عوائلهم ويفرحونا جميعاً بنجاح باهر يحدث بإذن الله تعالى في هذا الدور الثالث .

اليوم العالمي لكبار السن

في مطلع تشرين الأول نشهد اليوم العالمي لكبار السن، الجد والجددة، وفي بعض البيوت الأب والأم، هؤلاء بركة وهؤلاء نعمة وهؤلاء حصيلة الماضي؛ إنجازاتنا وتراثنا وأصالتنا وحياتنا وبنائنا وبلادنا إنما حصلنا عليها وتوارثناها منهم، فهؤلاء بركة حينما يحلون في البيت وحينما يكونون في محلة ما، وقد يكون هناك إنسان ليس في بيته كبير سن، لكن قد يكون عند جاره أو في منطقتة أو في محلته، فيجب الاهتمام بهم ورعايتهم وإشعارهم بالعزة والكرامة، كما عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وقروا كباركم وارحموا صغاركم»^(٧٩). هذه تساعد في اللحمة والبنية الاجتماعية القوية. نحن بحاجة إلى إجراءات تتكفل بها الأجهزة الحكومية المختصة في الرعاية الصحية والرعاية الاجتماعية والاهتمام بالشؤون الإنسانية، إضافة إلى ثقافة اجتماعية يجب أن نسهم فيها جميعاً من خلال وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسة الدينية وعناصر التأثير في مجتمعنا لترسيخ ثقافة احترام كبار السن وتوقيرهم وحفظ شأنهم وكرامتهم وعزتهم في مجتمعنا، فإنهم البركة حيثما حلوا وحيث ما حضروا.

الملتقى الثقافي - بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم السيدات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت (سلام الله عليهم)

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((ثُمَّ لِيَكُنْ أَثْرُهُمْ عِنْدَكَ أَقُولَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَأَقَعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ .))^(٨٠)

وصلنا الى المقطع التاسع من مقاطع هذا العهد ، وهو الحديث عن الوزراء ، والوزير يعني العون وفريق العمل ، وليس بالضرورة أن يكون في موقع الوزارة ، كما هو في الحكومات في كل منظومة إدارية أو قيادية ، فهناك مسؤول وهناك أعوان ومساعدون ، وهؤلاء يطلق عليهم في اللغة العربية الوزراء ، أي هم الأذرع والمساعدون .

وهنا يكمل أمير المؤمنين حديثه عن هؤلاء الوزراء والأعوان : «ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمُرِّ الحق لك» ، كلام الحق مُرٌّ والنصيحة الصحيحة مزعجة ، أن يقف أحد بوجه مسؤوله ويقول له أنت مخطئ وإجراؤك هذا خلاف القانون ،

يقف في وجهه ويصارحه في أخطائه، أمر صعب، فالمسؤول عندما يعترض عليه أحد الموظفين يقوم بإبعاده، فهناك البعض من المسؤولين يحب أن يسمع من المحيطين ما يحلوه، لتتحول هذه إلى ثقافة لدى هذا الفريق، ومن أجل أن يبقى هذا الفريق محافظاً على امتيازاته، يقوم بجس نبض المسؤول ليعمل على ما يرضيه، وعندما تسأل عن هذه الخطوة يجيبك بأنها غير صحيحة، ولكن المسؤول يحب هذه الخطوات حتى وإن كانت لا تؤدي إلى نجاح هذه المؤسسة، فالمهم إرضاء المسؤول.

في منظومة تحاسب من يقول الحق، يتعد أهل الحق ويتقرب الناس الذين يعملون على إرضاء المسؤول، ولذلك، فالحل يبدأ من المسؤول نفسه، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يخاطب أهل مصر، بل يخاطب مالكا: «ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك». الطبيب الحاذق والمخلص عندما يرى مرضاً في شخص يصارحه بالحقيقة، وإذا كان المرض خطراً يصرح ذويه بالحقيقة، والمرضى يشكر الدكتور على إعطاء المعلومة الحقيقية من أجل الإسراع في معالجة الخطر، إما إذا كان هناك مرضى يعارضون الطبيب ويرفضون كلامه ويهددونه، فهنا إما أن يقوم هذا الطبيب بترك المهنة وإما أن يقوم بالتستر على الحقيقة، وفي الواقع الاجتماعي والسياسي فإن الكلام هو الكلام.

يا مالك، طالما أنت القائد وأنت المسؤول قرب إليك من هو أكثر الناس صراحة وصدقا معك في قول الحقيقة وفي بيان أخطائك، الصراحة هي المدخل لنجاح الفريق، ولا يمكن للفريق أن يكون صريحا إلا إذا كان المسؤول هو من يشجعهم على الصراحة، ومن يتقبل منهم الأخطاء ومن يفتح لهم الأبواب حتى يقولوا ما في نفوسهم وما يعتقدونه، فإن كان صحيحاً أخذ به وإن لم يكن صحيحاً أقنعهم بوجهة نظره في هذه المسألة.

«وأقلهم مساعدة في ما يكون منك مما كره الله لأوليائه» أي عند ارتكابك الخطأ أو السير في طريق غير صحيح، انظر لمن من فريقك لا يسير معك، ومن يتناقل ويمتنع عن الاستجابة لطلباتك الخاطئة ولمواقفك غير الصحيحة، وعندها ترى نفسك وحيدا، فلا تقدم على الأعمال الخاطئة. المسؤولية مغرية، والمسؤول عندما يجلس على كرسي المسؤولية ويمتلك القرارات والإمكانات قد

يقع في الهاوية، وقد يقع في زلات، وقد تصيبه حالة من النرجسية وقد تعلق في داخله حالة من الكبرياء والاعتداد الخاطيء بالذات، وهذه المسائل تحتاج إلى معالجة، وهو يجب أن يضع في منظومته الكوابح التي توقفه عن الذهاب والاندفاع في الاتجاه الخطأ، يجب أن يضع لنفسه منظومة لا تسايه ولا تماشيه في الخطوة الخاطئة، يا مالك، قرب الناس الذين لا يطيعونك ولا يسمعونك عندما تتخذ موقفا لا يرضى به الله سبحانه وتعالى.

صفات المحب المخلص

لاحظوا أقوالا لعلّي عَلَيْهِ السَّلَامُ تدعم هذه المواقف؛ في غرر الحكم الجزء الثالث: «إنما يحبك من لا يتملقك» فالمحبة ليست بالتملق، فالمحبة الصحيحة عندما تقول الحقائق للمسؤول، وهذه المحبة الصحيحة، اسمحوالي أن أقول إن شعوبنا هي التي تساعد على صناعة الدكتاتور، فالإنسان لا يولد دكتاتورا، بل بسبب سماع المديح والكلام المعسول والثناء حتى يصدق ويصبح دكتاتورا، وهؤلاء أنفسهم الذين يمدحونك يا مسؤول في مجلسك، ربما يذمونك من خلفك، يا مسؤول، من يكثر التملق يجب ان تكون في حذر منه، فليس من المعلوم انه يحبك بالفعل، والتملق ليس دليل محبة، بل دليل انتهازية، كما يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

من الممكن ان يعبر المحب عن محبته، من غير أن يصل إلى حد التملق، فهذا ليس الاتجاه الصحيح، إنما يحبك من لا يتملقك ويخبرك بالحقيقة والخطأ والصحيح، «ويثني عليك من لا يسمعك^(٨١)»، إذا أردت أحدا يمدحك مدحا حقيقيا، فهو من لا يُسمعك ما ترضاه وإنما يُسمعك الحقيقة، فإذا كانت الحقيقة طيبة يُسمعك الكلام الطيب والعكس صحيح، يا مسؤول، أعطِ الفرصة لأن يكون فريقك صريحا معك، والصراحة غير الوقاحة، بل الصراحة تعني بيان الحقيقة بدون أن تجرح كرامة المسؤول، وبدون أن تكسر هيئته وبدون أن تشهر به، لماذا التشهير؟، فالتشهير ليس صراحة وإنما وقاحة، شاوره وقل له إن هذا الموقف خاطيء وهذه الأسباب، بدون أن تكسره أمام الآخرين.

عدم الصدق من العداوة

في رواية عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما سمي العدو عدواً لأنه يعدو عليك»، يتجاوز عليك، «فمن داهنك في معاييك»، كل الناس تعرف أن هذا عمل خاطئ وهو يجامل ويعتبره عملاً صحيحاً، «فهو العدو العادي عليك»^(٨٢)، يتجاوز عليك، حينما لا يخبرك بالحقيقة ويسمعك كلاماً طيباً فيما أن الموقف ليس موقفاً طيباً، وهذا معناه أنه يعتدي عليك من حيث لا يقصد ولا يشعر وأنت سعيد بهذا، لا تقرب العقارب والأعداء المتملقين الذين يسمعونك الكلام الطيب، فهؤلاء يرمون بك في الهاوية.

عن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قد عاداك من ستر عليك الرشد أتباعاً لما تهواه»^(٨٣). الموقف السديد الصحيح حجبه عنك وتماشى مع هواك ومع رغباتك، وهذا هو العدو، ويجب أن تبعده، فهذا طاعته عمياء، ومن قال إن الطاعة العمياء هي الخطوة الصحيحة؟، بل طاعة عن بينة وعن موقف نستدل على صحته بالدليل، هكذا تُعين المسؤول والقيادة بالموقف السديد.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليكن أوثق الناس لديك أنطقهم بالصدق»^(٨٤)، أقرب الناس وأخص الناس لديك أصدقهم معك، من يتكلم معك بالصدق يجب أن تقربه وهو الصديق الحقيقي، من خلفك يدافع عنك وأمامك يشاورك ويخبرك بالحقيقة ويدلك على الخطأ.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح»^(٨٥) من ينصحك ويعطيك الكلام الصحيح هذا هو أقرب الناس وأحب الناس. عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما سمي الصديق صديقاً لأنه يصدقك» مقتضى الصدق أن يكون صادق معك ويقول لك الحقيقة حتى لو لم ترضها، «لأنه يصدقك في نفسك ومعاييك فمن فعل ذلك فاستنم إليه»^(٨٦) هكذا انسان تقرب له وعمق صداقتك معه هذا صديق صدوق.

٨٢. عيون الحكم والمواعظ : ١٧٨ .

٨٣. بحار الأنوار ٧٥ : ٣٦٤ ، ح ٥ .

٨٤. عيون الحكم والمواعظ : ٤٠٤ .

٨٥. ميزان الحكمة ٤ : ٣٢٨١ . غرر الحكم : ح ٢٤٩٤ .

٨٦. عيون الحكم والمواعظ : ١٧٨ .

الدال على السوء شريك فيه

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من أمر بسوء أو دلّ عليه أو أشار به»، يقول له إن هناك طريقا معينا أو مخرجا قانونيا لهذه القضية أو نفسر المادة القانونية تفسيرا خاطئا أو ما شابه، يدلك ولا يأمرك فيورطك، ويربك مخرجا لفعل أو موقف خاطئ أنت تريده، وهذه مرحلة أقل ولكنها سيئة أيضا، «أو أشار به»، لم يدلك وإنما يعطيك علامات أنت تكتشفها، والنتيجة أنه يورطك، في كل هذه المراتب؛ يأمر أو يدل أو حتى يشير، ماذا يحدث؟، «فهو شريك^(٨٧)»، شريك في الجريمة وشريك في كل اعتداء على حقوق المواطنين؛ لأنك أمرته أو دلته أو أشرت عليه، بأي مستوى من المستويات إذا تماشيت مع الظالم ومع الموقف الخاطئ فأنت تتحمل وزره يوم القيامة.

في ثقافتنا الاجتماعية يقال إن المأمور معذور، من أين لك هذا؟، المأمور غير معذور بخلاف القانون وخلاف طاعة الله تعالى، يجب الحفاظ على سمعتك وتأريخك، والمواقع والمناصب تأتي وتذهب، ولكن السمعة حينما تذهب فلن تعود. في أي ظاهرة سلبية لا نستطيع أن نضع كل اللائمة على شخص واحد، كل من يشارك بأي مستوى من المستويات فهو شريك، يا مسؤول، يجب أن تختار من يكون صريحا معك ومن لا يتماشى معك في الخطأ ومخالفة الشرع، ويجب على الشخص الذي يعمل تحت إمرة المسؤول أن يكون صريحا مع مسؤوله، ولكن الصراحة يجب ألا تصل إلى حد الوقاحة بحيث تكسر المسؤول، وإذا طلب منك خلاف القانون فلا تطعه، حتى لو بلغ الأمر إلى أن يقلبك من منصبك، فالمهم أن تبقى على الحق وتدافع عن القانون والالتزام بالسياقات.

خيار حكومة الغالبية السياسية

إن الجميع يعرف أننا من أكثر القوى السياسية مناداة بمبدأ الشراكة في هذا الوطن، لأننا نؤمن بأن هذا الوطن ووطن، متنوع فيه القوميات وفيه الديانات وفيه المذاهب وفيه القوى السياسية المختلفة، وبدون شراكة سيبقى عدم الثقة والخوف وسوء الظن بالآخر هو سيد الموقف والخصوصية الرئيسة التي تحكم العلاقة بين الأطراف المختلفة، ولكن السؤال اليوم كيف لنا أن نعبر هذا الوضع

٨٧ . بحار الأنوار ٢ : ٢٤ ، ح ٧٦ .

المتأزم الذي أصبح شديد الضغط على عموم المواطنين؟ ، كيف لنا أن نوفق بين قناعاتنا المبدئية والحلول الواقعية الممكنة التحقيق على أرض الواقع؟ .

نحن كنا ومازلنا وسنبقى منادين ومؤمنين بمشروع الشراكة بين جميع العراقيين في إدارة هذه الدولة ، ولكن الواقع يفرض علينا أفكارا متجددة ولا نبقي ندور في حلقة مفرغة ، وقد يكون المخرج من هذه الأزمة التي طال أمدها هو الانتقال إلى حكومة غالبية سياسية تستند إلى شراكة مكونات يتصدى فيها فريق منسجم من تيارات سياسية مختلفة ومن مكونات متعددة لإدارة شؤون الدولة ، ويصطف الجانب الآخر ضمن فريق منسجم برؤية وقراءة أخرى في بناء الدولة ، وأيضا من تيارات سياسية مختلفة ومن توجهات ومكونات مختلفة . وبهذا نكون أمام غالبية سياسية ، ولكن ذات شراكة مكونات وحضور لجميع المكونات ، اليوم التحالف الوطني اسمه وطني وشعاره وطني وتوجهاته وطنية ، رشح من كل الأطياف لكن النتيجة كانت من طيف واحد ، والقائمة العراقية الكريمة قائمة وطنية لكن المساحة الأكبر منها كانت من طيف معين ، والتحالف الكردستاني قائمة كريمة ولكن الطيف الذي فاز فيها من لون معين ، فإذا غيَّبنا أي فريق من هذه الفرق وأي كتلة من هذه الكتل فكأننا نغيَّب جمهور المكوّن الذي تمثله هذه القائمة أو تلك .

شراكة الأغلبية لم تعد خيارا

فلذلك لا بد من الشراكة ، لكن هذه أدت إلى أن تكون ليست فقط شراكة مكونات بل شراكة قوى ، كل القوى السياسية أو بعبارة أدق جُلها دخلت في الحكومة ، فصارت حكومة من أغلب القوى السياسية الحاضرة في البلد وهذا أدى إلى تعطيل ، فمرة نقول إن «النصف زائد واحد» غالبية سياسية ، وهذا قد يمثل كل العراقيين أو لا يمثلهم ، ليست مشكلة ، لكن هذا الأمر لا نقبل به ، ومرة نقول «نصف زائد واحد» لكن أنت يا من تمتلك هذا النصف استقدم من كل الأطياف السني والشيعي والكردني المنسجمين معك والمتفقين معك في إدارة الدولة وشكل حكومة ، غالبية سياسية ذات شراكة مكونات حتى لا يستطيع أحد أن يقول أنا لست حاضرا في هذه الحكومة ، فتكون المكونات حاضرة ، ولكن ليس بالضرورة أن تحضر كل القوى ، ولكن من انسجم معك ، وتحمل أنت إدارة الدولة والمسؤولية .

وليقف فريق آخر في الجانب الآخر؛ يقيم ويرصد ويعارض معارضة سياسية لأداء الفريق الحاكم، وبهذا نوجد مخرجا للأزمة القائمة اليوم بغالبية سياسية ذات أساس للشراكة بين المكونات، إن الواقع السياسي يشهد تغيرا كبيرا في الوقت الراهن ولم تعد المكونات ممثلة بقوى موحدة في رؤيتها السياسية. اليوم في القائمة العراقية هناك من يصوت على قانون معين وهناك من لا يصوت، كذلك في التحالف الوطني والتحالف الكردستاني، إذن المواقف ما باتت مرتبطة بمكون معين، بل أصبح لدينا منطقتين جديدتين ورؤية سياسية يتفق فيها شيعي وسني وكرد ويختلف فيها شيعي وسني وكرد، وهذا تطور جديد الآن حصل في واقعنا السياسي الجديد، وهذا يمنحنا فرصة كبيرة في الذهاب إلى حكومة غالبية، ولكن بتمثيل المكونات السياسية في المجتمع، ويسمح أيضا لقوى سياسية ناشئة من كل المكونات أن تأخذ دورها في حركة التطور السياسي لهذا البلد.

الخروج من حالة الانقسام السياسي

بهذه الأفكار يمكن الخروج من الدوامة التي نعيشها اليوم والصراع المحتدم، فتكون لدينا حكومة غالبية تمثل مكونات الشعب، تقابلها معارضة برلمانية تمثل مكونات الشعب أيضا، لنخرج من حالة الانقسام السياسية في الشخصية السياسية التي نعيشها اليوم والتي أصبحت سمة من سمات العملية السياسية القائمة في بلادنا، ومن عوارضها أن يكون المشارك في الحكومة معارضا لها والمعارض للحكومة مشاركا فيها وهذه الازدواجية هي التي تؤدي إلى الكثير من التعطيل في واقع هذا البلد، لقد وصل الجميع إلى قناعة أن هذه الشراكة بصيغتها الحالية، أي الشراكة الجامعة لأغلب القوى السياسية، ما باتت خيارا ناجحا ولا منتجا وإنما هي مجرد شعارات ترفع هنا وهناك، فلنعترف بهذه الحقيقة ولنذهب ونبحث عن حلول أخرى، لأن البقاء بنفس هذه الدوامة سيأخذ البلد إلى منزلقات خطيرة.

فلتكن حكومة غالبية قوى مكونة من مختلف المكونات، لأننا لم نستطع خلال السنوات الثلاث الماضية بالرغم من كل المحاولات التي قمنا بها جميعا أن نحقق شراكة حقيقية كاملة، وقد يقال إن هذا الخيار يمثل حلا قاسيا وبعيدا عن الطموح الوطني وهو كلام صحيح، ولكن أن يكون لنا حل بأي اتجاه هو أفضل بكثير من أن نبقى بدون حل وتبقى الأمور تدور حول حقيقة واحدة وتستمر الأزمات واحدة بعد الأخرى، وتعطل الجهات السياسية بعضها بعضا.

حل قاسٍ ولكنه ضروري

أحياناً يلجأ الأطباء لأجراء العمليات الجراحية الخطيرة والقاسية حينما تنغلق أمامهم الوسائل الأخرى للعلاج، العملية الجراحية قاسية ومؤلمة وفيها دم وجرح، لكنها طريق للحل وللعلاج، فالطبيب يقدم هذه العروض ويقبل بها المريض ويدفع لأجلها الأموال لكي يشفى من مرضه، واليوم نرى وبواقعية أن نسبة الشفاء في العملية السياسية في العراق من أعراض هذه الأزمة المستمرة التي امتدت منذ ٣ سنوات وإلى اليوم أصبحت ضئيلة، إننا لا يمكن أن نكتفي بالكلام ونقدم لشعبنا عبارات المجاملة والتهذئة في وقت نرى فيه أن الأمور وصلت إلى مستويات خطيرة وخطيرة جداً، فلنذهب إلى أي حل مهما كان مؤلماً وقاسياً ولكنه أفضل بكثير من البقاء في الدوامة التي نعيشها والتي لا نهاية لها وأن نبقى من غير حلول، لتراوح الأزمة في مكانها ويدفع المواطن الضريبة الكبرى، أمنياً وخدمياً ومعيشياً وفي كل المجالات الأخرى.

كلنا أمل في أن تكفل جهود فخامة رئيس الجمهورية الرئيس الطالباني بالنجاح الكبير، ويمكن أن يكون الحل الذي نظرحه اليوم أحد الحلول التي تناقش على طاولة الحوار الوطني، لعنا نصل إلى نتيجة مرضية نخرج فيها من الأزمات المستمرة في بلادنا، فلتكن حكومة غالبية ويتحمل فيها أحد الأطراف المسؤولية الكاملة عن النجاح أو الفشل، وهو أفضل بكثير من أن تضيع المسؤولية بين الأطراف المختلفة، اليوم حينما يكون هناك نجاح الكل يدعي بأنه السبب في هذا النجاح، وحينما يكون هناك فشل الكل يرميه في حوض الآخر والناس لا تعرف من هو سبب الإخفاق، فلماذا لا يكون هناك طرف هو من يتحمل المسؤولية، ويأخذ فريقاً منسجماً من مكونات مختلفة ويقف فريق آخر في صف المعارضة السياسية؟، فإذا نجح هذا الفريق صفقنا له جميعاً، وإن لم ينجح وتبين من هو المسؤول عن الفشل، والشعب سيعرف ذلك، وإذا لم ينجح فسيمنح الثقة لفريق آخر، وهكذا تستمر أمور البلاد ونخرج من الأزمة التي نعيشها اليوم.

لا طموح لنا في السلطة اليوم

إن هذه الأزمة كما ضيعت العثور على المسؤول عن الفشل والتلكؤ الذي يحصل في أي مفصل من مفاصل الدولة، كذلك ضيعت على الشعب العراقي آماله وطموحاته وسط هذه الحرب السياسية الطاحنة غير المعلنة بين القوى

السياسية في بلادنا، ولكي نضع الأمور في نصابها ونقطع الطريق أمام التخربات والتقولات التي قد تصدر من هنا وهناك، فإننا نعلن وبوضوح أن المجلس الأعلى وتيار شهيد المحراب ليس له قرار بالمشاركة في هذه الدورة في حكومة الغالبية التي ندعو إليها اليوم ونحدث عنها. ولكننا سندعمها بقوة من منطلق إيماننا بضرورة الخروج من عنق الزجاجة وإحداث نقلة نوعية في العملية السياسية المتأزمة في البلاد، لا يمكن أن نكون سببا في التعطيل ولا يمكن ألا نقف ولا ندافع بقوة عن كل خطوة إيجابية تصب في خدمة الوطن والمواطن.

إن عدم مشاركتنا في حكومة الغالبية في هذه الدورة إنما هو نابع من قناعتنا الداخلية بأن عملية الإصلاح والبناء السياسي والتنظيمي والفكري في تيارنا لم تكتمل بعد، وعلينا أن نفرغ كل جهودنا للبناء الداخلي في هذه المرحلة فلا ندخل في هذه الحكومة ولكننا ندعمها بقوة في كل خطوة إيجابية تصب في خدمة الوطن والمواطن، إذن هي خطوة لمصلحة العراق والشعب العراقي وليس فيها دعوة للمزايدات أو لاقتناص الفرص أو لذر الرماد في العيون، وهي نابعة من عمق إيماننا المبدئي في أن ينجح مشروع الدولة ومشروع الأمة، مع قطع النظر على يد من يكون هذا النجاح، لينجح المشروع ونحن ندعم كل من يرفع الراية ويساعد على إنجاح هذا المشروع، هكذا كنا وهكذا سنبقى بإذن الله تعالى.

سقوط أسطورة الجيش الذي لا يقهر

تابع العالم في الأسبوع المنصرم عملية مهمة مثلت اختراقا للأجواء الإسرائيلية من قبل طائرة بدون طيار، ليؤشر على حقيقة باتت واضحة من أن كل التخربات وكل الادعاءات التي تتحدث عن الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وأنه أقوى جيوش المنطقة وأنه قادر على الدفاع عن نفسه بكل الوسائل والتقنيات الحديثة، تبين أن الواقع يشير إلى حقيقة أخرى، فطائرة بدون طيار تسير بسرعة بطيئة جدا لا يستطيع اكتشافها، فكيف يستطيع اكتشاف الطائرة الحقيقية عند قدميها فضلا عن الصاروخ، إن هذا مثل ثغرة واضحة في بنية الدفاع الإسرائيلي وبرهن على أن هذا الجيش ليس كما يدعي بأنه من أقوى جيوش المنطقة، وقبل ذلك لقت المقاومة اللبنانية هذا الجيش درسا واضحا وأكدت هذه الحقيقة في تموز عام

٢٠٠٦.

إن هذا الاختراق يحمل في طياته رسائل سياسية وأمنية وعسكرية لأصحاب القرار في إسرائيل ولاسيما لجنرالات الحروب الذين يدقون طبول الحروب في المنطقة ويشيعون الكراهية، ويهددون ويلوحون بالحروب مع دول المنطقة، إنها رسالة إليهم كي لا يذهبوا بعيدا في زج المنطقة بحروب ومواجهات وانتكاسات تزيد الطين بلة وتدفع ظروف المنطقة إلى السوء، وأن يكفوا عن أسلوب التهديد والتلويح باستهداف هذه الدولة أو تلك من دول المنطقة، والتعامل من منطلق التعالي على دول المنطقة وشعوبها، لقد ولّى ذلك الزمان الذي يقف فيه الإسرائيلي ويتعامل بتحقير ومهانة مع العرب والمسلمين في المنطقة، الشعوب اليوم تستعيد قدرتها وتستعيد وقفها بوجه هؤلاء الأعداء، وسيأتي ذلك اليوم الذي ينتصر فيه الشعب الفلسطيني ويستعيد حقوقه الكاملة.

قانون المنحة الشهرية للطلبة

صادقت رئاسة الجمهورية على قانون المنحة الشهرية للطلبة، وهذا القانون وإن لم يكن بمستوى الطموح الذي نتمناه لطلابنا ولكنه مثل أفضل الفرص لكتلة المواطن التي حملت هذا اللواء وتعاونت مع الكتل النيابية الأخرى الكريمة، مما أدى إلى إقرار هذا القانون، واليوم بصادق على هذا القانون ونحن في بداية السنة الدراسية الجديدة، وهنا نطالب المؤسسات المعنية بالألّا تدخل هذا القانون في إجراءاته الروتينية المعقدة ليتعطل تنفيذ القانون لأسابيع وربما لأشهر عديدة، فما قيمة قانون لا يُنفذ ولا يفعل في اتجاه الغرض الذي شرّع من أجله؟.

وعلى الجهات المختصة أن تعي أن طلبتنا الكرام يمرون بظروف صعبة وهم اليوم بأمس الحاجة لمثل هذه الرعاية وهذا الدعم الذي يساعدهم في استكمال جهودهم العلمي واستكمال دراستهم الجامعية، ولاسيما أن مجلس النواب قد خصص ٥٠ مليار دينار في ميزانية هذا العام ٢٠١٢ لهذا الغرض، وهو مبلغ يكفي لتسديد استحقاقات الطلبة للأشهر الثلاثة المتبقية من هذا العام، ولذلك ناشد الجهات المختصة أن تسرع في تقديم هذا العون وهذه المنحة من الأموال المرصودة أساسا في الميزانية العامة لهذا العام.

إننا نؤكد على أن تكون آلية صرف المنحة للطلبة آلية سلسلة وعلمية وغير معقدة كي لا تتحول منحة الطلبة إلى عذاب إضافي يضاف إلى عذاباتهم في مطلع كل شهر، خصوصا ونحن نتعامل مع أثقف شريحة في مجتمعنا وهي

شريحة الطلبة الجامعيين ، وهذا يعني أننا نستطيع أن نستخدم الوسائل الحديثة والمتطورة لتسليمهم هذه المنحة ، والأفضل هو مطالبة الطلبة بفتح حسابات مصرفية في مصارف العراق ، حتى تأتي هذه المنحة مباشرة وتودع في حساباتهم من دون إجراءات إدارية كبيرة ومعقدة ومعاملات ورقية يمكن أن تأخذ الكثير من الوقت والجهد والإمكانات وما إلى ذلك ، الطالب لديه حساب في المصرف والدولة في كل شهر تضع هذه المنحة في حسابه ، وأول الشهر أو نصف الشهر وفي أقرب فرصة لا تتعارض مع دروسه ، يخرج ويسحب أمواله بدون تلك التدافعات والمشاكل التي نجدها في توزيع مثل هذه المنح بين شرائح مختلفة من المجتمع .

وبهذا فإننا سنحقق خدمة للطلبة بصورة فعالة ، كما نعزز الثقافة المصرفية في المجتمع ، وكذلك نعزز مكانة البنوك والمصارف ، مع تقوية نشاطها ومساعدتها في التحول إلى نظام مصرفي حقيقي ، وليس بنوك اليوم التي تقوم مقام محلات الصيرفة في الأعم الأغلب ، المواطن العراقي يتهيب من الدخول إلى المصرف ؛ لأن معاملاته بطيئة ومعقدة وخدماته محدودة ، متى نصل إلى مصارف توفر خدمات كبيرة للمواطنين وتمنع من هذه الطواير الكبيرة التي نجدها تصطف في أماكن مختلفة لتسلم منح أو رواتب أو ما شابه ذلك ، كل ذلك إنما يحصل بتطوير للنظام المصرفي وهذا يحتاج إلى ثقافة مصرفية ، ويمكن أن نبدأ من منحة الطلبة لترسيخ مثل هذه الثقافة .

دعم قطاع التعليم العالي والبحث العلمي

في هذه الفترة من السنة تُبحث الموازنة العامة للسنة القادمة ٢٠١٣ في مجلس الوزراء مقدمة لإرسالها إلى مجلس النواب لدراستها والمصادقة عليها ، وموازنة السنة القادمة ستكون أكبر من موازنة هذا العام ، إننا نهتم بجميع الهموم التي يعانيها المواطن العراقي ولكن لا بد من التركيز على موضوع نراه بأهمية كبيرة في حاضرنا وهو ضمانة مهمة لمستقبل هذا البلد أيضا ، وهو نسبة التعليم العالي والبحث العلمي في الموازنة العامة للبلاد ، إن ما يدعو إلى الارتياح أن وزارة التعليم العالي قامت بخطوات مهمة في الفترة المنصرمة ، ولكن التحدي مازال كبيرا والتراكمات في هذا القطاع المهم والحيوي ما زالت كبيرة ومعقدة لحالة النمو والرقي المطلوبة للمؤسسة التعليمية ولهذا القطاع الحيوي ، كل ذلك يجب

أن يؤخذ في موازنة السنة المقبلة ليخصص نسبة أكبر للبحث العلمي والتعليم العالي في موازنة العراق .

إن علينا مراعاة الاحتياجات الفعلية للوطن ، التي لا يمكن النهوض بها ما لم يتم دعم قطاع التعليم العالي والبحث العلمي ، وخصوصا برامج الزمالات الدراسية للخارج ، حينما نرسل عددا من خيرة أبنائنا وبناتنا ويعودون بأخر التقنيات والعلوم الحديثة ليطوروا بها واقعنا في العراق ، وبرامج تحديث المناهج الدراسية بما يتماشى مع المناهج العلمية في الدول المتقدمة ، وبرامج تطوير الجامعات ورفع مستوى المعايير المتبعة والمطلوبة لتحسين واقع جامعاتنا في التسلسل العالمي ، في يوم ما ، كان لجامعة بغداد موقع الصدارة في المنطقة كلها ، واليوم تراجع هذا التسلسل إلى حد كبير ، وعلينا أن نعمل جاهدين لتعود جامعاتنا إلى مواقع الصدارة في التسلسل الإقليمي والعالمي ، والأهم من ذلك كله هو برامج دعم مراكز البحوث والباحثين في الجامعات العراقية ، نفق مليارات على مسائل معينة وعندما تصل إلى المراكز البحثية أو الباحث نفسه نجد الشح الكبير وضعف الإمكانيات ، وبدون بحوث وباحثين لا نستطيع أن نجد نقلة حقيقية في واقعنا العراقي .

إن التعليم العالي والبحث العلمي هو المقياس الأوسع والأهم الذي يؤثر للنمو الحقيقي للدول وسعيها للتطور ضمن إستراتيجية بعيدة المدى ، ودعم هذا القطاع بصورة صحيحة وفعالة سيكون له انعكاسات إيجابية كبيرة في حاضرنا وفي مستقبلنا . ولذلك فإننا سنطلب من كتلة المواطن في مجلس النواب التركيز على دعم هذا القطاع والميزانيات المرصودة له للعام المقبل ، وألا تكون ميزانية وزارة التعليم العالي مقتصرة على التشغيليات من رواتب ومن بناء منشآت وما إلى ذلك ، وإنما أن توضع ميزانية خاصة لتطوير الجامعات ومراكز البحوث .

زيادة في تخصيصات النواب

تابعنا باستياء في وسائل الإعلام تفعيل قرار سابق لهيئة رئاسة مجلس النواب العراقي ، بمنح كل من السادة والسيدات النواب تخصيصا ماليا كبيرا لشراء الصحف والمجلات والقرطاسية لكل نائب ، هذا ما نشرته وسائل الإعلام وتحدثت عنه ، إن هناك قرارا كان قبل ثمانية أشهر وفعل الآن مؤخرا ، في وقت يعيش العراق الكثير من الإشكالات في واقعه المعيشي وفي عدد ونسبة الفقر في هذا البلد

الكريم ، إن المؤسسة التشريعية تمثل المؤسسة الأم في الدولة العراقية ، ولا بد من أن نحافظ على هويتها المعنوية وعلى ثقة الشارع العراقي بها ، وإن اتخذ خطوات من هذا النوع وزيادة في تخصيصات السادة والسيدات النواب فيما أن المواطن العراقي يعيش الكثير من الأزمات لا يمثل الخطوة الصحيحة التي تعزز ثقة الشارع العراقي بهذه المؤسسة المهمة والحيوية في نظامنا السياسي .

في أحد أحاديثي السابقة وعتابي مع أحد السادة النواب عن تخصيصات سابقة ، قال إن السادة الوزراء يأخذون أضعافاً مضاعفة ، ونحن إذا أردنا أن نأخذ مصفحة تقوم الدنيا علينا وفي كل وزارة هناك العشرات وفي بعض الوزارات مئات من المصفحات ولا أحد يتكلم عنها ، قلت له لعل هناك أخطاء في الوزارات ويجب أن تعالج لكن الخطأ لا يعالج بخطأ آخر ، لا نقول لأن ذلك خطأً يجب أن نعمل مثله ، فإذا كان الخطأ في الجهة التنفيذية فالبرلمان هو الذي يحدد الميزانيات ، فيجب أن يكون قاسياً على نفسه وعلى كل مؤسسات الدولة في أمور من هذا النوع ، ويحول هذه الميزانيات إلى المواطن وإلى المصالح العامة في البلد ، لنتنصر للمواطن العراقي ولنشعر المواطن بأن هذه المؤسسة التشريعية تعمل في خدمته .

والحقيقة أن القوانين التي تقرر منذ عدة أشهر تمثل حركة مهمة في هذه الدورة النيابية ، لكن وجود بعض هذه المعلومات والأخبار التي تُنشر في وسائل الإعلام تؤثر بشكل كبير في سمعة المؤسسة التشريعية وتأثيراتها ، ولو صُرف هذا المبلغ لبناء مكتبة عامة لمجلس النواب ، كما في الكثير من بلدان العالم ؛ حيث لدى المؤسسة التشريعية مكتبة عامة يستفيد منها النواب ويستفيد منها كل أبناء الشعب ، ومكتبة الكونغرس في أمريكا أو مكتبة مجلس الشورى الإيراني أو غيرها ممن اطلعنا عليها تمثل مكتبات فيها الملايين من المجلدات ، وهي رافد حقيقي لثقافة ذلك البلد ، فلو أنشئت مثل هذه المكتبات العامة ليستفيد منها النواب وغيرهم لكانت فرصة جيدة ، أما أن تكون التخصيصات للسادة النواب فهذا مما يسيء لهم وللمؤسسة التشريعية . . .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لاتخاذ القرارات الصحيحة التي تصب في خدمة الوطن والمواطن . . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسيات الرمضانية



الأمسية الرمضانية الأولى - بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعوذ بالله السميع العليم من شر الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(٨٨) صدق الله العلي العظيم .

السادة الأفاضل ، الإخوة الأكارم ، الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا مجلس اهل البيت سلام الله عليهم ، كما أبارك لكم حلول شهر الصيام وشهر القيام وشهر الإنابة والتوبة وشهر الانفتاح على الله سبحانه وتعالى ، شهر ضيافة الله ، شهر رمضان المبارك ، هذا الشهر الفضيل له منزلة عظيمة عند الله ، ويمثل فرصة حقيقية من الفرص التي تتوافر للإنسان وتمر مر السحاب ونغمض أعيننا ونفتحها فنجد شهر رمضان قد انقضى ، ولكن فيه السعيد وفيه الشقي ، الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر الفضيل ، والسعيد هو الذي يحظى بالرضوان الإلهي ويضمن لنفسه الجنة ، وفرص الكمال متاحة وفرص التألق متوافرة والأجواء ملائمة وأبواب السماء مفتوحة وأبواب النيران مغلقة ، فالله سبحانه وتعالى تفنن في خلق المناسبة حتى يدخل الإنسان إلى هذا المعترك ويخرج منتصرا ، ويخرج بجوائز ثمينة .

والأمثال تُضرب ولا تقاس ، ترون أحيانا أن هناك من يعمل مسابقات والهدف

٨٨ . سورة البقرة : الآية ١٨٥

منها أن يُربح الناس في سؤال بسيط يعرفه كل الناس والكل يرفع يده للجواب ، فيوزعون الهدايا ، وهي حجة يريدون بها إكرام الناس ويقولون هذه مسابقة ، والله سبحانه وتعالى هو الكريم الحنان المنان المتفضل على عباده ، ونحن على مائدته وفي شهر بركاته ، يتفنن في تقديم العطايا الجزيلة لعباده المطيعين ولعباده المنيين ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وألا نكون من المحرومين .

نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية

كان حديثنا في السنة الماضية عن واحدة من القضايا الأساسية في الرؤية الإسلامية ، ألا وهي نظام الحقوق في النظرية الإسلامية . وتحدثنا بالتفصيل في السنة الماضية في شهر رمضان عن هذا الموضوع ، وقلنا إن من أهم عناصر قوة المجتمع هو وحدته وتماسكه وتقارب أبنائه ، والسؤال الكبير كيف نحقق هذا التماسك والتلاحم والتعاقد؟ . الجواب؛ من خلال منظومة الحقوق وتكافؤ الفرص ، والإنسان عندما يشعر أنه يعيش في مجتمع يضمن له حقوقه ينشد لهذا المجتمع ويدافع عنه فتتحقق حالة التلاحم والتماسك والوحدة للمجتمع .

منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية ليست بمعزل عن منظومة الواجبات والالتزامات ، ولا نستطيع التفكيك بينهما ، فهما وجهان لعملة واحدة ، وكما تحدثنا عن حق يجب أن نتحدث عن واجب والتزام ، عندما نريد أن نثبت حقا لمواطن نقول له إن حقلك كذا فقط ، وعندما نعطيهِ هذا الحق ، فمعناه أننا سنلتفت إلى المجتمع ونقول إن من واجبك أن تحترموا حق هذا المواطن الذي أعطيناه في القضية الفلانية ، والحق لأي فرد وأي جماعة وأي قومية وأي مكون وأي عشيرة وقبيلة ، والحق حينما يُمنح فهذا يعني التزاما من الآخرين باحترام هذا الحق ، وعندما يُعطى الحق للثاني فهذا يعني التزام الأول باحترام حق الثاني ، فالحقوق توازي الالتزامات من الجميع تجاه بعضهم البعض ، وهنا تتكون صورة عن نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية .

نظام الحقوق في الإسلام يُبنى على أربع قضايا :

أولا / الكرامة الإنسانية

عندما تُعطي للإنسان حقه فمعناه أنك تعترف بوجوده، وإعطاء الحق هو اعتراف عام وتقدير .

ثانيا / العقيدة

عقيدة و متبنيات والتزامات وفهم صحيح ، فهذا الحق يُمنح للإنسان عندما يكون لديه حس تجاه دينه ، وحس تجاه وطنه ، وعقيدة راسخة يلتزم بها .

ثالثا / القيم النبيلة

المنظومة الأخلاقية التي تتحكم بمساراته وتمنع الفوضى ، حتى لا تتحوّل هذه الحقوق إلى حالة غير منضبطة وكل يدعي الحق لنفسه ويتجاوز على حقوق الآخرين ، بحجة أنه حقه ، وأن هذه حرّيته ، والحرية شيء مقدس ، ولكن لست أنت فقط من يملك الحرية فالثاني لديه حرية وحرّيتك وحرّيته ستقطعان ، وإذا كنت حرا وتقود سيارتك كيفما اتفق فالسيارة الثانية صاحبها حر أيضا ، ولست أنت فقط ، والثالث والعاشر والمائة والألف وهناك آلاف السيارات تسير في الشارع ، ويجب أن يكون هناك ضوء أحمر وضوء أصفر وشرطة مرور وهناك من يوقف السيارات ، وإذا أوقفت سيارته يجب ألا يغضب ، وهناك أماكن ممنوعة وليس هذا تقييدا لحرّيتك ، ومن قال لك إن الحرية مطلقة حتى لو كان هناك تجاوز على حرية الآخر؟ ، فالأمور لا تسير هكذا ، والحقوق منظومة ترتبط بمنظومتنا الأخلاقية العامة .

رابعا / السلوك المستقيم

أنت حر إذا التزمت بالقانون والعلاقات الشرعية ، والحرية الحقيقية في العبودية المخلصة لله سبحانه وتعالى ، وما معنى العبودية؟ . أن تلتزم بأن هذا حرام عليك أن تتجنبه وهذا حلال وهذا مستحب وهذا مكروه وهذا مباح ، وإن أردت أن تكون حرا بحقيقة الحرية وجوهرها لا بد من أن تكون عبدا لله سبحانه وتعالى وتُحسن العبودية ، وقمة الحرية بقمة العبودية لله سبحانه . وإذا أردت أن تستفيد

من حقوق المواطنة، فأنت مواطن ولك حقوق، ولكن يجب أن تلتزم بالقانون وسيف القانون على رقبتك، ولا تستطيع أن تقول أنا أخالف القانون وأحصل على امتيازات، كلا، فالمواطنة فيها حقوق وعليها التزامات كما أشرنا، وهذا مفهوم الحقوق الذي يتعد تماما عن التمييز على خلفية مذهبية أو دينية أو مناطقية أو طبقية ولا يفرق بين أحد وآخر والجميع سواسية في هذا النظام، لهم حقوق وعليهم التزام في موازنة دقيقة يكمل بعضها بعضا.

الإمام السجاد (صلوات الله عليه) في رسالته (الحقوق) وضع تصورا فعليا لنظام الحقوق في النظرية الإسلامية، وذكر خمسين حقا في هذه الرسالة التي مثلت وثيقة تاريخية تعبّر عن العمق في النظرية الإسلامية لواقع الإنسان والحياة، وهذه الحقوق قد تكون بين العبد وربّه وقد تكون حقا بين الإنسان ونفسه، وقد تكون بين الإنسان والآخرين.

في السنة الماضية على مدار شهر رمضان، تحدثنا بإسهاب عن ثلاثة حقوق، حق الله الأكبر وحق النفس وحق اللسان، وفي هذا العام إن شاء الله، سنواصل البحث في هذه المنظومة؛ منظومة الحقوق في رؤية الإسلام من وجهة نظر الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه، علي بن الحسين، وهو يحمل الرؤية العميقة والدقيقة التي حملها لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

السمع نافذة القلب

((وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهِهُ عَنِّ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفُوهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحَدِّثُ فِي قَلْبِكَ خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))^(٨٩)

الحق الرابع هو حق السمع، انظروا ماذا يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فأما حق السمع (الأذن) فتزنيه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك». أي أن تنزهه وتنظف وتبعد سمعك عن كل ما من شأنه أن يحمل القاذورات إلى قلبك. فأى صوت ينافي طهارة القلب والاستقامة المطلوبة، عليك أن تبعده عن نفسك، وتضع موانع وحواجز أمام ما تسمع. كما لو كنت تضع «مصفاة».

مثال على ذلك حين تضع الدول «مصافي» لمنظومتها الأخلاقية والقانونية

بغض النظر عن موقفنا منها إن كانت صحيحة أم خاطئة، وليس من حق أحد أن يدخل أي موقع ويطلع عليه إذا كان يتقاطع مع قوانين تلك الدول.

في السياق نفسه نستمع إلى إرشادات الأطباء في كيفية العناية بالأذن عند دخولنا الحمام كي لا يدخل الماء إليها. فإذا ما أصيبت بالتهاب نذهب إلى الطبيب. ولكن لنا أن نسأل أليس للسمع حق؟ ونجيب: نعم. . . حقه عليك أن تجعله طريقاً إلى قلبك، بقراءة القرآن، وذكر الله، وكذلك بموعظة ونصيحة وكلام طيب وحديث في المباح ومعلومة ومعرفة وكل ما يضيف إليك شيئاً ويترك انطباعات طيبة في نفسك.

فالحديث مع القلب وإيصال المعلومات إليه إنما يكون من خلال السمع. وهو ما «يؤدي به ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر». فالواقع يدل على أن الأذن لا تميز، فهي تسمع كل شيء. . . تسمع القرآن، كما تسمع الموسيقى أو الغناء، أو الكلام المحرم، أو الغيبة والنميمة.

والسمع يتلقى كل الإشارات وعليك أنت أن تتحكم به «ولا قوة إلا بالله». إذن المدركات والمفاهيم والمعاني التي تصل إلى القلب فيها مخرجات ومدخلات. فالمخرجات هي اللسان الذي تعبّر فيه عن أفكارك - وخدامكم اليوم جالس في محضركم، والفكرة التي في قوله، هي تلك التي يريد أن ينقلها إليكم عن طريق اللسان الذي هو المخرج لبيان المفاهيم - وأما المدخلات فهي السمع الذي يعتبر مدخلاً للخاطرات القلبية، وكذلك للمفاهيم وللمعارف، وما هو مفيد وما فيه ضررٌ. «فإنه باب الكلام إلى القلب». وإذا كنت تريد أن تفتح الباب وتصل إلى القلوب من خلال السمع، فإنك سوف تلتقط الإشارات وتغذي نفسك، وكما يقال: «هذا مملوء، يعني كله معرفة، إذن مسموعاته جيدة».

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٩٠). فقد خرجت من بطن أمك لا تعرف شيئاً و«جعل لك السمع والأبصار والأفئدة». وهذه هي المدخلات التي بها أصبحت تعرف ولم تكن من قبل كذلك. فبالسمع والأبصار والأفئدة، تعلمت وأخذت المدركات وطوّرت نفسك. وفي قوله تعالى

«لعلكم تشكرون» إشارة إلى أن الشكر الحقيقي هو في حسن استخدام هذه النعمة، أي بشكل معقول وضمن الإطار الصحيح.

ولكم أن تلاحظوا قوله سبحانه في سورة الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٩١)، ومعنى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أي الذين «يستمعون ويميزون فيأخذون بالأحسن ويتبعونه، ويعملون به ثم يحوّلونه إلى القلب. تماماً كما المصفاة حيث الشيء الجديد يبقى، والشيء غير النافع يُرمى جانبا». خلاصة القول إن الذين من خلال السمع يستمعون القول ويمحصونه فيتبعون أحسنه هم أفضل العباد. والإمام السجاد هنا يشير إلى حقيقتين أساسيتين في حق السمع:

الحقيقة الأولى: ضرورة أن نفتح ونأخذ ونستفيد من كل كلمة أو صوت يزيدنا معرفة أو ينفعنا في شيء ما.

والحقيقة الثانية: أن نوصد الأبواب ونغلق الطريق، على أي مسموعة ضلال وانحراف وسلبية، أو أي تأثيرات مضرة بسلامة القلب.

للسمع إذاً، تأثير كبير في الواقع الفردي والاجتماعي، وكذلك في الواقع الدنيوي والأخروي للإنسان. ومن كان لديه قوة إرادة يعرف ماذا ينتقي وماذا يسمع، وما الذي يحجم ويتوقف عن سماعه. ومثل هذا الإنسان يستطيع أن يحصل على قلب نظيف مليء بالمعرفة وخاشع لذكر الله سبحانه وتعالى.

في هذا الإطار يقول علي عليه السلام: (صيام القلب عن الفكر في الآثام، أفضل من صيام البطن عن الطعام)^(٩٢). وصيام الفكر عن الآثام هو ألا تصل إلى مدخلات ضارة، وألا تفكر بالحرام، وهذا أهم من ألا تشغل البطن بالطعام. وإذا أردت ألا ينشغل الذهن بالحرام فإن واحداً من الأشياء التي تسيطر بواسطتها على ذلك الانشغال هي المسموعات. أي ألا تسمع الحرام. كالغيبة والنميمة وتلك المسائل التي تفتح ذهنك على أشياء تواجه بسببها مشاكل كبيرة، وتسبب التشوش، وتتعب النفس فيميل إلى الحرام لا قدر الله، وتضيع عليك فرص الكمال. فلو شئت أن تنجح كفردي، إذاً عليك ان تتنبّه إلى مسموعاتك. كذلك إذا

٩١. سورة الزمر: الآية ١٨

٩٢. ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٦٨٧

أردت أن تتجح كمجتمع فاحذر مما تسمع وتتلقى ، فالكثير من التحولات الكبرى والعوارض الخطيرة والهدامة بدأت من السمع .

الهجرة النبوية ومبدأ الاستماع

لنأخذ مثلاً على تحول كبير تحقق من خلال السمع . يذكر لنا العلامة المجلسي رواية تعلمنا كيف بدأت فكرة انتقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة ، وكيف تمت الهجرة ، ولماذا؟ .

معلوم أن الإسلام كان مكبوتاً وهو في مكة ، وأن انطلاقة تمت من خلال الهجرة ، وكل التحولات الكبرى في الإسلام كانت بدايتها الهجرة ، ولذلك كان تأريخنا الإسلامي تأريخاً هجرياً ، ولهذا نأخذ الهجرة النبوية مبدأً لتأريخنا . إذن أين ذهبت الـ ١٣ سنة من تأريخ بعثة النبي إلى تأريخ هجرته؟ ، فرسول الله نشر الرسالة على مدى ٢٣ سنة ونحن نذكر في تأريخنا ١٣ سنة ، أي بدءاً من وصوله إلى المدينة . لماذا؟ ، لأن بداية الانطلاق لتأسيس الدولة ، وتأسيس الكيان النبوي كانت في مدينة رسول الله في يثرب .

انظروا إلى الهجرة كم هي مهمة . فلو عدنا إلى بدايتها سوف نرى أنها بدأت من السمع . وهنا أقرأ لكم هذه الرواية^(٩٣) : قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس وهما من الخزرج ، (اثنان من المشركين حالهما كغيرهما من عشيرة الخزرج) قدما إلى مكة في أحد مواسم العبادة ، وهي مواسم كانت قبل الإسلام وقد أقرها وطورها . وكان بين الأوس والخزرج حرب طاحنة دامت ردحاً طويلاً . وكتلتهما من قبائل المدينة (يثرب) ، وكاتتا لا تضعان السلاح لا بالليل ولا بالنهار ، وآخر حرب بينهما وقعت يوم دعاف ، ولم يكن بنتيجة الحرب بين هاتين القبيلتين منتصر وخاسر . فإذا خسرت قبيلة جولة راحت تلملم نفسها أملاً بالنصر في الجولة الثانية . وهكذا .

إذاً ، قدم أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب ، في وقت كانت الأوس متغلبة فيه على الخزرج ، وعرضاً على قريش التحالف للانقضاض على الأوس والتغلب في تلك المعركة . وكان ابن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة وهو من شيوخ قريش في مكة فنزل عليه وقال له : كان بيننا وبين قومنا حرب مشتتة ،

وقد جئناك نطلب الحلف عليهم ونريدك وجماعتك أن تقاتلوا . فقال له عتبة : بعدت دارنا من داركم ، فأين أنتم وأين نحن؟ أنتم بالمدينة ، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء ، ونحن ليس لدينا وقت لذلك ومنشغلون بقضية كبيرة . قال : وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم أي أنتم في مكة بالمسجد الحرام ، فما الذي يشغلكم ولماذا تتهرب ونحن حلفاء؟ فقال له عتبة : « خرج فينا رجل يدّعي أنه رسول الله سقّه أحلامنا ، وسبّ آلهتنا ، وأفسد شباننا» .

من وجهة نظر المشركين أن رسول الله أفسد الشبان حيث أصلحهم وهم يريدونهم فاسدين ، فإفساد الفاسد إصلاح . عجيب أمر رسول الله ، فقد بدّد كل أحلام الجاهلية والمشركين . وذلك يعني حقيقة أن الإنسان عندما يكون على حق يفعل المستحيل . وهكذا قام فرد واحد عاند قريشا كلها وقلب الميمنة على الميسرة بشهادة شيخ من شيوخهم ، فقال له أسعد «من هو منكم؟ واحد من داخلكم؟ كل هذه القصص هو من يعملها؟ . قال : هو ابن عبد الله بن عبد المطلب من أوسطنا شرفاً وأعظمتنا بيتاً ، (المشكلة هذه داخلية وهذا من خيرة ناسنا ، وأعظمتنا نسباً وهذا اليوم يرفع الراية ويقول أنا رسول الله) .

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم ، (واليهود أصحاب رسالة إلهية وكتاب سماوي ويعرفون هذه الأشياء) . كانوا يسمعون أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهجره بالمدينة ، وكان اليهود يهددون العرب قائلين : لنقتلنكم به يا معشر العرب ، نحن أصحاب الرسالات وسيأتي النبي ويقف معنا ، وسترون كيف سننتقم منكم .

فاليهود كانوا ينتظرون رسول الله حتى يلتفوا حوله لأن شريعتهم وعدت به ، وكتابهم السماوي أكد عليه ، فلما سمع أسعد ذلك وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود عن نبي يدّعي النبوة وهو من أعظم الأنساب ، وسأل : أين هو؟ فأجابه : إنه جالس في الحجر ، في حجر إسماعيل بالمسجد الحرام ، وإنه لا يخرج من شعبه ، شعب أبي طالب ، إلا في الموسم ، فلا تسمع منه ولا تكلمه ، فإنه ساحر يسحرك بكلامه ، (إنه التحذير من سماع الحق ، واليوم هناك من يقول لا تسمع من الروافض ولا تحاججهم فهم يسحرونك ، كما لو كان الدين سحراً ، وليس هناك حجة ولا برهان ولا منطق ولا دليل ولا قرآن ولا آية) ، لماذا تخاف من المنطق ولم هذا القلق مما يقوله رجل إذا كان غير صادق في ادعائه كما تزعمون؟ دعونا نسمع ، لماذا تخافون؟ .

وكانوا قد حاصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ، فلا يخرجون إلا في الموسم ويعودون إلى الحصار ، إذ سمح لهم المشركون بالذهاب إلى المسجد الحرام ، لأداء عبادتكم ثم يرجعون ، لكن رسول الله قلب عليهم المائدة ، فكانوا يقولون للآخرين لا تسمعوا كلامه .

فقال له أسعد : فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي من أن أطوف بالبيت . تقول لي لا تسمع ، كيف وأنا سأدخل المسجد الحرام؟ ، قال : ضع في أذنك القطن كي لا تسمع ، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن فطاف بالبيت ، ورسول الله جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم ، والناس من حوله ، فنظر إليه نظرة فجأوزه وهو يبحث عن شخص بهذه السمات ، ثم قال قد يكون هذا هو والناس جالسون من حوله ، إنه يتحدث إليهم وهم يصغون ومرتاحون ، فلما كان في الشوط الأول وضع القطن في أذنه ، وفي الشوط الثاني بدأ قلبه يضعف ، وقال في نفسه ، ما أجد أجهل مني ، أكون مثل هذا الحديث فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ .

ماذا أقول لجماعتي بعد أن أرجع؟ رأيت من بعيد ولا يجوز أن أسمع؟ سيقولون لي ما دمت وصلت ، فلو سمعت بعض حديثه ماذا يقول؟ ، عندها سحب القطن من أذنيه ورمى به ، وقال لرسول الله : أنعم صباحاً ، (الظاهر أن الوقت كان صباحاً) ، فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رأسه إليه وقال : قد أبدلنا الله بها ما هو أحسن من هذا (ما هذا أنعم صباحاً؟ الله أعطانا كلاماً ألطف منه) ، تحية أهل الجنة السلام عليكم ، فقال له أسعد : إن عهدك بهذا القريب يا رسول الله ، (على مهلك ، فما زلنا في أولنا ، يعني أن التغيير يحتاج إلى وقت ، لكن لم يكن يقصد ١٤٠٠ سنة) . ثم سأل : إلى ما تدعوا يا محمد؟ . ما هي كلماتك قل لي ، وما هو البرنامج يا رسول الله؟ . أدعوكم إلى أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الرمضانية الثانية - بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في هذه الأمسيات الرمضانية ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها ليالي مباركة وحافلة بالطاعة لله سبحانه وبالمغفرة والرضوان من الله سبحانه وتعالى لنا جميعا .

((وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهِهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفُوهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحَدِّثُ فِي قَلْبِكَ خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضَرْوُبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))

كان الحديث في الحق الرابع من الحقوق التي يشير إليها سيدنا وإمامنا الأمام السجاد علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه في رسالة الحقوق ، وهو حق السمع .

وذكرنا في رواية ابتدأناها بالأمس قصة أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس ، ووصلنا إلى جواب رسول الله عن الرجل الذي سأله عن الإسلام .

مضمون الرسالة الإسلامية وبرنامجهما

أولا / «ألا تشركوا به شيئا» . الوجدانية ارتباط حقيقي ولا يجوز أن يكون قدماً هنا وقدماً هناك ، احسم موقفك ، هل أنت مع الحق أو مع الباطل ؟ ، لا والله لا مع الحق ولا مع الباطل ! ، وهذا لا يجوز . أساس الإسلام ألا تشرك بالله شيئا وتبني

الحق ، وهذا درس عظيم في الحياة عموماً ، فالتأرجح ليس له معنى ويجب أن تختار وتتخذ الموقف الصحيح وترى الحق أين وتقف معه .

ثانياً / ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ . الاسلام جاء ليقول ؛ انتبه لأبيك وأمك ؛ الوالدين ، رسالة جديدة وخاتمة دنيا مقلوبة ، وبالوالدين إحساناً ، نعم جوهر رسالة الإسلام ، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾^(٩٤) . البناء الاجتماعي يبدأ من اللبنة الأولى ، من الأسرة ، إذا احترمت أمك وأباك ستحترم الآخرين ، وإذا لم تحترمهما فلن يحترمك المجتمع ، انظر إلى المدخل .

ثالثاً / ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ . أي من فقر ، ليس لدينا أموال ورواتبنا قليلة ، فإذا جاء طفل كيف نصنع ؟ فما دام هناك طفلان اثنان اقتلوهما كي لا نحتار بالعيش ، والعذر ليس لدينا أموال ، ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ، الله يقول ذلك ، وبالطبع فإن رسول الله لا يعطي من كيسه ، وحتى لا ينشئ من عباراته ، الله يقول ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ، كيف تعيش وتقتل ابنك ، هل أنت تتكفل نفسك أم نحن ؟ ، الله هو الرزاق ، ونحن نتكفل بك ونعرف كيف نتكفل بابنك فلا تخش ذلك .

لاحظوا في الأيام الماضية ، يقتل أناس من الشعب السوري قريبا من تركيا بعد أن لجؤوا إليها وأناس قريبا من الأردن لجؤوا إليها ، وأناس قريبا من العراق يريدون أن يأتوا إلى العراق ، وهم على الحدود ، فماذا نقول لهم ؟ . بعض الأوساط المسؤولة في حكومتنا الكريمة تقول لا نقبلكم ، عجيب ! . . كيف لا نقبلهم ، لماذا قبلونا عشرين وثلاثين سنة وآوونا وقبلونا واحترمونا وقدرونا ؟ . وقبل سقوط النظام وبعد سقوط النظام فصل آخر ، كشعب سوري أنا لم أسمع من العراقيين إلا ما يذكرونه من احترام وتقدير لكل عراقي ، هذه سمة الشعب السوري ، وهو اليوم في محنة ، أطفال ونساء ومقعدون كبار نقول لهم سنغلق الحدود ، موتوا وليس لنا علاقة ونحن محتارون بأنفسنا ، لا ، «نحن نرزقكم وإياهم» ، يا حكومة ، هل أنفقت ١٠٠ مليار على أبناء شعبنا ووزعت بالعدل وليس لديكم فلس تنفقونه على المساكين ؟ . . ليست الأمور كذلك ، وهذه فيها آثار وضعية ، فالله سيقول ؛ لم ترحموا الآخرين وتريدون رحمة منا ولن يرحمنا . يجب أن نفتح قلوبنا وصدورنا ونمد أيادنا لهؤلاء المساكين ، للأطفال ، للنساء

للمقعدين ولكبار السن ، أنا من هذا الموقع وفي هذه الليلة الشريفة أتمنى من حكومتنا أن تعيد النظر بهذا القرار ، وهذا ليس شيئاً لائقاً بالعراقيين أهل الضيافة والشيمة والنخوة ، أن يأتي شعب في حيرة لاجئاً إلينا ثم نقول له لا نريدك .

رابعا / ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ ، البعض ينتقد الظاهر من الآثام فقط أما الباطن فليس هناك مانع ، فلا أحد يعلم به ، كيف؟ ، هل الأصل أن يعرف الله أو عبد الله؟! ، تغلق الباب وترتكب المعصية ، هل تعتقد بأن العملية سهلة ، وتخاف من أبي فلان ولا تخاف من رب العالمين؟ ، الأمر مع الناس أسهل فبكلمتين تنتهي القصة ، لكن الذي يسجل هذه الأمور ولا ينساها ولا تذهب عن عينه هو من يجب أن نخشاه ، والإنسان يجب أن يبتعد عن الرذيلة ويبتعد عن الفاحشة ويبتعد عن السلوك الخاطئ في العلن والسريلا فرق ، هذا معدنك وكرامتك الإنسانية ، فكيف تقبل لنفسك ان تدوس على كرامتك؟ ، حاشاك يا إنسان ، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٩٥) ، الإنسان كريم لا يقبل لنفسه أن يكون بهذه الحالة .

خامسا / ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ . الانسان له حرمة وليس من الصحيح القتل بمشاجرة بسيطة ، تزهق روحاً وتقتل إنسانا على أبط قضية ، القتل أصبح شيئاً سهلاً ، والإنسان له قيمة ، وأخطر شيء أن تنتهك هذه الحرمات وألا يبقى للإنسان تأثير وقيمة ، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

سادسا / ﴿لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . مال اليتيم لا تمد يدك عليه ، إلا اذا أردت أن تحفظه وتنميه له ، وتريد أن تساعده ، أما أن تطمع به لأن هذا يتيم ليس له ظهر ولا يستطيع أن يطالب بحقه ، فستدفع الثمن باهظا في الدنيا قبل الآخرة ، انتبه يا إنسان ، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إلى أن يكبر اليتيم ويصبح رشيدا ويستطيع أن يتصرف بأمواله .

سابعا / ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ : العدالة هي أنك عندما تضع شيئاً في الميزان لا تنقص منه ، وترون في هذه الأيام بعضاً من الباعة يضعون البضاعة الجيدة في الواجهة ، وتحتها بضاعة رديئة ، ليخدع الإنسان بتلك البضاعة ويشترىها ، وعندما يصل إلى البيت يفاجأ بفسادها .

وللأسف هذه الحالة موجودة في كل الميادين والمجالات . مثال ذلك تعهد شركة مقاولات بتعبيد طريق ما ، فتعلن أنها اعتمدت المقاييس التالية ، وعند التنفيذ تقطع نصف متر من العرض ، ومن هنا ٢٥ سم ، ومن هناك ٢٥ سم ، وتقلل من السمك إلى نصفها ، بينما صاحب الشركة يغني فرحاً لأنه «لعب على الحكومة ولعب على الناس» . وبعد يومين تعبر شاحنة في الطريق لنجده يتكسر بسرعة وتعود الحُفْرُ لتملأه من جديد .

فلماذا في أوروبا يتم تعبيد الشارع ليصمد ٢٠ سنة بينما عندنا لا يصمد ٢٠ شهراً؟ طبعاً حينما لا يتم الوفاء بالميزان ولا يلتزم الإنسان بالمعايير ، هكذا تكون النتيجة ، أعتقد أيها المقاول أنك رابح؟ لا ، أنت لست رابح . هل تعتقد بأن الفيلسوف اللذين أخذتهما من المال الحرام سوف تُسعد بهما؟ لا ، فإنك ستواجه مائة مشكلة وتصرفهما ربما على أولادك وقد يصيبك مائة مرض ، أما لو كنا نعمل بالشكل الصحيح فستكون النتائج فاضلة ، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

ثامناً / ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ : إذا سُئِلْتُ عن قضية فإنني أبدي رأيي انطلاقاً من أن صاحبها من حزبي وربيعي وعشيرتي أو من أقاربي ويجب أن أبرر له خطأه ، وذاك الآخر يجب أن أكسر ظهره مثلاً . ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٩٦) . هل هذا هو الإسلام؟ ، واليوم عندما يأتي شخص طالباً الإسلام نقول له تعال لتقرأ الرسالة العملية ، وقد تجلس لشهرين في درس الرسالة العملية بما تحويه من واجبات ومحرمات ومستحبات ومكروهات ومباحات وعبادات ومعاملات وعقود وإيقاعات وغيرها . نعم ، هذه كلها صحيحة ويجب أن يؤخذ بها ، لكن عليكم أن تنظروا إلى جوهر الرسالة الإسلامية .

إن الله سبحانه وتعالى لخص رسالته بالتركيز على البعد الإنساني وعلى البعد العملي وعلى الواقع الخدمي والبناء الاجتماعي . والنسبة الغالبة في الآيات القرآنية تدل على كيف تتعامل وكيف تبني المجتمع ، وكيف تتكلم بكلام صادق ، وكيف تكون عند كلمتك . فالدين هو المعاملة وهذا هو جوهر الإسلام وحقيقته . ذلك بأن التوحيد أن لا تشرك به شيئاً ، والاهتمام باليتيم وبأبيك وأمك والوفاء بالعهود

والموثيق، ولا تقتل هذا ولا تسيء إلى ذلك. ولا تتجاوز على هذا وغيرها من القضايا الاجتماعية. وانظروا اليوم كيف ابتعدنا عن هذه الأشياء ولم نعد نعطيهما القيمة التي تستحق.

رسالة الإسلام رسالة إنسانية، وكل إنسان ذي فطرة سليمة لا بد له من أن يؤمن ويتفاعل عندما يسمع بها، وهكذا فعل أسعد بن زرارة، فإنه لما سمع إجابة نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال مباشرة: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله»، إذن، الإنسان السليم الفطرة يلتقطها بسرعة. فلقد رأى برنامجاً كاملاً لبناء مجتمع الرحمة والموودة، وقال: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة»، انظروا كيف انقلب المنطق عنده، فهو لا يستطيع أن يقول أعداء وجئت لأستقوي بقريش حتى أقاتلهم. هكذا بفعل الإسلام تغيرت الرسالة والفكرة والرؤية. والواقعة نفسها تستطيع أن تنظر إليها من زاويتين، فلو شئت أن تحولها إلى معركة طاحنة وتذهب فيها بالآلاف الناس لكان ذلك. . ولو شئت أن تنظر إليها نظرة أخرى لحصل الخير كله.

إذن، قال أسعد للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بيننا وبين الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك ولا أجد أعز منك». ليجعل الله سبحانه وتعالى وصل هذه الحبال المقطوعة بك يا رسول الله، أنت تعقد هذه الحبال وليس هناك من هو أعز منك، «ومعي رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك». وهذا صاحبي إذا سمع منك وصار مسلماً صرنا اثنين، أشدد به أزرى ونعود معاً إلى يثرب ونبشر بهذه الرسالة وبهذه الشريعة. الحقيقة الناصعة عندما يسمعها الإنسان تلج عمق قلبه وتغيره فيصبح شخصاً آخر.

«والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويثروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، فالحمد لله الذي ساقني إليك. ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشّرنا به وتخبرنا بصفته، فهلّم فأسلم يا ذكوان»، أنا فتح الله عليّ ورأيت الحقيقة، وأنت إن شاء الله يفتح عليك أيضاً، فأسلم ذكوان، ثم قال: «يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن، وكان أن أرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معهما مصعب بن عمير وكان فتى في مقتبل عمره»

موقعية الشباب في العمل الرسالي

وهنا يأتي الحديث عن دور الشباب في الرسالة الإسلامية في بداية انطلاقتها ودائماً الخطوة الأولى صعبة. فمصعب بن عمير الذي كُلف بهذه المهمة كان فتى مترفاً، وكان أبواه يكرمانه ويفضّله على إخوته. وهو لم يخرج من مكة، فلما أسلم جافاه أبواه فجلس مع رسول الله في شعب أبي طالب حيث شدّ الأحجار على البطون والجوع والعطش وهو ابن الترف والنعمة، حتى تغيّر وأصابه الجهد، وأمره رسول الله بالخروج مع أسعد. ويجوز أن يكون أحد أسباب قرار رسول الله في إخراجه إلى المدينة عائداً إلى لطف مناخها بعيداً من الحصار والمشاكل، هو أنه قد رفق بحاله، فهنيئاً له.

وهكذا خرج أسعد وذكوان إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير، فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره. فراح بعضهم يستجيب لدعوة الإسلام. وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم فيطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث. وإذن، فإن من رفع لواء الدعوة إلى الإسلام بأمر رسول الله شاب قبل الدعوة وحمل لواءها. وتدل الوقائع على أن عمليات التغيير ونداءات الإصلاح على مرّ التاريخ قام بها الشباب، لما سمعوا بها وآمنوا برسالتها. وما ذلك إلا لكون الشاب يتحرك بلا غرض بل إن لديه مبدئية وفطرة سليمة، يرى الحق ويسير معه، بينما عندما يكبر الإنسان تصبح لديه مصالح وعلاقات، ويبدأ بالأعداء: هذا عيب، وذاك كذا، وورقي يذهب، والأطفال والزوجة فضلاً عن مئات القصص في البال.

يُشار إلى أنه بعد انتشار الإسلام في الخزرج، قال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس فدعنا نميل للأوس أيضاً لنجعلهم مسلمين وحينئذ يوحدنا الإسلام. والمعروف أن خال أسعد رجل عاقل شريف مطاع في بني عمر بن عوف، فلو دخل في الإسلام لَتَمَّ لنا أمرنا، وحينئذ تصبح المدينة كلها مسلمة. فهلّم نأت محلّتهم ونذهب إلى مجالسهم، ونتكلم معه ومع شباب الأوس.

وقصد مصعب مع أسعد محلة سعد بن معاذ، فقعده على بئر من آبارهم، حيث ملتقى الناس آنذاك، إذ لم يكن هناك مقاهٍ واجتمع إليهما قوم من أحداثهم، والتف الشباب حولهما، وراح هو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ

فقال لأسد بن خضير، وكان من أشرفهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلتنا مع هذا القرشي يفسد شباننا.

فلما قرب أسعد منهم قال: يا أبا إمامة، يقول لك خالك لا تأتينا في نادينا، ولا تفسد شباننا وأحذر الأوس على نفسك، الحرب قائمة بيننا، وأنت قادم في أثناء الحرب وقد لا ترجع سالماً. فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نواعدك، فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن، فقال: هذا ليس كلام البشر، وقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر (ماذا يفعل المسلم وما هو السلوك المطلوب) قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين، ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر لسرعة الدخول في الإسلام، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد: يا أبا إمامة أنا أبعث إليك خالك. (والرواية تقول إن الخال أيضاً يقبل ويسلم، ثم كل الأوس بعد ذلك دخلوا إلى الإسلام)^(٩٧).

على هذا النحو كان السماع بداية انتشار الإسلام، وبداية توفير البيئة المناسبة لهجرة رسول الله ﷺ وهذه نعمة عظيمة وحق كبير علينا أن نحافظ عليه، ونأخذ به حتى تتحقق الآمال والإنجازات العظيمة. وللحديث صلة تأتي لاحقاً بإذن الله.



الأمسية الرمضانية الثالثة - بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل ، إخوتي الأكارم ، أخواتي الفاضلات ، أرحب بكم أجمل ترحيب في هذه الأمسيات الرمضانية وفي هذا المجلس الكريم ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

((وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لَفُوهة كَرِيمَة تُحَدِّثُ فِي قَلْبِكَ خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))

كان حديثنا في الليالي الماضية عن الحق الرابع من الحقوق التي يستعرضها إمامنا السجاد ، الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه ؛ وهو حق السمع .

وذكرنا أن حق السمع يتمثل في أمرين أساسيين ، وهما ما ينبغي أن نسمعه وننزود منه ، وما يجب أن نحذر منه وننزعه عنه أسمعنا . فعلينا أن نفتح بالاستماع إلى كل كلمة طيبة تحدث في قلوبنا خيرا ، كما ورد في عبارة الإمام السجاد ، التي تحثنا على الاستماع والإصغاء إلى كل كلمة طيبة ، كل كلمة تزيدنا معرفة وبصيرة ، تزيدنا وضوحا وقربا من الله سبحانه وتعالى ، لأن السمع هو الطريق إلى القلب وواحد من أهم المداخل . ويدخل في الجانب الآخر ، وهو ما لا ينبغي سماعه ، كل كلمة تؤدي إلى نقل معلومة سيئة تترك أثرها السلبي في فكر وثقافة الإنسان .

ظاهرة الإشاعة

علينا أن نتمسك بالمعلومة المفيدة التي يمكن أن تغير من الواقع المنحرف، وتترك أثرها في حياة البشرية، كما فعلت فعلها مع الجماعة التي جاءت إلى مكة وسمعت حديث النبي، فكانت سببا في انتشار الإسلام في يثرب وتوفر البيئة الملائمة لهجرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة المنورة.

لقد كانت هذه القصة التي ذكرناها في الليلتين الماضيتين مثالا لما ينبغي سماعه وللمعلومة المفيدة التي تترك أثرا كبيرا. يوجد في الاتجاه الآخر المسموعة الضارة التي تترك أثرا هداما في الشخص والمجتمع. نتحدث اليوم عن ظاهرة مدمرة سلبية مسيئة إلى المجتمع بشكل عام، تفككه وتنخر في جسده وتترك آثارها المخربة إلى حد كبير في البناء الاجتماعي، وهذه الظاهرة هي ما نطلق عليه بالإشاعة. والإشاعة كلام يتداوله البعض، ويتناقله الناس بينهم بصفته حادثة ملفتة للنظر. تنطلق الإشاعة أولا كخبر في الصحيفة، أو حديث يردد في المجالس والأماكن العامة، وقد يكون عنوانا في الشريط الإخباري لأحدى الفضائيات تهتم فيه شخصا أو مسؤولا بالسرقة أو الفساد وربما العمالة للأجنبي وغير ذلك كثير. ولا تقف هذه التهم والافتراءات وعمليات التشهير عند أحد، فهي تطول رجال الخدمة العامة والنواب والوزراء، بل حتى العلماء والمراجع ولا يسلم منها أحد.

الأخبار المصطنعة

ومن أوضح الشواهد على هذه الظاهرة، ما نقرأه ونراه في بعض صحفنا وفضائياتنا من الأخبار المصطنعة التي تنسب بكل تهاون إلى ما تسميه بـ (مُصَدَّر مُطَّلَع). ومن حقنا أن نعرف من هو مصدر الخبر الحقيقي. تنسب إلى هذا المصدر (المُطَّلَع) المجهول ما تشتهي تلك الصحيفة أو هذه القناة ويختلط الحابل بالنابل. تسمى الإشاعة في زماننا بالحرب النفسية. من موارد التأثير في الرأي العام أن تخلق بيئة ينتشر فيها الخبر انتشار النار في الهشيم.

يمكن القول إن شعبنا العراقي مبتلى أكثر من الشعوب الأخرى بهذه الظاهرة، لأن الأنظمة البائدة اهتمت كثيرا بهذه الأمور، وعمل النظام الدكتاتوري السابق على برمجة عقلية المواطن العراقي على هذا الموضوع. تنتشر الإشاعة في

أوساطنا ويتناقلها الجميع من دون التأمل في حقيقتها والتأكد من مصدرها، فتأخذ مساحات واسعة وربما يتحدث عنها الكثيرون، ولكن الجميع يستقي من مصدر واحد. ولا يسمح لنفسه أن يفكر ولو لمرة واحدة بكذب هذا الخبر، وحجته في ذلك هو كثرة الضجيج الذي يصدر من الآخرين بخصوص هذا الموضوع، فلا يمكن أن يكون هذا الخبر كذبا مع كثرة المتحدثين عنه، والحال أن هذا الحديث يعود إلى مصدر واحد. فليس بالضرورة أن يكون جميع هؤلاء كاذبين، ولكن كاذبا واحدا استطاع أن ينشر هذه القصص ويروج لها في مقهى أو جلسة أو حتى عن طريق المزاح.

فقد تكون بداية الإشاعة طرفة أو مزحة، فتأخذ مساحاتها في مجتمعاتنا المهيأة أساسا لذلك. تنتشر الإشاعة بشكل لا يمكن معه معارضتها، فحتى لو قدمت للناس الأدلة وحلفت بأغلظ الأيمان فلا تجد من يصدقك. وحتى لو ظهر هذا المتهم المسكين على شاشات الفضائيات وكذب الخبر فلا يجد صدى لهذا النفي بعد أن انتشرت الإشاعة. تتفشى هذه الحالة حينما يكون المجتمع مهيا للاستماع لمثل هذه المعلومات ولمثل هذه الأخبار التي غالبا ما تكون غير صحيحة، وحتى الصحيح منها يمكن أن يكون هينا وليس بالمستوى الذي يتناقله الناس الذين يجعلون من «الحبة قبة» كما يقول المثل. وبسبب هذا التضخيم ظلم الكثير من الناس وهتكت أعراضهم وأسيء إلى سمعتهم. وهذه هي نتيجة الإشاعة التي تبدأ من شخص واحد مريض وتنتشر بين المئات.

القرآن يستعرض الظاهرة

نتساءل هنا عن موقف القرآن الكريم من هذه القضية، وكيف تناولها ونظر إليها؟.

هناك عدة إشارات قرآنية لهذه الظاهرة الخطيرة، ومن أهم ما جاء في استعراض هذه القضية، هو ما ورد في سورة النور في عشر آيات خصصها القرآن الكريم لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة والفتاكة. حينما جاءت الأكذوبة الكبرى؛ وهي اتهام إحدى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل إنها السيدة عائشة، وقيل هي مارية القبطية أم إبراهيم على اختلاف الروايات، وقيل إنها لم ترد في

أزواج النبي ، وإنما في ظاهرة أخرى هي ما يطلق عليه بحديث الإفك ، كما في قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾^(٩٨) ، والإفك هو الأكذوبة الكبرى ، فالكذبة الصغيرة لا تسمى إفكاً .

وفي بعض الروايات أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، عندما كان يخرج إلى الغزوات يأخذ معه إحدى زوجاته ، ولأن للنبي تسع زوجات ، كان يختار واحدة منهن بالقرعة ، فأيهن خرج سهمها خرج بها ، وفي تلك الغزوة كما في الرواية ، خرج اسم السيدة عائشة فاصطحبها ، وكانت آية الحجاب نازلة ، فصاروا يجلسون زوج النبي في الهودج مستورة ، وبعد انتهاء الغزوة خرجت السيدة عائشة في الليل لطلب حاجة ، فابتعدت قليلاً عن الجيش وبينما هي في طريق عودتها اكتشفت أن قلاذتها قد انفرطت وتفرقت فعادت للبحث عنها ، فتحرك الجيش تاركاً أرض المعركة وحمل الجنود الهودج الخاص بالسيدة عائشة وهم يظنون أنها في داخله لأنه كان مكللاً بالستائر .

عادت السيدة عائشة ففوجئت برحيل الجيش ، فقررت أن تجلس في مكانها لعلهم يتنبهون إلى عدم وجودها ويرجعون إليها ، ويبدو أن أحد عناصر الجيش كان متخلفاً لسبب أو لآخر ، ففوجئ كذلك برحيل المعسكر فبقي في مكانه بعد أن جن عليه الليل ، فلما طلع النهار التفت إلى وجود السيدة عائشة ولم يكن يعرف بوجودها قبل ذلك ، فاقترب منها ويبدو أنه عرفها لأنه كان مطلعاً على ملامح وجهها قبل أن يُشَرِّعَ الحجاب ، وحين رآها قرَّبَ الناقَةَ ولم يكلمها ، فلما ركبت مسك بزمام الناقَة ومشى بها حتى وصل إلى الجيش . فلما رأى الناس هذا الرجل مع السيدة عائشة دخل ما دخل في النفوس الضعيفة وبدؤوا يتحدثون بالهمز واللمز ويتهمون زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم ظلماً وبهتاناً ، وأخذت هذه التهمة تنتشر كالنار في الهشيم .

وبلغ هذا الحديث إلى الحد الذي تدخل فيه السماء وتحافظ على سمعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأزواجه ، فنزلت هذه الآيات : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ والإفك هو الأكذوبة الكبيرة ، والعصبة هي الجماعة المتعاضدة ، وفي زماننا نسمة (عصابة) ، وهي دائماً لها تفسير سلبي . أما العصبة فيمكن أن يكون لها في اللغة تفسير سلبي أو إيجابي ، وهو سلبي هنا .

المحنة الخلافة

وتؤكد الآية على نقطة مهمة إذ تقول: ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ في إشارة إلى أن الإشاعة تنطلق من داخل البيت وتساعد على انتشارها الصراعات والمشاكل الداخلية، فمن الممكن أن ينبري أحد أطراف الخلاف ليكشف عن خطأ هنا وزلة هناك وينشر غسيل الآخر، فيقابل الاتهام بالاتهام، وتتفاقم التهمة بعد أن تتجاوز حدود البيت ليتلقفها الخصوم ويضيفوا إليها ما يضيفون ويسيووا لسمعة مجتمعنا وبلدنا.

ثم تنتقل الآية إلى نقطة أخرى في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فإن هذه الإشاعة الفتاكة المسيئة تستبطن الخير والبركة. لأن المحن والبلاء والتعب في رؤية القران الكريم تساعد على نضج المجتمع وتكامله، فهي كالغريلل يتيين من خلاله الحب الجيد من الرديء. تكشف الأزمات عن معدن الإنسان وتفرز المخلص من غيره، ونجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾^(٩٩)، فمن منا يحب القتال والحرب وما فيها من إراقة للدماء وهجر الأهل والأوطان، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فالمعارك والقتال نعمة إلهية، وفيها تربية وإعداد للفرد والمجتمع، كما تبني إرادة الإنسان بناء حقيقيا وتقوي عنده العزيمة والانتماء للأمة.

إن الأمة التي لا عدو لها يمكن أن تتفكك وتنهار، بخلاف الأمة التي تشخص أعداءها، فإنها تتماسك وتتلاحم وتحفظ قوتها. هناك أشياء نحسبها شرا ولكنها تنتج خيرا لم نكن نتصوره أو نلتفت إليه. نتعب ونعاني من المحنة والأزمة والمشاكل ولكننا نستفيد ونتربى ونفتح عيوننا أكثر فأكثر. إن الأزمة التي يمر بها العراق كشفت عن الكثير من الحقائق، ولو سألت أي مواطن بسيط عن رأيه في ما يجري، فيمكن أن يقول إن كثيرا من الأشياء تعلمها في وقت الأزمات، لأن الأزمات تحرك الواقع الراكد وتكشف عن دوافع الجميع من خلال مواقفهم وتصريحاتهم، ويستطيع الناس أن يتعرفوا على الحريص ويكشفوا المنافق ويفضحوا الكاذب.

يحتل هذا البحث أهمية كبيرة، لأنه من الأبحاث التي تحلل ظاهرة في

٩٩ . سورة البقرة : الآية ٢١٦ .

مجتمعنا، لو اختفت أو تراجعت فسيزداد حينذاك الوباء والمجبة واللحمة والتماسك. لو أننا تعاملنا مع هذه الظاهرة كما تعاملنا مع إنفلونزا الطيور لكان مجتمعنا بخير، لقد تحركنا حركة دؤوبة وعملنا بروح الفريق الواحد لدرء مضاعفات هذا المرض المفاجئ، وعمدنا إلى إتلاف الدواجن التي نشك في إصابتها بالمرض لكي نضمن الخلاص من شبح هذا الوباء. ولو أننا تعاملنا مع مرض الإشاعة بمثل تعاملنا مع الإنفلونزا الوبائية، لأصبحت أوضاعنا أفضل مما هي عليه الآن بكثير.

مثلث الإشاعة

يدرس القرآن الكريم الموقف من الإشاعة وطريقة التعامل معها، ويحدد ثلاثة أصناف من الناس: الصنف الأول: من يخلق الإشاعة ومن يشيعها ويتبناها، وهذا أخطر الأصناف، فهو من يصنع هذا الوباء الذي يفكك المجتمع ويهدم تلاحمه، ويتبنى ما فيه إساءة للآخرين والكذب والافتراء عليهم. يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٠٠). وهو من صنع الإشاعة وأوجدها ونفخ فيها وأشاعها.

إن تصور عظمة العذاب يختلف من شخص إلى آخر، فهو معنى تشكيكي بحسب تعبير المناطق، فقد تقع عين الطفل على خروف مثلاً، فيجده كبيراً، وعندما يفتح عينه ويكبر ويتعرف على ما هو أكبر منه كالجمل والفيل وهكذا، يرى خروفاً، وقد يجد أحداً بنائة بطابقين كبيرة، فيما يراها آخر صغيرة نسبة إلى بنائة بعشرة طوابق، ويعدها ثالث أصغر مقارنة بناطحة سحاب، ويمتد ذات الأمر إلى القضايا المعنوية؛ فقد تلتقي برجل في القرية يستطيع أن يجيب عن أربعة أسئلة ويحفظ خمسة أحاديث فتقول هذا عالم، ولكن مقامه يتصاغر أمام أستاذه وهكذا، تتفاوت الأمور نسبياً بينها، ولكن الله سبحانه وتعالى العظيم الذي لا يوجد أعلى منه، هو الوجود المطلق، فعندما يقول إن هذه القضية عظيمة فهذا معناه عدم وجود قضية أكبر منها، فهي الذروة والقمة ليس فوقها شيء. وقد توعد الله من يتبنى الإشاعة في قرآنه المجيد بالعذاب العظيم، وهو تعبير يشير إلى فداحة هذا الأمر وخطورته وضرورة اجتنابه.

١٠٠. سورة النور: الآية ١١

تبني الاتهامات

الصف الثاني: وهذا الصف وإن لم يكن هو من أنشأ هذه الكذبة ولا صنع هذه الفرية، ولكن لأنها تصب في مصلحته وتماشى مع تطلعاته تراه يتبناها ويروجها مع علمه بكذبها ومجانبتها للواقع. ويتحجج بوجودها في الموقع الفلاني وبثها بالفضائية الفلانية وأن المسؤول الكذائي هو من صرح بها، فيجد نفسه غير مسؤول عنها ولا يتحمل تبعاتها فيشرها على أوسع نطاق وكأنه بريء من آثارها الأخلاقية. وإذا رجعنا إلى الآيات الكريمة التي بدأناها في الفقرات السابقة والتي عالجت هذه الظاهرة، نجد أنه يشرك هذا الصف بالإثم ويحمله تبعة عمله إذ يقول: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾^(١٠١) فكلما نشرتها وأفشيتها ازداد الإثم.

الصف الثالث: وهو صف مهم؛ لأنه من الممكن أن يكون من أوساطنا. إن وجود الصنفين الأول والثاني في صفوف المؤمنين نادر جدا، فمن الصعب جدا أن يتورط مؤمن متدين ملتزم يخاف الله بخلق الإشاعات الكاذبة عن الناس ويسيء لسمعتهم، أو يتبنى أخبارا كاذبة ويشيعها تسقيطا للآخرين. الصف الثالث هو من لا يتبنى هذه الظاهرة ولا يصنعها ولكنه يتحدث عنها ببراءة شديدة، ويردد ما يسمعه من هنا وهناك. حين تسأل هذا الشخص عن مصدر معلومه يجيبك بأنه قرأها في الشريط الإخباري لإحدى القنوات الفضائية، فيبدأ يصوغ الأخبار ويحلل المعلومات وإن بلغت اتهام المراجع والصالحين، فينقل خبرا مفاده أن المرجع يصرف الحقوق الشرعية على بناء القصور ويسخرها لمصالح أولاده وحاشيته. قد يكون هذا الفرد بريئا في نقله وحجته، ونقل ما سمعه، ولكنه لا يقدر خطورة هذا الفعل الذي يشبه إشعال الفتيل في قنبلة مدمرة. لا يملك هذا الفرد من جواب على فعلته هذه إلا أنه سمعها من الآخرين وأنه لا يقصد الإساءة إلى أحد وقد يكون صادقا في ذلك.

دلالة التكرار

إن أسرع الإشاعات انتشارا هي تلك التي ينقلها إليك أحدهم ويطلب منك عدم البوح بها، لأن هذا الطلب سيدفع إلى نشرها وإفشائها فقط. إذا أردت لمعلومة في دوائر الدولة ألا تكون سرية وأردتها أن تنتشر فما عليك إلا أن تكتب

١٠١. سورة النور: الآية ١١

عليها (سري)، وإذا أردت أن تنشرها على نطاق أوسع فاكتب عليها (سري للغاية) لتجدها بعد ذلك في نشرات الأخبار وفي عناوين الصحف ومواقع الإنترنت . وكلما كانت سريتها أكثر كانت أكثر عرضة للانتشار . وعن هذا الصنف يقول القرآن: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١٠٢) أي ترددون بألسنتكم ما لم تتأكدوا من وقوعه، وتنقلون ما يتحدث به الآخرون . ثم تقول الآية: ﴿وَنَحْسَبُوهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١٠٣) ومما يلفت النظر هنا هو استخدام مفردة (عظيم) مرة ثانية في هذه القضية، فقد يجد هذا المتكلم ومن يتناقل الإشاعة أن هذا أمر بسيط ولا قيمة له ولكنه عظيم عند الله .

نلاحظ هنا أن القرآن الكريم لا يفرق بين هذه الأصناف الثلاثة، فلا فرق بين من يصنع التهمة ويخلق الإشاعة ومن يروجها ويشيعها بقصد الإساءة والتشهير ولا من يتناقلها ببراءة، إذ إن جميع الأصناف سيصاب بنفس النتائج، فهي تشبه الفيروس الذي لا يفرق بين متعمد وبريء يمكن أن يعطس فينقل المرض إلى عشرات الأشخاص، فلا ينفعه بعد ذلك أن يقول إني بريء، لأن الفيروس لا يفرق بين متعمد وبريء . ولهذا نجد القرآن يتحدث عن ظاهرة الإشاعة ولا يفرق بين من يصنعها ومن يتداولها؛ لأن البيئة أصبحت بيئة ملوثة بالفيروس الذي يعم الجميع، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٠٤) فالخطاب هنا موجه إلى الجميع، مسكم جميعاً، أنت الذي تتكلم بالإشاعة وتساعد على نشرها بريئاً أو متعمداً، وأنت الذي تسمعها فلا تتخذ موقفاً لمنعها ولا تعترض على من يروجها وتوقفه عند حده وتمنعه من الإساءة إلى الآخرين، يمسمكم جميعاً في ما أفضتم فيه عذاب عظيم .

تكررت لفظة (عظيم) في هذه الآيات العشر التي عالجت هذه الظاهرة ثلاث مرات، وفي ذلك تنبيه على ما تتطلبه هذه القضية من توبيخ شديد وعقوبة قاسية . يشبه هذا الأسلوب طبيعة الدواء الذي يصفه الطبيب، فكلما اشتد المرض وتراجعت حالة المريض، وصف الطبيب علاجا أشد تأثيرا وبجرعة

١٠٢ . سورة النور : الآية ١٥ .

١٠٣ . سورة النور : الآية ١٥ .

١٠٤ . سورة النور : الآية ١٤ .

أكبر، فالمريض المصاب بنزلة برد لا يحتاج إلى العلاج الذي يصفه الطبيب لمريض مصاب بالسل مثلاً أو مريض أجريت له عملية جراحية وهكذا.

حلول قرآنية

نختم حديثنا بالوقوف على الموقف المطلوب من هذه الظاهرة التي اجتاحت مجتمعنا. إن الحلول التي يقدمها القرآن الكريم في هذه الآيات التي عالجت ظاهرة الإشاعة هي كالتالي:

أولاً: رفض الإشاعة، وحسن الظن بالمؤمنين. وتكذيب كل خبر يتهم الإخوة في الإيمان المعروفين بحسن السيرة والعدالة وحمل المؤمن على الصحة، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١٠٥). فلو كذبنا الأخبار التي تتهم المؤمنين وأحسننا بهم الظن ووبخنا كل من يتكلم عنهم بسوء، لما تجرأ أحد على نشر هذا المرض. إن حسن الظن بالآخرين هو المطلوب، ولا يمكن لك أن تشك بشخص عرفته لعشرين سنة، وليس من الصواب أن تشطب على كل هذه السنين لكلمة تسمعها من مغرض.

بينما أنا جالس ذات مرة في المسجد الحرام أمام الكعبة الشريفة، مشغولاً بتلاوة القرآن، وإذا برجل يقدم قدماً ويؤخر أخرى وهو ينظر إلي ولا أدري ما يريد، إلى أن جلس بالقرب مني وقال، سيدنا أنت الآن في بيت الله الحرام، هذا المكان الشريف، وأريد أن أسألك سؤالاً وأسألك بالله أن تجيبني. فقلت له، تفضل، فقال، ما مدى صحة ما نسمعه من أخبار تتهمك بكذا وكذا؟ فقلت له، إذا كنت صادقاً في نظرك وتقبل جوابي فكيف تصدق أن تصدر مني هذه التهم؟ وإن لم أكن صادقاً فلماذا تسألني؟. فإذا كنت تحسن بي الظن وعلى استعداد لقبول جوابي فكيف تصدق هذه التهم الخطيرة؟!.

ثانياً: التدقيق في صحة الخبر، والتأكد من وثاقة الناقل وكيفية وصول المعلومة إليه. ولا يكتفى هنا بقناعتك الشخصية وميولك النفسية، بل يجب أن يرقى إلى حد البيئة الشرعية. وفي القضية مورد البحث، لا بد من اجتماع أربعة شهود عدول لإثبات التهمة التي رميت بها زوج النبي، فحتى لو كنت تثق بواحد منهم وتقطع بعدم كذبه لا يمكنك مع ذلك أن ترتب أثراً شرعياً على شهادته،

١٠٥. سورة النور: الآية ١٢.

كما أنه لا تكفي شهادة الاثنين ولا الثلاثة بل لا بد من أربعة شهود اطلعوا على الحادثة ورأوها بأم أعينهم ، يقول القرآن في هذه الآيات : ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١٠٦).

فلا يكفي عدالة الشاهد الواحد ولا اجتماع ثلاثة شهود عادلين ، ولا يكفي أن يقسم أحدهم لإثبات ذلك حتى لو كان صادقا . والملاحظ هنا أن الآية لا تقول أولئك هم الكاذبون لأنهم قد يكونون صادقين ، ولكنهم الكاذبون في المنظور الإلهي . فإذا لم يجتمع أربعة شهود فلا سبيل إلى تصديق الثلاثة فضلا عن الأقل . وهذا تشديد واضح من السماء على محاربة هذه الظاهرة وأسلوب قرآني للقضاء عليها .



الأمسية الرمضانية الرابعة - بتاريخ ٢٤/٧/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

سادتي الأفاضل ، إخوتي الأكارم ، أخواتي الفاضلات ، أرحب بكم أجمل ترحيب في هذه الأمسيات الرمضانية وفي هذا المجلس الكريم ، مجلس أهل البيت (سلام الله عليهم) .

عزيز العراق كان حريصا على شعبه وأمته

عزيز العراق كان من الشخصيات التي أنصفت زمانها ، فكان يملأ وقته وزمانه بالعمل والجد ، ولا يكل ولا يمل ، سواء في صباح باكر أو في ليل متأخر أو في يوم عطلة ، في صيف أو شتاء ، ليس لديه شيء اسمه عطلة ، ودائما تجده متهيئا ومستعدا لأداء الواجب ، وبذلك ترك لمساته وبصماته بوضوح في الكثير الكثير من الملفات المختلفة ، وكلما وجدنا طريقا ومسلكا من مسالك الخدمة وجدنا آثار عزيز العراق في هذا الطريق وهذا المسلك ، وكان حريصا على شعبه وأمته ، وكان يبذل كل الجهد لإسعادهم ضمن الإمكانيات المتاحة آنذاك والتأثير الذي كان يملكه على عدد من الناس ، فكان يوظفها لمصلحة المواطنين ولخدمة الناس ولحل مشاكلهم وهذا ما عهدناه وسمعناه .

كان أهل نخوة في دار الهجرة ، وأي مواطن لديه مشكلة كان يتصدى لحلها بنفسه ويرفع الهاتف على المسؤول الفلاني ويتوسط لدى هذا الشخص ، ويكتب كتابا بنفسه ، ويتدخل بشخصه ولا يكتفي أحيانا بإرجاع الأمور إلى أطراف أخرى

من مكتبه أو موظفيه العاملين عنده ليتابعوا الموضوع ، فكان يتدخل بنفسه ويتابع ، وتراه مشغولاً يوماً أو يومين بقضية إنسان مظلوم .

أذكر أن ثلاثة عراقيين استشهدوا في الباكستان على يد الجماعات المتطرفة ، ففضى أسبوعاً مشغولاً بالاتصالات والمكالمات وتوثيق العلاقات ، ليأتي بهذه الجثامين ويحفظ كرامة العراقيين وعزتهم ، ولا يعرف له حال ، وهكذا كان يتدخل ويتابع ، فإن كرامة المواطن قضية أساسية ومهمة لديه ، وهي ما أتحدث عنه بهذه العناوين في هذا المجلس ، ويعرف ماذا أعني كل هؤلاء الذين عايشوه ويحملون في جعبتهم الكثير من الشواهد على هذه القضية ، ولكن التاريخ لم ينصفه والزمان لم يف مع عزيز العراق كما وفي هو مع زمانه ، والزمان حينما لا ينصف بعض الرجال سيأتي يوم يتحول فيه الزمان الحاضر إلى تاريخ ، وتخلص من إخراجات اللحظة ، ومن إرهابات وتفاسيل فيها تشابكات ومصالح في هذه اللحظة ، وقد يعرف الكثيرون خفايا وسمات مهمة لعزيز العراق ، لكن في خضم الصراعات الحزبية والسياسية لم يُنصف عزيز العراق والمجلس الأعلى من المنافسين .

عزيز العراق يتحرك برؤية واضحة

كان يجالس العلماء ، فكانت تلك الاهتمامات الجهادية ، والاهتمامات السياسية مع ذلك الالتزام والعمق والوضوح والدقة ، وأنا لاحظت عند بعض الخبراء الغربيين الذين كتبوا عن عزيز العراق أنه لفت انتباههم في حديثه في الأروقة والمفاوضات معهم ؛ إذ يقولون إنه في حديثه ينتقي الكلمات بعناية شديدة ويفكر ويتكلم بحدود ، فكانوا يكبرون فيه ذلك ، فهو ليس شخصاً يريد أن يتكلم فقط ، بل هو صاحب قضية ولديه مشروع ورؤية ، ويحاول أن يوظف كل الفرص والأماكن للضغط على الآخر انتصاراً للمشروع وشعبه ووطنه ، وكيف يستطيع انتزاع الحقوق لصالح هذا الشعب ، وهذه كانت السمات المهمة دائماً لعزيز العراق ، فيتحرك برؤية ومشروع ، وباستراتيجيات واضحة ليتحول إلى منهج في تعاطيه مع الأزمات والقضايا السياسية .

كان نعم الأخ لشهيد المحراب ، وكان يرى في شهيد المحراب الأخ والمعلم والقائد ، وحينما تكون العلاقة فلسفية ، فإن استحضار مفهوم القيادة والطاعة والانقياد للقائد والتعامل مع أخ ، من أصعب الأمور ، ولكنه كان يميز بين هذه

المساحات، فهو أخوه الأكبر يقدره ويحترمه ويتعاطى معه من موقع الأخوة، ولا سيما أن شهيد المحراب له دور في الرعاية الخاصة لعزير العراق لتأريخ طويل، لكن يتعامل معه أيضا كقائد، يناقشه ويحتدم معه في الرأي ولكن يلتزم بالقرار القيادي الذي يصدر من شهيد المحراب، ثم يعمل جاهدا وبينى كل خطته ومشاريعه الميدانية على أساس رؤية القائد، حتى لو كان على خلاف معه في بعض التفاصيل، ليعبر بذلك عن قمة الوفاء والالتزام والانضباط في التعاطي مع القضايا والشؤون العامة.

لم يكن يتقاطع مع شهيد المحراب، يختلف أحيانا ويناقش ولكن لا يتقاطع، وهذه سمة مهمة، إذ يأخذ الرؤية والقرار القيادي ويؤسس ويطور وينمي ويحول هذه الرؤية إلى خطط ميدانية وإلى واقع عملي على الأرض، فكان رجل قرار ورجل مسؤولية، هذه من سمات عزير العراق التي كان يتميز بها.

بعيدا عن الأضواء

كان يتجنب الظهور ويتعد عن الأضواء، والصور التي نراها اليوم أغلبها ليست صورا أخذت في مجالس عامة وفي احتفالات وفي فعاليات، فترونه في جبهات القتال مع مجاهدين، وترونه في الفيسبوك وفي المواقع المختلفة، وأغلب الصور الموجودة عن عزير العراق ليست صورا بالزي الرسمي وفي مجالس رسمية، لأنه كان يتعد عن الظهور والأضواء، وكان رجل ميدان، وكلما زادت الظروف قسوة زاد عزير العراق حزما وإصرارا في مساراته، وليس من النوع الذي يهتز وينكسر، وكلما زادت عليه الضغوط تجده ببسالة واستعداد أكبر للمنازلة، وهذه كانت سماته، ويوصف من الأعداء والخصوم بأنه الرجل العنيد، لأنه قوي ويقف ويهيئ كل مستلزمات المعركة، وكلما اشتد الوطيس وجدته أكثر انتباها وحماسة واستعدادا للمواجهة، ولكن بقدر ما كان يتميز بالجرأة والوضوح والشجاعة كان يتميز أيضا بالالتزام والانضباط والموقف الذي يرسم ويحدد لمعالجة المسائل، فالقضية ليست تهورا، وليس هو شخصا يلتحم، بل قوي وجريء وشجاع وحازم وواضح، ولكن يعمل ضمن حكمة ولديه التزام وانضباط، والجمع بين الأمرين يحتاج إلى موازنة دقيقة وإلى شخصية قادرة على تحقيق مثل هذا التوازن.

وحينما ترجل شهيد المحراب عن صهوة الجهاد والتصدي لخدمة هذا الشعب وانتقل إلى ربه، أصبح عزير العراق على المحك، وكان يتجنب الظهور ويتعد

عن الأضواء، ولكن القدر ساقه ليضعه في المقدمة والواجهة، وكان يتحمل صعوبة إضافية لأن شخصيته وتركيبته واهتماماته في حياته الطويلة، ليست مهيأة ليلعب أدواراً واجهية، وحينما وُضع في الواجهة كان يبذل جهداً كبيراً ليأتي باستحقاقات المهمة الجديدة التي هي بعيدة عن سياقاته وتركيبته شخصيته في تأريخ طويل.

الخسارة الكبيرة

كانت ضربة قاصمة للظهر حين خسر الأخ والاستاذ والقائد والركيزة الكبيرة والجبل الأشم الذي كان يتكى عليه هو وإخوانه ورفاقه من قيادات المجلس الأعلى، خسروا شهيد المحراب وكانت الأمة في أصعب الظروف؛ وهي تشهد التحول الكبير وتواجه الظروف الإقليمية والدولية القاهرة. تعلمون كيف كانت الظروف في ٢٠٠٣، وحينما غاب شهيد المحراب في ٢٠٠٣ كانت الصدمة كبيرة للشعب العراقي عموماً؛ فهذه القيادة التاريخية من الذي يعوضها، ومن يملأ الفراغ، وكيف نللم الجراح، ونحن ندخل وما زلنا في بدايات معركة طاحنة، هي معركة المصير لهذه الأمة ولهذا الشعب؟.

كانت لحظة حرجة بكل تفاصيلها وبكل مفاصلها، ولكن الموقف لم يكن يحتمل التردد ولم يكن يحتمل التلكؤ وكان يتطلب الإقدام وتحمل المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه وعلى عاتق إخوانه ورفاقه، فلا بد من أن يكونوا بمستوى الحدث وبمستوى الأزمة القائمة وينتصروا لشعبهم وهو يدخل في معركة المصير، المعركة التاريخية والمصيرية لإثبات وجوده في الواقع السياسي الجديد في العراق، وهذا ما وجدناه فيه وفي رفاقه، وحافظوا على انضباطهم ومشاعرهم وكتموا في القلوب ودموعهم في العيون وانطلقوا بشجاعة وبسالة ليواجهوا القدر ويصطفوا ويقفوا إلى جانب أبناء شعبهم، وتسارعت الأحداث وكثرت المفاجآت، وما أكثر من انساق إلى ردود الفعل والانفعالات السريعة والتماشى مع الحالة التي كانت تفاجئهم في كل يوم، والفعل كان بيد القوى الدولية، ولكن عزيز العراق أبي على نفسه أن يكون ممن يتعامل بردود الأفعال ووقف وقفة كبيرة وأسهم إسهامات جادة ليحول الفعل من الأطراف الدولية إلى الأطراف الوطنية العراقية وتستعاد السيادة ويمسك العراقيون زمام المبادرة، وقدم ذلك بمساعدة رفاقه في الساحة الوطنية سنة ونصف السنة عما كان مقرراً له من

القوات الدولية، وهذا ما أعطى زخماً كبيراً للواقع العراقي وأشعر أبناء شعبنا بالثقة المتزايدة وقدرتهم على أن يتحملوا مسؤولياتهم في إدارة شؤونهم.

اعتمد سياسة النفس الطويل، وكان محاوراً حازماً وواضحاً ويعرف ماذا يريد ويعرف كيف يصل إلى ما يريد، وقد استخدمت الأطراف الدولية تكتيكات مع قيادات أخرى في العراق وفي المنطقة وتعرف كيف تكسر الآخر وترهبه، وهي قوى دولية كبيرة، وقوى عظمى وجيوش تملأ العراق والعراق بلد محتل بقرارات مجلس الأمن آنذاك، واستخدمت بحق عزيز العراق كل هذه التكتيكات لثنيه وكسر عزيمته، ولكنه كان كالجبل يدافع عن حقوق الشعب، ولا يقبل أن يُستدرج إلى الابتزاز وأن يضعف أمام تلك الضغوط التي تُمارس ممن يمثل القوى الدولية في العراق.

صاحب مشروع

إن عزيز العراق نذر نفسه لإكمال المشروع الوطني والانتصار لشعبه ووطنه، وبناء العملية السياسية بالطريقة التي تضمن مصالح هذا الشعب، ولم يقف طويلاً عند مشروعه الشخصي، وكان تركيزه على العراق إلى أين، و (نحن) كعراقيين إلى أين، أكثر من تركيزه على (الأنا). وحانت له فرص وتوجهت نحوه الأنظار وكان يستطيع أن يوظفها لترسيخ (الأنا) ولكنه سحب الأمور إلى ثقافة الـ (نحن)، فكان العراق والقيم والمواطن والشعب والأمة هي المفاهيم التي تدور في ذهنه، وهذه ليست قضية يجامل بها أو يتكلم بها في خطابات.

في أضيق دوائر القرار حينما كان يجلس ويناقش ويراجع الأمور، كانت هذه المفاهيم تأتي على لسانه دائماً؛ الشعب وناسنا والوطن، وكيف نحقق السيادة؟، والتحديات كيف نواجهها؟، وهذه كانت السمة البارزة التي وجدناها في تأريخ طويل من سيرة عزيز العراق؛ انضباط وواقعية وتغليب المصالح العامة، مع حزم وجرأة وإقدام وشجاعة، هذه كلها كانت تخلق شخصية مركبة صنعت هذا التميز الذي وجدناه، والتأثير الكبير الذي لاحظناه في عزيز العراق.

وفي هذه المرحلة لم تسمعوا الكثير عن شجون عزيز العراق والمحنة التي كان يعيشها، بل إن الأقربين من الطيبين ومن معه في ساحات الوغى وفي هذه التحديات الكبرى، كانوا يستمعون إلى كثير من الهمس واللمز، وكانت خطواته

يساء فهمها ، وكان البعض يسعى إلى أن يزايد هنا أو هناك ، ولكنه هو ورفاقه كظموا غيظهم وتحملوا كل تلك المنغصات وكل تلك الإرباكات التي كانت تشوّش ، وتنازلوا تنازلات مادية ومعنوية وضحوا من أجل مشروع الشعب ، وأنا أعرف أن شعبنا لا يعرف الكثير من هذه الأمور ، وسيأتي يوم تتكشف فيه هذه الحقائق وتتوضح لأبناء شعبنا ، وترفعوا حتى عن الرد على الكثير من الشبهات التي كانت تطولهم وتشكك بصدقهم ومشروعهم ومساراتهم ، فنقول ليس الآن وقتها ، ونحن أمام تحديات خطيرة وأعداؤنا متربصون والواقع العراقي على كف عفريت وشعبنا يُدبح ونحن مستهدفون ، والوقت ليس وقت الانتصار للذات ، فالיום يجب أن نقف ونتصر للمشروع .

كان منصهرا وذائبا في شعبه ووطنه وقضيته ، وتحمل كل هذه المعاناة وتجاوزها ومضى لقضية أهم وأكبر ؛ كان ما يهمله هو كيف يثبت حقوق الشعب ويضمّنها في دستور يكون وثيقة ضامنة لحقوق العراقيين ، قبل أن يفكر كيف يضمن حقوقه وحقوق تياره وجماعته . كان العراق ماثلا أمامه وضحي بالكثير ، لقد اتهموه بأنه قليل خبرة في السياسة ، وليس له معرفة بها ، وفي نفس الوقت الذي كانت توجه فيه هذه الاتهامات له كان مشغلا ويفاوض كيف يوفر مقعدا ليدخل هؤلاء الأعداء ليجلسوا إلى جانبه على طاولة المفاوضات ويعطيهم الدور والفرصة .

المسؤولية التاريخية

كانوا يتهمونه بأنه قليل خبرة في كيفية استغلال الظروف لتحسين مواقعه ، ولا يعرف كيف يستثمر الظروف والسمعة الطيبة التي يملكها ، وعندما يصل إلى قطاف الثورة لا يعرف القطاف ، فيما أنه يعرف جيدا مسالك تحسين مواقعه وترسيخ دوره ، لكنه كان ينظر إلى القضية الأكبر وكان يشعر أنه أمام مسؤولية تاريخية أمام الله وأمام هذا الشعب ، ويرفع عن الدخول في صراعات ومناكفات حتى يحصل على موقع إضافي ومكان إضافي وتأثير إضافي ، فكان همه المشروع وكان حرصه على العراق ؛ كيف ينقذ هذا البلد وكيف يأخذ به الى بر الأمان .

كان يعرف أن الولادة هي أصعب المراحل التي تمر بها الشعوب والأمم ، حالة الولادة والمخاض حالة عسيرة وصعبة ، ومن يفكر بمصالحه لا يستطيع أن يحافظ على الوطن ، فكان يهتم بان يكون أم الولد ويحافظ على الوليد حتى لو ضاعت حقوقه الشخصية ، يرى العراق وليده ونجاح هذه العملية وإسعاد الشعب العراقي

هذا هو المهم، وكثير من رفاقه يتذكرون كم كان يشير إلى هذه القضية و(نحن أم ولد).

تعرفون قصة أم الولد؛ أن اثنتين من الأمهات جنن إلى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وكل واحدة تقول هذا ابني وتشاجرن وتفاضين عنده، وكل واحدة تدعي أنها والدة هذا الولد، فقال أعطوني سيفاً لنقسمه نصفين، ونعطي نصفاً لهذه ونصفاً لتلك، ولكن الأم الحقيقية صاحت وقالت: أعطه لتلك المرأة فهي أمه الحقيقية، فعرف أمير المؤمنين أنها هي الأم الحقيقية لحرصها على الولد وعدم السماح بقطعه إلى نصفين، بعكس الأخرى التي لم تتكلم ولم تهتم بهذا العمل، ولم يحترق قلبها عليه، والأم الحقيقية مستعدة لأن تفرط به ويذهب للثانية، لكي يبقى حياً ولا يحدث له مكروه.

عزيز العراق كان يقتبس ويقول نحن أم الولد، وإذا لم نحصل على الموقع فليس هناك مشكلة ولنذع العراق ينجح حتى لو بيد غيرنا، فالذي نريده هو حفظ المشروع، وأن يتماسك الناس ويتلاحموا، فكان منطق منطلق أم الولد، لتتمسك بالولد حتى لو كان على حساب مصالحنا وحقوقنا ومواقفنا وفرصنا، هكذا كان يفكر عزيز العراق، والتفرغ الكامل لهموم الأمة جعل عزيز العراق ورفاقه ينشغلون عن تنظيم بيتهم الداخلي، وكان تركيزهم على العراق إلى أين هو متجه، والدستور كيف يكتب، والانتخابات كيف تكون، والسيادة كيف تستعاد، والعراق كيف يخرج من الفصل السابع.

سفرة الاستقلال والسيادة

حينما غادر عزيز العراق إلى واشنطن في سفرة الاستقلال والسيادة، رافعا شعار إخراج العراق من البند السابع في الأمم المتحدة، فإن المساحة الأكبر من أبناء شعبنا ومن النخب العراقية ما كانت تعرف ما هو البند السابع، وأن العراق تحت البند السابع ولماذا يخرج منه؟، بعدها شيئاً فشيئاً بدأت الناس تفهم وتعرف البند السابع والسيادة والوصاية، فكان متقدماً في فهمه وفي تشخيصه لما ينبغي أن تكون عليه الأمور، ورفع شعار (دولة المواطن)، والمسؤول راع وخادم لهذا الشعب، والمواطن هو السيد، والناس هي من تنتخب وتختار، وما تختاره الناس يكون مشروعاً، وهذا كان همه وكان يضع التصاميم لهذه القضية.

إن الانشغال عن البيت الداخلي بالقضية الكبيرة ولّد ردود أفعال وحساسيات من بعض المواطنين، والناس قالوا لنجرب الآخر وخرجنا من الانتخابات، وعزيز العراق والكيان الذي يمثله والذي صممه والعنصر الأساسي في المسألة، رأى أن الشعب بدأ يجرب الآخر، وصار أمام اختبار؛ هل هو مع دولة المواطن، وهل يقبل بالمواطن حتى لو اختار الآخر، وعزيز العراق حصل على صدقية عالية في هذا المجال، فكان أول المهنيين وأول المباركين للفائزين في تلك الانتخابات وأصدر بياناً وأشار فيه إلى قبوله بنتائج الانتخابات وتهنئته للفائزين قبل إعلان النتائج النهائية من المفوضية العليا للانتخابات.

ولم يدع مجالاً للطعن والاعتراض واتهامهم بالتزوير وغيرها، وكان في جعبته وفي يده الكثير من الوثائق التي يمكن أن تكون دليلاً على ذلك، لكنه قال إننا نتقدم وتأخر، وحتى لو كنا مظلومين ولدينا أدلة وذهب جزء من أصواتنا اليوم، فإن الوليد في خطر وعلينا أن نحافظ عليه حتى لو ضاعت منا الفرص، ليست هذه مشكلة، فالتشكيك بالانتخابات يعني التشكيك بإفرازات الانتخابات وبالعملية السياسية، وسيصبح العراق في مهب الريح، كلا، لا نشكك حتى لو كان لدينا وثائق، وأصدر بيانه واعترف بالانتخابات وهنأ الفائزين ومضى وبرهن على أنه من المؤمنين بدولة المواطن والعاملين في هذا الصدد، سواء كان رأي المواطن لصالحه أو للآخر.

نحن مع الشعب

نحن مع المواطن في ما يختار وأيما كان، والمواطن يتحمل المسؤولية، إن أحسن الاختيار فهنئاً له ونحن معه وإن أخطأ الاختيار نصح له، وليست هذه مشكلة، وكل أربع سنوات هناك انتخابات والناس ترى إن كانت خياراتها صحيحة، فإذا كانت مرتاحة فنحن معها، وإذا شعرت أنها تحتاج إلى تجديد نظر ودراسة أخرى، فنحن معها ونحن مع الشعب في ما يختار، وإذا اختارنا فنحن خدامه وإذا لم يختارنا فالمشكلة فينا، ولم نستطع إقناعه أننا نستحق الثقة والمشكلة بالمواطن، فهو على حق دائماً والمشكلة فينا. وإذا ندمت، أيها الشعب، بعد ذلك أو رأيت أن خيارك غير صحيح لا تحملنا المسؤولية، فأنت اخترت ونحن صفقنا لك وقلنا يا شعب نحن معك، فقط لا تعاتبنا، وهذا المقدار نقبل به، ونؤيد ونشجع ونهنئ كل من يختاره الشعب ونمشي وراءه.

إذا اختارنا الشعب فنحن خدامه، وإذا اختار غيرنا فنحن ندعم هذا الخيار، وندع الشعب يرى وقيّم، وهذا هو المنطق الذي كان يعتمد عليه عزيز العراق، ولذلك كان يتسم بهذه الروحانية المتسامية وبهذه العقلية النيرة، وكان وفيًا للشعارات التي أطلقها، فالناس شبعت شعارات ولكن يجب أن تكون قولا وفعلا والكلمة التي تقولها يجب أن تعمل بها وهذا هو المهم، وسواء صفقت الناس لك أو لغيرك، فأنت تبقى تقول بالديمقراطية وتؤيد الديمقراطية وتسير مع الغير، وهذا هو الاختبار الكبير، وعزيز العراق نجح في هذا الاختبار.

تعلمون في أيام ما، أنه كان يستخدم العلاج الكيميائي وفي ظروف صحية صعبة، لكنه كان يقول أنا لا أقصر بواجبي، فيذهب للبصرة والنجف وإلى محافظات أخرى، وهو في ظروف مرضية صعبة، وقال كلمته، وقال نحن مع الناس في خياراتها، وعندما اختاروا الآخرين رحب ومشى وأيد ولعل الله سبحانه وتعالى أيضا أراد أن يكرمه بهذه القضية، فلو كان الخط كله صاعدا فيمكن أن يخرج طرف ويقول إنه يناهز بالديمقراطية باعتباره مستفيدا منها، لكن أن تأتي فرصة بأن يستفيد الآخر، ويظل عزيز العراق يقول ديمقراطية ودولة مواطن، فهذه قضية مهمة جدا تحققت في حياته الشريفة.

عزيز العراق بالرغم من شخصيته الحازمة وطبيعته انشغالاته ومهامه الحساسة، ولكن كان يمتلك رقة وعاطفة، بل كان رقيقا وعاطفيا جدا وتتحرك مشاعره ويتألم من التقارير عن معاناة الناس، وأحيانا أجلس بخدمته، وعندما يشاهد الأخبار والتقارير في التلفزيون عن معاناة المواطنين وأزمة الخدمات، أراه يهتز بمشاهدة هذا التقرير أو تلك المعلومة أو ما شابه ذلك.

القائد والإنسان

كان يحترق ويتحسس ويندفع ويغلي مع معاناة الناس المظلومين، ويحرك جماعته ويتصل بمن يمكن أن يؤثر في شيء، فحالة الحرص والاندفاع والتحسس للمعاناة والآلام كانت موجودة، فمن بعيد يرون حزمه وشخصيته الجريئة والحازمة والصلبة، والذي يقترب منه ويعيش بالقرب منه يرى تلك الحالة الحانية والعواطف والمشاعر؛ فإن تفقد عوائل الشهداء كان يأخذ مأخذا كبيرا منه، ففي ذروة الأزمة أو حال خروجه من اجتماع ولديه عشر دقائق أو ربع ساعة، ترى الهاتف بيده يتكلم مع ابن أحد الشهداء أو بنت أحد الشهداء،

وتعلمون أن عائلته منكوبة؛ إذ فقدت ٦٣ شهيدا وعندهم أولاد وبنات أيتام كثير، فكان يرى أن من واجبه أن يسأل عنهم ويتفقدهم، وحين يحل العيد وبعد معايدة الناس في بغداد، يذهب إلى النجف الأشرف ويجمع أولاد الشهداء في غرفة، وبنات الشهداء في غرفة، ويأتي إليهم بهدايا ويجلس معهم بمقدار ويسامرهم ويؤنسهم ويوزع الهدايا وإلى آخره، وكان يعتبر ذلك جزءا من واجباته.

وبرغم إخباره بأنه يستطيع تكليف غيره، إلا أنه كان يقول: لا، هذا واجبي الشخصي ويجب أن أقوم أنا بهذا العمل، وكذلك عوائل شهداء المجاهدين، فكان يتواصل مع من يستطيع التواصل معهم، وبعضهم يكلف آخرين بالتواصل معهم، ويسمع من الأرامل وعوائل الشهداء والمظلومين، ودائما كان يتعاطف مع هذه المعاناة، وفي الوقت الذي كان يتسم بالجرأة والإقدام، لكن في الأزمات الكبرى كان يتسم بالهدوء ويفاجئ الجميع، لأن الانفعالات لا تستطيع صنع موقف فيه واقعية وحكمة، وعزيز العراق يستمع ولا ينفعل، قوي وهادئ، يقلب الأمور ويدرسها، وشاهدته مرات يُسأل في قضايا حساسة وحاسمة في ظروف قاهرة جدا، لكنه لا يعطي رأيه فورا، بل يقول: دعوني أفكر، ثم يجلس في غرفته ويغلق الباب ليفكر، إذ يرى أن القرار إذا تأخر نصف ساعة أو ساعة بتفكير ومشورة فلا إشكال، وكان يتشاور مع إخوانه ويقلب الأمور ويسأل ويتأكد، ليرى أين المصلحة بعيدا عن الانفعالات، ثم يمضي بقوة ولا يخشى، وهذه عملية صعبة.

غضبة الحلیم

لديه جرأة وشجاعة وإقدام، ولكنه أيضا يتميز بالهدوء، إلا إذا كانت القضية تمس الخطوط الحمر وفيها تجاوز على القيم، وفيها تجاوز على الشعب، وفيها مس بكرامة هذه الأمة، عندها يفور دمه ولا تراه في ذلك الوقت هادئا، وما زلت أذكر في الحكومة الانتقالية الأولى، حيث اعتقل ٣ من المجاهدين الطيبين من قبل الأجهزة وتحت وطأة التعذيب قتلوا، فانتفض متعجبا؛ كيف يُقتل أناس تحت التعذيب في سجون العراق الجديد، فكان يتصل بالمسؤول ويصرخ في وجهه، وجاء يوم التاسع من محرم بعد تسلم الجثامين الطاهرة، فأخذهم إلى الخلاني وألقى تلك الخطبة المعروفة، ورفع الجثامين، فتراجعت الحكومة بسرعة آنذاك وأصدرت فورا قرارا قضائيا بملاحقة المتورط بتعذيب هؤلاء.

هنا رأى القضية تمس الكرامة وأن عراقياً يُعذب من جديد، لا، هذه لا يُسكت عنها، وهنا العاصفة وهنا البركان الثائر الذي كان يتجسد في شخصية عزيز العراق، القضية التي تمس المبادئ لا تتحمل مجاملات سياسية، والقضية التي ترتبط بكرامة شعب لا مجاملة وهدوء فيها، هناك موقف صريح وواضح وليغضب من يغضب، وهذا منطلق عزيز العراق، وهذه كانت من سمات التميز في شخصيته.

عزيز العراق: المرجعية دين ندين الله به

كانت المرجعية تمثل محورا أساسيا وركنا ركينا في رؤية عزيز العراق، وشخصيا كنت أرافقه في أغلب لقاءاته مع المراجع العظام، وكنت جالسا في محضر الإمام السيد السيستاني في اجتماعات خاصة خلف أبواب مغلقة وليس هناك أحد، وكان يقول للإمام السيستاني أدام الله وجوده الشريف: سيدنا، المرجعية دين ندين الله به، ولا يعني أن المرجعية بالنسبة لنا ورقة سياسية، بل هي دين، والقرارات المصيرية والقضايا الإستراتيجية والقضايا الخطيرة والقضايا التي ترتبط بمصالح الشعب لا يتخذ فيها قرارا إلا بعد التشاور مع المراجع، ليسمع رأيهم ويتشاور معهم ويعطيهم رأيه ويبين وجهة نظره، لكن إذا كان للمرجعية رأي آخر يلتزم برأي المرجعية ويقدمها على رأيه.

الوصية الخالدة

وصية عزيز العراق هي الوصية الخالدة، ومن يقرأها لا يرى رجلا سياسيا أمامه ولا يرى عالم دين أمامه، بل يرى شخصية جامعة، في رؤيته تجاه الله سبحانه وتعالى، حيث يستشعر حالة التصاغر والتواضع والذلة بين يدي الله، وفي نظره للأخرة والقيم، وفي توصياته لشعبه أفرد لكل شريحة مقطعا خاصا في وصيته؛ للشباب والمرأة والعشائر والنخب والجمهور، وتحدث لهم وبين رأيه في كيفية الاهتمام بهم. فيها دين وآخرة، وفيها دنيا وفيها مجتمع وفيها سياسة، وكان يكتبها وهو ينتقل إلى ربه ويعلم أنها حين تُقرأ لا تزيد شيئا، فالدنيا وما فيها لا ينفع تصفيقها إذا أنت رحلت عنها، لا سمح الله، وما يضر عزيز العراق؟، فهو في عالم آخر عند مليك مقتدر هو وأعماله ونيته، وهنيئا له على هذا التأريخ الحافل.

لقد كتبها وهو يعلم أنها لا تضيف إليه شيئاً، وليست وثيقة سياسية، إنها تعبر عن عمق توجهات عزيز العراق، وفوجئ الجميع؛ من أبنائه ومن الآخرين، بزهد عزيز العراق، وخدامكم ابنه أسأله كم تملك وما عندك؟، وأظن أن هذا الرجل بهذا التأريخ الطويل لا بد من أن لديه مزرعة أو بيتاً أو نقوداً أو ما شابه، وحينما فتحنا الوصية بعد وفاته تفاجأنا أن عزيز العراق يقول إن الكل هدية، درس بليغ للجميع، الكل هدية مهما كانت، هذه ليست لي، لماذا لا تعطونها للآخر؟، فهذه للموقع وليست للشخص، اعتبروها أموالاً عامة، وذهب وهو مرتاح وسهل عبوره على الصراط، وليس له ممتلكات حتى يُسأل عنها، فلا يملك شيئاً ورحل مطمئناً، وترك أهله مرتاحين أيضاً وعلمهم درسا، ويوم يحين الرحيل، سترون المسيرة نفسها؛ فلا نريد ولا نطمع بشيء من الدنيا، وهذا درس بليغ، من رجل الخدمة العامة الذي سُلطت عليه الأضواء وصاحب الدور القيادي الكبير، فإن تاجرا بسيطا ومواطننا عاديا يمكن أن يترك لأهله الكثير بعد انتقاله إلى رحمة الله، وشخص بحجم عزيز العراق لا يملك شيئاً، وهذه بحد ذاتها شهادة لنزاهة هذا الرجل وزهده وتجافيه عن الدنيا وأنه لا يريد شيئاً، وإن شاء الله نحن على هذا الدرب بإذن الله تعالى.

الوفاء لعزير العراق

اليوم ونحن نفتقد عزيز العراق، ومرة ثلاث سنوات على رحيله، كيف نتنصر له؟ وكيف نذكره؟، هل نقيم له مجلساً؟، جزاكم الله خير الجزاء في هذه الليلة الرمضانية، وهناك إخوان وأخوات لكم في أماكن أخرى في بغداد والمحافظات يتابعون حديثنا الآن، لكن هذا لا يكفي، عزيز العراق أفنى حياته من أجل هذا الشعب والوطن.

يا أبناء شهيد المحراب، ويا أبناء عزيز العراق، إذا أردتم أن تكونوا أبناء بارين لهذه الشخصيات الكبيرة فعليكم أن تكونوا في خدمة الوطن والمواطن، وعليكم أن تأخذوا بثقافة (نحن) وليس (الأنا)، عليكم أن تتواضعوا للشعبكم وتتعلموا من صغيرهم قبل كبيرهم. لا يأخذكم الغرور، فنحن نفهم ونعرف أشياء لكن الطفل الصغير قد يعلمنا دروساً في الحياة لم نعرفها، فعلياً أن نتواضع للشعب وكلمنا تواضعنا أكثر تعلمنا أكثر واحترمتنا شعبنا أكثر.

إذا أردنا أن نكون أوفياء لعزير العراق علينا أن نتبنى مشروع بناء الدولة

العصرية العادلة، وإذا أردنا أن نكون أوفياء لشهيد المحراب وعزيز العراق علينا أن نتمسك باللحمة الوطنية وألا ننجر إلى الصراعات الجانبية ونشغل بمصالحنا على حساب مصالح الوطن والمواطن، هذا المنهج يجب التمسك به، اليوم عزيز العراق يحظى باحترام كبير لدى كل العراقيين بكل توجهاتهم، لماذا؟. هذا الذي ظلمه في حياته بعد ما تكشفت له الحقائق، قال كنا نظلمه، وجاء وقاد العراقيين، وقالوا لي كنا نظلم عزيز العراق ولم نكن نعرف مشروعه ولم نكن نفهم المشروع واليوم اكتشفنا أن هذا الرجل وطني ويجب أن نسير على هذا النهج ونتبنى المشروع ونتمسك بهذه المسارات وهذه الرؤية ونحقق الإنجازات الكبرى لأبناء شعبنا.

طريق الإصلاح

إصلاح الأمور هو الطريق الأساسي والضروري والمهم، ما زال هناك فينا من لا يشعر بالارتياح ويشعر بالسخط والغبن، العراق لجميع العراقيين ويجب أن يشعر جميع العراقيين فيه بالعزة والكرامة وتوفر الفرص وتكافؤ الفرص، وهذا يحتاج منا إلى إصلاحات حقيقية، ويجب أن نكون جادين في مسار الإصلاح، ويجب أن يشجع بعضنا بعضا على هذا المسار، ويجب أن نعود إلى اللحمة والتماسك الحقيقي بين أبناء الشعب حتى ينطلق البلد لكي نبنيه، والجهد الذي يُبذل في الصراعات السياسية اليوم لو كان يُبذل في الخدمات لأصبح بلدا متقدما، لنكن أوفياء لعزيز العراق من خلال الالتزام والتمسك بمشروعه.

نسأل الله أن يمكننا من ذلك، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد روح عزيز العراق، وهذه روحه حاضرة بيننا وشاهدة على أذاتنا، ونسأل الله أن يوفقنا في أن نسير على هذا النهج وأن نكون دوما في خدمة الوطن والمواطن. واستغفر الله لي ولكم وأترحم على شهداء العراق؛ على الشهيدين الصدرين وشهيد المحراب وعزيز العراق وعلى كل أولئك الشهداء الذين سقطوا في الأيام الأخيرة في هذا الشهر الفضيل؛ المئات بين شهيد وجريح، نترحم عليهم جميعا، وكذلك على المسلمين في ميانمار، ونسمع أن هناك مجازر، وشخصيا اطلعت على بعض الصور عبر الفيس بوك لمسلمين في ميانمار، ولم أكن مصدقا، وربما تكون هذه الصور «فوتو شوب» أو شيئا آخر، فليس من المعقول أن يتحول الآلاف من البشر

إلى كومة لحم ، ولم أصدق ذلك حتى بدأت الأخبار تؤكد وجود مجازر كبرى من هذا النوع ، وتؤكد أن هذه الصور حقيقية ، وهذه كارثة إنسانية كبرى .

اليوم هناك فضائيات تتحدث عن دم يُراق في بعض الدول العربية والإسلامية ، والله يجازيها على حرصها على دم الإنسان والمسلم ، ونتقطع لكل قطرة دم ونتمنى ألا يحدث ذلك ، لكن لماذا السكوت عن المسلمين في ميانمار؟ ولماذا السكوت عن الدماء الزاكية التي تُراق هنا وهناك؟ ، يجب أن نهتم بالإنسان وبالمسلم أينما كان ، هذا واجبنا ومسؤوليتنا ، ونسأل الله أن يتغمد الجميع برحمته الواسعة ، واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الرمضانية الخامسة - بتاريخ ٢٥/٧/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعوذ بالله السميع العليم من شرّ الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ،
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل ، الإخوة الأكارم ، الأخوات الفاضلات ، أرحب بكم أجمل
ترحيب وأتمنى لكم التوفيق في صيامكم وقيامكم .

((وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهِهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفُوهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحَدِّثُ فِي
قَلْبِكَ خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي
عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))

مراقبة المسموعات

كان حديثنا في الحق الرابع من الحقوق التي يستعرضها سيدنا وإمامنا علي بن
الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه في وثيقته التاريخية ، رسالة الحقوق .
وكان الحديث عن حق السمع .

أشرنا في الليالي الماضية إلى أن حق السمع يعني السيطرة على واحد من
أهم المداخل للقلب والعقل والنفس ، أي كانت هذه التعبيرات . وهي وإن كانت
مختلفة بعضها عن البعض الآخر ، لكنها تشير إلى حقيقة واحدة . ذكرنا أن العقل
أو القلب هو الذي يوجه الإنسان . ولهذا القلب مدخلات ومخرجات . ويعتبر
اللسان واحدا من تلك المخرجات . نعبر من خلاله عن أفكارنا ومتبنياتنا وما

يدور في خلجاتنا . ويقابل ذلك مدخلات تزود القلب من خلال مسموعاتنا ومرئياتنا كما سيأتي في الحق الخامس (البصر).

يملك القلب الدور الكبير والمحوري في هذه العملية التي تتأثر بحالة القلب ، وبطبيعة تفكيره؟ فإذا كان هذا القلب نيرا صافيا نقيا منفتحا على الله سبحانه وتعالى فستصبح مدخلاته مدخلات ميسورة ، فيتلقى المعارف ويأخذ الأفكار السديدة . وإذا كان القلب مظلما قاسيا بمعصية الله ، يعيش حالة العزلة ، فلا نتوقع أن تكون مدخلاته إيجابية . علينا أن نستمتع - بحكم هذا الحق - إلى ما يوجب رقة القلب ويساعد على كسب المعرفة الصحيحة ويزود القلب بالمعلومات والمدركات الصحيحة . ويمكن تشبيه علاقة القلب بمدخلاته ، بمحرك السيارة ، فهو يتأثر بنوعية الوقود الذي يدخله ، فإذا كان الوقود رديئا أو مخلوطا بالماء فإنه يتسبب بعطله مما يضطرك إلى الوقوف في منتصف الطريق . بخلاف الوقود الجيد فإنه يعجل في سرعة السيارة ويوصلك إلى مقصدك بيسر . وهذا يؤكد أهمية التدقيق في الأفكار والمفاهيم التي نتلقاها وندخلها إلى القلب .

ميت الأحياء

تحدثنا طويلا عن المسموعات النافعة وغير النافعة ، وعرفنا أن الإنجازات الكبرى والانتصارات العظمية في تاريخنا الإسلامي والإنساني تحققت من خلال السمع . كما أن الإخفاقات الكبرى والانحرافات العظمية حصلت من خلاله . فالسمع إذن ، «فلتر» خطير وبوابة مهمة للخير أو الشر ، كما يعبر الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه . ونسعى في هذه الليلة لمراجعة بعض الآيات القرآنية لمعرفة كيف تعامل القرآن مع هذه الحقيقة ، وما هي الإشارات القرآنية في موضوع السمع ، ونقرأ في سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾^(١٠٧) فالذي يستجيب لأمر الله ويلتزم منهجه ويطيع هم الذين يسمعون ، فهم يمتلكون سمعا جيدا .

ثم تقول الآية المباركة : ﴿وَالْمُوتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١٠٨) ، وهي لا تريد من الموتى الأموات الذين في القبور ، وإنما تشير إلى ميت الأحياء ، إلى

١٠٧ . سورة الأنعام : الآية ٣٦ .

١٠٨ . سورة الأنعام : الآية ٣٦ .

الحي الذي يسمع المحرمات بشكل جيد ، لأن أذنه تعمل بشكل سليم ، ولكنه بمجرد أن يصل إلى المعارف الإلهية وإلى الحقيقة ويواجه النور الذي يجب أن يتلقاه فإنه يعجز عن ذلك وتتعلل عنده القدرة على السمع .

فلذلك يعبر القرآن عن هؤلاء بالموتى . فهم أموات الأحياء . فأحدهم حي يأكل ويشرب ويتحرك ، ولكنه لا يسمع الحقائق الإلهية والأنوار الربانية ويعجز عن تلقي كل ما يخدمه في مسيرته التكاملية .

حين تنكشف الحقائق

ولا يعني ذلك العجز عن سمع صوت الموعظة وألفاظ الحقائق ، وإنما هو عاجز عن فهمها ووعيتها في هذه النشأة . فإذا انتقل إلى النشأة الأخرى عرف حقيقة ذلك . وهذا ما تؤكد سورة السجدة في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١٠٩) . إذ ينكس العصاة المجرمون رؤوسهم يوم القيامة خجلا من الله سبحانه تعالى ، لأنهم لم يكونوا يسمعون أو يتلقون المعارف ولا يفهمون ، فلما انكشفت لهم الحقائق قالوا : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾^(١١٠) ، وهو اعتراف بأنهم صاروا يسمعون ويتلقون الحقائق ويستوعبونها ، ولذلك يقولون : ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(١١١) ، ولأننا أيقنا وعرفنا فأرجعنا يا ربنا إلى الدنيا ، لكن أنى لهم ذلك في لحظة اللاعودة ؟ . لقد استوعبوا الحقيقة في وقت متأخر ، والمطلوب أن يصل الإنسان إلى الحقيقة ويستوعبها في الوقت الصحيح ، في يوم يستطيع فيه أن يتدارك ما فاته .

وفي آية أخرى من سورة الأنعام يقول سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغْمٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾^(١١٢) ، هذا الذي يكذب بآيات الله ولا يمشي في طريق الطاعة لا يمكنه أن يفهم ماذا يريد الله سبحانه وتعالى من عباده ، وهو مع ذلك يظن أنه يسمع ويرى ولكنه في الواقع يعيش في ظلمات ، يعيش في عزلة مخيفة . وهو أشبه بمن يعاني من مرض الكآبة فهو وإن كان يعيش بيننا يأكل ويشرب ولكنه

١٠٩ . سورة السجدة : الآية ١٢ .

١١٠ . سورة السجدة : الآية ١٢ .

١١١ . سورة السجدة : الآية ١٢ .

١١٢ . سورة الأنعام : الآية ٣٩ .

معزول في عالم آخر، لا يشارك المحيطين به حتى بابتسامة أو كلمة، فهو حاضر بجسده وغائب بروحه وفكره .

وهذا الذي نلاحظه في الجانب المادي نجده كذلك في الجوانب المعنوية، فقد يعيش الفرد حالة العمى والصمم المعنويتين ولكنه غافل عنهما، ظاناً أنه سليم معافى والحال أنه يعيش الظلمة والعزلة، والدليل على ذلك أنه لا يستجيب لآيات الله ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، فما دام محجوباً عن هذا النور فهو أعمى، عندما يبتعد الإنسان عن جادة الصواب ويترك طريق الطاعة، وهو مع ذلك لا يشعر بشيء من علامات المرض المعنوي، فهو فرح مطمئن لأنه يأكل ويشرب ويتحرك ويعد نفسه من الأحياء، لكنه ميت الأحياء، لأن مؤشرات الحياة الحقيقية غير متوفرة فيه .

القلب السليم

في آية أخرى من سورة الأنعام أيضاً يقول جل اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾^(١١٣)، يعني غطاء وغشاوة، فإذا كشفوا الغطاء فإنهم سيرون النور، وهذا الغطاء يمنعهم من أن يتعرفوا على الحقيقة وأن يكتشفوها فضلاً عن أن يلتزموا ويتمسكوا بها. ثم قالت الآية: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾^(١١٤) والوقر هو الثقل، فلا يسمعك حتى لو رفعت صوتك، وهذا الوقر يجعل الحقيقة غائبة عنهم نستجير بالله من ذلك. في آية ثالثة من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾^(١١٥)، إذا أخذ الله تعالى سمعك «لا سمح الله» فلا يستطيع أحد أن يرجعه إليك ولا يمكن لك بعد ذلك أن تتلقى المعارف والحقائق .

إن أخطر الأمراض التي يُبتلى بها الإنسان، هو ذلك المرض الذي يعجز معه جسم المريض عن تلقي العلاج ويمتنع فيه عن الأكل والشرب ويعجز الأطباء عن تقديم المعونة له، فيطلبون من أهله أن ينقلوه إلى داره ينتظر مصيره المحتوم. وكما يصل البدن إلى هذه المرحلة من عدم التلقي فإن القلب قد يصل إلى مرحلة يُصاب فيها بالقسوة. إذا غمست قطعة من الإسفنج في النهر فإنها

١١٣ . سورة الأنعام : الآية ٢٥ .

١١٤ . سورة الأنعام : الآية ٢٥ .

١١٥ . سورة الأنعام : الآية ٤٦ .

تمتص شيئاً من الماء وتحفظ به ، ولكنك لو رميت حجراً في وسط البحر فلا يمكنه أن يحتفظ بقطرة واحدة ، وكذلك القلوب ، فهناك قلب (إسفننجي) يتلقى المعارف ويأخذ منها حتى يشبع ، وهناك قلب قاس صلب كما يقول تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾^(١١٦) . فالقلوب القاسية لا يمكنها أن تتلقى المعارف الإلهية ولا سبيل لعلاجها .

وهنا تكمن أهمية الشكر في الحفاظ على نعمة سلامة القلب المتمثلة بالركة وغزارة الدمعة والتأثر بالموعظة والنصيحة وبذكر الله . أما إذا شعرت بحالة من الإدبار والكسل وثقل كلمة الذكر ، ولا أثر لقراءة القرآن وللصلاة في وجودك ومشاعرك ، فاعلم أنك مصاب بمرض خطير ، فلا بد لك من تدارك نفسك وإصلاح سريرتك قبل أن تصل إلى مرحلة لا علاج لها ، وهي الحالة التي يشير إليها تعالى في قوله : ﴿وَتَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١١٧) وهي المرحلة التي تتلاشى فيها إنسانية الفرد المتمثلة بقلبه السليم الذي لو طبع عليه والعياذ بالله ، فلا قيمة لوجوده ، لأن الطبع على القلب يؤدي إلى عدم التأثر والتلقي ، مما يسبب ضياع الإنسان وانحرافه ، أجازنا الله من كل ذلك .

النتيجة المؤلمة

وفي سورة أخرى يقول تعالى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(١١٨) . إن الغرض من القلب هو أن تفقه وأن تستلم الإشارات وتتلقى المعارف ، فإذا تعطلت فيه هذه المهام فقد خرج عن حيز الانتفاع ولا فائدة فيه ، إلى أن يقول ، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(١١٩) ، فإذا كانت الأذن محجوبة عن السمع فهم كالأنعام ، ولا فرق بينه وبين الحمار ، وطبعاً لا أقصد بهذا حزب الحمار ، فهذا حزب محترم ، وإنما أتحدث عن هذا الحيوان المعروف ، فهو يمشي على أربع وهذا يمشي على رجلين ، وهو يأكل ويشرب وينام ويتنفس كما يفعل هؤلاء . يكمن الفرق في فقه القلوب والسمع الحقيقي ، فإن لم يتوافر ذلك فـ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١٢٠) ، ومفردة (بل) للترقي فهم أسوأ من ذلك ؛ لأن البهائم لا تمتلك

١١٦ . سورة الزمر : الآية ٢٢ .

١١٧ . سورة الاعراف : الآية ١٠٠ .

١١٨ . سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

١١٩ . سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

١٢٠ . سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

العقل ولا تتمتع بالسمع المعنوي الذي نقصده في حديثنا . ولذلك رفع الله عنها قلم التكليف ، وبهذا صار الإنسان الذي عطل هذه المواهب ولم يستثمرها أضل وأسوأ من الحيوان . إن من يستسلم لعدو أو حيوان يريد أن يفترسه مع قدرته على الدفاع وامتلاكه للسلاح الذي يخلصه من الموت لا يستحق حتى أن تأسف لموته .

ثم قالت الآية : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١٢١) ، فلولا هذه الغفلة لانتبه الفرد وأعاد تشغيل القلب والعقل واستثمر وجود هذه النعم واطّلع على هذه الحقائق ، ولا سيما في شهر رمضان حينما تُستنزَل الرحمة . وفي سورة يونس : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٢٢) ، قد يستمع إليك البعض ولكن البعض الآخر مصاب بالصمم فلا قدرة له على السمع ، ولا قدرة لهم على أن يتفعلوا من كلامك وهديك .

عمى القلوب

في آية أخرى من نفس السورة : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(١٢٣) . فهذه كلها آيات ، لا يتلقاها إلا من يملك القدرة على السمع ويتأمل في هذه الإشارات وهذه الآيات ويوظفها بشكل صحيح ، فيستثمر ليله ويستثمر نهاره ضمن عملية توزيع المهام والأدوار والمساحات التي أرادها الله سبحانه وتعالى . إن العبد الذي لا يلتفت إلى الآيات مع وجودها فلا يلوم من إلا نفسه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الحنان المنان وهو الجواد الكريم وهو واسع العطاء ولا بخل في ساحته ، ولكن العبد قد لا يكون مستعدا لتلقي الفيوضات الإلهية .

يشبه الإنسان في هذه المسألة جهاز الراديو الذي يلتقط عشرات الموجات الإذاعية المبتوثة في الفضاء ، وبالرغم من وجودها لا يمكن للأذن البشرية أن تلتقطها ؛ لأن الراديو مصنوع بشكل يستطيع معه التقاط هذه الذبذبات . وكذلك هي علاقة الإنسان مع المعارف الإلهية والفيوضات ؛ فهي موجودة ونازلة بشكل

١٢١ . سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

١٢٢ . سورة يونس : الآية ٤٢ .

١٢٣ . سورة يونس : الآية ٦٧ .

مستمر ولكن الفرد قاصر عن تلقيها . تشير سورة هود إلى ذات الحقيقة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾^(١٢٤)، في إشارة إلى تعطل المدخلات القلبية ليصبح القلب أجوف مظلماً قاسياً بعيداً عن ذكر الله .

وفي سورة النمل تتكرر مفردة (الموتى) في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾^(١٢٥) فلا يمكن للصم أن يسمعوا النداء والدعاء ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾^(١٢٦) فحينما يعرض القلب ويولي ويبتلى بحالة إدمار فهو معرض للإصابة بالصمم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾^(١٢٧) فهذا الأعمى أعمى البصيرة وليس أعمى البصر، فهو سادر في غيه وضلالته ولا يمكنك أن تحل مشكلته، ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١٢٨) فمن يملك الإيمان يمكنه أن يستمع إليك ويأخذ منك ويهتدي .

اتهامات جهلاء

وفي سورة لقمان يقول تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾^(١٢٩)، وهنا تتساءل عن تفاعل هذا الفرد مع الآيات، فهل سيسمعها وينشد إليها كما ينشد إلى المسلسلات التركيبية المدبلجة التي يتسمر البعض لمتابعتها ويستغرق في التركيز في أحداثها إلى الحد الذي لا يسمع فيه من يناديه؟ . إن هذه المسلسلات وهذه البرامج لا تساعد الإنسان على التقرب إلى الله، بل على العكس من ذلك، إذ إنها تبعده وتظلم قلبه .

وتجيب الآية عن هذا التساؤل بقوله تعالى: ﴿وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾^(١٣٠)، يعرض بوجهه، ويعاني حالة الاستكبار التي تدفعه لاتهام المتدينين بالرجعية ويتصور أن التطور العلمي ووصول البشر إلى القمر دافع لرفض كل ما يتعلق بالدين وبالخالق . من العجب أن يتحول الكمال والصلاح والفلاح والهداية والتوجه إلى الله إلى ضرب من ضروب الرجعية!، وما قيمة القمر نسبة إلى هذا الكون

١٢٤ . سورة هود : الآية ٢٠ .

١٢٥ . سورة النمل : الآية ٨٠ .

١٢٦ . سورة النمل : الآية ٨٠ .

١٢٧ . سورة النمل : الآية ٨١ .

١٢٨ . سورة النمل : الآية ٨١ .

١٢٩ . سورة لقمان : الآية ٧ .

١٣٠ . سورة لقمان : الآية ٧ .

المترامي الأطراف؟ ومن هو الذي خلق القمر ومكّن الإنسان من الوصول إلى القمر؟ . وتشبه الآية المباركة عدم سماع البعض للآيات والهدى بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعَهَا﴾^(١٣١)، يتصرف البعض كما يتصرف الأطفال الذين لا يسمعون النصيحة ولا يقبلون الموعدة وإن كررتها عليهم ثم تضيف الآية: ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا﴾^(١٣٢)، وهو ما يمنع السمع ويحول بين الإنسان ومعرفة الحق .

منهجان متعارضان

وتستنكر سورة السجدة هذه الحالة فتقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(١٣٣) . إذ لا يرى البعض آيات الله ومظاهر عظمته ودلائل قدرته مع وضوحها وكثرتها . وتقارن سورة فاطر بين من يخشع قلبه لذكر الله وينفتح عقله على آيات الله ، وصاحب العقل الأجوف والسمع الثقيل فتقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(١٣٤)، فلا تستوي كل هذه المتناقضات ولا يمكن أن تجتمع الظلمة مع النور ولا الموت مع الحياة، لا يمكن الجمع بين منهجين متعارضين، ولا مشروعية لما يقوله البعض: (ساعة لنفسك وساعة لربك) ولا يمكن أن تكون إحدى عينيك على القرآن والأخرى على الأشياء الأخرى، أو أن يتمتم اللسان بذكر الله وتكون العين أو الأذن في مكان يناقض مع الذكر .

على الفرد أن يختار طريقه، فإما الموت أو الحياة، وإما الظلمة أو النور؛ لأن الجمع بينهما مستحيل . ثم يقول القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١٣٥)، فلا فرق بين الإنسان الذي يعرض عن الله والميت في القبر؛ فكلاهما محجوب عن السمع، نستجير بالله من أن يصل الإنسان إلى هذا المستوى .

١٣١ . سورة لقمان : الآية ٧ .

١٣٢ . سورة لقمان : الآية ٧ .

١٣٣ . سورة السجدة : الآية ٢٦ .

١٣٤ . سورة فاطر : الآيات من ١٩ - ٢١ .

١٣٥ . سورة فاطر : الآية ٢٢ .

حالة مستعصية

وفي سورة فصلت: ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهَمُّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١٣٦). لقد أشارت مفردة (أكثرهم) إلى انحراف وإعراض الأكثرية عن جادة الحق، فأكثرهم لا يسمعون وأكثرهم لا يشكرون وأكثرهم للحق كارهون. هناك ستون آية في القرآن الكريم تتحدث عن هذه الأكثرية التي تدعونا إلى تكثيف العمل من أجل إصلاح مجتمعاتنا التي انحرف أكثرها واختار طريق الضلال.

تبين الآية اللاحقة أسباب الضلال وعدم تلقي المعرفة، فتقول عن لسانهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا غَامِلُونَ﴾^(١٣٧)، وهي حالة مستعصية تجمع بين وجود غشاء على القلب ووقر السمع ووجود حجاب يصد ويمنع من وصول النور والحق، وهذه الأسباب مجتمعة تدفع البعض لاختيار طريق الباطل والاستخفاف بالطاعات والقربات وقتل الوقت باللهو والغرور إلى أن ينكشف الغطاء، فيقول الإنسان حين يكتشف خطأه ويعترف بتقصيره: (رب ارجعون) فلا يستجاب لطلبه؛ لأنه كان مخيراً منذ أول الطريق بين النور والظلام، وبين الموت والحياة، ولكنه اختار الظلمة ولم يسمع لنصائح الصالحين ولم يعر اهتماماً لتحذير المحذرين.

عبادة الهوى

يشهد القرآن للثلة المؤمنة بحسن التلقي وكمال الاستفادة من الفيض الإلهي بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(١٣٨). وبنه علي النتائج السلبية التي ينتجها هذا الفيض على المعرضين والمنحرفين فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾^(١٣٩)، والملاحظ في هذا التعبير القرآني أن هؤلاء ليس فقط لا يسمعون وإنما يعود عليهم بالعمى، وهو تعبير حري بالتأمل، فالمعرفة النافعة، والنور الذي من شأنه الهداية، إذا تلقاه الضال المنحرف فإنه يزيده عمى ومرضاً، فضلاً عن عدم هدايته به. يصل الحال بالإنسان إلى لحظة

١٣٦. سورة فصلت: الآية ٤.

١٣٧. سورة فصلت: الآية ٥.

١٣٨. سورة فصلت: الآية ٤٤.

١٣٩. سورة فصلت: الآية ٤٤.

تصبح المعلومة سببا إضافيا في زيادة العمى . ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١٤٠) ، وهذا تمثيلٌ لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية بعيدة مع قربهم المكاني ، ولكن بسبب إعراضهم ، فتخاطبه كما تخاطب البعيد .

ومن أخطر مراحل هذا المرض ما جاء في سورة الجاثية في قوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(١٤١) ، إذ يصل الفرد إلى مرحلة يعبد فيها هواه وميوله وشهواته ، مع أن الهوى لا عقل معه ولا إرادة ولا وعي ، بل هو مجرد انفعالات ومشاعر زائلة . إن اللذة التي ينالها الفرد بالمعصية لذة كاذبة ، وإن تصورها الإنسان لذة حقيقية ، فاللذة التي يطلبها الفرد بالنظرة المحرمة أجارنا الله وإياكم ، ستزول بمجرد أن يغمض عينيه ولا يجني بعدها إلا الندم وتأنيب الضمير . ثم تضيف الآية: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^(١٤٢) . فقد ذهب إلى طريق الضلال على علم وعمد ، فلم يكن وقوعه في الحرام وإعراضه عن طريق الهدى لجهل ، وإنما هو اتباع الهوى والميل مع الشهوات مع معرفته بالنتائج السلبية لهذا الانقياد ، ومثاله الشخص المدخن الذي يعرف بضرر التدخين ولكن العادة والإدمان يمنعانه من تركه .

ثم تشير الآية المباركة إلى آثار خطيرة لعبادة الهوى ؛ وهي تعطيل جميع المدخلات القلبية فتقول ، ﴿وَحَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبَهُ﴾^(١٤٣) ، فإن كان السمع في الحالات التي ذكرناها سابقا قد يصاب بالثقل ، فهنا صار مختوما ومغلقا فلا يوجد فيه منفذ للنور والهداية ، ويزداد الأمر سوءا حين يشمل هذا الختم القلب أيضا . ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾^(١٤٤) ، فلا طريق بعد ذلك إلى القلب والعقل ليكون الفرد مصداقا واضحا لميت الأحياء ، وإذا وصل الفرد إلى هذه الدرجة من الضلالة ، ﴿مَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾^(١٤٥) . تم تعقب الآية الكريمة بالحث على التفكير في أهمية السمع ودوره في التمييز بين الموت والحياة وبين الظلام والنور ، وللحديث صلة تأتي تباعا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

١٤٠ . سورة فصلت : الآية ٤٤

١٤١ . سورة الجاثية : الآية ٢٣

١٤٢ . سورة الجاثية : الآية ٢٣

١٤٣ . سورة الجاثية : الآية ٢٣

١٤٤ . سورة الجاثية : الآية ٢٣

١٤٥ . سورة الجاثية : الآية ٢٣

الأمسية الرمضانية السادسة - بتاريخ ٢٦/٧/٢٠١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان حديثنا في الليالي السابقة عن وثيقة تاريخية مهمة وضعت ملمحا عن نظرية الحقوق في الرؤية الاسلامية، ألا وهي رسالة الحقوق لإمامنا السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنا نتحدث عن الحق الرابع من الحقوق التي يشير اليها الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرسالة وهو حق السمع. ماذا تسمع وماذا لا تسمع، ثم انتهينا بعد ذلك لاستعراض بعض الآيات القرآنية الشريفة الواردة في هذا الموضوع، واليوم نستكمل بعض هذه الآيات.

الاستماع إلى الوحي

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١٤٦). أي يا رسول الله إنهم يستمعون إليك، وهذا أمر جيد، ولكن ما هو غير جيد أنهم إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم (لمن يعرف منهجك يا رسول الله من أصحابك) ماذا قال؟.

وهنا نسأل كلاً من هؤلاء: هل أنت تسمع أو لا؟. إن كنت تسمع فماذا يعني هذا السؤال، وإن كنت لا تسمع فما هو مبرر جلوسك في مجلس رسول الله؟ هل هناك معان عميقة لم تستطع أن تفهمها أو تستوعبها، حتى رحت تقول لأصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اشرحوا لي كلامه؟ أو أن سؤالك يعني الاستخفاف والاستهزاء؟، كما لو أنك تبتغي من وراء طرح مثل هذا السؤال تسخيف الكلام والتقليل من قيمته.

١٤٦ . سورة محمد : الآية ١٦

معنى السمع وأهدافه

الاستماع إذاً، ليس فقط تلقّي الإشارات الصوتية، بل هو أيضاً التفاعل مع الموضوع الذي تستمع إليه، والتعمق فيه، والتركيز عليه. وذلك يعني أن يكون استماعاً واعياً ومتفحّصاً، فحينما يكون هناك كلام مفيد، من الضروري أن تركّز عليه لكي تعرف ماهيته. في آداب المتعلمين يحمل الإنسان دائماً ورقة وقلماً ويسجل الكلمات الجميلة واللطيفة والنافعة، وحين كنا أطفالاً كان أساتذتنا يعلموننا هذا الشيء. أحياناً قد يقرأ الإنسان في الشارع حكمة أو عبارة جميلة فيتلقفها ويسجّلها، وهذا ما كان يفعله علماؤنا السابقون حين يجمعون الآيات والجملة المفيدة، والحكمة النافعة في كتاب.

وهناك من يجمعون قصصاً يسمونها «كشكول». كما في كشكول الشيخ بهاء الدين العاملي المعروف بـ «البهائي» على سبيل المثال. وهذا الكشكول هو عبارة عن مجموعة من المعلومات والطرائف في مختلف المواضيع الفلسفية والفقهية والروائية والحكمية. مشكلة الإنسان أنه ينسى، والنسيان نعمة أحياناً، ولكنه في أحيان أخرى يتحول إلى نقمة. من المهم أن تتعلم شيئاً، ولكن الأهم أن تحفظه وتستوعبه طوال حياتك. فأن تحفظ القرآن شأن عظيم ومنزلة رفيعة، لكن أن تبقى حافظاً له، فالأمر يحتاج الى أن تعيده في كل يوم حتى لا تنساه.

من خلال تجربتي الشخصية أقول إنني أحتفظ بدفاتر ومدونات منذ أيام الطفولة، وإلى الآن أراجعها، وأستفيد من الحكم والروايات والنوادر والطرائف التي كنت قد سمعتها في مكان ما، وسجّلتها، ومن خلالها أتذكر من كان معي حينها من الزملاء والإخوان والعلماء، والمكان الذي كنا فيه فنتجدد الذكريات. فالآن أنت تعود بالذاكرة إلى ما قبل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة وتستعيد لقطات مرت مرور الكرام وتتحسر عليها. فذاك العالم الكريم غادر الحياة. وذاك الصديق لا أعرف أين أصبح الآن. وصارت الدنيا عبارة عن مشاعر وعواطف ومعرفة وموعظة، وهذه الأشياء هي التي تبقى للإنسان.

إذاً، المنافقون كانوا يريدون أن يشوّشوا على كلام رسول الله ﷺ وهم يبحثون عن أهوائهم، وهم يتنعمون بأن يكونوا في محضر رسول الله ﷺ، يسمعون منه، غير أنهم لم يكونوا يعرفون قيمة الحدث، لأن

بالهم في مكان آخر. هذا إذا كنا نريد أن نحسن الظن بهم، هؤلاء لم يركزوا على الفكرة فخرجوا يسألون الصحابة؛ ماذا قال النبي؟.

أما إذا كانوا من النوع الآخر، فهذا يعني أنهم مرضى نفوس يريدون أن يشوشوا كلام رسول الله، وهذه التشويشات تشكك الناس بكلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هؤلاء هم المرجفون بحسب التعبير القرآني، والمرجف هو الذي يكثر من الثرثرة والتشويش. والتشويش أسهل من البناء، فإذا عاتمة كاملة تتعطل لأن هناك جهاز تشويش. في أيام النظام البائد كانت هناك إذاعات مفيدة يبحث الناس عنها لسماع موعظة أو مجلس حسيني، أو خبر صحيح وموثوق به، لكن النظام كان يضع التشويش لكي لا يسمع الناس هذه الإذاعات.

إذاً، قال المرجفون المشوشون: «ماذا قال أنفأ»، أي ماذا قال رسول الله، اشرحوا لنا قوله حتى نفهمه، لذلك يأتي التقييم قاسياً من الله تعالى بحقهم». «أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم». هؤلاء لا يريدون العلم والمعرفة ولو كانوا يبحثون عنهما لكانوا ركزوا واستمعوا جيداً لكلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هؤلاء يبحثون عن أهوائهم، يريدون أن يسجلوا أسماءهم مع الصحابة، والصحابة هم من وقفوا مع رسول الله في المعارك والشدائد، وفي السراء والضراء وحفظوه، وهم لم يكونوا كثيراً، فليس كل من دخل المسجد وأخذ صورة كان من الصحابة. هؤلاء «طبع الله على قلوبهم» فلا يستطيعون أن يفهموا ويعرفوا، ذلك أن نفوسهم المريضة تجعلهم عاجزين عن تلقي الإشارات. وكما بيّنا فإن الفيض الإلهي عميم، واللفظ الإلهي شامل ولكن المشكلة تكمن فينا، والفلاسفة يقولون القصور في قابلية القابل وليس في فاعلية الفاعل، والفاعل هو الله وهو الذي يعطي.

آثار ختم السمع والبصر

وفي آية أخرى من سورة محمد، يقول تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾. فالإنسان قد يتحول إلى جرثومة خطيرة في المجتمع، وكما أن البدن يمرض بالميكروبات والفيروسات وما شابه، كذلك الروح لها ميكروباتها وفيروساتها الخاصة، لذا، انتبه إلى روحك ونفسك وعقلك. اليوم يواجه الإنسان الحرب الإلكترونية، أي لا يحتاج إلى صواريخ ودبابات ومدافع وطائرات، بل يدخل على المنظومة الإلكترونية ويعطلها ويوقف

الملف النووي وغيره . إننا نسمع في الأخبار كل يوم عن حرب إلكترونية بين إسرائيل وإيران تعطل منظومة الحاسبات التي تشغل الطاقة النووية السلمية . إذاً، الإنسان الشرير المنحرف والضال جرثومة متحركة في الأرض .

«أولئك الذين لعنهم الله» أي شملتهم اللعنة والعقاب الإلهي ، والله حينما يلعنهم ماذا يحدث؟ «فأصمهم وأعمى أبصارهم»، ومدخلات القلب كما سبق وقلنا هي السمع والبصر . .

تلك من الابتلاءات التي يُبتلى بها الإنسان، فمن يكون أصم لا يسمع ولا يلتقط المعرفة، وأعمى البصيرة والقلب، وحينما يكون القلب أعمى فإنه لن يتأثر ولن يستجيب . «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»^(١٤٧) أي أن القلب يمتنع عن تلقي المعارف الإلهية، وعندها تقرأ القرآن فلا تشعر بلذة، وتقرأ الدعاء فلا تشعر بأنس، وتقوم للصلاة متثاقلاً، وتصبح العبادة مزعجة والطاعة مرّة، كأن يقوم أحدنا للصلاة وينتهي بسرعة الركعات الأربع، فأين الذي يتلذذ بالصلاة وينتظرها ويتربحها؟ «اللهم أذقني حلاوة عبادتك ومناجاتك» . أما حينما يكون القلب مقبلاً فتلاحظ تأثير العبادة عليك، والصلاة في كل يوم تترك هذا التأثير . ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(١٤٨) . فالصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وسئل الرسول: يا رسول الله، إن الله يقول إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلماذا نصلّي ولا ننتهي عن الفحشاء والمنكر، الله أخلف وعده؟ حاشى الله أن يخلف وعده، ولكن صلاتك ليست بالصلاة المطلوبة .

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١٤٩) . ففي كل آية من آيات الله ذكرى وتذكرة وموعظة والتفات وجرس إنذار . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب «أي للذي عنده قلب ينبض بالحياة، للذي عنده عقل يسمع ويعي، للذي لديه ضمير يهتز، لذا ترى في «ميانمار» وفي غيرها في العالم العربي والإسلامي اليوم مجازر كبرى والناس يُقتلون بالآلاف . فكيف لا يهتز الإنسان وهو يرى هذه الظلامة الكبرى؟ وكيف ترى هذا المشهد ولا تقف عنده ولا تشعر بالألم العميق؟ أين إنسانيتنا وأين

١٤٧ . سورة محمد : الآيات ٢٢-٢٤

١٤٨ . سورة العنكبوت : الآية ٤٥

١٤٩ . سورة ق : الآية ٣٧

ضميرنا؟ «لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» أي من فتح سمعه وعقله وهو شاهد وناظر، يفتح أذنه ومدركاته ويعي الحقائق فتقربه من الله تعالى، فيترقى إلى حالة الشهود والإشراف، وتتجلى أمامه الحقيقة.

نسأل الله أن يرزقنا هذه الحالات الشاقة ولكن غير المستحيلة، ولا سيما أننا الآن في شهر الصيام، شهر ضيافة الله الجواد الكريم المنان المعطاء الذي يدلل عباده وهم في ضيافته، فلا يجب أن نقلل مطالبنا لأن الطمع في طاعة الله شيء جيد، وهو طمع من باب المسامحة. أنتم اليوم في كرم الله فاطلبوا الكثير لآخرتكم، أطلبوا لشعبكم، ولأنبائكم ولعوائلكم ما دامت رحمة رب العالمين نازلة. «قل أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضني عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه»^(١٥٠). إذا، كن طامحاً وطامعاً بلطف الله وعنايته.

أهمية السمع في تحديد مصير الإنسان

يقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ إِنْ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١٥١).

هنا تشديد على أهمية الوفاء، فإذا كنت ظمآن وقدّم أحد لك الماء فإنك تشكره على كرمه، وكلما تراه تذكره بكرمه. . وإذا واجهت مشكلة إدارية وقام شخص بحلها لك تبقى العمر تذكره له من باب الوفاء، وكما يقول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته . . وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

. والله تعالى أعطانا كل شيء، فلماذا لا نتعامل بهذا المنطق، بمنطق الوفاء والاعتراف بالجميل؟.

١٥٠ . الكافي ج ٤ ص ١٦٥

١٥١ . سورة الملك : الآية ٦-١٤

«إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور»، والشهيق صوت النار حين تغلي، هذه حالها وهذه حال أهلها، «تكاد تميز من الغيظ» وهذه النار أداة من أدوات الله تعالى ينتقم بها من الكفار والمتمردين والعصاة، ونحن نستجير بالله من ذلك، «كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء»، أي كذبناه وقلنا إن الله لم يرسلكم وآثرنا المتعة والراحة في الدنيا. «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير».

هناك روايات كثيرة تشير إلى السمع وأهميته في مسارات الإنسان، لنأخذ بعضها:

عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَلَهُ أُذُنَانِ: عَلَى إِحْدَاهُمَا مَلِكٌ مُرْشِدٌ، وَعَلَى الْأُخْرَى شَيْطَانٌ مُفْتِنٌ، هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَزْجُرُهُ، الشَّيْطَانُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعَاصِي وَالْمَلِكُ يَزْجُرُهُ عَنْهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)^(١٥٢). فالشيطان يوقعك في الفتنة والبلاء وفي الانحراف، وهذه نوازع الخير والشر، وعليك أن تختار: واحد في اليمين وواحد في اليسار، هذا جنة وهذا نار، «هذا يأمره، وهذا يزجره»، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها.

فلا ترتكب المعصية ولا تنزل نفسك إلى مستوى الحضيض، بل حافظ عليها وعلى كرامتك وعزتك وشموذك. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١٥٣)، فلماذا تطأطي رأسك خجلاً من المعصية التي ترتكبها؟ والله عز وجل يقول: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١٥٤)، فدائماً اسمع كلمة الخير، وخذ بكلام منادي الإصلاح، ولا تأخذك حالة الغرور والاستعلاء على الله تعالى.

وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا طَابَ قَلْبُ الْمَرْءِ طَابَ جَسَدُهُ»^(١٥٥)، وهناك حكمة متداولة «العقل السليم في الجسم السليم»، وهنا نقول إن صاحب

١٥٢ . الكافي ٢/٢٦٧

١٥٣ . سورة الإسراء: الآية ٧٠

١٥٤ . سورة ق: الآية ١٨

١٥٥ . بحتر الأنوار ج ٦٧ ص ٥٠

الجسم السليم هو من يملك قلباً سليماً ، فإذا كانت روحيتك جيدة يتحقق قربك إلى الله ، وكرامتك الحقيقية شرطها طاعة الله . ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١٥٦) . كيف يغلب القليل الكثير؟ عندما يكون قلبه سليماً وعقله يشتغل وروحه واثقة بالله وعنده عزيمة ، فالدنيا وما فيها لو وقفت بوجهه لا تستطيع أن تشنيه .

في المقابل هناك جيوش جراحة ودبابات ولكن ليس لديها روح ، ونسبة الانتحار في الجيش الفلاني الدولي نسبة عالية ، فلماذا ينتحرون طالما لديهم التجهيزات الكاملة؟ الجواب البديهي : لأنهم يفتقدون الروحية والمعنى ، بينما أبناء الحق واقفون وثابتون على مبدئيتهم بروحهم العالية الواثقة .

«وإذا خبث القلب خبث الجسد»^(١٥٧) ، أي أن قلبك إذا تغيرت أحواله وصار ميالاً إلى الميوعة والهوى وإلى الدنيا والأنانية والانتهازية وإلى الرشوة والمصالح الخاصة ، إذا أصبح قلبك هكذا فقد ضعت في هذه الحياة .

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شر العمى عمى القلب»^(١٥٨) . فإذا كان الإنسان لا يبصر فإنه يستعين بالآخرين على طريقه ، وبعض فاقد البصر يقوي الله تعالى بصيرتهم فيقومون بأمر لا يستطيع المبصر القيام بها . فالخطورة في عمى القلب وليس في عمى البصر ، ولعل في ذلك إشارة إلى الآية القرآنية : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(١٥٩) . فالله تعالى يريد الإنسان الذي يتحرك في هذه الحياة ، وإذا أخطأ يرجع فيستغفر ربه الذي يتوب عليه .

المؤمن مفتن ثواب

وقد قال أبو جعفر الإمام الباقر عليه السلام : (أما إن أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قالوا : يا رسول الله نخاف علينا النفاق ، قال : فقال لهم : ولم تخافون ذلك؟ قالوا : إنا إذا كنا عندك فذكرنا ، روينا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها

١٥٦ . سورة البقرة : الآية ٢٤٩

١٥٧ . بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٥٠

١٥٨ . بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٥١

١٥٩ . سورة الحج : الآية ٤٦

حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار، ونحن عندك، وإذا دخلنا هذه البيوت وشَمَمْنَا الأولاد، ورأينا العيال والأهل والمال نكاد أن نتحول عن الحال التي كنا عليها عندك، حتى لَكَّأنا لم نكن على شيء؟ أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كلا هذا من خطرات الشيطان ليرغبكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأتمم عندي في الحال التي وصفتكم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذبنون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا، فيغفر لهم إن المؤمن مفتن تَوَّابٌ، أما تسمع لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾^(١٦٠) . . ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾^(١٦١)(١٦٢).

هذا ليس نفاقاً وإنما الشيطان يوسوس، ما دمتم بجانبني فالرحمن حاضر معكم، والشياطين ليس لها جرأة على أن تدخل وتتقرب، ونوازع الخير تندفع بكم، وترون هذه الصورة، ولكن حينما ترجعون إلى أهليكم فإن الشيطان يوسوس لكم.

إذاً، الله تعالى يريد الإنسان الذي يتحرك في هذه الحياة، وإذا أخطأ يرجع ويستغفر فيتوب عليه . . «يفغفر لهم إن المؤمن مفتن تواب»، هذه صفة المؤمن، يقع في الفتنة ولكن يرجع بسرعة ويستغفر ويتوب. فيا أيها المؤمنون الطيبون ويا من أنت حاضر وتسمعنا من بعيد قل يا إلهي أذنبنا وأخطأنا ولكن نحن اليوم تائبون. أنت خلقتنا وجعلت فينا نوازع الشر فضعفت أنفسنا والشيطان لعب بنا، لكننا اليوم في ليلة السابع من شهر رمضان نريد أن نفتح صفحة جديدة فاغفر لنا وتب علينا يا رب، وأعطنا فرصة أخرى وامسح قائمة أعمالنا، وببيض ملفاتنا من وثائق الإدانة. قل أيها العزيز هذا الكلام، أما تسمع قوله تعالى: «إن الله يحب التوابين». فمتى رأى دمعتك وقلبك المكسور، ومتى رآك تائباً عن ذنوبك، ينزل رحمته عليك.

١٦٠ . سورة البقرة : الآية ٢٢٢

١٦١ . سورة هود : الآية ٥٢

١٦٢ . الكافي ج ٢ ص ٤٢٤



الأمسية الرمضانية السابعة - بتاريخ ٢٧/٧/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب واسأل الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق في هذا الشهر الفضيل وأن نكون من المحرومين في هذا الشهر وألا نكون من المحرومين .

وصلنا بالحديث عن رسالة الحقوق لسيدنا وإمامنا علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه ، الذي يختزل فيها النظرية الاسلامية في منظومة الحقوق في الإسلام ، إلى الحق الخامس وهو حق البصر .

((وَأَمَّا حَقُّ بَصْرِكَ فَغَضُّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ، وَتَرْكُ ابْتِدَالِهِ إِلَّا لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبَلُ بِهَا بَصْرًا أَوْ تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْمًا ، فَإِنَّ الْبَصْرَ بَابُ الْإِعْتِبَارِ)) . (١٣٤)

غض البصر

البصر له حق عليك يا إنسان يا مسلم ، ويتمثل هذا الحق بأن تغض البصر ، فالنظرة المحرمة واللقطة السيئة المضرة عليك أن تتجنبها ، «وترك ابتداله» هذا البصر لا تبتذله ولا تسئ لنفسك ولا تقلل من قيمتك عندما تنظر إلى شيء يحط من قيمتك المعنوية ويقلل من إنسانيتك ، حاول أن تتصر لعزتك وكرامتك وإنسانيتك ، وحاول دائما أن تكون في القمة وتطلعاتك تطلعات صالحة ، «إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصرا» هذا البصر استخدمه حينما يكون مجالا للاعتبار ولأخذ الدروس ، حينما يتحول البصر إلى بصيرة وحينما تقرأ ما بين السطور وما وراء الحدث .

ترون في الفضائيات برامج سياسية تسميها ما وراء الحدث ، تريد أن تقول إن هذا السياسي قال كذا وذاك قال كذا واختلفا بينهما ، ونحن نعطيكم جوهر المعنى والشيء الذي لا يتكلم به السياسيون ، ونحن في البرنامج نعطيكم رؤية عميقة . والأشعة ما فرقها عن الصورة الفوتوغرافية؟ ، الصورة الفوتوغرافية صورة والأشعة أيضا صورة ، والفوتوغرافية تأخذ الظاهر والجلد اللطيف الذي يكسو العظام والشعر الجميل وما أحسن الله صنعه وخلقه ، لكن الأشعة لا علاقة لها بالمظاهر ، بل ترى البنية التحتية كيف هي ، والصورة الفوتوغرافية تقول هذا شاب لطيف وسيم بالفتوة والحسن والقوة ، والأشعة تقول لديه كسر ، وذاك لديه مشكلة لا تستطيع الصورة الفوتوغرافية التقاطها . يا إنسان ، عندما تستخدم بصرك حاول أن ترى به الحقائق التي لا ترى باللقطة العابرة ، وحوّل هذه النظرة إلى نظرة اعتبار وإلى درس في الحياة ، ونحن لدينا قدرة في كل نظرة على أن نكتسب درسا ونتعلم معرفة ونحصل على مزيد من المعطيات .

كما قلنا في الليالي الماضية ، فإن القلب هو الجوهر ، والسمع واحد من المدخلات التي تغذي القلب والبصر أيضا مدخل آخر ، على ماذا تنظر وكيف تنظر وما طبيعة النظرة؟ ، ويقال هذه النظرة ثابتة وتلك نظرة ساذجة وبسيطة ، هذا إنسان عميق نظرته ثابتة ، ماذا يعني ذلك؟ ، يعني أنه لا يكتفي بالظواهر وينظر نظرة فيها تحليل وولوج لعمق الأمور وحقائقها ، «إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصرا أو تستفيد بها علما» . هذه النظرة تزيدك علما ومعرفة وبرهانا وبينه ، ابحثوا عن نظرة اعتبار وحولوا نظراتكم إلى نظرة علم ومعرفة ، فإن البصر باب الاعتبار وهو مدخل للاعتبار .

ثلاث حقائق

يذكر الإمام السجاد ثلاث حقائق بحق البصر؛ الحقيقة الأولى غض البصر عما لا يحل لك ، والحقيقة الثانية أن ترقى بهذا البصر إلى مستوى الاعتبار ، والحقيقة الثالثة أن تكون نظرتك نظرة علم ومعرفة . . ولا بد من أن نقف عند كل من هذه الحقائق لنرى كيف تناولها القرآن الكريم والنصوص الشريفة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام .

مسؤولية المؤمن تجاه البصر

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النور الآية ٣٠ و ٣١: بسم الله الرحمن الرحيم «قل للمؤمنين»، هناك خطاب للإنسان وهناك خطاب للمسلمين وخطابات فيها مسؤولية مضاعفة يخاطب فيها المؤمن والصفوة ويخاطب فيها من يستطيع أن يتحمل عبء الخطاب «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم «أيها المؤمنون، غضوا أبصاركم وإذا رأيتم لقطه محرمة لا تركزوا أبصاركم عليها، بل غضوا الطرف واعبروا هذه اللقطات المحرمة «ويحفظوا فروجهم «يا إنسان، عندك احتياجات إنسانية، وإذا لم تكن لديك يجب أن تذهب للطبيب، ويجب أن تكون لديك احتياجات إنسانية، لكن أين الإطار والضوابط في الوصول وفي تلبية هذه الاحتياجات؟، هذا حلال وهذا حرام وهذا يجوز وهذا لا يجوز، يجب أن تفرق بين هذه الأمور وتحفظ فرجك عما هو حرام.

«ذلك أذكى لهم» وهذه فيها طهارة الإنسان، النمو في هذا الأمر، والطهارة والنقاء في هذه الخطوة، غض الطرف واحفظ الفرج، أبقها دائما في بالك «إن الله خبير بما يصنعون»، هل تعتقد بأنه ليس عليك رقيب وأنت تراقب القنوات الضارة؟، الله يبصر ويرى ويعرف ماذا تعمل وتخفيه عن أمك وأبيك وإخوتك والناس والمجتمع، فلا تستطيع أن تخفيه عن الله، يجب أن تكون بمستوى من الدقة والحدز.

«وقل للمؤمنات» هذا واجب المؤمن والمؤمنة «يغضضن من أبصارهن «يا بنت ويا شابة ويا امرأة، أنت أيضا لديك مسؤولية، ولا يجوز أن تنظري إلى ما حرم الله ويجب غض الطرف «ويحفظن فروجهن «من الوقوع في الرذيلة والعياذ بالله، مسؤوليتك كبيرة أيتها المرأة كما هي مسؤولية الرجل، لكن عندك مسؤولية أخرى أيضا؛ غض الطرف مسؤولية الرجال والنساء المؤمنين والمؤمنات، وحفظ الفرج مسؤولية المؤمنين والمؤمنات، لكن يا مؤمنة عندك مسؤولية إضافية، «ولا يبيدين زينتهن»، نصف المشكلة، إن لم يكن أكثر، تأتي من إبداء الزينة، وكيف يقع المسكين في الفخ؟، جزء من المشكلة يأتي من نفسه المريضة، لكن الجزء الثاني من رؤية مشهد وصورة مغرية، ولولا هذا الإغراء لما وقع في الحرام، يا امرأة، لا تبدي زينتك، يا رجل، لا تنظر، فتتكامل الأدوار؛ إبداء الزينة يعني

خلق مناخات الإثارة، وحينما يُثار الرجل يقع في الحرام إلا ما رحم ربي،
فلذلك يجب غض الطرف من الطرفين .

حجاب المرأة

الجانب الآخر، يا امرأة، لا تخرجي متزينة بهذا الشكل، واقراء في بعض
التقارير أن عددا كبيرا من النساء يخرجن في الأماكن العامة متزينات وفي البيت
حال آخر، هل زينتك للأجانب والآخرين والرجل محروم، بينما يجب العكس،
فالمراة تتزين لزوجها وهذا عز وفخر وكرامة وشرف ويتعلق زوجها بها أكثر
وتسعد الحياة الزوجية، وفي الخارج وقار وعفة وكرامة واحترام وثقل، «ولا
يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها»، سنأتي في بعض الروايات إلى المقدار الجائز
لتظهره المرأة، وهو الوجه واليدان والقدمان، اليدان يعني الكفين وليس اليد
كلها، والوجه يعني قرص الوجه وليس الرأس كله، والقدمان أيضا حجم القدم
وليس أعلى من ذلك .

«وليضربن بخمرهن على جيوبهن»، الخمار هو غطاء الراس، وفي هذه الأيام،
ما شاء الله، تحول إلى موضة وموديل؛ فتضعه فوق الرأس وتهدله من الخلف،
لكن كل محاسنها؛ الصدر والرقبة، ظاهرة، «وليضربن بخمرهن على جيوبهن»،
الجيوب ما يستر الرقبة والصدر حتى يتحقق الستر الكامل «ولا يبيدين زينتهن»، يا
امرأة، لا تخرجي زينتك ولا تتزيني «إلا لبعولتهن» الزينة هنا ما يزيد على الوجه
والكفين والقدمين، ولا تظهري جوانب أخرى من البدن «إلا لبعولتهن» الزوج،
ومعه ليس هناك قيود وحدود في العلاقة «أو آبائهن» أمام الآباء ممكن لكن ليس
بحجم الزوج، فيجب أن يكون ذلك فيه احترام ووقار .

«أو آباء بعولتهن»، أبو الزوج ليس هناك مانع كالأب، وممكن أيضا أن تكون
بدون حجاب، «أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن»، أبناء الزوج من الزوجة الأخرى «أو
إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن»، باعتبار أنهم خالاتهم، «أو نسائهن»،
النساء المؤمنات ليس هناك مانع من أن تظهر بدون حجاب أمامهن، «أو ما ملكت
أيمانهن» ما تملكه المرأة من جوار أو من عبيد على بعض الفتاوى «أو التابعين
غير أولي الإربة من الرجال» أو بعض الرجال التابعين الحاضرين في البيت لكن
لا يُخشى منهم، إما لأنه أبله أو متخلف أو معوق كسيح، بحيث ليس لديه أي
مشاعر تتحرك نحو المرأة، مثل هذا يمكن عدم التستر أمامه أيضا، بما أنه غير

ملفت وليس لديه عنصر الإثارة، وليس واردا أن تتحول النظرة الى مشكلة، ﴿أَوْ الطُّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

تعليمات دقيقة وهذه هي الحدود، فهذا ما يجوز وما سواه لا يجوز، بنات عمك أو جيرانك، سواء كنت بمقام عمهن أو خالهن، فأنت غير محرم، وابن العم والغريب على حد سواء في هذا الموقف الشرعي، «ولا يبيدين زينتهن إلا» لهؤلاء فقط، ولا يوجد في القرآن أن هذا بمقام جدّها وهذا كبير وهذا صغير، أو نحن تربيّنا معا في بيت واحد أو في بيوت متجاورة ومن الطفولة نلعب معا، وعند التكليف تلبس حجابا ويدخل أحدنا بيت الآخر ونحن إخوة أو في العمل، وأحيانا هناك عوائل، هنا عائلة وهنا عائلة، والعلاقة بريئة وطبيعية، نظرة أخ لأخته، لكن ما دامنا وصلنا إلى مرحلة البلوغ فإن هذه الضوابط تنطبق علينا، لا فرق بين القريب والبعيد إذا شملته هذه العناوين التي ذكرناها، لذلك هناك تساهل في مجتمعاتنا حتى في العوائل الملتزمة ويعتقدون بأن هذا جائز وحلال.

الحجاب حماية

في سورة الأحزاب، حينما تتحدث الآيات الشريفة عن أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآية ٥٣ «وإذا سألتموهن متاعا»، ليس هناك خصوصية لأزواج النبي، ولكن بما أن التجاوزات على بيت النبي أتت الآية لتنبه، لأن هناك ضوابط عامة عن تعامل الجميع «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب»، اطرق الباب وقل يا الله هل هناك أحد بالبيت، ونريد كذا من وراء الباب والحجاب، ولا يجوز أن تدخل هكذا، «ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن»، يا مسلم، يا مؤمن، النتيجة أنت إنسان وتتحرك مشاعرك لاسمح الله، وهذا أطهر لقلبك عندما تتكلم مع امرأة وتريد شيئا، وحين تقصد بيتا تتكلم من وراء حجاب، فقد لا تكون بحجابها الكامل لتخرج وتظهر أمامك وتتحدث معك فلا تخرجها ولا تدخل بدون استئذان، هذه يجب أن نراعيها لنحافظ على طهارة القلب ونقاءه.

وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب الآية ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾، قل لزوجاتك وبناتك وبنات المؤمنين والمؤمنات، «يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾، والجلباب ما يغطي البدن والرأس أو ما يغطي الرأس، ويستخدم في معانٍ مختلفة «ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا

يُؤذِينَ»، والمرأة عندما تضبط حجابها تسير بوقار فحتى ذو النفس المريضة لا يجروء على أن يُسمعها كلاما أو يتحرش بها، والمرأة التي تسير بحالة من الانفتاح بملبسها وسلوكها وإشاراتهما من حيث تقصد أو لا تقصد، فهي تخلق بيئة تشجع من في نفسه وقلبه مرض على أن يتحرك وتتحرك مشاعره وينظر إليها نظرة غير بريئة، ولكن عندما تكون المرأة بحجاب ومستورة، فهذه المرأة لا يجروء أحد على الإساءة إليها.

يا رسول الله علم بناتك وزوجاتك والمؤمنات أن يلبسن الجلابيب كي لا يتعرض لهن أحد، «وكان الله غفورا رحيمًا». النساء كن يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإذا كان الوقت ليلا، ولم تكن هناك إنارة، وطبعا عندما تتكلم عن الإنارة لا تتكلم عن بلادنا بل نتكلم عن الإنارة في البلدان الأخرى، والظاهر نحن الآن مثل أيام المدينة، فإذا كن بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء والغداة يقعد الشباب لهن في طريقهن وعندما يعبرن يسمعنهن كلمات وينظرون إليهن.

وهذه مع الأسف ظاهرة سلبية ونراها في زماننا أيضا، يا شاب وقتك ثمين لا تضعه في الشوارع تنظر إلى أعراض الناس، اكتسب علما ومعرفة واكتسب ديننا ولا تكن مصدر ازعاج وإساءة لك ولكرامتك، يا شاب احترم نفسك، فأنت محترم والله كرمك ولا تنزل إلى هذا المستوى، وحتى في المزارات وأماكن العبادة وممارسة الشعائر، حتى في هذه الأماكن ترى بعض الشباب يصطفون وكأنهم يسترقون النظر إلى بعض أعراض الناس وبعض النساء المشاركات في مثل هذه المناسبات، ومنذ ذلك الزمن كانت موجودة؛ يقعد الشاب في طريقهن فيؤذيهن ويتعرض لهن، وهذه حجابها غير مضبوط وتلك وجهها مكشوف ويبدأ بعض أصحاب النفوس المريضة يتحدثون بألفاظ معينة وإلى غير ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ يتحجبن بشكل جيد لكي لا يطمع فيهن مرضى النفوس، وبالطبع، حاشى أزواج النبي، لكن هذا أدب الخطاب، والقرآن يعممه حتى لا يشعر أحد أن الخطاب موجه له وحده وهذه هي التربية والآداب، وهكذا نقلت من التأثيرات السلبية للنظرة المحرمة.

يبدأ الانحراف من نظرة

في سورة الحشر الآية ١٦ : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ . في مجمع البيان للطبرسي (١٦٤) يذكر الآية الشريفة في تفسيره ويروي عن ابن عباس رواية ذلك العابد من بني إسرائيل ، وهو برسيسا ، وكان من العباد ، وكان يصل النهار بالليل بالدعاء والعبادة ومن عباد بني إسرائيل ، وقد أعطاه الله كرامات في شفاء المرضى والمجانين ، إذ يجلبونهم له ويقون عدة أيام يقرأ لهم أدعية والله يشاء ويقدر أن ينزل رحمته عليهم ويتعافون ويخرجون .

وكان له صيت كبير في شفاء من ليس له علاج ، وأي شخص ميؤوس منه يؤخذ إلى هذا العابد ، والله يتكرم ببركة هذا العابد ودعائه فتحل المشاكل ، حتى مرضت أو جنت إحدى بنات الأشراف ، فجلبوها إليه وكانت جميلة وحسنة لكنها في ظرف صحي معين فأودعوها عنده لغرض العلاج ، ولما وقع نظره عليها تحركت مشاعره ويبدو أنها كانت في قمة الجمال وهذا العابد ، قد يكون إنسانا بسيطا ، وفي ساعة شيطان تحركت مشاعره وانهارت حصاناته وإذا به يرتكب الحرام مع هذه البنت .

كان علاجها يحتاج إلى عدة أشهر ، وإذا بآثار الحمل تظهر على البنت ، فتورط وقال في نفسه إذا جاء أهلها كيف ساخبرهم ، قلق كثيرا وبدأ الشيطان يتحرك وقال له أنت عابد والناس تقصدك والدنيا تلهج بك وإذا خرجت هذه القصة أن هذا العابد ضعف أمام البنت لن تبقى منزلة ومكانة لك في بني إسرائيل ، فحتى تبقى في هذه المنزلة تخلص منها ، وضعف أيضا مرة ثانية وقتل البنت ودفنها ، وحين رجعوا ليأخذوها اعتذر لهم بأنها مرضت وتوفيت ، وذهب الشيطان إلى الأخ الصغير ، وكان لها ثلاثة إخوة ، وبدأ يوسوس للأخ الصغير بأن أختك لم تمرض بل اعتدى عليها العابد ثم قتلها ، وآثار الحمل واضحة وقبرها في المكان الفلاني ، وجاء إلى الأخ الثاني وقال له نفس الكلام وكذلك الأخ الثالث .

وفي الصباح لم يعرفوا ماذا يقولون ، وكان الصغير أجراًهم فقال رأيت حلما عجيبا ولا تعاقبوني وتحملوا واسمعوا مني الكلام ، وقصه عليهم ، والثاني قال أنا

رأيت نفس الشيء والثالث قال نفس الشيء ، وليس من المعقول أن نرى نحن الثلاثة مثل هذا الحلم ويكون كاذبا ، دعنا نرى ابنتنا هل هي في المكان الفلاني ، وحفروا وبالفعل وجدوا ابنتهم وبالفعل آثار الحمل بينة ، فاشتكوا إلى السلطان ، واعترف بذنبه وحُكم عليه بالاعدام صلبا .

وفي اللحظة الأخيرة قبل أن يُعدم جاءه الشيطان وقال له كيف حالك؟ ، أنا ذاهب الآن ، أتريد أن أُنقذك؟ ، قال نعم ، قال لدي شرط واحد؛ أن تسجد لي وأنا أخلصك من الموقف ، قال ألا تراني مصلوبا؟ ، فقال له ولو بالإيماء ولا أريد سجودك بل كفرك بالله ، وسجد بالإيماء وكفر بالله سبحانه ، عندها تخلى عنه وقال إني بريء منك ، « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر » ، ترون صديق السوء ، وهناك أناس هكذا ؛ ادخل بالعصاة والجماعة ونحن ظهرك ، « فلما كفر قال إني بريء منك » . لقد غادر عابد بني اسرائيل الحياة كافرا ونستجير بالله ، إذن ، تبدأ كل هذه الانحرافات من نظرة ولقطة ، وتضعف النفس ويترتب عليها ما يترتب من إشكالات .

ثلاث عيون لا تبكي يوم القيامة

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال : « قلت له : ما للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن لها بمحرم » والمُحرم العناوين التي ذُكرت بالآية الشريفة حصرا وليس شخصا آخر ، « قال : الوجه والكفان والقدمان »^(١٦٥) ، ممكن أن امرأة تسير في الشارع ومكان عام ووجهها ظاهر ، فيجوز النظر إلى هذا المقدار بنظرة بريئة وليس غير ذلك .

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين ، عين بكت من خشية الله » ، العين بالدنيا تدمع من مخافة الله وخشيته وحاشى لله أن يبكيها يوم القيامة ، هذا شهر رمضان شهر الطاعة ، وإذا لم تحصل حالة الخشوع يجب أن نتدارك ذلك ، لأننا في العشرة الأولى ، وإذا كان قلبك لا ينكسر يجب أن تعالجه ، معناه أن هناك ذنبا ترك أثره عليك ، وإذا لم تنزل دمعتك فمعناه أن هناك مشكلة يجب أن تعالج ، ليكون لنا عين باكية من خشية الله .

«وعين غضت عن محارم الله»، استجر بالله ولذُ به، وستصعد وستصبح بك قوة وعزيمة على طاعة الله سبحانه وتعالى.

«وعين باتت ساهرة في سبيل الله^(١٦٦)». في طريق الله وعمل الهي، وطلب علم ومعرفة، وفي دفاع عن ثغور البلد، وفي عبادة وعمل صالح، وفي جهد طيب، أي عمل مقرب إلى الله سبحانه وتعالى يسهرك، فهذه العين التي تسهر لعمل في طاعة الله سبحانه وتعالى ولأمر في سبيل الله، هذه العين أيضا لا يبكيها يوم القيامة. نسأل الله أن تكون عيوننا من هذه العيون. والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية الثامنة - بتاريخ ٢٨/٧/٢٠١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعوذ بالله السميع العليم من شرّ الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ،
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين
حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم أخواتي الفاضلات ، بدايةً أرحب بكم أجمل
ترحيب في مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في اليوم الماضي عن منظومة الحقوق التي يختزلها سيدنا وإمامنا
علي بن الحسين السجاد ، صلوات الله وسلامه عليه ، في وثيقته الخالدة «رسالة
الحقوق» ، وكنا نتحدث عن الحق الخامس وهو حق البصر ، ، وقلنا إنّ الإمام
السجاد صلوات الله وسلامه عليه يشير في هذا الحق إلى ثلاث حقائق ، هي :-

- غض البصر عما لا يحل النظر إليه

- الاعتبار

- طلب العلم والمعرفة

الحقيقة الأولى / غض البصر عما لا يحل النظر إليه

في الحقيقة الأولى استعرضنا العديد من الآيات الشريفة ، وكنا في الجلسة
السابقة نستعرض بعض النصوص والروايات الواردة عن رسول الله وأهل بيته
الكرام ، واليوم نواصل استعراض هذه الروايات التي تشير إلى خطورة البصر

والآثار المترتبة على النظر إلى ما حرم الله، وتؤكد على طبيعة القيود والحدود التي تتحكم بحركة الإنسان في ما ينظر إليه وما لا ينظر. قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس في البدن شيء أقل شكراً من العين، فلا تعطوها سؤالها فتشغلنكم عن ذكر الله عز وجل»^(١٦٧)، فالعين أقل الأعضاء في البدن شكراً، فلا تعطوها سؤالها فتشغلنكم عن ذكر الله عز وجل، وقد ذكرنا بالأمس كيف أن عابد بني إسرائيل تغيرت أحواله بنظرة، وانساق نحو الحرام. وقد يكون في قول أمير المؤمنين أن العين هي الأقل شكراً إشارة إلى أنها مدخل نحو الرذيلة والانحراف، وارتباك وتشوش الذهن والقلب. فنظرة واحدة قد تدفع الإنسان إلى الوقوع في الكثير من المعاصي ولا بد من أن ندقق في هذه المسألة.

أيضاً عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لكم أول نظرة إلى المرأة فلا تتبعوها بنظرة أخرى»^(١٦٨)، لأن النظرة الأولى هي لقطة بريئة ولا تعلم أين تسقط عينك وعلى أي شيء، فالنظرة الأولى لا تؤاخذ عليها لأنها خارجة عن اختيارك ولأنها نظرة بريئة، ولكن حينما تتجدد النظرات، فتلك الثانية والثالثة تصبح شيئاً آخر، حتى قيل إن شخصاً كان إذا نظر إلى مشهد محرم ظل مبهلماً كي لا يرمش وتحسب نظرة أخرى!، فكأنه يريد أن تبقى مستمرة كنظرة واحدة، لا، فالنظرة الأولى هي اللقطة الأولى وتسمى نظرة أولى، فإذا بقيت مركزاً نظرك فستكون الثانية والثالثة وهكذا، «فلا تتبعوها بنظرة أخرى واحذروا الفتنة»، أي لا تواصل وتجدد النظر فإنك ستقع في الفتنة، لا تنظر إلا إلى ما ينفعك ويخدمك أو ما يساعد على معرفة ورقي في القرب من الله سبحانه وتعالى.

جواز المعالجة لدى الرجال

أيضاً عن الإمام الصادق صلوات الله عليه، عن أبيه عن علي صلوات الله عليهم، في المرأة يموت في بطنها الولد، فيتخوف عليها، فكما تعلمون أن أخطر الحالات حينما يموت الجنين في رحم أمه، وهنا تحتاج إلى عملية خاصة لاستخراج الجنين الميت، وهذه عملية في ذلك الحين كان من الصعب أن تقوم بها القابلة من النساء اللاتي يقمن بعملية الولادة، فكانت المرأة تحتاج إلى رجل يتدخل ليخرج الجنين الميت، إذ يتخوف عليها لأن بقاء الجنين

١٦٧. بحار الأنوار ج ١٠ - ص ١٠٧

١٦٨. المصدر السابق، ص ١١٠

سيعرضها إلى المخاطر، وهنا سيطلع الرجل على جوانب من المرأة، فلذلك جاء السؤال، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا بأس أن يدخل الرجل يده فيقطعه ويخرجه إذا لم ترفق به النساء»^(١٦٩)، فإذا كانت امرأة تستطيع أن تقوم بهذه العملية فلا يجوز ذلك للرجل.

وهذه قاعدة عامة، فالمرأة تمرض وليس من الصحيح أن تذهب إلى الطبيب الرجل. نعم، بعض الأمراض لا تحتاج إلى أن يطلع الرجل على ما هو محرم، وهذا ليس فيه ضير، كما لو كانت المرأة مصابة بالأنفلونزا، لكن الأمراض التي تحتاج إلى فحص وتحتاج إلى رؤية وإطلاع على مكان المرض خارج المواقع المسموح بالنظر إليها كالوجه والكفين والقدمين، فكما أشرنا هنا يجب أن نرى إذا كانت هناك طبيبة تستطيع أن تقوم بعملية العلاج، ومع توفر الطبيبة فلا يجوز أن تذهب إلى الطبيب ويطلع على ما هو المحرم منها.

الاضطرار على قدر الحاجة

ومع الأسف فضمن الأعراف الدارجة أن الطبيب المحرم من حقه أن يطلع على كل شيء للمرأة، وهذا لا يجوز إذا كانت الطبيبة قادرة على أن تقوم بالعلاج نفسه، كما لا يجوز أن يطلع الطبيب إلا على قدر الحاجة، فإذا كان هناك جرح في مكان ما لا يصح أن يطلب منها أن تفتح كل يدها إلا بمقدار الجرح، وهذه الاعتبارات مع الأسف في مجتمعاتنا لا تلحظ كثيرا، ونرى أن أبسط العمليات مع توفر الطبيبات وكثرة الطبيبات لا تحبذ النساء إجراؤها إلا لدى الطبيب بحجة أنها لا تطمئن إلى نتائج العملية، مع كثرة وجود الطبيبات الحاذقات، فهناك إذن نوع من التساهل في هذه الأمور.

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: «سألته عن المرأة المسلمة يصيبها البلاء في جسدها إما كسر أو جراح في مكان لا يصلح النظر إليه ويكون الرجال أرفق بعلاجه من النساء، أيصلح له أن ينظر إليها؟ قال: إذا اضطرت إليه فيعالجها إن شاءت.»^(١٧٠). إذن فالمعيار هو الاضطرار، فإذا

١٦٩ . الكافي ج٣-ص ٢٠٦

١٧٠ . الكافي ج٥-ص ٥٣٤

كانت المريضة مضطرة إلى عرض نفسها على الطبيب فلا مانع من ذلك بقدر الضرورة وليس أكثر من ذلك.

الحجاب ملكة نفسية

عن أم سلمة قالت: «كنت عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعميا وان أنتما، أستمأ تبصرانه»^(١٧١). ماذا يعني ذلك؟ يعني أن الحجاب ملكة نفسية وحالة من الستر والعفة. والمرأة عندما تشعر أنها مكشوفة الحجاب أمام رجل حتى لو كان لا ينظر إليها، فهذه الحالة تتقاطع وتتنافى مع العفة المطلوبة ومع تلك الملكة النفسية والحصانات التي يجب أن تتحول إلى حالة أخلاقية في داخل المرأة. انظروا كم هي دقيقة هذه الأمور وكم يحسب الإسلام حسابا لمثل هذه الخطوات، حتى يكون أداء الإنسان في حركاته وسكناته كلها يدفعه إلى مزيد من التمسك بالقيم والآداب والسنن، وتتوافر مكارم الأخلاق عند الإنسان في حركته.

عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: «من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله عز وجل من الحور»^(١٧٢). صلوا على محمد وآل محمد، اللهم صل على محمد وآل محمد. الله سبحانه وتعالى كريم ومنان ومعطاء، وليس كثيرا على العبد حينما يمسك نفسه ويسيطر على أعصابه وحينما يقوي إرادته أن تحصل مثل هذه العطايا الإلهية.

الآثار والتبعات

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من ملأ عينيه حراما يحشوها الله يوم القيامة مسامير من نار، ثم حشاها نارا إلى أن يقوم الناس، ثم يؤمر به إلى النار»^(١٧٣)، وهذا ابتلاء كبير، فمن يملأ عينيه والعياذ بالله من الحرام يمر بمثل هذا الموقف العصيب؛ فهو لا يعبر إلى النار مباشرة بل ينال جزاءه في المحشر

١٧١. مكارم الأخلاق للطبرسي، ص ٢٣٣

١٧٢. مستدرک البحار ج ١٠ - ص ٨٦

١٧٣. بحار الأنوار ج ١٠١ - ص ٣٧

وأمام الناس ، وهذا عذاب إضافي حيث يفتضح أمام العباد جميعا ، قديما كانوا إذا أرادوا أن يعاقبوا أحدا يحلقون رأسه ويربطونه ويسيروا به في الأسواق ، وهذا التشهير بحد ذاته عقوبة كبيرة بمعزل عن السجن والمسائل الأخرى ، وهذا حال الذي يملأ عينيه حراما يوم القيامة .

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من اطلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيء من جسدها كان حقا على الله أن يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتبعون عورات النساء في الدنيا، ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ، وييدي للناس عورته في الآخرة ، ومن ملأ عينيه من امرأة حراما حشاهما الله يوم القيامة بمسامير من نار ، وحشاهما نارا حتى يقضي بين الناس ، ثم يؤمر به إلى النار»^(١٧٤) . أعوذ بالله ، فالبعض يمارس مثل هذا التلصص ، وهناك عقوبة وأثر دنيوي أيضاً قبل الآخرة ، فلا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله فيكشف سوء عمله ، ومثل ما سبق القول ، ثمة استعراض في ساحة المحشر قبل أن يُلقى في النار ، إذن فخزي وعار في الدنيا وخزي وعار في الآخرة .

انظروا كم هي تأثيرات النظر المحرم ، وكم له من وقع وعذاب أليم وشديد وضعه الله سبحانه وتعالى ، وهو الرؤوف بعباده ، وهذا يكشف عن حجم المعصية وعظمتها ، أحيانا قد نقلل من قيمة المعاصي ثم نكرر الوقوع فيها والعياذ بالله . وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركه خوفا من الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه»^(١٧٥) ، فالنظر سهم مسموم ، وهو أشد أنواع السهام عندما يضعون فيه السم ثم يصيب الإنسان فينتشر في عموم البدن .

«أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه» ، تكلمنا في الليالي الماضية عن القلب حينما يفتتح على الله سبحانه ، وحينما يستقطب الأنوار الإلهية وحينما يأنس ويشعر بحلاوة ذكر الله سبحانه وتعالى ، ويشعر بلذة ما فوقها لذة ، لأن اللذات المادية عابرة ، فمن ينظر إلى الحرام قد يشعر باللذة أثناء النظر ثم تنتهي هذه اللذة بانتهاه نظره ، ولكن اللذة المعنوية ليست كذلك ؛ فيستشعرها الإنسان في أعماق وجوده ، فأحيانا يعمل عملا صالحا ويقوم بعبادة وتوجه فيتترك ذلك

١٧٤ . وسائل الشيعة ج ٢٠ - ص ١٩٤

١٧٥ . بحار الأنوار ج ١٠١ - ص ٣٨

أثرا عميقا في نفسه ويبقى لأيام يشعر بحلاوتها، وكلما يتذكرها يزداد أنسا بها ورغبة فيها وسعادة وفرحا بهذا العمل الذي قام به وضميره مرتاح، على خلاف اللذة المحرمة، إذ كلما يتذكرها يشعر بتأنيب الضمير والندامة والألم والوقوع النفسي الكبير، ترون النظرة الواحدة حينما يمسك عنها الإنسان ما التأثير في قلبه ومعنوياته، وما هي السعادة المفعمة التي يستشعرها في أعماق وجوده؟.

التهاون مع الخطوة الأولى

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لكل عضو من ابن ادم حظ من الزنا، فالعين زناها النظر واللسان زناه الكلام والأذنان زاهما السمع واليدان زاهما البطش والرجلان زاهما المشي والفرج يصدق ذلك ويكذب»^(١٧٦). رسول الله يقول إن لكل عضو زنا خاصا به، فالعين حينما تنظر إلى الحرام فهذا زنا العين، والأذن حينما تسمع الحرام فهذا زنا الأذن، واللسان حينما ينطق بالحرام فهذا زنا اللسان، واليد لها زنا والرجل لها زنا، فلا تختزل هذه الموبقة الكبرى بممارسة معينة، بل إن كل الأعضاء من الممكن أن تقع في الزنا والعياذ بالله، وهذا هو التتويج، نظرة فابتسامه فكلمة إلى آخره.

والحرام يبدأ من زاوية بسيطة، والانحرافات دائما تبدأ من خطوة، ولا تقف عند ألف خطوة، انظروا إلى عملية تعذيب الإنسان كم هي قبيحة ومزعجة، إذا سمع أحدنا صوتا لإنسان يتألم فقد لا يستطيع النوم ليوم ويومين وهذه طبيعة البشر، لكن هؤلاء الذين تعودوا على تعذيب الناس في زنازين الأنظمة الدكتاتورية وما شابه ذلك، يبدوون بالتعود شيئا فشيئا، ثم يبدأ التلذذ وبعد ذلك لا يستطيع هؤلاء النوم إلا بعد سماع صراخ الناس وهم يتألمون.

من آداب العشرة

قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا رسول الله أمني أستأذن عليها؟ قال: نعم، قال: ولم يا رسول الله؟ قال أيسرك أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال: فاستأذن»^(١٧٧). بطبيعة الحال هذا درس لنا، فعلي بن أبي طالب يعرف تكليفه، وها نحن اليوم نجلس لتتعلم من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله. وهذا لا يشمل الأم، بل يشمل كل

١٧٦ . بحار الأنوار ج ١٠١ - ص ٣٨

١٧٧ . بحار الأنوار ج ١٠١ - ص ٣٨

المحارم، فكونها محرما لا يعني أن تدخل بلا استئذان فقد تكون في حالة ما، لا يروق لك أن تنظر إليها في تلك الحالة، انظروا الدقة في هذه الأمور قبل أن تدخل إلى بيتك اطرق الباب وقل يا الله، فقد يكون هناك ضيف عند زوجتك أو أنها في حالة معينة، وهكذا لأختك وأمك ولخالتك ولمحارمك، فعلى الإنسان ألا يدخل على أحد إلا أن يطرق ويستأذن، وهذه من آداب العشرة والتعامل، وهي قضية مهمة جدا.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَبِلَ أَحَدُكُمْ ذَاتَ مُحْرَمٍ قَدْ حَاضَتْ: أخته أو عمته أو خالته، فليقبل بين عينيها ورأسها، وليكف عن خدها وعن فيها»^(١٧٨)، وحاضت يعني أنها بلغت ووصلت إلى مرحلة البلوغ وصار عمرها ٩-١٠ سنوات، فإذا كنت تريد أن تقبلها، فقبلها بين عينيها أو رأسها، وليس في خدها وفمها، وهناك عادة غريبة بين الكبار في بعض الأوساط، حيث يقبلون بعضهم البعض من الفم، وهذه لا تجوز إلا في العلاقات الزوجية الخاصة، حتى الخدين يقال لا تقبل أختك أو أمك إلى آخره إلا في رأسها وجبينها، انظروا قمة الأدب في الإسلام ومراعاة الحدود، هي قبله بريئة لكن هي تربية في كيفية التعامل مع الآخرين.

نظرة الزوجة إلى الأجنبي

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشتد غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير ذي محرم منها، فإنها إن فعلت ذلك أحبط الله عز وجل كل عمل عملته، فإن أوطأت فراشه غيره كان حقا على الله أن يحرقها بالنار بعد أن يعذبها في قبرها»^(١٧٩). أحيانا نجد في غرفة الزوجة أو البنات صوراً لنجوم رياضيين أو ممثلين، وهذا الأمر لا يجوز، فالمرأة المتزوجة لا يجب أن تطيل النظر إلى الرجال، فقد تكون هذه النظرة بريئة ولكن في لحظة ما يقع في روعها شيء، فيجب مراعاة الآداب الشرعية لاحتمال أن يحدث في بالها أمر غير سليم، حتى وإن كان الخوف بنسبة واحد بالألف في نظرة من هذه النظرات أن تتحرك مشاعر معينة، تفسد عليها دينها وتعرضها إلى مخاطر عديدة، فيشتد غضب الله

١٧٨ . بحار الأنوار ج٣ -٧٣ ص ٤٢

١٧٩ . وسائل الشيعة ج٢٠ -٢٣٢ ص

على امرأة ذات بعل تملأ عينها من الرجل الأجنبي، وليس فقط الأجنبي بل أي رجل آخر، فالنظرات الخاصة هي بين الزوج وزوجته.

وأقولها بصراحة؛ إن الحديث في هذه الأمور يبدو لدينا غير مألوف، وعندما نقرأ الروايات نرى أن رجالاً ونساء كانوا يسألون رسول الله عن أشياء قد نخجل من قراءتها اليوم، فبعض الروايات حين أجدها أنا عمار خادمكم لا استطيع أن أتكلم بها، أراها صعبة ولكن الناس كانوا يطرحونها على رسول الله والأئمة الأطهار يتداولون في هذه الأمور، وليس عيباً أن نتحدث في هذه الخصوصيات، وأن نعرف هذه الحدود، بل العيب أن نتجاهلها فيقع بعض شبابنا وشاباتنا في المحذور لعدم معرفتهم، فنحن نحتاج إلى ثقافة العلاقات العامة، ثقافة العشرة مع المحرم وغير المحرم، ثقافة العلاقة بين الزوج وزوجته.

وأقولها؛ يا أزواج إن المرأة التي تملأ عينها من غير زوجها، صحيح أن اللعنة تطولها، ولكن اللعنة قد تتوجه إليك أيضاً، ذلك لأنك لم تعطيها المشاعر الكافية وجعلتها تتوجه بالنظر إلى الآخر، فعلى الزوج أن يقوم بواجبه بالكامل تجاه زوجته، وأنت أيتها الزوجة إذا وقع زوجك في الحرام ونظر إلى الحرام فهذا يعني أنه لم يرَ ما يكفيه لتلبية مشاعره واحتياجاته الإنسانية الكاملة منك، ولهذا ذهب إلى غيرك، فإذا نتحمل الزوجة جزءاً من المسؤولية في الحفاظ على زوجها والزوج يتحمل قسطاً مهماً من المسؤولية في الحفاظ على زوجته، فلا يجوز تركها وإهمالها، والحقيقة أن النساء في مجتمعاتنا يتعرضن إلى المظلومية والتجاهل، وهذه الأبعاد الإنسانية لا نعطيها أحياناً الحق الكافي، وهذه مسألة يجب أن تأخذ القسط الكافي من الاهتمام من قبلنا.

عاقبة النية الحسنة

عن زرعة بن محمد قال: «كان رجل بالمدينة وكانت له جارية نفيسة فوَقعت في قلب رجل وأعجب بها، فشكا ذلك إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: تعرض لرؤيتها، فكلما رأيتها فقل «اسأل الله من فضله»، ففعل فما لبث إلا يسيراً حتى عرض لوليها سفر فجاء إلى الرجل فقال: يا فلان أنت جاري وأوثق الناس عندي، وقد عرض لي سفر، وأنا أحب أن أودعك جاريته تكون عندي. فقال الرجل: ليس لي امرأة، ولا معي في منزلي امرأة، وكيف تكون جاريته عندي؟ فقال: أقومها عليك بالثمن، وتضمنه لي وتكون عندي، فإذا أنا قدمت فبعنيها

أشترتها، وإن نلت منها نلت ما يحل لك، ففعل وغلظ عليه بالثمن، وخرج الرجل فمكثت عنده، ما شاء الله حتى قضى وطره منها، ثم قدم رسول لبعض خلفاء بني أمية يشتري له جوارى، وكانت هي في من سمي أن تشتري فبعث الوالي إليه فقال له: بع جارية فلان، قال: فلان غائب. فقهره إلى بيعها وأعطاه الثمن ما كان فيه ربح، فلما أخذت الجارية وأخرج بها من المدينة قدم مولاها، فأول شيء سأله عن الجارية كيف هي؟ فأخبره بخبرها وأخرج إليه المال كله الذي قومه عليه، والذي ربح فقال: هذا ثمنها فخذ فأبى الرجل وقال: لا آخذ إلا ما قومه عليك، وما كان من فضل فخذ لك هنيئاً، فصنع الله له بحسن نيته^(١٨٠).

إذن فقد رزقه الله سبحانه وتعالى نتيجة عمله بتوصية الإمام الصادق سلام الله عليه، فنال من الجارية ما كان يريد، ثم أنها بيعت وربح منها، وانتهت القصة بهذا الشكل، فصنع الله له بحسن نيته، لتكن نيتك حسنة وسترى كيف يسهل الله لك الأمور، وللحديث صلة تأتي تباعاً. . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية التاسعة- بتاريخ ٢٠١٢/٨/٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

رمضان شهر التحدي والمواجهة

السادة الأفاضل ، الإخوة الأكارم ، الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأعزيكم باستشهاد كوكبة من أبناء شعبنا راحوا ضحية عمل غادر في هذا اليوم ، وتمر علينا هذه الأيام الشريفة الكريمة ، ونحن في ضيافة الله سبحانه وتعالى ، ويتعرض أبناء شعبنا إلى المزيد من التحديات ومن الأخطار الأمنية والإشكالات الخدمية ، وهذا ما يجعل الصيام وضيافة الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر لهما طعم خاص .

في شهر رمضان وقعت الغزوات الكبرى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فشهر رمضان هو شهر التصدي والتحدي والمواجهة ، وتحمل الأعباء . ولكن القلب يتقطع والمشاعر تتحرك والإنسان يحزن نتيجة هذه الأوضاع التي تلم بأبناء شعبنا ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح هذه الأمور ويعين السادة المسؤولين والقيادات الأمنية على وضع حد لنزيف الدم ، ويتألم الإنسان حينما يجد أن نفس الطريقة تستخدم أكثر من مرة ولا تعظ ولا تتخذ الإجراءات الكفيلة بمعالجة مثل هذه الاختراقات الأمنية ، في وضح النهار وفي قلب بغداد ، حيث يأتي عدد من الإرهابيين ويحتل موقعا أمنيا خطيرا ومهما ، أو يدخلون فيه ، وهذه في الحقيقة تنطوي على تحدٍ كبير للواقع العراقي وللمؤسسة الأمنية بشكل عام ، وتتمنى أن يوضع حد لمثل هذه الاختراقات ولنزيف الدم المستمر .

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا عن رسالة الحقوق لسيدنا وإمامنا علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه ، ، وكنا نتحدث عن الحق الخامس من هذه الحقوق وهو حق البصر ، وقلنا إن الإمام السجاد يشير إلى ثلاث حقائق بهذه العبارة الكريمة .

الحقائق الثلاث

الحقيقة الأولى ترتبط بما لا يجوز النظر إليه ، والحقيقة الثانية ترتبط بموضوع الاعتبار ، وأن تكون النظرة نظرة اعتبار ، عندما ينظر الإنسان نظرة الأشعة ، وليس الصورة الفوتوغرافية ، أن يقرأ ما وراء الحدث وما بين السطور فيتحول البصر إلى بصيرة فتكون رؤيته رؤية عميقة .

والحقيقة الثالثة ، كيف يتحول هذا البصر إلى رافد من روافد المعرفة والعلم ، فيزيد الإنسان كمالاً ، ومازلنا منذ عدة ليال نتحدث في الحقيقة الأولى ، وقد بقيت بعض الروايات التي لم نستعرضها في لقائنا السابق .

غض البصر عن المحرمات

في ما يخص هذا الموضوع (غض البصر) ، فقد ورد عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : «ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغض البصر فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»^(١٨١) ، إذا كنت تريد أن تعتصم وتستند إلى جبل ولا يبقى ظهرك مكشوفاً فاعتصم بغض البصر ، قد تشاهد لقطة مثيرة في التلفاز أو في الشارع أو في مكان عام ، كأن تكون امرأة حسناء أو أي شيء آخر يثير الاهتمام ويحرك المشاعر ويحاكي الغريزة الإنسانية مما تنظر إليه الناس وتلتف حوله ، من باب الحرية الشخصية كما يقولون ، ولكن لماذا يوجد إنسان ، وهو الآخر لديه مشاعر وغريزة ، لا ينظر إلى مثل هذه المشاهد المحرمة ؟ . هذا الإنسان انفتح قلبه على شيء كبير ، واستطاع أن يشاهد بقلبه مقام العظمة الإلهية لارتباطه بالله تعالى ، وهو يرى أن هذه النظرة تقلل من قيمته فلا ينظر الكبير إلى الصغائر .

أما الشخص صاحب النفس الضعيفة فيهتز ويضعف أمام هذه المشاهد، فتراه يتسمر ويطيل النظر إليها. فكلما تقوى نفسك وترى عظمة الباري تقف عند جلال الله سبحانه وتعالى، لذلك فكل من هو مُبتلى بالنظر إلى حرام فهذا يعني أنه لم يعمل على نفسه بالقدر الكافي وهذا مؤشر خطير، فما دمت تضعف أمام النظرة المحرمة، فهذا يعني أنك بحاجة إلى مزيد من العمل في تربية النفس وتركيبتها، وأنت لم تعرف ربك بعد، وليس لك أن تقول إنك متدين ملتزم وتعرف الله، فما دمت ترى وتلتذ بالصغائر، فهذا يعني أنك لم تعرف قيمة للأشياء الكبيرة، وتحتاج إلى أن تعمل أكثر على نفسك.

سُئل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين سلام الله عليه وعلى آله: «بما يستعان على غض البصر؟ فقال: بالخمود تحت سلطان المطلع على سترك، والعين جاسوس القلب وبريد العقل، فغض بصرك عما لا يليق بدينك ويكرهه قلبك وينكره عقلك»^(١٨٢)، لا تستطيع أن تخالف وأنت ترى شرطي المرور، لأن الغرامة ستقع عليك، فكيف إذا كان الله سبحانه وتعالى هو السلطان المطلع؟ تذكر أنه يراك ويسجلها عليك. أحد المسؤولين في الدولة العراقية اليوم يُقدّم إلى محاكمة، وقد نشرت وسائل الإعلام أن هذا المسؤول كان يضع كاميرا يصوّر من خلالها الضيوف الذين يأتون إليه، للحاجة إليها مستقبلاً، ولو كان الضيوف الذين يزورونه يعلمون بأنه يضع كاميرات لتصويرهم فمن المؤكد أنهم يغيرون كلامهم ويرتّبون أوضاعهم بشكل أفضل، وسيهتمون بالكثير من التفاصيل تبعاً لذلك، فلا يتكلمون كما يريدون، والسياسي على الهواء لا يتكلم الكلام الذي يتكلم به خلف الأبواب المغلقة.

«بالخمود تحت سلطان المطلع على سترك»، إذا صار لديك هذا الشعور، فستعتبر نفسك على الهواء، وهناك القنوات التي تبحث عن العثرات، فتتصرف كما لو كنت واحداً من هؤلاء السياسيين الذي يكونون في غاية الحذر كي لا تؤخذ لهم صورة معينة في وضع غير مناسب أو تسجل عليهم كلمة غير مناسبة، فإذا جزم كل واحد منا بأن الله هو السلطان الناظر المطلع عليه الذي يسجل هذه النظرة، فلن يقدم على اقترافها، ولا مجال هنا لادعاء أنها نظرة بريئة ولو جئت بألف دليل بأن هذه النظرة لها أسباب أخرى.

تبريرات واهية

يبرر البعض نظره المحرم بأنه يود أن يرى إلى أين وصل الفسق والفجور، والحقيقة أن كل هذه من تدليس الشيطان، وبالمثل ادعاء أن هذه النظرة لأجل أن ازداد معرفةً بوسائل التضليل لكي أتخذ إن شاء الله الإجراءات المناسبة! والواقع أن نفسك ضعيفة وتريد أن تنظر حتى تستأنس بما تراه من مشاهد محرمة، فتكلم الحقيقة لأنك في قرارة نفسك تعرف ما هي الحقيقة؛ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^(١٨٣). من الممكن أن تقنعني ولكنك تعلم بأن ما تقوله غير صحيح، وأن الدوافع كانت شيئاً آخر، والله سبحانه وتعالى مطلع والملائكة سجلت تلك النظرة المحرمة في سجل سيئاتك.

إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول؛ إذا ما أردت أن تسيطر على أعصابك وتقف أمام النظرة المحرمة بما فيها من لذة فعليك أن تستحضر حقيقة اطلاع الله تعالى ومعرفته بما تفعل، كاميرا السماء تلتقط هذه الصور وتحفظها لك وتعرضها عليك يوم المحشر، «والعين جاسوس القلب»، ومثل ما قلنا؛ إن هناك مدخلات للقلب، والسمع والعين، كل واحدة هي من مداخل القلب، فالقلب يأخذ معلوماته من العين والبصر كواحدة من المدخلات، «وبريد العقل» ماذا تفكر وما هي خطراتك القلبية والأجواء الروحية التي تعيشها؟ كلها ستعكس على نظراتك وفي ما ترى وما تسمع، إذن ما يريده القلب أحياناً يظهر في العين، وما تلتقطه العين أيضاً يسجل في القلب، كما هو الحال في جهاز تخطيط القلب، فمن خلال الحركة يسجل على الورقة نشاط القلب، فإذا كانت الحركة غير منتظمة سيعرف الطبيب من خلال الورقة أن هناك مشكلة، وإن كانت منتظمة يعني أنه سليم.

«فغض بصرك عما لا يليق بدينك»، الشيء الذي لا ينسجم مع قيمك الدينية والتزاماتك أغمض عينك عنه، «ويكرهه قلبك»، فالقلب السليم على الفطرة لا يرتضي النظر إلى الحرام، قد يضعف الإنسان المؤمن في لحظة ما وينظر إلى حرام لكن سرعان ما يندم على فعل الحرام، «وينكره عقلك»، أي لا تنظر إلى الشيء الذي حين تزن الأمور بعقلك لا تقر بالنظر إليه مهما كانت المغريات كبيرة.

ثلاثة معايير

إذن المعايير ثلاثة: -

أولاً: القيم الدينية المسيطرة.

ثانياً: سلامة القلب.

ثالثاً: العقل، انظر إلى عقلك ماذا يقول، إن أغلب المجرمين عند القبض عليهم يقرون في التحقيق أنهم أخطأوا، وأن الدافع هو الحصول على المال، وعلى أية حال، لماذا هذه التبريرات؟.

الارتقاء المعنوي

إن هذه معايير مهمة وهي تخصك ولا تخص الآخرين، وهي بمثابة فلترات طبيعية وضعها لك الله سبحانه، وتستطيع من خلالها أن تشخص وتكتشف الصحيح من الخطأ. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «غضوا أبصاركم تروا العجائب»^(١٨٤)، هل تريد أن ترى العجائب؟ أن تنفتح على عوالم أخرى؟ أن يطلعك الله على بعض الحقائق التي لا يُطلع الآخرين عليها؟ غض بصرك كي تصبح لديك طهارة قلب وسمو وحينها تبدأ برؤية أشياء لا يراها الآخرون، وتشعر بأمور لا يشعر بها غيرك، ذلك لأن هذا القلب كلما كان أكثر طهارة ونقاء انسلخ الإنسان من هذه القيود والأغلال المادية وانطلق في عالم الروح والمعنى ليكتشف حقائق الأمور. واليوم عندما ننظر إلى سلوك أطفالنا يتشاجرون على أشياء بسيطة ننظر إليهم باستغراب، مع أننا كنا نفعل الشيء ذاته حين كنا في أعمارهم، لأننا بعد أن كبرنا اكتشفنا الحقيقة ولكنهم لم يروها بعد.

إن النظر إلى الحرام يجعلك غارقاً في الماديات، ولكن حين تغض النظر ستصبح كبيراً في نفسك وتبدأ بالصعود والارتقاء المعنوي، وستطلع على عالم أكبر وأوسع وتظهر لك العجائب التي يذكرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. وعن صفوان الجمال قال: قلت لأبي عبد الله الصادق سلام الله عليه - وكان من أصحابه، وكان جمالا كما في لقبه، لديه شركة مواصلات للنقل في عصره - قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بابي أنت وأمي تأتيني المرأة المسلمة قد عرفنتني بعلمي وعرفتها

بإسلامها، وحبها إياكم وولايتها لكم وليس لها محرم، قال: فإذا جاءتك المرأة المسلمة فاحملها فإن المؤمن محرم المؤمنة، وتلا هذه الآية: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)»^(١٨٥).

من الأمور التي نلاحظها في مجتمعنا أن المرأة حين تركب سيارة التاكسي يخوض معها السائق حديثا ودردشة، وهذه لها عواقب وخيمة فقد تنتهي إلى نهايات محرمة، كذلك تبدو لدينا ظاهرة التحرش في السيارات، وتصلني شكاوى من أخوات مؤمنات يقلن إنهن يتعرضن إلى التحرش والمضايقات في الكيات، أيها الشاب تصور أن الجالسة بقربك أختك، هل تقبل مثل هذا التحرش والمضايقة لها؟، طبعاً لا تقبل، إذن تعاملوا مع أعراض الناس كما تتمنون أن يتعامل الآخرون مع أعراضكم، كيف تريد من الآخر أن يتعامل مع أختك وابتك وأمك، فعليك أن تتصرف مع بنات الناس بالطريقة نفسها التي تود أن يتصرف الآخرون بها مع أختك أو زوجتك، ارحموا ترحموا، احتاطوا والآخرون سوف يحتاطون في التعامل معكم، وهكذا هي الدنيا، كما تدين تدان، هل تعتقد بأن عرضك بحصانة كاملة فيما يمكنك التجاوز على أعراض الناس لا سمح الله؟!.

مسؤولية الطرفين

وكما ترون فإن هذه المعايير التي ترد في الرواية لا تقع على طرف، فيجوز أنك لا تملك نية سيئة ولكنها تقود إلى نتيجة غير متوقعة نتيجة لمظهرها وطريقتها في التصرف، وهناك شكاوى سيدات غير ملتزمات من التحرش بهن، أختي الكريمة عندما تخرجين بهذه الطريقة كاشفة عن نفسك ومتزينة فماذا تتوقعين؟ فحتى من لا يملك النية السيئة فهو عندما يراك ستضعف نفسه، وأنت بهذا أختي الكريمة تدفعين الشباب والرجال إلى أن ينظروا إليك نظرة غير بريئة، وقد تحدثنا بهذا في رواية سابقة، جلباب الستر هو المدخل لضمان الحرية الشخصية ومنع الاعتداء عليك يا أختي الكريمة، وهنا لا نفرض عليك شيئاً لكن نريد ألا يساء لكرامتك، إن النسب التي تذكر في العالم كله وليس في العراق عن التحرش بالنساء نسب كبيرة جداً، ولا سيما في أماكن العمل والجامعات والدوائر وما إلى ذلك، وعندما نتساءل لماذا التحرش؟ نرى أن جزءاً منه تتحمل مسؤوليته المرأة وجزءاً آخر يتحمله الرجل ضعيف النفس.

وحين ندقق في هذه الأمور نكون قد وضعنا الحصانات والضمانات لتسير الأمور بشكل صحيح ، وهذه الرواية التي ذكرناها عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يوجد مثلها العديد من الروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ستأتي تباعاً ، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الرمضانية العاشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم الأخوات الفاضلات . . بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى قبول الأعمال في هذه الأيام الشريفة والليالي المباركة من شهر رمضان.

انتقلنا إلى العشر الثانية ونقترب من الليالي العظيمة في هذا الشهر، لهذا أوصي نفسي وأوصي أحبتي والإخوة والأخوات بمزيد من الالتفات إلى أهمية هذه الليالي والأيام، واستثمارها بشكل صحيح والتزود للأخرة في أجواء الضيافة الإلهية.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا حول نظرية الحقوق في رؤية الإسلام، كما يذكرها إمامنا وسيدنا علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه، في رسالته الشهيرة «رسالة الحقوق». وقد قلنا إن هذه الكلمات الكريمة لإمامنا السجاد تشير إلى ثلاث حقائق :-

الحقيقة الأولى: الأمور التي يجب غض البصر عنها، وقد تحدثنا في ليال عدة عن هذا الموضوع.

والحقيقة الثانية: هي عن طبيعة الاعتبار، وكيف أحول نظرتي إلى نظرة

اعتبار وتصبح نظرة عميقة ونظرة خارقة للشكليات وللظواهر، وعبرنا عنها في ليال ماضية أنها كالأشعة وهي أيضا صورة، لكن الصورة الفوتوغرافية تنظر إلى الشكل والأشعة لا تقف عند الشكليات، بل تذهب إلى العمق وترى عظمك هل هو سالم أو أن هناك مشكلة.

في طبيعة الاعتبار وكيفية

هناك اهتمام كبير في هذا الموضوع في القرآن الكريم والنصوص الواردة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وعن أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهي نصوص تشير إلى هذه النظرة، نظرة الاعتبار، وأهمية أن يكون الإنسان في موقع الاعتبار، يجب ألا تمر عليك هذه الدنيا مرور الكرام، ففي طريقك من البيت إلى الجامعة أو الدائرة، وقد تمضي وقتا طويلا نتيجة الزحام، بإمكانك أن تحوّل النظرة العابرة للمشاهد المتكررة يوميا أمامك إلى نظرة واعية، حيث يمكنك أن تفكر وتتأمل وترى كيف تسير هذه الحياة، فإذا رأيت شخصا أصيب في الشارع لا سمح الله بحادث سيارة أو غيرها فيمكنك أن تأخذ العبرة بأن الإنسان على قدر كبير من الضعف وهو معرض للخطر في أية لحظة، يمكن أن ترى أيضا شيئا كبيرا يتوكأ على عصاه وهو يريد عبور الشارع، أو رجلا بصيرا حرمه الله سبحانه من نعمة البصر، لك أن تعتبر منه وتشكر مبلغ النعمة الإلهية التي جعلتك تبصر ما حولك، والكثير من هذه اللقطات التي من الممكن أن تتحول إلى دروس في الحياة ومجال للاعتبار.

لاحظوا هذه الآية من سورة البقرة التي تتحدث عن ظاهرة الخمر أعادنا الله منها جميعا، وقد كان العرب من قبل يتعاطونها قبل أن يتم تحريمها تدريجيا، فالله تعالى في هذه الآيات يشير إلى أن الخمر فيها بعض المنافع ولكن مضارها أكبر من نفعها، ولذلك يجب أن ينظر الإنسان دائما إلى القضايا بطريقة غير انتقائية فيأخذ منها ما يريد فقط، فالنظرة هي الأخرى فيها إيجابيات وسلبيات، ولكن يجب أن ترى المحصلة النهائية والتقييم الإجمالي للظاهرة، هل تخدم أو لا تخدم؟. فحتى الخمر كما يقول القرآن فيها بعض الإيجابيات ولكن ضررها أكبر من نفعها، وعندما تنظر لهذه الظاهرة في المجمع تراها مضرّة لذلك حرمها الله سبحانه وتعالى وهذه هي النظرة الواعية، يقول تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مَن نَّفَعَهُمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٨٦).

«كذلك يبين الله لكم الآيات»، بعد ما ذكر أن للخمر مضار أكثر من منافعها لذلك حُرِّمَتْ تأتي الآية لتشرح لك أن شرب هذه الخمر ليس في مصلحتك، «لعلكم تتفكرون»، عسى أن تفكر وتتدبر وتعمق لتعرف أين هي مصلحتك وتأخذ القرار الصحيح، ولا تغرك بعض الإيجابيات وبعض الفوائد الآنية التي تراها في الخمر أو في مواضع من هذا النوع، بل انظر إلى المحصلة النهائية والضرر الكبير في هذه الممارسة.

التفكير والتدبر

«لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة»، هذا الفكر والرؤية تفيدك في اتخاذ القرار الصحيح، وتحظى بسعادة الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى عندما يحرم شيئاً إنما يريد بذلك لنا الخير، والله يريد لنا الصلاح والكمال، فهو سبحانه رؤوف بعباده لطيف بهم، وما دام الله تعالى حرم شيئاً فلا بد من أن فيه ضرراً لنا ويجب عدم التخلف عن هذه الرؤية الإلهية وألا تقع في المطبات، من هو الذي يعرف ويشخص ويتخذ القرار الصحيح؟، «لعلكم تتفكرون»، هو الذي يفكر ويتعمق ويتدبر، لنكن من أهل البصائر، ولنكن ممن لا يقف عند الظواهر ولا يسير مغمض العينين، بل يتأمل بشكل جيد، وهذه هي الخطوة صحيحة، وهكذا يعلمنا القرآن الكريم، وهذه ثقافة الإسلام، العمق والتدبر والتأمل، فلا بد من أن تتفحص القضية وتتأملها بعقلك ثم اتخذ القرار.

أولو الأبواب والأبصار

في سورة البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَبْصَارِ﴾ (١٨٧)، ليس سهلاً أن يكون الإنسان حكيماً، ويتروى في معالجة الأمور ويدقق في القضايا، وهذه نعمة من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، أن يتعامل وينظر بحكمة

١٨٦ . سورة البقرة : الآية ٢١٩

١٨٧ . سورة البقرة : الآية ٢٦٩

إلى الأمور ولا يَغْتَرَّ ولا يتخذ القرارات السريعة، ثم يقول جل من قائل: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، اللب هو العقل، ولا يتذكر ويعتبر ويستفيد إلا الذي لديه لب وعنده عقل، وأصحاب العقول ينظرون بحكمة إلى الأمور فيعتبرون منها حتى لو سقط مرة، «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»^(١٨٨).

في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١٨٩)، عبرة لمن؟ الجواب لأولي الأبصار، وهم الذين يرون بالبصيرة وليس البصر، فهم أصحاب البصائر، أصحاب النظرة العميقة، ولعل هذه الآية الشريفة تشير إلى معركة بدر، ففي معركة بدر كان المشركون على ما تذكر الروايات ثلاثة أضعاف المسلمين وليس هناك تكافؤ في القوى، لكن الله سبحانه وتعالى أظهر المسلمين على أنهم ضعف المشركين في عيونهم، انضباطهم وتماسكهم ووحدتهم والتزامهم بالخطة التي وضعها قائد المعركة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جعلت المشركين يرون المسلمين من حيث العدد ضعفا، ليس هناك من يحسب، بل كان ثمة انتشار صحيح ومنظم، فيبدو العشرة وكأنهم عشرون أو ثلاثون أو خمسون.

البعض قالوا إن الله جعل المسلمين يرون المشركين أقل من عددهم الحقيقي بضعفين؛ كي لا يشعروا بحالة الإحباط واليأس، وعلى كل حال، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١٩٠)، وكما نعلم، فإن الحالة المعنوية حاسمة في المعارك العسكرية والسياسية وفي الحياة اليومية وحتى الواقع الاجتماعي، إذ لها دور حاسم وكبير، فالانضباط والالتزام والدقة ووضع الخطط الصحيحة واتخاذ الإجراءات والمواقف الصحيحة والتموضع الصحيح في أي صراع وتصدّ وتحذّر أمور مؤثرة جدا، وهي تجعل الآخرين يرون قوتك أكبر بكثير من قوتك الحقيقية فتكسب المعركة وهو شيء مهم.

النظرة الواعية

«إن في ذلك لعبرة»، اعتبر أيها الإنسان من معركة بدر، حيث كان عدد المسلمين أقل، لكن انضباطهم جعل فيهم هيبة وجعل الأعداء يرونهم الأكثر، فصار الانهيار المعنوي لدى المشركين وهذا ما أدى إلى أن يتغلب المسلمون

١٨٨. مروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بحار الأنوار ج١٩- ص ٣٤٥

١٨٩. سورة آل عمران: الآية ١٣

١٩٠. سورة البقرة: الآية ٢٤٩

وينتصروا انتصارا كبيرا ببدر، في سورة آل عمران أيضا، ولكن هنا في الاتجاه الآخر حيث الانكسار في معركة أحد: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾^(١٩١)، أي أنت عليكم سنن إلهية تتجدد، وهي القواعد المتحكمة بمجرى التاريخ، فالناس يختلفون والأسماء والمسميات والعناوين تختلف لكن القواعد ثابتة، كما في قولنا: «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء» ما معنى ذلك؟، لماذا كل يوم عاشوراء؟، أي أن ما حصل يوم عاشوراء وعلى أرض كربلاء قاعدة تتجدد في كل زمان وكل مكان، كما أنه لدينا في كل مكان حسين ويزيد وصراع بين الحق والباطل، وفي كل مكان وفي كل زمان تتجدد هذه القواعد.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، أي مضت عليكم سنن إلهية وتعود إليكم أيضاً ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(١٩٢)، لا تقلق من اختلال التوازنات في لحظة ما، وكما هو معلوم، فقد خسر المسلمون وانكسروا في أحد، وتساءلوا يا إلهي ألسنا على حق، لماذا يخسر رسولك المعركة ويدق المشركون طبول الانتصار؟. ولهذا جاءت هذه الآية لتقول لهم لا تستعجلوا وانظروا إلى القواعد.

فقد دق يزيد طبول النصر في يوم عاشوراء وقالوا «قتلنا حسيناً»، وهم يعتقدون بأنهم انتصروا، وها نحن اليوم ننظر من المنتصر يزيد أم الحسين؟. في مناسبة الأربعين يخرج ١٣ و ١٤ مليوناً يسرون إلى زيارة سيد الشهداء، ولدينا ملحمة في زيارة الحسين، وانظر إلى يزيد أين قبره ومن يزوره ومن يذكره؟. لقد أصبح ملعنة للتاريخ تتقرب الناس إلى الله بلعنه، والحسين تتقرب إلى الله سبحانه بالأخذ بنهجه والالتفاف حوله والتمسك بهذا المنهج الإسلامي الأصيل. بهذا المنطق تخاطب الآية المسلمين آنذاك، لتؤكد أن المشركين غلبوكم عسكرياً لكنهم كسبوا جولة والمهم هو من يكسب المعركة، وأتمم أيها المسلمون أهل الحق وستكسبون المعركة.

١٩١ . سورة آل عمران : الآية ١٣٧

١٩٢ . من الآية السابقة

العاقبة للمتقين

راجعوا السنن الإلهية وانظروا القواعد وسير عظماء المصلحين والأنبياء، فهم مروا بكبوات وانكسروا في معارك ورجعوا بعد ذلك ونظموا أوضاعهم وعادوا أقوى مما كانوا وحققوا انتصارات كبرى، فلا تقلقوا واذهبوا لتنظروا السنن فد«العاقبة للمتقين»، وهذه سنة إلهية أن يكون النصر للمؤمنين والفناء والخذلان للمكذبين الذين يصبح لهم صيت وقد يصدقهم الناس ولكن جبل الكذب قصير، وينتهي بعد ما تتكشف الأمور وتتضح الحقائق ويتخلون عن الكاذب، «فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين».

وفي آل عمران الآية ١٩١ يقول تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، أي يتأملون ويزدادون معرفة في الكون وغرائبه وعجائبه، وكلما تعرّف الإنسان على حقائق أكثر عن هذا الكون شعر أكثر بعظمة الله سبحانه وتعالى، وشعر أكثر بصغره أمام الله جل وعلا وازداد تعلقا بالله وانشادا إلى الله سبحانه وتعالى. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، حاشاك ربي أن يكون ما خلقتَه باطلا، فكل شيء له حساب ويجري وفق نظام متكامل ومنسجم يكمل بعضه بعضا، في حركة الطبيعة وفي حركة الكون ثمة تناسق كبير وانسجام وتوزيع للأدوار وتكامل للمسؤوليات، خلقت منظومة متكاملة تسير بشكل صحيح وفق النظام الأكمل والأحسن، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، إذن يا إلهي دعني أنا أيضا ضمن النظام الأحسن وأسير بالاتجاه الصحيح وأحقق الكمال المجتمعي وأبتعد عن النار وأقترب من الجنة والأجر العظيم الذي وضعته لخالص أوليائك.

الميزان في السلوك والمواقف

وفي سورة الأنعام الآية ٥٠: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، يراد بالبصير الذي يلجأ إلى الوحي والأعمى هو الذي يعتقد بأن له عيون يرى بها ولا يحتاج إلى السماء والأنبياء ونصح الناصحين، فهل يستويان هنا؟، لا يستويان أبدا؛ فالأعمى ليس مثل البصير، وصاحب البصيرة ليس كأعمى القلب وهناك فرق واضح بينهما، فالله أعطى للبصير قدرة على الرؤية بوضوح؛ فهو يعرف ما يختار وأين يذهب وإلى أين يسير وما المطلوب لكي يتبعه.

وفي سورة الأنعام أيضا الآية ١٥٢ يقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وكانت الآية التي قبلها قد وضعت توصيات توصينا بمال اليتيم وتوضح خطورة بخس الميزان وألا تأخذ شيئا من حق الناس أو تبخس الناس أشياءهم، وقد يعتقد البعض بأن الميزان في الطعام والحقيقة أنه قضية عامة في كل شيء؛ كما هو الحال عندما تقصّر في أداء واجبك تجاه الآخرين، وعندما تكون موظفاً وتمضي وقتك تلهو بالهاتف تاركا المواطنين المسكين يذهب ويأتي دون جدوى، وتنسى أنك مسؤول في الدائرة، ارحم تُرحم، فغدا سيكون لديك حق وستُظلم من الآخرين.

لو كان كل منا يقوم بعمله على وجهه الكامل فإن المجتمع سيسير بشكل صحيح، ولكن للأسف نرى أن كل شخص يحاول أن ينقص شيئا لصالحه من حق الناس، عامل البناء مثلاً يقضي وقته بالسجائر، والموظف الذي هو أجير لدى الشعب وإن كانت الدولة هي من تدفع له، فالدقيقة التي يقصر فيها ويخرج مبكرا ليقضيها في شؤونه الخاصة، فإن من يطالب بالقصاص منه يوم القيامة هو الشعب، وعليه أن يجيب على الصراط. إن كل ألم أو تبعة يتسبب بها تقصيرٌ منك تجاه الآخرين فأنت مسؤول عنها يوم القيامة، كل هذه هي من أخلاقية الميزان.

العدالة في التعامل

وأيضا تحدثت الآيات السابقة على هذه الآية عن العدل في التعامل، فحين تكون مسؤولا عليك ألا تتعامل من منطلق فتوي وحزبي، فتسهل تمشية معاملة لأن صاحبها من جماعتك وتعيق تمرير معاملة أخرى لأنها لآخرين، إن عطفك وحنانك يجب أن يشمل الجميع وأن يكون التعامل مع جميع الناس بعدالة، فلا تفرّق ولا تميّز، بل يجب أن تعطي الجميع استحقاقاتهم، وهذه هي التوصيات التي جاءت في القرآن، ثم يقول الله سبحانه وتعالى في الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾، أي هذه كلماتنا تكلمنا بها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. ولا تقل أنا لا أعلم فإله قال لعلمكم تذكرون وذلك وصاكم به، يا إنسان إذا أخذت بهذه الوصايا فهنيئا لك في الدنيا والآخرة، وستحبك الناس وتلتف حولك وكذا المسؤول في الدائرة عندما يكون متواضعا وترابيا ويحل قضايا الناس.

شخصيا شكّلت في مكنتي لجنة تأتي إليها طلبات وعرائض، وهذه اللجنة تهتم بما يريدها، وشخصيا عندما تأتيني ورقة أسأل هل فيها رقم هاتف؟، ثم

تتصل اللجنة بهؤلاء الناس ، وتخبرهم بأن هذه القضية ممكنة وتلك غير ممكنة ، هذه نستطيع أن نعملها وتلك لا نستطيع ، وهذه تابعناها وتلك خلاف القانون ، وهكذا . . والإخوان يخبرونني أننا حين نتصل ببعض المواطنين ونقول لهم نحن من مكتب فلان وكنتم قد أرسلتم ورقة يبدأ بعضهم بالبكاء في التلفون ، ويسألون هل صحيح أنتم في مكتب فلان؟ ، نعم لأن هذا هو واجبنا ، فيقول البعض : إذن العراق مازال في خير ، سواء حلت القضية المعروضة أو لا ، ما دام هناك من يهتم بمواطن فهذا يكفي ، سبحان الله ، هل أصبح أداء الواجب ضربا من الخيال حتى تستغرب الناس إلى هذا الحد؟! . إذن كم هو مقدار القصور فينا وكم نحن متخلفون عن أداء واجبنا وتجاهل الناس؟ .

السنن الإلهية

في سورة الأعراف الآية ٣ يقول تعالى : « قليلا ما تذكرون » ، مشكلتك أيها الإنسان أنك لا تعتبر ولا تتذكر ولا تستفيد من دروس الآخرين ، وما حصل لهم في أمم قبلك ، حيث تتكرر نفس القضية ولا يعتبر إلا القليل ، فيما الأغلبية تنسى ولا تستفيد من التاريخ ولا تتعلم هذه القواعد المتجددة في حياة الإنسان . في سورة الأعراف الآية ١٧٦ : ﴿ فَاقْصُصَ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ لعلها إشارة إلى قصة بلعم بن باعورا ، وقد كان من عبّاد بني إسرائيل ووصل إلى مراتب عالية ، حتى يذكر أن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه بالاسم الأعظم ، وهو اسم إذا ما امتلكه العبد فإن دعاؤه سيكون مستجابا ، وسيُلبى له كل ما يطلب .

وهكذا فقد وصل بلعم إلى هذه المنزلة والمكانة ، فبعث الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل السلام فقال بلعم بن باعورا : لماذا لم أصبح أنا النبي؟ وهكذا بعد كل هذا التاريخ من العبادة والمنزلة الرفيعة دخل الحسد في قلبه أستجير بالله ، وبدأت تتصاعد مشاعر الحسد في قلب بلعم هذا العبد الصالح الكبير العابد ، هذا الإنسان الذي كان يتمنى الجميع أن يحصل على منزلته ، فبدأ يحرق ويأكل من حسناته ومنزلته ومكاته ، وراح يفقد كل شيء وكأنه قالب من الثلج وُضع في الشمس المحرقة ، إلى أن ذهب واصطف مع فرعون ليكسر جناح موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وصار يتأمر على نبي الله موسى ، وعن هذا العابد الكبير يعبر القرآن

الكريم ويمثله بالكلب، أجلكم الله، يقول تعالى: ﴿فَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾ (١٩٣).

فالحال الطبيعية للكلب أنه إن تركه يلهث وإن توجه إليه يلهث على كل حال، وبلعم بن باعورا كمثل الكلب، فالإنسان إذن مهما كان في درجاته العالية لكنه إذا لم يراقب نفسه ولم يشكر النعمة التي أعطاهها له الله، وإذا وقع في الحسد والغيرة من الآخرين وإذا انشغل بالآخرين أكثر من انشغاله بنفسه، يصبح مثل بلعم بن باعورا. «فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»، كلمهم عن هذه القصص يا رسول الله لعلهم يرون العبرة ويفتحون أعينهم ولا يقعون في نفس المطبات التي وقع فيها السابقون، والقرآن يعتمد على الأسلوب القصصي في بيان هذه السنن الإلهية، فالإنسان يتفاعل مع القصص بشكل أفضل، والقواعد والسنن الإلهية أتت في قوالب قصة إلهية عن السابقين، كي نتعلم ونعتبر. . ونسأل الله أن يجعلنا من المعتبرين، وللحديث صلة، واستغفر الله لي ولكم. . والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية الحادية عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل إخواني الأكارم أخواتي الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم صيامكم ودعاءكم ومناجاتكم في هذا الشهر الفضيل.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كنا نتحدث في الحقيقة الثانية، عن الاعتبار ونظرة الاعتبار، وقد استعرضنا عددا من الآيات القرآنية الشريفة في الليلة الماضية، ونستكمل استعراض هذه الآيات في هذه الليلة.

وفرة الآيات والدلائل لاعتبار الإنسان

مهما يتقدم الإنسان في العمر فإنه سائر إلى فناء، وعليه يجب أن يراجع سلوكه في كل حين. انتهينا إلى سورة الأعراف الآية ١٨٥ عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ألم يروا ويعرفوا الله وقد وضحنا هذه الحقائق في القرآن الكريم، ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، تعرفتم

علي حقائق كثيرة في هذا الكون ورأيتم النظام الذي يسود وحركة هذا العالم، ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، من الممكن أن كلاً منا قد اقترب أجله، والإنسان سيدركه الأجل مهما تطاول عمره وعاش حتى ثمانين سنة، فأقصى ما يبلغه من يعمر لا يتعدى ١٠٠ سنة، فما قيمة ١٠٠ سنة في حركة التاريخ؟.

ليسأل كل منا نفسه عن العشرة أو العشرين عاما التي مضت كيف مضت؟. فما أن نغمض أعيننا ونتأمل سنجد أننا قد تخرجنا من الجامعة بالأمس، وقبل فترة سقط صدام، ومضى عليه عشر سنوات، وهكذا تمر السنوات بطرفة عين، راجع نفسك لترى أن الأجل يقترب والبيئات قائمة من الله سبحانه وتعالى، ونظام الكون وسنن الحياة واضحة فماذا تنتظر ولماذا لا تستفيد وتعتبر؟. لماذا لا تراجع سلوكك، ولماذا لا تصحح مواقفك؟. «فبأي حديث بعده يؤمنون»، إذا كانت كل هذه الآيات والدلائل لم تجعلك تعتبر وتستفيد فما الذي يمكن أن تعتبر به؟.

نرى مثالا بسيطا في الأستاذ الذي يعيد مادته للطالب، ومع ذلك تبقى درجات هذا الطالب ضعيفة، وهذه بالتأكيد مشكلة الطالب نفسه. والله سبحانه وتعالى يتكلم معنا بهذه اللغة، البراهين والأدلة قائمة وكافية، ولذلك علينا أن نؤمن ونعتبر ونستفيد ونخطو خطوات نحو الكمال والقرب من الله سبحانه وتعالى.

التقوى والاستغفار من صفات المؤمنين

في آية أخرى من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَ لَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (١٩٤). الحديث عن الإنسان وليس عن خصوص المسلمين، بل عن المتقين عامة. «إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان»، إذا ضعفت نفوسهم وإذا وسوس الشيطان في قلوبهم، وهنا نلاحظ أن الإنسان المتقي يضعف أحيانا.

فيا مؤمن ويا أيها المتقي، إذا ضعفت نفسك ونظرت إلى شيء محرم وسمعت شيئا محرما وقلت شيئا محرما وهممت نحو شيء محرم، فلا يصيبك إحباط وتقول أنا غير متق، «تذكروا»، وهنا فرق المتقي عن غيره، فالمتقي ما إن يمسه طائف من الشيطان وتضعف نفسه فإنه سرعان ما يرجع إلى رشده ويتذكر ويتبته، فيستغفر ويتوب ويخشع لله سبحانه وتعالى، ويعود إلى الطاعة فيحافظ على

التقوى ، أما غير المتقي فتراكم عنده الخطيئة الأولى والثانية والعاشر والألف حتى يصبح لا يرى قبحا ولا يؤنبه ضمير ولا يقشعر له جلد ولا تتحرك له مشاعر تجاه المعصية ، بل يراها قضية طبيعية حتى يصل في غيه إلى الالتذاذ بالمعصية ، فيدمن ويعتاد عليها .

لكن المتقي قد تضعف نفسه ولكنه سرعان ما يتذكر ، «تذكروا فإذا هم مبصرون» ، بصيرته تنقد ويرى الخطأ فيتراجع ويتوب وينيب إلى الله سبحانه وتعالى ، وتُمسح عنه الخطيئة ويرجع قلبه أبيض وسريرته سليمة ويصبح قادرا على أن يواصل مشوار الطاعة ومسيرة الطاعة لله سبحانه وتعالى ، فالاعتراف بالخطأ فضيلة ، ولكن أغلب الناس تكابر ، وتأخذنا العزة في تعاملنا الدنيوية وفي تعاملنا مع الله سبحانه وتعالى .

ثقافة الاعتذار

يجب على الإنسان أن يعترف ، اعترف لأنك ستكبر في عيون الناس ، وقد تكون غير ملتفت ، سواء كنت مواطنا أو الأخ الكبير أو المسؤول في الدائرة ، أو أنت زعيم أو قائد أو رئيس أو أمير أو وزير ، لتتصور هنا أن وزير الكهرباء اعتذر للشعب ، فيقول لهم أنا اعتذر ، لقد حاولت ووضعت خططا لتحسين الوضع ولكنني لم أنجح ، وهذه ورقة استقالتي لمجلس النواب ويبد مجلس الوزراء ، فأنا أعلن أنني غير قادر على تحسين واقع الكهرباء ، وكنت أعتقد بأنني قادر على تنفيذ الوعد الذي قطعته لكم ، أنا هنا لا أتكلم عن شخص الوزير ، هذا مجرد مثال ، ومثل هذا الوزير هل يصغر قدره في عين الناس أو يكبر؟ . بالتأكيد أنه سيكبر في قدره ومنزلته وسيقولون إنه إنسان شريف ونبييل ، ولم يرد أن يتساهل بالأمانة بل أراد أن يحقق ما عليه ولم يستطع ، فسلم الراية ، إن ثقافة الاعتراف شيء مهم ؛ إذ ترفع من قيمة الإنسان وتجعله لا يوغل في الخطأ والانحراف .

فخاخ المنافقين

«وإخوانهم يمدونهم في الغي» ، هذا في الجانب الآخر ، جانب أهل الضلال ، حيث الفسق والفجور والرذيلة وحيث التجمعات الكبيرة والأموال والبذخ والشاشات والنجوم ، ونرى أن هناك على الدوام تشجيعا على الذهاب في الاتجاه

الخاطئ، «ثم لا يقصرون»، والذي يسير في الاتجاه الخاطئ بهذه الصورة لا يستطيع أن يتراجع، مع أنه في قرارة نفسه يرى أنه مخطئ.

كنت أقرأ في إحدى وسائل الإعلام في الانترنت عن شخص شاب، فطرته سليمة وصوته جميل، وفجأة رأى نفسه في هذه الأجواء، يقرأ والجمهور يصفق له ومسؤولون كبار يدفعون له، والحمد لله أن بعض مسؤولينا لديهم وقت فائض عن الحاجة بعد أن أنجزوا كل مهامهم تجاه البلد كي يتزهوا ليلا في الأماكن المعروفة، ولم يعد خفيا على الجميع؛ فالناس ترى مواكبهم على أبواب الملاهي، عموما، فهذا الشاب لديه الهواتف الخاصة لكبار المسؤولين فيما المواطن العادي لا يستطيع الوصول إليهم.

نقلوا لي عن سيدة تعمل في هذه الأماكن الموبوءة، قامت بالتجاوز عند إحدى السيطرات، وحين أوقفها الضابط المسؤول قامت هي بتهديده وتجاوزت في كلامها عليه إلى درجة إهانته، ثم بعد ذلك بدأت الاتصالات تنهال على السيطرة، وما شاء الله، انتهت القصة بنقل الضابط وتكريم السيدة لأنها تجاوزت السيطرة! هذه السيدة أصبحت هي المحقة لأن لديها مواعيد مع الشخص الفلاني ولديها حصانة، فهي على الحق حتى لو تجاوزت السيطرة، إن الشخص الذي لديه مثل هذه المواقع بفعل الحرام لا يستطيع أن يتراجع، وسيقول لنفسه من سيعطيني تعيينا وأين سأعمل ولماذا أضحي بهذه الوجاهات وأفقدتها، إذن دعنا نمض في الطريق نفسه، وهكذا في مثل هذه الأجواء لا يستطيع أن يتراجع «ثم لا يقصرون»، فيسير في غيه ويستأنف انحرافه.

التفكر في خلق الله

في سورة يونس الآية ٢٥: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وكانت الآيات التي قبلها تتحدث عن واحدة من الظواهر الطبيعية وهي ظاهرة المطر، وكيف يأتي الله بالرياح فتحرك الغيوم فيخرج الزرع وتخضر الأرض ونحصد النعم الإلهية وتتحول إلى أموال وإمكانات، ثم نسينا هذا المطر ومن جاء به ومن وفر هذه النعمة، بل قد ننكر دور الله تعالى ونحصر الأمر بتطويرنا للزراعة من خلال جهودنا وعقولنا فتحققت هذه النعم وهذه الثروات الكبيرة وبأخذنا الغرور، وباستطاعة الله تعالى أن يسلب كل هذه النعم في لمح البصر حين ينقطع المطر ويحدث الجفاف وترجع الأرض صحراء قاحلة.

إن الآيات السابقة قبل هذه الآية ترسم لنا هذه الصورة، ثم يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾، لقد شرحنا لكم كيف أننا من أرسل إليكم هذه النعم ولكنكم لم تستفيدوا منها ولم تتقربوا إلى الله ولم تشكروا النعمة، بل تصورتهم أنها بقدراتكم الخاصة فازددتم غرورا وبعدا عن الله سبحانه وتعالى، «كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون». إن أصحاب الاعتبار هم أصحاب الفكر وأصحاب النظرة العميقة، فهم من يرون ويعرفون.

أهمية النظرة المتفحصة

إن الله أعطاك العين لترى الطبيعة، ولديك قدرة بيانية جيدة ومهارة في جانب ما، وعندك خبرة في قضية، لكن من أعطاك النعم هو الله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١٩٥)، إذن عليك أن تشكر الله وتبذل الجهد، والله عندما يراك عبدا شكورا سيعطيك المزيد، فلا يأخذك الغرور لأنه سيسلب النعمة منك، إذن هذه الآيات يستفيد منها من يتأمل ويكتشف ويعتبر.

في سورة يونس أيضا: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾^(١٩٦)، تتكلم الآيات السابقة لها عن نوح وقومه وكيف دعاهم ولم يصدقوا وكذبوه، وقال لهم سيأتي الطوفان فتعالوا وساعدوني لبنني السفينة، فكانوا يستهزئون به وأسمعوه عبارات فيها الكثير من السخرية، ولكن جاءت لحظة الحقيقة، فانتهى بهم الأمر إلى الغرق ونجا نوح ومن معه. في الآية ١٠١ من سورة يونس: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، انظر تأثير الخطاب القرآني في تنمية المدركات العقلية، وقارن ذلك بمن يقول إن الدين يريد أن يبقي الناس جهلة وعندما يفهمون سيعرضون عنه، فبالله عليكم هل هذا هو حقا منهج الدين؟، الدين الذي في كل تفاصيله دعوة إلى التدبر والاعتبار والاستفادة والتعمق، فهذه توصيات الدين، وإسلامنا لا يقول أغمض عينيك وسر، بل يقول انظروا ماذا في السماوات والأرض، وليست النظرة هي تلك النظرة العابرة التي تبسط الأمور، بل هي النظرة المتفحصة المتفكرة.

أذكر مرة أننا ذهبنا إلى ماليزيا ضمن وفد، وأخبرونا بأن هناك متحفا طبيعيا أو

١٩٥ . سورة إبراهيم : الآية ٧

١٩٦ . سورة يونس : الآية ٧٣

مكانا مهما لنراه، فذهبنا وإذا بأجر الدخول مرتفع فأردنا أن نتراجع ولكن الخجل داخلنا من ذلك باعتبار أنهم جاؤوا بنا إلى هناك، ونحن عشرة أفراد، على كل حال تبرع مسؤول الوفد ودخلنا إلى قاعة أصغر من هذه القاعة، وقد كانت مليئة بالبيوت الزجاجية التي خلفها غصون وأشجار، ولم يستغرق الوقت المتاح للزيارة سوى خمس دقائق، فخرجنا ونحن غير مقتنعين بالمكان.

قلنا إن هؤلاء لديهم مثل هذه الألاعيب، مع أن ماليزيا بلد محترم ولكنهم سرقونا في وضح النهار بعرض أربعة أغصان يمكن رؤيتها في أي مكان، وكان ذلك مقابل مبلغ مرتفع قدره خمسون دولارا للشخص الواحد، ثم رأينا المسؤول يقف وهو يبتسم، وحين اقترب منا قال دعوني أشرح لكم، وألح علينا فقلنا ليس لدينا وقت، والواقع أننا كنا ممتعضين.

وعلى كل حال، قال سأريكم واحدة فإذا لم تعجبكم اذهبوا، وذهبنا معه لنرى ما يريد أن يرينا إياه، وقد كان غصنا من تلك الأغصان، فسألنا ماذا ترون؟ قلنا نرى غصنا، قال دققوا وانظروا بشكل صحيح، ثم قال: هذه حشرة، بلون الغصن، حتى أنها تبدو كورقة شجر، وبالفعل حين دققنا وإذا بها حشرة، ثم ذهبنا إلى الثانية، غصن من نوع آخر وإذا بالحشرات متجمعة فوقه بلونه وكأنها أغصان أو أوراق، ووجدنا أنفسنا مسمرين بهذه القاعة لا نريد الخروج إلى قاعة أخرى، إنها عظمة الخالق، فخرجنا مبهورين من عظمة الله سبحانه وتعالى. يقول الله: «قل انظروا ماذا في السماوات والأرض»، وقد رأيت فعلا في هذه القضية تماما مصداقا لهذه الآية، كانت نظرتنا في البداية نظرة عابرة وساذجة، ولولا المسؤول الذي وضح لنا الأمور لمررنا بها دون انتباه، وكم هناك من الحقائق التي تمر علينا مرور الكرام، وبعدها نرى أن فيها دروسا وعبرا لنا جميعا.

قراءة التأريخ

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أما إذا كان الإنسان أعمى القلب، فهو لا يريد أن يرى الآيات ولا يعبأ بفرص للإنذار كي يتعظ ويستفيد، ولا يقرأ ليأخذ العبر والدروس، يقال إن مشكلتنا في العالم العربي أننا لا نقرأ التأريخ ولا نقف عند سنن الماضين، فنتحول نحن إلى عبرة من عبر التأريخ. اقرؤوا وانظروا، هذا ما تحثنا عليه آيات القرآن، وهذه هي أوامر رب العالمين، فلنفتح عيوننا وننظر بصورة فاحصة تجاه الأشياء ولا نعتمد على النظرات العابرة

الساذجة . في سورة الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبَسَبِيلٌ مُّقِيمٌ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٩٧) ، المتوسم المعتمر ، الذي يعتبر وينظر نظرة دقيقة
ويرى هذه الآيات وما فيها من فرص للاعتبار .

وكل شيء في هذه الدنيا يمكن أن يكون فيه مجال للاعتبار والاتعاظ ، خذ
أية محاضرة طيبة حول الأذن مثلا سترى فيها الكثير من الآيات الدالة على عظمة
الخلق ، ومثلها العين وأجزاءها من الشبكية والقرنية وكيف تخرج الصورة ، التي
لا تضاهيها أية كاميرا مهما كانت دقيقة ومكلفة ، فالسمع والبصر آيتان من آيات
الله ونعمة كبيرة ، ويجب استغلالهما بشكل صحيح ، وهكذا ف عند أية حقيقة
في هذا الكون وتأملها وسترى أننا لم نلتفت إليها ، فما هذه العظمة والنعمة
الكبيرة من الله سبحانه وتعالى ، ﴿وَإِنَّهَا لَبَسَبِيلٌ مُّقِيمٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ،
فيها إشارات وآيات للمؤمن الذي يكون قلبه مفتوحاً وينظر نظرة بصيرة ويستطيع
أن يكتشف ويستفيد .

عاقبة الماضين

وفي سورة النمل: الآية ٦٩: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُجْرِمِينَ﴾ ، انظروا ماذا عمل الله بالمجرمين والظلمة والظالمين؟ إذا أنا وأنت
صرنا من المجرمين سيقع علينا نفس البلاء ولا نختلف نحن عن غيرنا ، وهذه
قاعدة إلهية ، فقد تتجدد الأسماء وتتغير لكن القاعدة ثابتة ، فالمجرمون لحقهم
العذاب ووقع بهم الدمار نتيجة الظلم والفساد الذي قاموا به ، فيجب ألا نظلم
أحداً ولا نفسد إذا صرنا في مواقع القرار . أيها المسؤولون يا من تتصدون لمواقع
الدولة العراقية أو في أي مكان ، انظروا إلى من كان قبلكم وتأملوا مصيرهم .

يجب ألا نرتكب الأخطاء وتأخذنا العزة بالإثم لا سمح الله ، وتصبح لدينا
حالة الغرور ، فأين صدام وأين فرعون وأين فلان وفلان؟ ، إن التاريخ مليء بهذه
النماذج ، فانظر عاقبة هؤلاء وماذا جرى لهم ، فلا تكن مثلهم ، وفي يوم ما كان
البعض يبرر لصدام حين يأتي إلى المحكمة والمصحف بيده ، ومن يراه سيرى
ملاحم التدين والالتزام ، وربما حين تسأله عن جرائمه يرى أنه عمل صالحاً وأدى

واجبا في قتل مئات الآلاف من الغوغائيين ، لهذا علينا أن ننتبه لكي لا نصاب بما أصيب به السابقون .

في سورة العنكبوت: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(١٩٨) ، أصحاب التأمل وأصحاب المعرفة والعلم هم الذين يستطيعون أن يستفيدوا منها ويعتبروا ، وتلاحظون أن في كل هذه الآيات التي ذكرناها يتكرر قوله تعالى: «أولو الألباب ، أولو الأبصار ، كيف كان عاقبة المكذبين ، أفلا تتفكرون ، قليلا ما تتذكرون ، لا يقصرون ، عاقبة المنذرين ، عاقبة المجرمين ، إلا العالمون» ، تلاحظون كل هذا التنوع في الآيات القرآنية التي نراجعها وآيات كثيرة لم نقف عندها لتشابهها مع الآيات التي اخترناها للحديث ، وكل هذا فرصة حقيقية لنقف ونستفيد ونتعلم دروسا حقيقية وإضافية ، طبعاً هناك عدد من الآيات الأخرى فيها إشارة لحقيقة وجوانب أخرى من الاعتبار ، سيأتي الحديث عنها لاحقاً في الليالي القادمة إن شاء الله ، واستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين .

الأمسية الرمضانية الثانية عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم الأخوات الفاضلات . . بداية أرحب بكم أجمل ترحيب ، وأسأل الله سبحانه وتعالى قبول الأعمال في هذه الأيام الشريفة والليالي المباركة من شهر رمضان .

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

ما زال الحديث في الحقيقة الثانية ، في الاعتبار ، وكنا نراجع عددا من الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن نظرة الاعتبار وأهمية هذه النظرة .

عدم الاستهانة بالماضين

انتهينا في حديثنا الليلة الماضية إلى ما ورد في سورة الروم ، يقول تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١٩٩) ، حين تذهب إلى المدائن سترى طاق كسرى ، وفي كل شبر وكل بقعة في مدينة بغداد العامرة بأهلها هناك آثار تاريخية لخلفاء بني العباس الذين اتخذوا من هذه المدينة عاصمة لحكمهم ،

١٩٩ . سورة الروم : الآية ٩

وفي كل شبر من العراق ومن البلدان الأخرى يمكن أن نرى آثارا تحكي قصصا من أمم وشعوب ماضية، وقصصا لظالمين ومصلحين وأناس في كل الاتجاهات سلبا وإيجابا، انظروا إلى الذين سبقوكم ولا تستهينوا بالسابقين .

ثم يشير القرآن الكريم إلى حقيقة مهمة في النظر إلى السابقين وهي : «كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها»، فعندما ترجع إلى آثار السابقين ستري أن هناك أناسا أقدر وأقوى منك وأكفأ منك، ماذا تريد أن تفعل أكثر مما فعلوه؛ حيث بنوا أكثر منك، فقصورهم كانت أكبر، وقد وقف فرعون في يوم من الأيام كما يحدثنا القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ الأسبابَ، سبابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى﴾^(٢٠٠)، فرعون يطلب من رئيس وزرائه في ذلك الحين واسمه هامان أن يبنى له ما نسميه اليوم بناطحات السحاب ليصعد ويرى من هو إله موسى الذي يجلس في السماء .

الإمبراطور لا يصدر تعليمات للمجاملة أو للمبالغة أو للتفكه، والقرآن يروي لنا هذه المقولة ويكتبها ويحولها إلى حقيقة تاريخية وليست كلاما قيل فقط، في ذلك الوقت لم تكن هناك رافعات وقدرات تكنولوجية ومع ذلك كانت لديهم القدرة على بناء ناطحات السحاب لتصل إلى السماء، ولو كان الأمر تعجيزيا لما قالها الإمبراطور، لأنه لا يقول كلمة إلا وتحصل ولا يأمر بها ويكسر كلامه، وعندما قالها فمعنى ذلك أنها أمر ممكن، وخير دليل على ذلك الأهرامات؛ فبكل تكنولوجياتنا الحديثة اليوم لا نستطيع رفع هذه القطع الكبيرة من الصخر التي وُضعت إحداها فوق الأخرى، فكيف رفعوها في ذلك الوقت وما هي الوسائل التي اعتمدها؟! إذن لا تستهينوا بالسابقين .

التميز العراقي

واليوم يقال إن الطبيب العراقي قدراته في تشخيص المرض أكثر من الطبيب في أوروبا والغرب، لماذا؟. لأن ذلك الطبيب في الغرب لديه كل الأجهزة الحديثة ولا يتعب نفسه في التدقيق والتشخيص بنفسه، بل يوصي بعمل التحليلات والأشعة وهي التي تعطيه النتائج فلا داعي لأن يتعب نفسه، فيما أن الطبيب العراقي في أغلب الأحيان لا يملك هذه الأجهزة المتطورة فكيف يكتشف المرض؟. لا

بد هنا من أن يستغل عقله ويستفيد من خبراته المتراكمة ويعتمد على الحدس أحيانا، فترى تشخيصه للمرض والعلاج دقيقا بالرغم من عدم توفر الأجهزة .

شخصيا، سمعت من كثيرين أنهم ذهبوا إلى طبيب عادي في بغداد أو الجنوب فشخص المرض وأعطاهم العلاج، ولكنهم لم يقتنعوا فركبوا الطائرة، وهذا ذهب إلى الهند وذاك إلى طهران وثالث إلى عمان ودول مختلفة، ثم يخضع للفحوص بأجهزة متطورة وبعد كل تلك الفحوصات المعقدة يصلون إلى نفس النتيجة التي توصل إليها الطبيب العراقي، ويصرفون للمريض العلاج نفسه الذي كتبه، فلا يوجد شيء يمكن أن يضاف .

الأكثرية لا تعتبر

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، مهما تكن قويا وتتصور أن لديك قدرة على تحقيق أشياء كبيرة فإن أولئك السابقين كانوا أشد منك قوة، ﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، قدراتهم في الإعمار كانت عالية جدا وأكبر من قدرات هؤلاء المخاطبين، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فأقام الله الحجة عليهم وجاء الأنبياء وبينوا لهم الحقائق لكن لم يسمعوا ولم يستفيدوا، ولم يتفاعلوا مع هذه الحقائق، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، الله أعطاهم وعرفهم الحقيقة وقال لهم اعتبروا واستفيدوا ولكنهم لم ينصاعوا لكلمة الحق فجاء العذاب وأخذهم وأصبحوا خيرا نقرأه في القرآن أو في كتب التاريخ . فقد تحولوا إلى عبرة لأنهم لم يصغوا إلى الحق ولم يسمعوا نداء الحق .

انظروا قيمة الاعتبار، وكيف عليك أن تستفيد من هذه الآيات الإلهية . في سورة غافر: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢٠١)، إن الذي يرجع ويعود إلى الله تصبح لديه قدرة عالية ويتصل بالمطلق وبالحق وبالنور، وتفتح عيونه ويصبح لديه بصيرة وتذكرة، ويبدأ بالاعتبار والاستفادة، فعين القلب إذا اتصلت بالله تتنور بنوره، وتبدأ بالرؤية وتعتبر بالآيات .

وفي سورة غافر أيضا تشير الآية ٥٨ إلى حقيقة مرة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، مشكلتنا أننا لا نعتبر ولا نستفيد من تجارب السابقين، وكل هذه الآيات أمامنا وكل

هذه الأدلة واضحة بين أيدينا لكننا لا نقف عندها ولا نستفيد منها، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢٠٢)، إن قلة قليلة تقف وتتبصر وتأمل في الحقائق من حولها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٢٠٣)، وتكرر هذه الحقيقة في القرآن الكريم، «أكثرهم لا يعقلون، أكثرهم لا يشعرون. الخ»، وهكذا نقرأ في آيات القرآن أن الحالة السائدة في كل المدد الزمنية السابقة والحقب التاريخية التي مرت على الشعوب والأمم هي أن الأكثرية لا تأمل ولا تعتبر.

تجريب المجرب

ومع الأسف فنحن اليوم نرى أن الحالة العامة لا تعطينا وقتاً مناسباً لنقرأ ونتأمل؛ فكل فضائية لديها مشروع ورؤية وسياسة، ومنهم أناس يريدون الخير ومنهم لديهم أجندة خاصة بهم. وقد تحدثنا في ليلة سابقة من هذا الشهر عن الإشاعات، فأغلب انطباعاتنا ومعلوماتنا وأغلب قناعاتنا تتشكل من الرأي العام ووسائل الإعلام وما قالته الفضائية الفلانية والصحيفة الفلانية، إذن معلوماتك من الفضائيات، وأنت لا تعلم أن كل فضائية لديها مشروع ورؤية وسياسة، والله قال لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢٠٤).

تربّث وانظر في من قال، ولماذا قال، وما هي مصلحته ومن وراءه؟، ثم اقبل منه أو لا ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ففكر وتفحص وتأمل، ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، لا تسمع كلاماً من فضائية وتأخذ انطباعاتاً عن شخص أو ظاهرة أو قضية، وبعدها يظهر أنك ظلمتهم، ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، فتندم في يوم لا تنفع فيه الندامة. ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، يا إنسان افتح عينك واستفد من تجارب السابقين، فمن لا يعتبر من السابقين يتحول ليكون هو عبرة للاحقين، فعليك أن تعتبر كي لا تقع في ما وقع فيه السابقون، من جرب المجرب حلت به الندامة

٢٠٢ . سورة سبأ: الآية ١٣

٢٠٣ . سورة المؤمنون: الآية ٧٠

٢٠٤ . سورة الحجرات: الآية ٦

آيات الآفاق

في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^(٢٠٥)، سنريهم في الدنيا عظمة الله سبحانه وتعالى، وفي كل شيء هناك عظمة لله وهناك آية من آيات الله، «وفي أنفسهم»، أيها الإنسان كلما تعمقت في وجودك ستكتشف حقائق جديدة؛ إلى ما قبل شهر كان المؤلف هو أن الخلايا الواعية التي تعي وتعرف وتفهم هي خلايا الدماغ، أما الخلايا في مواقع البدن الأخرى فليست واعية ولديها عمل وظيفي، ولكن في آخر دراسة خرجت مؤخرا تقول إن العلماء اكتشفوا ستين ألف خلية في القلب هي من الخلايا الواعية، ويقوم الدماغ بالتقاط الإشارات وعندما تصل فيه إلى مرحلة الوضوح واليقين يأخذ بها.

كنا نقول إن للقلب مشاعر، والآن فإن هذه الدراسة بدأت تفلسف هذه المشاعر، ولعل ما يعزز هذا الاكتشاف هو أنه بعد العمليات الجراحية الخاصة بزراعة القلب من شخص متوفى، فإن المشاعر تتغير قليلا. إننا في كل يوم سنكتشف حقيقة جديدة، لأن الوجود معقد وفي كل يوم تتضح دروس ومعلومة جديدة وحقيقة جديدة. «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم»، سنريك أيها الإنسان هذه الآيات والدروس وهذه العبر، سواء في ما يخص الكون أو وجودك ونفسك، «حتى يتبين لهم أنه الحق»، لا يشك أحد ولا يقول لا أعلم ولا يتردد في يوم من الأيام، يجب أن نوصلك إلى لحظة تستشعر فيها الحقيقة وترى الحق كما ترى الشمس في وضح النهار.

داء الشك

﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢٠٦)، هذا حقك على رب العالمين، حقك على الله أن يقيم الحجة عليك، وحق الله عليك أن تعتبر وتفتح عينك وتنظر وتستفيد؛ «أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد»، كلما تعمق أكثر ترى النظام الأحسن في الأمور كلها بنسق واحد وضوابط ومعايير وسنن وقواعد دقيقة وعميقة، تتحكم

٢٠٥. سورة فصلت: الآيتان ٥٣ - ٥٤

٢٠٦. سورة الأنعام: الآية ١٤٩

بمجرى التاريخ والكون، كلما ترى هذا الاتساق الكبير أكثر، يدلك أكثر على الله سبحانه وتعالى، كي تستفيد وتعتبر.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾، إن مشكلة الإنسان أنه كثير الشكوك، والمرية هي الشك، فكل الحقائق يراها ومع ذلك لا يزال يشك، افتح عينك والتفت يمينا وشمالا، فكل ما تراه في هذا الكون بدءا من نفسك إلى الآخرين آيات تشير إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا لم تستطع أن تتعكك فالمشكلة فيك وليست في رب العالمين، أو كما يقال إن المشكلة ليست في فاعلية الفاعل بل المشكلة في قابلية القابل، فالمشكلة فينا نحن إذ لا نأخذ الحقائق التي يثها الله سبحانه وتعالى على الدوام، «ألا إنه بكل شيء محيط»^(٢٠٧)، الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ولا تستطيع أن تخفي عنه شيئا، فهو سبحانه يعلم أنك في سريرتك وقرارة نفسك انسجمت مع الكون وأخذت موقعك وسرت نحو الله سبحانه وتعالى، أو أن كل الآيات لم تفدك، فهذا مما يشخصه ويعرفه تعالى.

حقائق تكتشف باستمرار

في سورة الجاثية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢٠٨)، في السماء والأرض وفي كل مكان آية وإشارة ودلالة يمكن أن تعزز لديك حالة الإيمان والارتباط بالله سبحانه وتعالى، ولكن متى؟. الجواب إذا كانت لديك عين تعتبر وتقرأ ما وراء الحدث وتتعمق. قلنا إن صورة الأشعة وليست الصورة الفوتوغرافية هي التي تظهر لك الحقيقة وليست الشكليات، كل ما في هذا الكون فيه إشارة وفيه دلالة على الله سبحانه وتعالى تعزز الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

يقول علي عليه السلام: «ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله ومعاه وبعده»^(٢٠٩)، انظر عظمة الكلام؛ لأن نظرة علي نظرة اعتبار، فكل شيء يراه علي عليه السلام يرى الله قبله ومعاه وبعده، في إشارة إلى قول الله سبحانه وتعالى: «وفي خلقكم وما يبث

٢٠٧. سورة فصلت: ٥٣-٥٤

٢٠٨. سورة الجاثية: الآيات ٣ و ٤ و ٥

٢٠٩. شرح أصول الكافي، ج ٣- ص ٨٣

من دابة آيات لقوم يوقنون»، في خلقك أيها الإنسان وفي هذه الأنواع المختلفة من الدواب آيات واضحة، وكل واحدة من هذه الدواب لها مهمة خاصة ولها دور معين في منظومة الحياة، وكلما تطورت العلوم نكتشف حقائق هذه المخلوقات، وهذه كلها إشارات ودلائل تبعث اليقين والوضوح والبصيرة لدى الإنسان عن حقيقة الكون وارتباطه بالله سبحانه وتعالى .

﴿واختلاف الليل والنهار﴾، هذا التناوب الكوني اللطيف لا نشعر به في بلداننا، حيث يأتي الليل والنهار، لكن عندما نذهب إلى القطب الشمالي والقطب الجنوبي تبدأ الأحوال تتغير، يقول أحد الإخوان وقد كنت أكلمه قبل أيام وهو في فرنسا، قال سيدنا ادع لنا، قلت له : ما القصة؟ قال الدنيا باردة هنا ونحن في البيوت لا نستطيع الخروج، والأذان بحدود العاشرة ليلاً، وأذان الفجر في الساعة الثالثة، فالنهار طويل، وهذا في فرنسا وأوروبا، فإذا ما صعدنا أكثر شمالاً إلى القطب الشمالي أو نزلنا جنوباً إلى القطب الجنوبي نجد أن هناك أماكن يكون فيها النهار ٢٢ ساعة، وفي أماكن أخرى يصل النهار إلى ستة أشهر، وهؤلاء اعتادوا على أن يرأسوا المراجع للاستفتاء حول الصلاة، فالوقت كله نهاراً أو كله ليل، فيقال لهم إن بإمكانهم الاعتماد على أقرب الدول إليكم من ناحية الليل، فاختلاف الليل والنهار نعمة عظيمة نحن لا نعرفها، لأننا نعيشها بشكل منتظم صيفاً وشتاءً وفي الفصول المختلفة .

﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وانظر إلى نعمة المطر، فهذه الصحراء القاحلة تتحول إلى أرض خضراء، فيها الثمرات مما يحبه الإنسان، «وتصريف الرياح»، والهواء عندما يتحرك كم من الفوائد فيه كالتلقيح من خلاله وإبعاد الأمراض وغير ذلك، فلا نستطيع أن نكتشف كل حقائق حركة الرياح، في كل ذلك ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، شغل وفعل عقلك وتفكيرك، وسترى في كل هذه الظواهر الكونية إشارة إلى الله سبحانه وتعالى .

الحكمة البالغة

في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾^(٢١٠)، مزدجر يعني رادع عن الانحراف، فالأنبياء يحملون معهم رسائل

تردع أقوامهم من الانحراف وتمنعهم من الضلال وتريهم الطريق الصحيح ، «حكمة بالغة فما تغني النذر» ، أي حكمة كبيرة وهي رسالة الأنبياء فهم نصحونا وعرفونا وفهمونا لكن «فما تغني النذر» ، لكن لم نسمع ولم نستفد وكثيرون لم يستفيدوا ، فالإنذار لا يأخذ موقعه في مسامع الكثير من الناس وبعضهم يحتاجون إلى وقت .

ثم تأتي الآيات الكريمة لتستعرض مأساة نوح ومعاناته العظيمة ، وعندما يقرأ الإنسان في القرآن الكريم ما ورد بحق نوح عليه وعلى نبينا وآله السلام ، يتألم كثيرا لما عانى هذا النبي ، ولم يكن أمرا سهلا أن يكون نوح شيخ الأنبياء ، فهذا النبي الذي كانت نبوته ٩٥٠ سنة لا نعلم كم عمره ، ربما ٤٠٠٠ سنة كما توحى به بعض الروايات ولكنه على أية حال بُعث نبيا لمدة ٩٥٠ سنة ، فترة النبوة كانت ألفا إلا خمسين عاما والقران يتكلم عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلَا وَنَهَارًا ﴾ ، شهادة القران بحقه أنه دعا قومه ليل ونهار طوال ٩٥٠ سنة ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾^(٢١١) ، ما هذه المصيبة ! كلمة تتكلم بها مرة أو مرتين فيصيبك الملل ، فيما نوح استمر لـ ٩٥٠ سنة ، فما هذا الصبر ! . وطيلة هذه المدة كان يخبرهم بقدوم الطوفان ويطلب منهم مساعدته في بناء السفينة لينقذوا أنفسهم من الطوفان ، فلا يرى إلا الاستهزاء والسخرية حتى وصلت الحقيقة ، ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ﴾^(٢١٢) ، جاء العذاب وأخذهم ، والآن نقول لك أيها الإنسان إن قوم نوح نزل بهم هذا العذاب وهم موعظة عليك أن تتعظ بها كي لا تضيع وتفقد الفرصة ، والفرص تمر مر السحاب .

الجهل بالحقائق وتبعاته

إن الله سبحانه وتعالى وهو العليم بكل شيء جاء بالحقائق وبسطها بكلمات يسيرة كي يفهمها الإنسان البسيط ، وكلما ازداد المستوى المعرفي للإنسان استطاع أن يتعمق أكثر في تلك المعاني ، وللقرآن بطون ، وكما جاء في الروايات هناك سبعون بظنا ، أي مستوى ومرتبة من الفهم ، وكلما ترقى أكثر يكشف أكثر من

٢١١ . سورة نوح : الآيتان ٥-٦

٢١٢ . سورة القمر : الآية ١٥

الآيات: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾، عبارات بسيطة تستطيع أن تفهمها ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٢١٣)، فهل هناك من يفتح عينه ويعتبر ويستفيد أو لا؟.

إن القرآن الكريم ينادى في العديد من آياته؛ أيها المسلمون، أيها الناس، هذه رسالة الحياة أقرؤها وتعمقوا فيها وتعرفوا على آيات الله، وخذوا القرار الصحيح، ومن لا يريد أن يعرف فإن القانون لا يحمي المغفلين وهذه مشكلته، وحتى في القوانين الوضعية تجري مثل هذه الفكرة؛ فمن لا يعرف القانون يتحمل التبعات، فيجب أن يسأل الإنسان قبل اتخاذ القرار، والله سبحانه وتعالى أكرم من ذلك، فهو يبين لك ويوضح لك وفي كل مكان إشارة دالة.

تعلمون أن هناك ضوءاً أحمر في الشوارع ينبه الإنسان للوقوف، وضوءاً ثانياً وثالثاً ورابعاً، وأحياناً هناك أماكن للبناء يضعون فيها شريطاً أو أكثر من شريط وأحياناً يقف شخص في الشارع عمله أن يعطي إشارات للسيارات، إذا كنت مغمضاً عينك ولا ترى العامل الذي يؤشر ولا ترى الضوء الأحمر ولا النداءات ولا تسمع مكبرات الصوت وتصطدم بالبنية فهذه مشكلتك وليست مشكلة الناس، والله سبحانه وتعالى أعطاك وقدم لك كل هذه الدلائل والبراهين والإشارات، فعليك أن تتخذ القرار الصحيح.. وللحديث صلة تأتي تباعاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الرمضانية الثالثة عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق في هذا الشهر الفضيل في صيامه وقيامه وفي لياليه وأيامه .

كنا نتحدث في موضوعة الاعتبار، كيف ننظر نظرة اعتبار لواقع هذا الكون، حيث استعرضنا في الليالي الماضية عددا من الآيات الشريفة التي أكدت على هذا المعنى، واليوم نسعى للانتقال في الحديث إلى بعض الروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام .

فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنه قال: «كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول «نبّه بالتفكر قلبك» عندما تفكر وتتأمل وعندما تنظر نظرة اعتبار وعندما تفحص الأمور ينتبه قلبك، فالقلب ينتبه ويفتح بالتفكر فتصبح نظرتك نظرة واعية .

«وجاف عن الليل جنبك» أتقضي الليل نوما أم تبعد هذا البدن عن الفراش كناية عن قيام الليل وهو ما يشير إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٢١٤) تتجافى يعني تبعد، وجنوبهم أي أبدانهم، عن الفراش والمكان الذي نضطجع فيه وننام .

﴿واتق الله ربك﴾^(٢١٥) . هذه الوصايا الثلاث التي يوصي بها أمير المؤمنين سلام الله عليه، أتريد العزة والشموخ، والعزة لله، أتريد المنزلة والمكانة، أتريد التأثير؟ عليك بهذه الثلاث، تنبيه القلب بالتفكر وقيام الليل وتقوى الله سبحانه وتعالى .

٢١٤ . سورة السجدة : الآية ١٦

٢١٥ . الكافي ج ٢ ص ٥٤

العبادة الواعية

وفي رواية عن الحسن الصيقل أنه قال: «سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عما يروي الناس أن تفكر ساعة خيرٌ من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكر؟ قال: يمر بالخرية أو بالدار فيقول: أين ساكنوك، أين بانوك، لماذا لا تتكلمين؟»^(٢١٦). طبعاً الساعة في الروايات ليست ستين دقيقة كما في وقتنا، إنما تعني اللحظة، فلحظة تفكير وتركيز تعادل، بل، تفوق في فضلها عبادة ليلة كاملة إلى الصباح تقضيها بالصلاة والتهجد والعبادة. فلمثل هذا التفكير وإن لفترة قصيرة، فضل أكبر.

ما نفهمه من هذه الروايات أن الله سبحانه وتعالى يدعونا إلى العبادة الواعية. فعندما تفتح عينك وقلبك، وتفكر وتأمل، وتتعرف على الحقائق.. حينذاك يكون للعبادة شكل ولون آخر. وعندما تلبس «نظارة الانقياد» إلى الله سبحانه وتعالى، فسوف تنظر بعين الله ويفتح قلبك، ويترقى وعيك، ويطرسخ خشوعك لله. عند ذلك أيضاً يزداد تأثير العبادة في وجودك حيث يكون الهدف من العبادة والانقياد لله سبحانه وتعالى. فكلما كانت هذه العبادة واعية، كان التأثير أكبر. البعض منا ثقافته الكم. فليلة القدر مئة ركعة ولذلك نتسابق عليها، فيقول أحدنا: أنا وصلت إلى الركعة الفلانية ولنر من يسبق الآخر، ويقوم وينزل. رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمثل هذه الصلاة بنقر الغراب حين ينقر الطعام، ويسرع في النقر.

لكن ماذا نستفيد من هذه الصلاة.. وكم أثرت بك هذه المئة ركعة؟.. يمكن من خلال عشر ركعات ولكن بترواً وتدبّراً وخشوع، وقلبك منكسر، وعين دامعة، أن تترك أثراً في النفس أكثر من مئة ركعة تقضيها بسرعة. كذلك الأمر بالنسبة إلى تلاوة القرآن. فالبعض منا ينجز خمتين أو ثلاثاً بسرعة، وهذا خطأ إذ يجب التأمل بالذي تقصده الآيات الشريفة، وما هي الرسالة التي يريد الله أن يوصلها إليك من خلال القرآن، وما هي الدروس التي استفدت منها، فلعل بالك لم يكن مركزاً على المعنى بل على عدد الصفحات.

العبادة الواعية، يا عزيزي هي المهم، وهي عبارة عن صلاة وصيام ودعاء وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، فلنفكر بالنوع والكيف، ولنمارس العبادة الواعية

لأن الصلاة ليست تكليفاً وأداء واجب وحسب بل يجب التلذذ بها، إذ عندما تلتذذ بها لا تعود قادراً على تركها، لا بل تحاول زيادة عدد الركعات. وعندما تصوم ليس في شهر رمضان فقط، بل في كل يوم اثنين وكل يوم خميس، أو كل يوم يستحب فيه الصيام، وتستلذ بذلك فإنك سوف تشعر بعمق الطاعة لله سبحانه، وهكذا في سائر العبادات.

فضل التفكير

سئل الإمام أبو عبد الله الصادق عن حديث «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»: كيف يتفكر، وما هو التفكير الذي يتفكر فيه الإنسان لفترة قصيرة، وكيف يكون تأثيره أعظم من قيام ليلة كاملة؟ فقال الإمام: «يمر بالخربة أو بالدار فيقول: أين ساكنوك، أين بانوك لماذا لا تتكلمين؟». في يوم ما بنيت هذه الدار، ويعلم الله من أين جاء الباني بفلوسها، وهذا باع له بسعر أعلى، وهذا أخذ نقوداً إضافية، ومائة قصة وقصة إلى أن جمعت الأموال وبنيت. كان باني الدار يتصور أن الدنيا صارت له، وعندما تقف على الخربة تقول: أين من بنوك وعمّوك؟ أين ساكنوك؟ لقد أصبحت خربة يا دار وقد باعوا آخرتهم لكي يبنوا ويتنعموا.

إذن، ساعة تفكر تعني أنني يجب أن أدقق بالمال من أين أحصل عليه، فإذا كنت أريد أن أبنى بيتاً كبيراً ولدي طموحات كثيرة وجب أن أدرك إنها ستتحول غداً إلى خربة، وستمضي. ومنهم من يقول: أريد أن أصبح مديراً أو رئيساً وأريد وأريد، ولهذا أقول: أين السابقون؟ هل حصلوا على شيء؟ وأين فرعون وأين الظلمة والحكام؟ لقد جاؤوا ورحلوا وأصبحوا في خبر كان، من العبرة أن نتذكر قصصهم ونعتبر منها، فلو دامت لغيرك لما وصلت إليك، لذا عليك أن تنتبه إلى الوسائل التي تعتمد عليها للوصول إلى المال والوجاهة بحيث لا تتجاوز الخطوط الحمراء لا سمح الله. هذه هي العبرة، كذلك يعلمنا أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «أفضل العبادة إدمان التفكير في الله»^(٢١٧) والمتعارف عليه أننا نستخدم عبارة الإدمان لنشير إلى التعود على المخدرات والسجائر فنقول هذا مدمن ولا يستطيع ترك أفعال محرمة والعياذ

بالله . في المقابل ، هناك مدمن على العبادة والطاعة ومدمن على التفكير . إذن ، أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته وصفاته .

أن أنظر إلى عظمة الله وقدرته وعلمه ، فهذه من أفضل أنواع العبادة ، وكلما تفكرت أكثر واستحضرت موقع الربوبية ، تتذكر موقعك من الرب فتتجسد بك حقيقة العبودية ، وإذا أردت أن تكون نعم العبد ، فعليك أن ترى الله نعم الرب ، وكلما ترسخت لديك ربوبية الله أكثر ، توضحت عبوديتك لله أكثر ، وهذا التفكير هو أفضل ألوان العبادة لأنه يدفعك إلى اتخاذ المواقف الصحيحة أكثر وأكثر .

عن معمر بن خلاد أنه قال : سمعت أبا الحسن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول : « ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل » (٢١٨) . فالعبادة لا تنحصر بالصلاة والصيام إنما هي التفكير في أمر الله عز وجل ، وهي طريق للكمال ، والكمال لا يتم من خلال حالة واحدة وظاهرة واحدة . قد يتساءل البعض : لماذا تشغلون أنفسكم بالصلاة والصوم منذ ألف وأربعمائة سنة ، فالله كبير ولا يقف عند الصغائر ، والأهم - بالنسبة إلى هؤلاء - ان تنظف قلبك وتطهره . أنظر تدليس الشيطان : فهذا كلام خطأ وليس صحيحاً . ومنهم من يقول : المهم أن أصلي وأصوم والأعمال الأخرى ليست مشكلة ، وهذا أيضاً ليس صحيحاً .

الصلاة والصيام مهمان طبعاً ، ولكن يجب أن يكونا عن وعي وتفكير ، ويجب أن يكون فيهما عبرة . فالعبادات متنوعة من صلاة وصيام ، جهاد وتصد ، وفيها صدقة وإنفاق مالي ، وفيها مساعدة الآخر ، وفيها زكاة العلم ونشره ، وفيها صلة رحم وتواصل وعلاقات اجتماعية . وكل واحدة من هذه العبادات تكمل الأخرى ، وتنمي جانباً من شخصية الإنسان فتصبح شخصية متكاملة . فالبعض منا يمتلك شخصية أحادية ، والبعض الآخر قد يكون موسوعياً . قد ترى شخصاً بارعاً في الرياضيات ولا يعرف أي شيء آخر . من الجيد أن تكون عالم رياضيات ولكن الحياة ليست كلها كذلك ، فهناك الفيزياء والدين وعلم النفس وغيرها من العلوم في الحياة . والحال نفسه ينطبق على من يجلس على سجادة الصلاة ولا يعرف غير ذلك . الصلاة واجبة لكننا نحتاج إلى الأبعاد الأخرى في شخصية الإنسان .

التفكير يقود إلى العمل الصالح

وعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التفكير يدعو إلى البر والعمل به»^(٢١٩). فالتفكير سيدفعك إلى العمل الصالح وإلى البر. والعمل الصالح مغنمٌ ومنجمٌ ورأس مالٌ كبير، والإنسان إذا رأى المال الحلال متوفراً أمامه ولم يستفد منه يعتبر بليداً. خذ مقدار حاجتك واستفد منه والزائد تصدّق به وساعد الفقراء، ولذلك ندعو: «اللهم ارزقني من رزقك الحلال الطيب الواسع النافع». هذه سمات الرزق الحلال ليس فيه تنغيص وإرباك وإزعاج، ونحن نطلب من الله الرزق الواسع لكن النافع. فهناك رزق واسع يقابله انشغال بال وتعب.

مثال ذلك ما نقله إليّ أحد الأشخاص عن «تاجر ملياردير» كان يقيم في منزل مجاور له، وكان الناس ينظرون إلى عائلته بانبهار، والنسوة يحسدن زوجته على إمكانياته في تلبية كل متطلباتها وحاجاتها. لكن هذه الزوجة كانت أتعس امرأة. لماذا؟ لأن الدنيا ليست مجرد سيارات وغرفاً فارهة، فهي تقول: بودي أن أراه يتكلم معي. أتصل به فيكون تلفونه على «الرومنغ»، وهو يذهب صباحاً إلى دولة، ويكون عصراً في دولة أخرى، وحين يعود إلى البيت ينام في غرفة النوم بملابسه الكاملة، حتى أنه لا يجد الوقت الكافي لخلع حذائه من كثرة التعب والإرهاق، فماذا حصلت منه؟ أريد حديثاً وعلاقة أسرية طبيعية، وأتمنى أن أكون زوجة لحمّال يعطيني وقته مع خبزة يابسة وعلى الأقل أعيش ضمن عائلة.

هذا الملياردير ليس لديه وقت للاهتمام بعائلته، بل إنه لا يسأل حتى عن وضعهم ودينهم، وربما إذا سألته عن ابنه في أي صف مدرسي سيجيب لا أعلم! الأموال هي محور اهتمامه، ويسعى جهده للحفاظ عليها من السرقة، ولعقد الصفقات وتوقيع العقود. لقد أصبح خادماً لماله، بينما وجد المال ليكون في خدمته.

لذا لو فكّرت أيها الإنسان بعظمة الله فإنك ستشعر بالخشوع، ولا تفكّر بالدنيا ولذاتها العابرة، أين أصبح الذين فكروا بلذاتهم العابرة، أنظر إلى سيرة أئمتنا وتأريخهم تجد نفسك منقاداً لأن تأخذ بمواقفهم الصحيحة وتتحسن أحوالك.

ولئن قرأت أحوال الظلمة والجناة والعصاة، وأين وصلوا فستبتعد حتماً عن طريقهم. وانظر في نفسك وعيوبها وقل: يا إلهي لقد أخطأت، فهذا ذكرته بسوء، وهذا المال أخذته بالحرام، عندها ستري أنك قادر على إصلاح نفسك، ومراجعة أقوالك وأفعالك ونظراتك ومسموعاتك. أنظر إلى مكارم الأخلاق، وتفكر بها فإنك ستندفع نحوها، ثم فكر في ذمائم الأخلاق فستري نفسك مبتعداً عنها. التفكير يدعونا إلى الابتعاد عن المساوئ والأخطاء، والسعي إلى البر والعمل الصالح.

للعاقل ساعات

يذكر إمامنا الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) في خبر أبي ذر: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يَنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَتَّفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ، وَسَاعَةٌ يَحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِحَاجَتِهِ مِنَ الْحَالِلِ. وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: تَزُودَ لِمَعَادٍ، وَمَرَمَّةَ لِمَعَاشٍ، وَلَذَّةَ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِلْسَّانَةِ. وَمَنْ حَسِبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ...». (٢٢٠)

الساعة الأولى: ساعة يناجي فيها الإنسان ربه، ساعة للعبادة والانقطاع إلى الله فيجب أن يكون لديك وقت للعبادة ليجعل الله البركة في حياتك. هذا سر من أسرار النجاح أجبتي. فكل يوم قبل أن تضع رأسك على الوسادة عليك أن تراجع شريط الأخبار، السلوك والمواقف اليومية، وتساءل: أين ذهبت؟ وماذا قلت؟ فأنت لا تستطيع أن تخفي شيئاً عن نفسك، وتعرف أين أخطأت وأين أصبت. حاسب نفسك على الموقف غير الموفق، القضية التي تجاوزت الحدود. وقل: في هذا الموضوع لم ألتزم بالموازين الشرعية، والله سبحانه لا يرضى عنها، وهذا موقف جيد يجب أن أكرره.

وفي الرواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا». أي حاسب النفس واجلد الذات، وضحح المواقف قبل أن تبثلي بمحاسبة الله سبحانه وتعالى لك يوم الحساب.

الساعة الثانية: هذه ساعة تتفكر فيها بما صنع الله عزّ وجلّ. وماذا أنعم عليك. قد تعتبر أن ظروفك صعبة، وهناك مئات الظروف أصعب من ظروفك. وقد يتليك الله بالفقر لكنّ عينك تنظران، ففكر في ما أُبتلي به العميان. والله أعطاك أذناً تسمع فانظر إلى الأصم وحالته، وأعطاك لساناً فانظر إلى من سُلبت منه هذه النعمة. وأنا كلما دخلت مستشفى لأزور مريضاً أستحضر نعم الله سبحانه وتعالى بشكل أكبر. فبماذا يشعر الإنسان إذا أصابه صداع أو ألم بالأسنان؟ وماذا عن الأمراض الأشدّ ألماً؟ وقانا الله جميعاً كل بلاء. فيا أيها الأحبة، هناك دائماً نصف ممتلئ من الكأس ونصف فارغ. تارة أقول نصفها مملوء وتارة أخرى أقول نصفها فارغ، والكلمتان صحيحتان، لكن إذا قلت إن النصف فارغ وكفى، فذلك يشير إلى النظرة السلبية للحياة وإلى الشعور بالإحباط، وإذا قلت إن النصف مملوء أيضاً فتكون نظرتك إيجابية. وتشكر الله على ما أنعم به عليك، وحين يراك عزّ وجلّ شاكراً فإنه يزيدك عطاء.

إذن، لنقرأ الحياة قراءة إيجابية، وليراجع كل منا نفسه مهما كانت ظروفه صعبة، ولنشكر الله على ما أعطانا. ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢٢١). وهكذا سيعطينا الله ما تمنينا وما لم نتمن.

الساعة الثالثة: ساعة يخلو فيها الإنسان إلى نفسه. فلبدتك عليك حق الجلوس مع العائلة، ومسامرة الأصدقاء بما أحل الله لك. فساعة لربك، وساعة لنفسك ليس كما تهوى، بل لتريحها بالحلال.

الساعة الرابعة: عن الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أَغْفَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَعَطَّ بِتَغْيِيرِ الدُّنْيَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ»^(٢٢٢) فالدنيا تتقلب وتتحوّل من حال إلى حال، وأغفل الناس الذي لا يتعظّ ولا يرى التحوّلات والانقلابات.

فقد نرى شخصاً ذا وجهة وتأثير وكان سابقاً يبيع الكباب، وقد نرى مسكيناً مرمياً في الشارع وكان سابقاً وزيراً ومليونيراً. وعزيز قوم ذل. فالغني يتحوّل إلى فقير، والفقير يتحوّل إلى غني، والشريف اجتماعياً (وكلكم شرفاء) إلى وضع، والوضع إلى شريف. إذن، أيها الإنسان لا تجعل الغرور يصيبك لأن حال الدنيا

٢٢١. سورة إبراهيم: الآية ٧

٢٢٢. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٩٤

سيتغير، ويا من لا تمتلك الوجاهة لا تحزن، ذلك لأنها قادمة. راجع الذاكرة وسترى أناساً كانوا كباراً وذهبوا، وعائلة ميسورة كبيرة مرض معيها ومات، فتصدّعت وذهبت الأموال ووجد أفرادها أنفسهم في حال العوز الشديد.

قد يقول أحدكم: عُيِّن فلان بالمكان الفلاني، وقبل فترة من الزمان كان جارنا ويقترض منا السكر، وقصاصة ورق غيرت أحواله فغيّر أرقام هواتفه، ومكان السكن، وما عاد يرد السلام، حتى إذا صدر الأمر الديواني بإعفائه عاد إلينا يحيينا. لذا تجد نفسك مضطراً إلى سؤاله: لماذا لم تذكرنا في تلك الأوقات، وعندما جاءت ورقة الإعفاء جئت إلينا؟ نحن نريدك أن تتفقد أحوالنا عندما تكون في مركزك العالي.

في المقابل، يُنقل عن بعض الشرفاء في الدولة العراقية أنهم يوم تعيينهم يكتب كل منهم ورقة استقالته ويضعها في سترته حتى إذا ما تعرض للابتزاز والضغوط يقول: لا أمد يدي إلى المال الحرام، ولا أتجاوز على حقوق الشعب، وهذه ورقتي جاهزة وموقّعة. هذا الإنسان يكبر في نظر الناس، ويكون ضميره مرتاحاً، ورأيتهم في زماننا من قدم صوراً رائعة في الزهد بالدنيا والمواقع، بحيث أنهم عندما طلبت منهم المرجعية اتخاذ موقف لبّوا الطلب، ولم يبقوا دقيقة في مواقعهم. وهذه الثقافة حين تسيطر على الشخصية والنفس تكون مهمة جداً.

نسأل الله أن يعيننا على ذلك وسنواصل بإذن الله في الليالي القادمة الحديث عن هذا الموضوع المهم والدروس الأساسية لإماننا السجاد، ولرسول الكريم عليهم أفضل الصلاة والسلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الرمضانية الرابعة عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق في هذا الشهر الفضيل في صيامه وقيامه وفي ليليه وأيامه .

كان حديثنا عن نظرة الاعتبار واستعرضنا العديد من الآيات القرآنية ، وذكرنا كيف أن كل آية من تلك الآيات القرآنية تشير إلى جانب من جوانب الاعتبار ، ثم انتقلنا لاستعراض عدد من الروايات والنصوص الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

الاتعاظ بالآخرين

عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: السعيد من وعظ بغيره»^(٢٢٣) ، الإنسان السعيد يرى الآخرين وماذا جرى عليهم ، والناس الذين مروا بابتلاءات شبيهة بالابتلاءات التي يمر بها ، إن كانوا معاصرين أو سابقين ، والسعيد من يفتح عينه ويرى الآخرين وما جرى عليهم ؛ فهذا وقع في حفرة ، وهذا الذي أساء واعتدى والذي تجاوز الحدود والذي هتك الحرمات والذي أزهد الأرواح ، ماذا جرى لهم وأين وصلوا ، ماذا كانت نهايتهم لنرى ونعتبر ولا نقع في ما وقع فيه الآخرون ، فالإنسان السعيد من وعظ بغيره .

لماذا يكون سعيداً؟ لأن من لم يتعظ بما جرى على الآخرين يصبح هو عبرة لهم ، ومن لا يستفيد من دروس التأريخ يصبح هو درساً من دروس التأريخ وفصلاً منه ، عليك أن تختار؛ إما أن تتعظ ، وتستفيد من الآخرين ، وإما أن تتحول

أنت إلى درس يستفيد منك ويتعظ بك الآخرون ممن يأتون في وقت لاحق ،
فحري بنا أن نكون من السعداء وأن تكون نظرتنا نظرة بصيرة ونظرة عمق ورؤية
واضحة ، حتى نستفيد ولا نقع في ما وقع فيه الآخرون .

عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه قال : «الخير كله في ثلاث خصال
في النظر والسكوت والكلام» ، تحكّم بنظراتك وتحكّم بسكوتك وتحكّم
بكلامك ، تحصل على الخير كله ، كيف سيدي يا أبا عبد الله ، «فكل نظر ليس
فيه اعتبار فهو سهو» ، النظرة ليس فيها اعتبار ولقطات خاطفة . إن الكاميرا تصور
بحالتين ؛ تصوير فوري يخرج فوراً ، وكل لقطة تصور تذهب ، وهناك تصوير فيه
فيلم وتستطيع أن تستحضره في أي وقت ، ونظراتك للحياة ماهي ؟ ، أهى نظرة
خاطفة ولقطات أو نظرة فاحصة ؟ . ما وراءها وماذا تعني ، لماذا هذا الفعل ،
ولماذا ردة الفعل بهذا الشكل ؟ .

على الإنسان أن يبحث عن الأسباب والخلفيات والدوافع والمناشئ
والمعاناة ، يأخذ الظواهر ويضعها على طاولة التشريح ويقراها من كل جوانبها
وحشياتها ويتفحصها ، فرق كبير بين نظراتنا للأمور ونظرات المختبر ، النظرة
المختبرية تجري دراسة وتحليلات على النقطة التي لا ترى بالعين وتعرف تماماً
ما المشكلة ، فإذا كان هناك مرض عضال يأخذ عينة صغيرة ويخرجها من الجسم
ويزرعها ويتفحصها ويختبرها ، وحين تطلب منه النتيجة سيقول لك بعد أسبوع ،
وهذا زرع أسبوع أو شهر وبعضها ثلاثة أشهر ، وقسم لمدة أسبوعين ، وتبقى تحت
المجهر ويرى تفاعلاتها على مدار زمن ليكتشف ما هي العينة وطبيعة المرض ،
حتى يحدد العلاج المناسب له ، «فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو» . إذا كانت
نظراتك تلتقط فيها دروساً فهذه النظرة صحيحة وإلا فأنت في سهو .

«وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو مخلب» (وقد تجلس ساعات تسرح بفكرك
بدون هدف ، ماذا استفدت وهل طورت نفسك بهذه الساعات وما هي المعلومة
الجديدة التي توصلت إليها؟ ، لم أتوصل لشيء ، وأمس وما قبله والأسبوع
الماضي والسنة الماضية والتي سبقتها ، وهو على حاله لم يتغير شيء ولم
يتطور ، وبعد خمس سنوات نفس الشيء ، عن علي عليه السلام : « من تساوى يوماه
فهو مغبون»^(٢٢٤) ، ليس فقط إذا تراجع إنما تساوى يوماه ، أمس كيف قضيته؟ ،

في العبادة أم الدعاء أم متابعة الأمور وحل المشاكل ، واليوم نفس الشيء وبنفس ما كنت تسير به أمس ، إذن تساوى يوماك .

البعض يعتقد بأن من تساوى يوماه يقف عند ذلك ، كلا ، أن تسير بقدر ما كنت تسير أمس وبنفس المقدار فأنت مغبون ، بل يجب أن تسير اليوم أفضل وفي كل يوم يجب أن تكون هناك خطوة أكثر وأكبر ، وإذا سرت بنفس الوتيرة فأنت مترجع ، وكأنك تسير وعلى رأسك قالب ثلج ، وهو رأسمالك وفي كل لحظة تمر والشمس على رأسك ، فإن رأسمالك سيدوب ، فلا يكفي أن تحتفظ به ، بل يجب أن تطوره ، كما يحاول التجار زيادة القيمة للمال ٢٠٪ أو أكثر أو أقل ، إذا كنت تملك مليوناً وبقي المليون للسنة القادمة نفسه فأنت خسران بنظر التجار ، ويجب أن يكون مليوناً ومائتين أو ثلاثمائة ، وإذا بقي مليوناً فأنت خسران ، والشيء الذي يُشهى بمليون سيشرى نفسه العام القادم بأكثر من مليون ، والعملية تفقد قدرتها الشرائية إذا لم يزد عليها .

كل سكوت ليس فيه فكرة غفلة

«وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو» ، الذكر يقرب إلى الله ويذكر بالله ، وليس بالضرورة أن يكون دعاء وتسييحا ، وكل كلام مفيد يقدمك خطوة ، أما إذا لم يكن فهو لغو ، ثرثرة كما نسميها بلغتنا الآن ، تذهب في الليل وتقتل الوقت لساعتين أو أكثر وهذا أخطر من قتل البشر . بماذا تُعرّف إنسانية الإنسان؟ ، يأكل ويشرب ويتنفس؟ ، كلا ، هذه صفات الحيوانات والدواب . إنسانيتك بماذا إذن؟ . بعقلك ومنطقك واستثمار وقتك ، فإذا قتلت الوقت فقدت فرصة حقيقية من فرص الحياة الطيبة .

«فطوبى لمن كان نظره اعتبارا وسكوته فكرة وكلامه ذكرا وبكى على خطيئته» ، طوبى لمن يشعر بالندم ، فالبعض تاخذه المكابرة حين يخطئ خطأ معينا ويقع في معصية ، لا سمح الله ، ولا يريد أن يرجع وينظر للخطيئة ولا يقبل أنه أخطأ ولا يريد أن يعترف ، وعندما يكابر فهذه نقطة سوداء بقيت بالقلب ، وفي اليوم الثاني قد تضعف نفسه أيضا ، وتأتي نقطة ثانية وثالثة ورابعة ، وكلما أظلم القلب أكثر كان تفاعله مع الحق والموعظة والصلاح ومع الخير ، مندفعاً بالاتجاهات الأخرى وينحدر ، مثل البناء إذا انهار ، فالقلب إذا لم تراقبه نمت فيه حالة القسوة فيبتعد ويسرح والانحراف لا يأتي بلحظة ، ولا يأتي بليلة ، عملية الانحراف بطيئة ولا

تحس بها ولا تشعر وتخطو خطوة فتبرر لنفسك؛ لا أقصد أو كذا، وشيئا فشيئا إذا تفاعلت بالخطوة الأولى ستتبعها الثانية والثالثة والعاشرية والعشرة آلاف، وستجد نفسك في عالم آخر بعيد كل البعد عن الصلاح.

«وبكى على خطيئته» اندم وارجع واعترف مع نفسك، ليس أمام الآخرين، فالله لا يقبل بالفضيحة والله ستار العيوب. في مدرسة دينية يدرسون الدين والعلم، في يوم ما جاء خبر للمدير أن الطالب الفلاني في غرفته في الأقسام الداخلية في نفس المدرسة، هذا الطالب يتناول المحرمات والمسكرات والعياذ بالله، طالب دين يتناول المسكرات وفي الغرفة، ويضع المسكرات خلف الكتب وجاء المدير في زيارة تفقدية، وكان ينوي تفتيش الغرفة، وطرق الباب ودخل، فاصفر وجه الطالب، هل هي زيارة بريئة؟، والذي لديه مشكلة في قرارة نفسه يضعف بسرعة ويظهر عليه.

قال المدير: ماذا تدرس؟، ما شاء الله ما هذه المكتبة، وما اسم هذا الكتاب؟، إنه كتاب لطيف، والذي بعده، حتى وصل إلى آخر كتاب، وهذا إذا رفعه ستظهر المعصية، قال ما اسم هذا الكتاب؟، قال له اسمه ستار العيوب، فوصلت الرسالة وودّعه وخرج ولم يرفع الكتاب، وهذا الطالب انقلب ١٨٠ درجة؛ رفع المسكرات وتعاهد مع الله ما دام الله قد ستر عيبه ألا يعود إلى المعصية من جديد. هذه القضية وأمثالها تعطينا دروسا، ألا نشهر ولا نتعجب من الأمر ولا نأخذ جلباب الله، ونريد نحن أن نعاقب الناس.

انظروا في قضايا المعصية، يتشدد الله كثيرا، ففي الفاحشة والعلاقة المحرمة الخاصة يجب أن يكون هناك أربعة شهود، ولا يكفي أن يخبروا، بل رأوا بأمر أعينهم، كيف يرى أربعة شهود في هذه القضايا التي تخفى عادة، معنى هذا أن الله لا يريد أن يحاسب في هذه القضايا في الدنيا جهد الإمكان، إلا إذا انكشفت قضية بشكل كبير، وهناك تشدد كبير في هذه الأمور.

الاعتراف بالذنب

المهم الإصلاح وليس المهم التشفي، وليس المهم كشف عورات الآخرين، نتعلم من هذه القصة وأمثالها دروسا لو تعرفنا على خلل كيف نوصل الرسالة للمخطئ كي يتراجع، ولو أن المدير رفع الكتاب وهتكه بالحوزة والمدرسة

الدينية لعله كان يترك العلم والصلاح والهدى خلف الرذيلة والعياذ بالله، لكن عندما أوصل الرسالة من دون كسر، كان هذا الموقف سببا في إصلاح هذا الإنسان وإصلاح حاله، لكن يجب أن ندقق في هذا الأمر.

«وبكى على خطيئته» والشعور بالندم، انظروا في أدعية أهل البيت سلام الله عليهم والأدعية القرآنية: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾^(٢٢٥)، اعترف وابك على حالك، وأي وقت أفضل في الاعتراف بالخطأ والندم على ما وقعنا فيه من ذنوب ومعاص، من هذه الليالي الشريفة ونحن مقبلون على ليالي القدر، افتحوا قلوبكم وكل شخص بينه وبين ربه ولا يسمع الآخر، واجلس بغرفة واغلق الباب واختل مع ربك وناج ربك وقل له أنا عملت كذا وكذا والله يعرف، فهو أمر جيد عندما تعترف وتبكي على حالك وتتوب، هذه الدمعة تغسل أدران القلب وترجعه طاهرا ونقيا وأبيض، لناخذ على أنفسنا أن نعترف بذنوبنا بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ نعترف بأخطائنا وندم عليها، هذا طريق مسح الذنوب والعودة للفترة السليمة.

السعيد من أمن الناس شره

«وأمن الناس شره»^(٢٢٦)، السعيد من يأمن الناس شره، هناك شخص تحبه الناس وتسلم عليه وتقدره، لكن عندما يعبر تتبعه اللعنات؛ كذا وكذا منه، يقولون نريد أن نتحاشى شره لأنه مصيبة وشر، فيتظاهر الناس أمامه بشيء وخلفه يتعاملون بطريقة أخرى، ما فائدة الحياة في مجتمع كهذا، والناس لا تريدك، والكلام يصل إليه ويعرف أنهم يتظاهرون وخائفون منه، ما قيمة مثل هذه الحياة؟، فالإنسان مشاعر وعواطف وعلاقة مع الآخرين وفعل الخير، والإنسان يترك بصمات في الحياة ويذهب وتذكره الناس وتبكي عليه وترحم عليه وتدعو له بعد وفاته، وأثاره حاضرة، من صدقة جارية، أو قضية فعلها أو سنة سنها، أو سلوك طيب، والناس تترحم، وهذا هو طعم الحياة وحقيقتها.

الموت.. الحقيقة الكبرى

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعتبروا بما مضى من الدنيا» انظر ما جرى على السابقين واستفد واعتبر، «هل بقي على أحد» هل وقت الدنيا مع أحد وبقيت ثابتة معه؟ أو تقلبت ودوايب الدنيا أخذت وأعطت ورفعت ووضعت، ترفع أناسا وتنزل

٢٢٥ . سورة الاعراف : الآية ٢٣

٢٢٦ . تحف العقول ٢١٥

أناسا وتؤخر أناسا، وكم من أناس تقدموا لم يكونوا يستحقون، وكم من أناس تاخروا وهم يستحقون التقدم، وكم من أناس سعدوا وهم لا يستحقون شيئا، وكم من أناس نزلوا وهم لا يستحقون أن ينزلوا، هذه هي الدنيا، اعتبر واستفد وانظر حال الدنيا، «هل بقي على أحد أو هل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو»^(٢٢٧)، ليس لها صديق ولا صاحب، الذي يملك النقود والذي لا يملكها لم يبقوا كلهم وذهبوا بقطعة من الكفن، هذا الغني قد يكون كفته من نوع أحسن، لكن ماذا يستفيد إذا كان الكفن من حرير؟، وصاحب الوجاهات الكبرى عندما عملوا له تشييعا ضخما وعزف النشيد الفلاني وشاركت قوات عسكرية، ما الفائدة منها؟. بقي هو وأعماله، هو وريه، هو وسلوكه «والولي والعدو» صديقك والناس الطيبون ذهبوا وكذلك الأعداء والأشرار، لا يبقى أحد فالكل ذاهبون.

انظر إلى هذه الحقيقة، من غرائب الدنيا أن أوضح الحقائق في هذا الكون التي لا يختلف عليها هي الموت، فهو أوضح الحقائق وليس هناك حقيقة يجمع عليها الجميع كحقيقة الموت، المتدين وغيره والمدارس الوضعية كلها تؤمن بالموت، أما بعد الموت فهذا بحث آخر، لكن حقيقة الموت لا يشك فيها أحد، لكن عندما نستذكرها في أنفسنا بل في الآخرين، ونقول فلان مات، هل نفكر أننا سنموت أيضا؟، هذا آخر شيء نفكر فيه.

تقول له هل الموت حق؟، يقول: نعم، كيف؟، يقول: مات أبي وأخي وابن عمي وأقاربنا، وأنت ماذا؟. يقول: لا تتكلم بهذا، أنا لا أموت وغيري يموت وأنا أتصور موت الآخرين ولا أتصور موتي، حتى يقال في أحوال العلماء أن منهم من حفر قبرا، وكل أسبوع ينزل في القبر ويتمدد ويتصور أنه قبضت روحه ويتصور الحالة ثم يستذكر أعماله، وهل هو جاهز للموت. ثم يدعو ويطلب من الله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾^(٢٢٨)، أعطني فرصة لكي أصحح، ويبكي ويتضرع ويتوسل ثم بعدها يعطي لنفسه فرصة لمدة أسبوع، كل ليلة جمعة يرجع لهذا القبر وينام لكي يصدق أنه سيأتي عليه الدور، مشكلتنا أننا لا نصدق، وإذا لم نصدق فلن نعتبر وإذا أردت أن تعتبر يجب أن تتأكد وتتيقن أنك لست استثناء، وأنا وأنت سنموت أيضا، فهل نحن جاهزون ومستعدون، وعندما نبقى نحن

٢٢٧ . بحار الأنوار ج٦٨ ص٣٢٥

٢٢٨ . المؤمنون : الآية ٩٩

وأعمالنا، في ذلك الوقت ليس هناك حصانات ووجاهات، ولا توجد تغطية على ملفات، كل شيء مكشوف، فماذا تعمل؟ وأين تذهب؟.

«فكذلك ما لم يأت منها بما مضى، أشبه من الماء بالماء»، انظر إلى ما مضى وأحوال هؤلاء الناس، أن الدنيا لم تف إليهم جميعا، لا فرق بين هذا الماء وذاك، ما مضى وما يأتي الشبه بينهما كالماء والماء، حقيقة واحدة وسنن واحدة وقواعد وقوانين واحدة تتحكم بهذا الكون ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٢٢٩)، لا تختلف، الوجوه تتبدل والزمان والمكان، لكن الحقيقة واحدة وما الذي جرى على الآخرين يجري علينا واللاحقين.

كل ما يقرب إلى الله عبادة

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفى بالموت واعظا وبالعقل دليلا وبالتقوى زادا، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٢٣٠)، وبالعبادة شغلا»^(٢٣١). العبادة هنا بالمعنى الأوسع ليست الصلاة والصوم فقط، بل كل ما يقرب إلى الله، نطلب من الله أن تكون كل أعمالنا وأوردنا وردا واحدا، «وحالي في خدمتك سرمدًا»^(٢٣٢) كما في دعاء كميل، ونريد كل الأعمال وردا واحدا. ماذا يعني؟، معناها أن البوصلة واحدة، دعائي وصلاتي وأكلي وشربي وجلوسي، كلها ورد واحد باتجاه واحد نحو الله سبحانه وتعالى؛ لماذا تأكل؟ لأتقوى على طاعة الله، أريد أن أستريح لكي أوصل العمل في طاعة الله، لماذا تتسامر مع أصدقائك وتذهب في سفرة؟، لكي أروِّح عن نفسي فترجع طرية ومنفعة في طاعة الله، نومكم فيه عبادة وأنفاسكم فيه تسبيح.

وهكذا تكون لأن الغرض من كل هذه الأعمال إما العمل الصالح بالمباشرة أو التهيؤ للعمل للصالح فصار كله عبادة، «وبالعبادة شغلا وبالله مؤنسا» هنيئا لك يا إنسان عندما يكون أنسك حينما تناجي ربك وحينما تختلي مع ربك، وعندما تتعلم كيف تناجي الله ينكسر القلب وتدمع العين وتتحرك المشاعر، عندما تتكلم مع الوجود المطلق لا يسجل عليك نقاطا ويعرف الحقائق، لكنه ستار العيوب

٢٢٩ . سورة فاطر : الآية ٤٣

٢٣٠ . سورة البقرة : الآية ١٩٧

٢٣١ . بحار الأنوار : ج ٦٨ ص ٢٢٥

٢٣٢ . إقبال الأعمال : ج ٣ ص ٣٣٦

وهو علام الغيوب، يستر ولا يكشف ولا يفضح، ليست لديك مشكلة في أن تقول له أي شيء، وتبوح له من دون حسابات، ولا توجد تفسيرات خاطئة ولا تأويلات مشبوهة، يفهمك بحقيقتك ويعرف ماذا تريد، لأنه أقرب إليك من حبل الوريد فيبدأ الشخص يلتذ بهذه المناجاة وبهذه العبادة «وبالله مؤنسا».

لحظة تفكر تعادل عبادة سنة

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فكرة ساعة خير من عبادة سنة»، لحظة تفكر تعمق فيها وتكشف عن حقيقة تعادل عبادة سنة بعيدة عن التفكير والرؤية والعبادة الواعية، والعمل الواعي الهادف يجعل قيمة لهذا العمل.

«ولا ينال منزلة التفكير»، التفكير منزلة ومرتبة وليس عملا بسيطا وإن الله يمنحها، «إلا من خصه الله بنور المعرفة والتوحيد»^(٢٣٣) الله يعطيك هذه المنزلة وتصبح إنسانا عميقا وتقرأ عمق الأمور وتقف عند «حقائق ولا تذهب بك موجة وتأتي بك موجة أخرى».

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المعتبر في الدنيا عيشه فيها كعيش النائم» الذي ينظر للدنيا نظرة اعتبار حاله كحال النائم، وما هي خصوصية النائم؟، يراها ولا يلمسها، في النوم ترى الأشياء ولا تستطيع أن تلمسها، وتزور أماكن الدنيا كلها وتأخذ فيها جولة، ويقال إن أطول حلم هو ثانية أو ثانية ونصف الثانية، وقد نهض من النوم لنقصها وتستغرق منا نصف ساعة وهي في الحقيقة أعشار الثانية الواحدة، وترى كل شيء لكن لا تمسك به. الحلم حقائق يطلع عليها أحيانا الإنسان، لأن بعضها حقائق، لكن لا يلمسها، والمعتبر لا يُغمر بالدنيا ولا يتعلق بها، ويتفاعل لكنه لا يتعلق بها.

الإنسان عندما يدخل في فندق جيد وفي غرفة جيدة يعرف أن هذا الفندق لا يبقى فيه وليس له، لأنه عابر وهو ليس كبيت الذي يعيش فيه ويتعامل بطريقة مختلفة حتى لو كان الفندق أفضل، لكن يبقى متعلقا بغرفته وفراشه، ولا يتعلق بالفندق لأنه حالة خاطفة. وقد يذهب سياحة وفي أرقى وألطف مناظر العالم والدنيا، لكنه في تلك اللحظة يعلم أن هذه ليست له سواء الطبيعة أو غيرها،

ويعرف أنه سيرجع لأنها ليست له ولا يتعلق بها، يرى ويستأنس ويتفاعل، لكن لا يتعلق لأنها عابرة، والإنسان المعتبر يتعامل كذلك مع الدنيا ولا يتعلق بها.

«وهو يزيل عن قلبه ونفسه باستقباحه معاملات المغرورين بها ما يورث الحساب والعقاب» عندما يرى أناسا مغررا بهم، كل همهم الدنيا؛ موقعها وإمكاناتها والنقود الأكثر التي يكسبونها، وهم متعلقون بهذه الحالة، يستبج ذلك عندما يراه، ويستغرب أنهم متمسكون بشيء زائل لأنه عابر وليس قضية ثابتة. يجب التمسك بالشيء الحقيقي، والاستقباح يزيل عن قلبه ونفسه ما يورثه الحساب والعقاب. الإنسان يحاسب على ما يقوم به ويفعله في هذه الدنيا، فإذا كان غير متعلق يستغرب ويشمئز من الانغماس بالدنيا والتعلق لمن هو مغرر به في هذا الأمر، إذن هو طاهر نقي لا يتورط بشيء يورثه العقاب، «ويتبدل بها ما يقربه من رضا الله وعفوه» وحركته في الدنيا لما يحقق القرب لله سبحانه وتعالى، وهمه رضا الله والتقرب إليه، كي لا يزداد بعدا عن الله.

«ويغسل بماء زوالها» تعبير عظيم، «ويغسل بماء زوالها مواضع دعوتها إليه» عندما تدعوه يقول لها: «غري غيري» اذهبي لا أتعلق بك، الشعور أنها زائلة يمثله رسول الله بالماء يغسل كل حالات التعلق ودعوة الدنيا إلى نفسها، دعوة الناس إلى أن ينغمسوا في لذات الدنيا، «وتزيين نفسها إليه» «وتنظر لك بمظهر جميل والأموال جميلة، وذكر الناس بسوء أحيانا لطيف، هذا تصعده وذاك تنزله وذاك قصير وهذا طويل، تزيين نفسها وتظهر نفسها بمظهر جميل وحسن.

وعندما يكون له نظرة اعتبار سيحصل على ثلاثة أشياء:

العلم بما يعمل: عندما تعتبر ستكون لك معرفة بما تعمل؛ لماذا تصرفت هكذا؟، وكل شيء له جواب، الشيء الذي تعلمه بأسبابه ومناشئه.

والعمل بما يعلم: وإذا كان لديك معلومات ستحولها إلى رأس مال وتعمل بما تعلم.

وعلم ما لا يعلم: لتكن لديك نظرة فاحصة واعتبار لتكتشف حقائق وتتعلم أمورا، والذي لا تعرفه ستتعلمه والذي عرفته تعمل به، وسلوكك يقن، وتعرف لماذا فعلت ولماذا قلت ولماذا لم تقل؟، هذا هو سر النجاح، إذن نظرة الاعتبار هي التي تحقق النجاح الكبير.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم»^(٢٣٤)،
تبدأ بالفهم ويكون لديك اليقين والعلم، وهذا هو المفتاح السحري للكثير من
الإنجازات التي نتطلع إليها في هذه الدنيا.

نسأل الله أن يرزقنا البصيرة في أمرنا وأن يرزقنا نظرة الاعتبار لأن فيها كل هذه
الفوائد العظيمة. والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الرمضانية الخامسة عشرة- بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام على سيد الوصيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام .

قال الله في محكم كتابه الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٢٣٥) صدق الله العلي العظيم .

وليد الكعبة وقرين ليلة القدر

السادة الأفاضل الإخوة الأكارم الأخوات الفاضلات ، أرحب بكم أجمل ترحيب وأعز بكم بذكرى جرح سيدنا ومولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، كلما حلت هذه الذكرى حلت معها ليلة القدر ، أي اقتران هذا أن تتزامن ليلة القدر مع استهداف مشروع القدر والتقدير الإلهي ، وكأن الانسان ينطلق في لحظة أريد فيها أن يخنق مشروع الإنسانية ، هذا الاقتران يحمل في طياته الكثير من المداليل وليس من صدفة في علم الله سبحانه وتعالى ، علي وليد الكعبة ، فكانت انطلاقته من بيت الله ، وكان استشهاده في بيت الله وفي محراب صلواته في المسجد ، وما بين المبدأ والمنتهى كانت حياته حافلة بذكر الله وبالعمل من أجل الله ، وتثبيت وتكريس المشروع الرسالي لعباد الله وخدمتهم في شؤون الدنيا ، وتصدى وبذل الكثير من الجهود في تنظيم حياة المسلمين في فترة توليه الخلافة

٢٣٥. سورة القدر : الآيات ١-٥

وفي الفترات الأخرى التي وقف فيها يعاضد ويساند ويشير على الآخرين في تصحيح المسارات ودفع الأمة بالاتجاهات الصحيحة .

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذج خاص ، فهو تربية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعَى الْإِلَهَ وَسَلَّمَ وتجددت عظمة هذه التربية والمشروع الرسالي الإسلامي في شخصية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكلما تحدث القرآن الكريم عن علي استخدم الجمع وليس المفرد ، فكان علي يمثل أمة ويمثل خطأ وتيارا في الأمة ويمثل مشروعا ، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢٣٦) ، لا يأتي الحديث في القرآن عن علي الفرد ، بل الحديث في القرآن عن علي الظاهرة وعلي المشروع وعلي المسار وعلي الإطار وعلي التيار ، هكذا كان الحديث عن علي ، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، لا يقول وعلي ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢٣٧) .

إذا كنت تسير وراء علي ، وهو في طول التولي لله سبحانه والطاعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا كنت تسير وراء علي عَلَيْهِ السَّلَامُ صرت من حزب الله وهذه العصبية والثلة ، وإذا صرت من جماعة الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ، والنصرة والظفر سيكونان لهذه الجماعة المخلصة الصالحة ، ولذلك جاء في قوله تعالى : ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(٢٣٨) ، القسطاس الميزان ، أي زنوا بميزان عادل ومستقيم ولا يخس الناس أشياءهم وحقوقهم ، وقيل إنها في المعاني الباطنية التي نزلت في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ علي هو الميزان ، ولكل شيء ميزان ؛ فالسكر له ميزان والحرارة لها ميزان آخر ليس بميزان السكر ، والرطوبة لها ميزان ثالث ولا توزن بميزان الحرارة ، ولكل شيء ميزان .

عظمة علي

ما هو ميزان الإنسان ، وكيف نزن البشر لنعرف كيف يسرون؟ ، هل يسرون بالشكل الصحيح ومن هو المسطرة؟ ، وعلى من يعرضون؟ . إن القسطاس المستقيم هو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ هذا ما قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعَى الْإِلَهَ وَسَلَّمَ : «علي مع

٢٣٦ . سورة آل عمران : الآية ١٧٣

٢٣٧ . سورة المائدة : الآيتان ٥٥-٥٦

٢٣٨ . سورة الإسراء : الآية ٣٥

الحق»، وكلنا مع الحق وكل إنسان يريد أن يمضي بالطريق الصحيح يجب أن يكون مع الحق لكن ميزة علي «والحق مع علي يدور معه حيث دار»^(٢٣٩)، علي يسير والحق يسير معه حيثما سار، إذن هو القسطاس وهو الميزان وهو المسطرة، هذه منزلة علي وهذه مكانة علي وهذه عظمة علي، لأنه تربي في أحضان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونهل ذلك المشروع الرسالي الكبير الذي جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولكي نعرف ماذا يعني علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، نتمن بقراءة بعض الروايات.

علي مع الحق

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: «قلت: يا رسول الله أرشدني إلى النجاة»، كلنا نريد النجاة، وإذا كان رسول الله بقربك، فما أحسن ما كان، هنيئاً لابن سمرة أنه كان موجوداً بحضور رسول الله وسأل هذا السؤال، «قال: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أممي وخليفتي عليهم من بعدي وهو الفاروق الذي يميز بين الحق والباطل»، يفرق بين الحق والباطل، كل واحد يريد شعاراً وكل واحد له قضية، واختلطت الأمور ولا نعرف الطريق، انظروا إلى الصفة التي أعطاها لعلي واستعيرت واستخدمت للخليفة الثاني ووصفه، قالها رسول الله بحق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(٢٤٠).

«من استرشده أرشده»، إذا ضل أحد الطريق، فعلي هو المرشد، «ومن طلب الحق من عنده وجده»، إذا كنت تريد الحقيقة بعمقها تجدها عند علي بن أبي طالب، رسول الله يقول ذلك، «ومن التمس الهدى لديه صادفه»، إذا كنت تريد الهداية والطريق الصحيح سر مع علي تصادف هذا الطريق، «ومن لجأ إليه أمنه» ولا تكن خائفاً ولا تكن ضائعاً ولا تكن حائراً؛ أتريد الأمان؟ تجده عند علي بن أبي طالب.

«ومن استمسك به نجاه»، إذا كنت خائفاً أو غريقاً أو لا تعلم أين تذهب، فتمسك بعلي وهو ينجيك، «ومن اقتدى به هداة»، اقتدِ بأثره وسر خلفه واتبع

٢٣٩. بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٤٠

٢٤٠. بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٢٠، ١٤٥، ٤٤٥. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٦.

منهجه تحصل على الهداية، «يا ابن سمرة سلم من سلم له ووالاه»، الذي يوالي عليا يسير بطريق السلامة وهنيئا لمن يوالي عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ «وهلك من رد عليه وعاداه»، الذي يقف في طريق علي بن أبي طالب سيهلك ويضيع .

علي حقيقة كبيرة سائرة ولا يستطيع أن يقف بوجهها أحد، وعلى طول التاريخ استهدفوا عليا وشوشوا عليه وسبوه وهتكوه، ويعتقدون بان عليا انتهى، مظلومية أمير المؤمنين بلغت مستوى أنه يوم استشهاده حين قالوا قتل علي في محراب صلاته، استغرب الناس؛ هل كان علي يصلي؟ . . لأنهم كانوا يظنونونه لا يصلي بسبب التشويش .

أي صورة أعطوا عن علي، وكم شوشوا وكم استهدفوا ولاحقوا عليا ونهج علي وأتباع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تحت كل حجر ومدبر، لكن في كل أزمة خرج منهج أمير المؤمنين أقوى مما كان، وأتباع علي أكثر مما كانوا، وهذا سر وإرادة إلهية، والله أراد هذا، «يا ابن سمرة إن عليا مني وروحه من روعي وطينته من طينتي وهو أخي وأنا أخوه»، نحن تأخينا أنا وعلي، «وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»، زوج بنت النبي والسماء تتدخل بالخطوبة، الولي هو الذي يعطي رأيا في هذه القضية، لكن السماء هي أعطت الرأي والله هو من أعطى الرأي، تحدثنا في مناسبة عن زواج علي من فاطمة بالنصوص التي وردت في هذا الموضوع، «وإن منه إمامي أممي وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أممي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا»^(٢٤١) هذا علي بن أبي طالب عن لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

امتداد رسول الله

في رواية أخرى عن علي بن الحسين السجاد (صلوات الله وسلامه عليه)، عن أبيه الإمام الحسين عن أمير المؤمنين، إذن هذه رواية فيها سلسلة ذهبية، إمام يرويها عن إمام، قال: «إنه جاء إليه رجل فقال له يا أبا الحسن إنك تدعى أمير المؤمنين فمن أمرك عليهم»، معناه أنه في زمن رسول الله كان يُقال له أمير المؤمنين، وهذه سمة من سماته وصفة من صفاته وفي زمن رسول الله يقال

لعلي يا أمير المؤمنين ، وسأل أمير المؤمنين من أين أنت ومن أعطاك الإمرة للمؤمنين؟ .

«فمن أمرك عليهم ، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : الله عز وجل أمرني عليهم» ، الله وضعني أميراً ، ورأى هذا الشخص أن هذا كلام كبير والرسول موجود ، فجاء الرجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال : «يا رسول الله أصدق علي في ما يقول أن الله أمره على خلقه» ، علي صادق بهذا الكلام؟ ، فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم قال : «إن علياً أمير المؤمنين بولاية من الله عز وجل عقدها فوق عرشه وأشهد على ذلك ملائكته أن علياً خليفة الله وحجة الله وأنه إمام المسلمين طاعته مقرونة بطاعة الله ومعصيته مقرونة بمعصية الله فمن جهله فقد جهلني» ، إذا كانت لك مشكلة مع علي فهذا معناه أن مشكلتك مع رسول الله ، لأنه امتداد لرسول الله وعظمته من عظمة رسول الله ، ورسول الله يأخذ عظمته من الله لأنه رسول .

لمن يقول أنتم غلاة لأنكم تتمسكون بعلي ، لماذا تتركون رسول الله؟ ، نقول ؛ تتمسك بعلي لأنه امتداد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . لو كان لدى علي حزب غير حزب رسول الله ، لما كان لنا علاقة به ، عظمة علي أنه امتداد لرسول الله . «فمن جهله فقد جهلني ومن عرفه فقد عرفني» ، إذا أردت أن تعرف رسول الله فيجب أن تعرف علياً ، وإذا جهلت علياً فأنت جاهل لرسول الله .

«ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي» . هذا امتداد ، فإذا أنكرت حلقة فأنت تنكر المنظومة ، ويجب أن تؤمن بها بالكامل ، وهذه منظومة واحدة متكاملة – والأمثال تضرب ولا تقاس – مثل الصيام ؛ إذا أفطرت قبل الغروب بخمس دقائق وشربت كأساً من الماء ، على أن أصوم بعد ذلك ١٢ ساعة ، فهذا الصوم باطل ، فيجب أن تصوم إلى اللحظة الأخيرة ، إلى رفع الأذان ، هذه الخمس دقائق تعتبر أنك لم تعبر خط النهاية كما هو المتسابق الذي يصل إلى خط النهاية ولا يجتازه ويبقى واقفاً ، وعندما يأتي بقية المتسابقين ، من الأول؟ ، الأول الذي تجاوز ، وأنت لن تكون حتى آخر واحد ، واسمك مشطوب بالرغم من أنك وصلت إلى ما قبل خط النهاية بشبر ، اعبر خط النهاية وستكون الأول ، وما دمت لم تعبر فأنت غير محسوب على العابرين ، إمامة علي ونبوة رسول الله ، مقترنتان ببعضهما ببعض ، كما قال رسول الله في هذه الرواية الشريفة .

«ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي ومن

دفع فضله فقد تنقصني»، أتريد دفع فضل علي وتشكك في فضله، فأنت إذن نقصت فضل رسول الله، لأنهما حقيقة واحدة، «ومن قاتله فقد قاتلني ومن سبه فقد سبني، لأنه مني خلق من طينتي، وهو زوج فاطمة ابنتي وأبو ولدي الحسن والحسين». ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله وأولياؤنا أولياء الله»^(٢٤٢)، فاعرف قيمة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الصدِّيق الأكبر

عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه) عليه عن آبائه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، إذن هذه رواية السلسلة الذهبية؛ ينقلها إمام عن إمام «خذوا بحجزة هذا الأنزع (إشارة لعلي، وحالة الصلح في مقدمة الرأس) يعني عليا، فإنه الصدِّيق الأكبر»، رسول الله يقول الصدِّيق علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، واستعيرت هذه الصفة أيضا للخليفة الأول، «وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله ومن أبغضه أبغضه الله ومن تخلف عنه محقه الله «انتبه ولا تتقدم ولا تتأخر وسر مع علي، وانظر ماذا يفعل، لأنه تربى عند رسول الله، وخذ منه، «ومنه سبطا أمتي الحسن والحسين، وهما ابناي، ومن الحسين أئمة هداة، أعطاهم الله علمي وفهمي فتولوهم»، سيروا وراءهم وتولوهم والتفوا حولهم، «ولا تتخذوا وليجة من دونهم فيحل عليكم غضب من ربكم ومن يحلل عليه غضب من ربه فقد هوى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»^(٢٤٣).

التمسك بالأوصياء

وعن حذيفة بن اليمان قال: «صلى بنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته فمن عمل بها فاز وغنم وأنجح ومن تركها حلت به الندامة فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة فكأنني أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ومن تمسك بعترتي من بعدي كان من

٢٤٢ . الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٩٤

٢٤٣ . بحار الأنوار ج ٣٦ صص ٢٢٨-٢٢٩

الفائزين ومن تخلف عنهم كان من الهالكين». أتريد الفوز والنجاح والغنيمة؟، سر وراء علي والتزم الطاعة والتقوى وتخلص من مضاعفات يوم القيامة.

حياتي توشك على الانتهاء، فألبي النداء وأرحل إلى ربي، فتمسكوا بالكتاب والعترة (أهل البيت) كليهما معا، «فقلت: يا رسول الله على من تخلفنا»، بمن نتمسك يا رسول الله ومن هو من تخلفه بعدك؟، «قال: على من خلف موسى بن عمران قومه». عندما ذهب موسى من خلف؟، «قلت على وصيه يوشع بن نون، قال: فإن وصيي»، كما أن موسى عنده وصي فأنا لذي وصي، «قال: فإن وصيي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله». أتريد أن تنتصر وتعلو؟، سر وراء علي وانصره، وإذا تركته تخذل وتضيع، «قلت: يا رسول الله فكم يكون الأئمة من بعدك قال: عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين أعطاهم الله علمي وفهمي وهم خزان علم الله ومعادن وحيه، قلت: يا رسول الله فما لأولاد الحسن؟».

البعض يفهم أن كلمة (الأهل) تعني النسب وكل ذرية الرسول وكل من ينتمي لأهل البيت، أهل البيت لهم تفسير خاص؛ علي والحسن والحسين والتسعة من أولاد الحسين، والبقية أبناء وذراري ولكن ليسوا من أهل البيت الذين نتحدث عنهم، «فما لأولاد الحسن؟»، قال: إن الله تبارك وتعالى جعل الإمامة في عقب الحسين، «ليس بيدي بل بيد الله، وهو وضعها في ذرية الحسين، «وذلك قوله عز وجل ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾»، قلت: أفلا تسميهم لي ومن هم يا رسول الله؟ قال: نعم إنه لما عرج بي إلى السماء ونظرت إلى ساق العرش فرأيت مكتوبا بالنور لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته به».

في المعراج رأى هذا الكلام مكتوبا في السماء، «ورأيت أنوار الحسن والحسين» إذن اسم علي موجود، واسما الحسن والحسين موجودان وكذلك فاطمة، «ورأيت في ثلاثة مواضع عليا عليا عليا»، في إشارة إلى علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه، وعلي بن موسى الرضا وعلي بن محمد الهادي عليهم أفضل الصلاة والسلام «ومحمدا محمدا» في إشارة إلى محمد بن علي الباقر ومحمد بن علي الجواد صلوات الله وسلامه عليهما، «وجعفر وموسى والحسن والحجة يتلأأ من بينهم كأنه كوكب دري فقلت: يا ربي من هؤلاء الذين قرنت أسماءهم باسمك؟»، اثنا عشر إماما وفاطمة ورسول الله يتقدمهم، فيكونون أربعة عشر.

«قال (الله سبحانه وتعالى): يا محمد إنهم الأوصياء والأئمة بعدك خلقتهم من طينتك، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم وبهم أنزل الغيث»، الرحمة تنزل للناس بهؤلاء، «وبهم أنزل الغيث وبهم أئيب وأعاقب، ثم رفع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعت ما يقول: اللهم اجعل العلم والفقهاء في عقبى وعقب عقبى وفي زرعى (أولادى) وزرع زرعى»^(٢٤٤)، واستجاب الله سبحانه له ذلك، ويجيب دعوة نبيه، هذا علي وهذه عظمة علي، لا تتصور أن عظمة علي بدعة ابتدعتها ووضعناها، هذه إرادة السماء عبر عنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي يقول عنه الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢٤٥) . . . ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢٤٦) صدق الله العلي العظيم ورسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

٢٤٤ . بحار الأنوار ج٣٦ ص ٢٣١-٢٣٢

٢٤٥ . سورة النجم : الآية ٣

٢٤٦ . سورة الحشر : الآية ٧



الأمسية الرمضانية السادسة عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحدثنا في الليلة الماضية عن المقاربة بين علي عليه السلام و ليلة القدر، ولماذا هذا الاقتران، ولا يمكن أن تكون صدفة مثل هذه الأحداث الكبيرة، لتحدث اليوم عن جانب آخر في شخصية علي عليه السلام، في طبيعة التعامل مع علي، هذا الرجل الأسطورة، الرجل العظيم الذي ما كان ليمثل شخصه وإنما يمثل أمة، ويمثل نهجا وتيارا وإطارا ومشروعا لهذه الأمة، عبر عن عمق المشروع الرسالي الذي حمله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هذا الجانب يتمثل في المحبة لعلي، نجد أن هناك تأكيدا كبيرا على محبة علي عليه السلام، وهذه المحبة لا تنحصر في الأبعاد الطائفية والمشاعرية وإنما تمتد لتمثل معلما رساليا لتأخذ جانب القداسة والبعد الشرعي، لترتبط بها هوية الإنسان المسلم، لتصبح مقياسا ومعيارا لهذه الهوية. والنواصب الذين يخرجون عن الحب فهم يخرجون عن الإسلام، وهذه ليست من القضايا التي يختص بها أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، وإنما تعم المسلمين جميعا لأن حجم النصوص الواردة في تبيان هذه الحقيقة من كلا الفريقين يصل إلى حد التظافر الكبير إن لم نقل التواتر في مضمونها الإجمالي، وكان هناك منهج إلهي يراد له أن يوظف البعد العاطفي والمشاعري لتكريس موقع علي عليه السلام ودور علي وأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام في الأمة.

سنقرأ بعض الروايات في هذا المجال ليتبين لنا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كلما تحدث بحب علي، تحدث عن إرادة السماء، وكلما تحدث عن حب علي عليه السلام، تحدث عن الأجر والثواب العظيم لمن يحمل هذا الحب، وبالطبع هذا الحب له مراتب، كما هو في محبتنا لبعضنا، هذا الحب الذي يأخذ البعد الرسالي والعقدي أيضا له مراتب، البعض يتعاطف مشاعريا ويختلف منهجا وسلوكا وأداء، ولكن البعض الآخر ينطلق من هذا الحب، من مشاعر وعواطف،

إلى التزام وتمسك، وإلى تمحور حول علي، و«علي مع الحق والحق مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يدور معه حيث دار». يتحول الحب ليكون رافداً وركيزة ومحطة ومنطلقاً لتغيير مسارات كبرى في حياة الإنسان للمضي في طريق الطاعة لله سبحانه وتعالى ولرسوله الكريم، ونهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس إلا امتداد لهذا النهج القويم، لاحظوا كيف تكرر المشاعر والعواطف والمحبة في هذا الإطار.

معنى أن نحب علياً

في هذه الرواية عن جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) عن أبيه عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن علي عن أمه فاطمة بنت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قالت: «خرج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عشية عرفة فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلي خاصة»، هذه بشارة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الله، «وإني رسول الله اليكم»، لا تتصوروا أن القضية شخصية وعائلية ولا تتصوروها وراثية، هذه قضية أقولها لكم ليس بصفتي الشخصية بل الحقوقية باعتباري رسول الله سبحانه وتعالى، «وإني رسول الله إليكم» هذه قضية إلهية، «غير محاب لقرابتي»، حاشا لرسول الله أن يقع في الحزبيات والفئويات والعشائريات، هذه إرادة إلهية، «هذا جبرائيل يخبرني أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته».

هذا وحي من الله، وحينما نحب علياً نحب نهجه ونحب قيمه ونحب مبادئه ونحب منهجه، هكذا «وأن الشقي كل الشقي حق الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد وفاته» (٢٤٧). إذا كانت قضايا شخصية فإن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يغضب بعد وفاته، وما يغضب علياً أن تتعدى وتجاوز المنهج والمشروع والقيم والمبادئ التي كانت موضع اهتمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لاحظوا هذه الرواية الأخرى: «قيل لأبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه): جعلت فداك إنا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم»، اليوم عندما نسأل أولادنا عن أسمائهم، نجد أسماء علي وجواد وحسن وحسين ومحمد، إذ نسمي بأسمائهم صلوات الله وسلامه عليهم، هذا منهج لتكريس العلاقة والارتباط الوثيق ولا تعتبرها قضية عادية، وهناك من يسمي أبناءه بأسماء غريبة عجيبة لا

يستطيع أحدنا أن يحفظها، من أين أتى بها وبأي ثقافة ولماذا لا تعترز بهويتك؟، وأنتم تعرفون ماذا أعني وماذا أقصد، أسماء عجيبة غريبة، «إنا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟»، هل تنفعنا هذه، «فقال: إي والله وهل الدين إلا الحب»^(٢٤٨)، ما هو الدين؟، حب وطاعة والتزام وتعلق وهوية وانتماء، وعندما يفتح ابنك عينه ناده؛ علي، جواد، حسين، فاطمة، ليأنس بهذا الاسم ويُعجن الاسم وما يمثله في قلبه ومشاعره ويختلط بدمه وعروقه ولحمه ودمه.

المرء مع من أحب

قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢٤٩)، إذا كنت تحبه ولا تتبعه فأنت لا تحب الله، ولو كنت تحبه حقا لماذا لا تتبع رسوله؟، إذن هذه محبة ادعائية، مثل الكثير من العواطف والمشاعر الجوفاء التي نتبادلها؛ حياكم الله، نحن مشتاقون... أين المحبة وهو مريض في المستشفى ثلاثة أشهر ولم تذكره باتصال هاتفي؟، بدأنا نتكلم بهذا الكلام حتى أصبحنا نغفل عن مداليه، هل أصبحت مشتاقا له، كلا، فأنت أمامه شيء وخلفه شيء آخر، مشاعر ومصافحات وحديث طيب لكن بعد مروره بديقتين نتحدث أحيانا بحديث مختلف، أين الصدقية؟ لماذا توهم نفسك، لا تبالي ولا تتجاوز الحدود فهذا أفضل.

«فاتبعون يحييكم الله»، إذا كنت تحب الله فاتبع رسوله، وإذا اتبعت رسوله والتزمت فإن الله سيحبك وينزل رحمته عليك.

وفي رواية أخرى، قام ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «بأبي أنت يا رسول الله متى قيام الساعة؟».

رسول الله لم يُرد أن يدخل معه بحديث فلسفي بتوقيتها وعلاماتها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أعددت لها؟»، إذا كنت تسأل عنها، هل تهيأت لها، وإذا قيل لك إن الموعد اليوم، هل أنت جاهز أو تقول ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾^(٢٥٠) ولم أعمل شيئا؟، «قال: يا رسول الله ما أعددت لها كثير

٢٤٨ . مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢١٩

٢٤٩ . سورة آل عمران : الآية ٣١

٢٥٠ . سورة المؤمنون : الآية ٩٩

عمل»، أنت تعلم بحالي وليس لدي الكثير من العمل الذي أتباهى به وأضعه بين يدي الله سبحانه، لكن لدي عمل واحد» ألا إني أحب الله ورسوله «هذه فقط قد تشفع لي»، «فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وإلى ماذا بلغ حبك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ ما مستوى المحبة والمرتبة؟، اشرح لي محبتك لرسوله»، «قال: والذي بعثك بالحق نبيا إن في قلبي من محبتك ما لو قُطعت بالسيوف ونُشرت بالمناشير وقُرِضت بالمقاريض وأحرقت بالنيران وطحنت بارحاء الحجارة، كان أحب إلي وأسهل علي من أن أجد لك في قلبي غشا أو غلا أو بغضا لأحد من أهل بيتك وأصحابك».

أن يقطعوني أحب إليّ من أن تكون في قلبي ريبة وشبهة وغموض وغل، ليس فقط تجاهك، بل تجاه أصحابك وأهل بيتك ومحبيك وكل من يتصل بك، وأحرق بالنار أحب إلي من أن تُخدش هذه المحبة قيد أنملة، «وأحب الخلق إلي بعدك أحبهم لك» هذه مرتبة ثانية، وكل من هو أقرب إليك وأنت تحبه أكثر فهو أحب إلي أيضا وأحبه لحبك، «وأبغضهم إلي من لا يحبك ويبغضك أو يبغض أحدا من أصحابك» من يكرهك ويكره أصحابك فهو أيضا أبغض الناس إلي.

«يا رسول الله هذا ما عندي من حبك وحب من يحبك وبغض من يبغضك أو يبغض أحدا ممن تحبه فإن قبل هذا مني فقد سعدت»، غير هذه المحبة لا أملك شيئا، والحمد لله إذا قبلت مني، «وإن أريد مني عمل غيره فما أعلم لي عملا اعتمده وأعتد به غير هذا»، إن أعمالي على قدر حالي وتعلم أنت يا رسول الله أني «أحبكم جميعا أنت وأصحابك»، هذه محبتي لك يا رسول الله، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أبشر فإن المرء يوم القيامة مع من أحبه»^(٢٥١) ما دمت بهذا الشكل وهذه محبتك ليست مشاعر وعواطف جوفاء وتحولت إلى موقف؛ فتتخذ موقفا عدائيا ضد أعدائي، وموقفا إيجابيا في النصر لأوليائي. ترون هذه المحبة عندما تتجاوز المشاعر والعواطف وتتحول إلى نصره والتزام، تولي وتبرؤ، موقف لصالح الحق وموقف بالضد من الباطل، ما دمت هكذا فأنت معي وأنت بمكانك.

وعن الحسن بن علي الإمام المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «من أحبنا بقلبه»، عنده حب في قلبه لكن لم يقف عند الحب «ونصرنا بيده ولسانه» وهذه أعلى

المراتب؛ المحبة القلبية ونصرة باللسان والدفاع والنصرة باليد والنزول للميدان دفاعاً عن رسول الله وأهل بيته ومنهجهم ومنطقهم «فهو معنا في الغرفة التي نحن فيها» منزلته مثلنا. من يحمل مثل هذه المحبة التي تتحول إلى التزام بالمنهج يصبح مثلنا وقرباً منا «ومن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه» هناك مرتبة أقل؛ فالمحبة القلبية موجودة وينصرنا باللسان «فهو دون ذلك بدرجة»، بما أنك لا تقف بالعمل بل بالقلب وتدافع باللسان فهذه مقبولة منك، لكن لا تصبح بمنزلة من يقف بيده الذي ينزل للميدان ويدافع عن الحق الذي يعتقد به.

«ومن أحبنا بقلبه»، هناك من أحبنا بقلبه فقط ولا يتكلم، ويقول أكفيكم فلا أسيء اليكم ولا أقف معكم وأدافع عنكم، لا يا رسول الله، أنا لست بهذا المقدر، والجو العام ليس هكذا، أنا أركب الموجة ولا أخالف التيار وأقول كلمة حق وأتعرض لمشاكل، «ومن أحبنا بقلبه وكف يده ولسانه»، لا أسيء ولا أعتدي لكن أسير بالطريق الصحيح بدون اتخاذ مواقف كبيرة للإمام، «فهو في الجنة»^(٢٥٢)، من عمل بالواجب وترك الحرام يحصل على الجنة، بأي مرتبة لكن يدخل الجنة، ما المنازل العالية فهي تحتاج لى أكثر من الالتزام بالواجب وترك الحرام، تحتاج إلى اتخاذ خطوات إلى الأمام.

من مات على حب آل محمد مات شهيداً

في رواية أخرى عن جرير بن عبد الله البجلي قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من مات على حب آل محمد مات شهيداً» إذا كانت لديك هذه المحبة الحقيقية التي تتحول إلى فعل وأداء وممارسة، فهذه الميتة ميتة شهيد وهنيئاً لك «ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً» أي يوفقه الله، اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً.

إننا نطلب من الله دائماً أن تكون اللقطة الأخيرة صحيحة، فإن شمر بن ذي الجوشن كان من أصحاب علي وقاتل معه في صفين، وفي اللقطة الأخيرة صار كما تعلمون، والحر بن يزيد الرياحي من معسكر يزيد، وتأريخه ومواقفه وحياته كلها كانت مواقف مناهضة لأهل البيت، فأين كانت اللقطة الأخيرة، لحظة الموت، وفي أي معسكر؟. اليوم نترحم على الحر وننظر إلى اللقطة الأخيرة

ونلعن الشمر ونلتقط اللقطة الأخيرة وننظر إليها ونركز عليها، هذه المحبة وقاية وصيانة وحفظ للإنسان، «ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان»^(٢٥٣) وإيمانك يكتمل وتذهب إلى تلك الدار الآخرة وتلك النشأة ويدك مملوءة .

لاحظوا هذه الرواية؛ روى خالد بن نجیح قال: «دخلنا على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ (الصادق) فقال: مرحبا بكم، أهلا وسهلا، والله إنا لنستأنس برؤيتكم»، يا محبوبون ويا موالون، هذا موقف أئمتكم، «إنكم ما أحبتمونا لقربة بيننا وبينكم»، هناك من «ينتخي» لابن العشيرة، وعندما تكون هناك قضية يقف معه، لكنكم وقفتم معنا وتحملت المعاناة وليس هناك قرابة نسبية بيننا وبينكم، «ولكن لقربتنا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ» .

أنتم إمامكم رسول الله وقرابتكم معه، «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^(٢٥٤)، حفظتم هذه القرابة ودافعتم عن ذراري الرسول ووقفتم مع أهل البيت، فنحن نستأنس برؤيتكم، فالحب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «على غير دنيا أصبتموها منا» لم نعظكم دنيا بل محبتنا فيها ضريبة كبيرة، ولا حقوقكم تحت كل حجر، وامتألت بكم المقابر الجماعية، ولم نعظكم دنيا بل عناء، «من أحبنا أهل البيت فليتخذ للفقر جلبابا»، نحن لا نعطي المال، «من أحبنا أهل البيت دعه البلاء دعا»، متى قالها علي بن أبي طالب؟، عندما كان خليفة وليس في المعارضة، عندما كان بيته وبيده الأموال – لا نعطيها لربنا وحزينا وجماعتنا، بل هي أموال الشعب يجب أن تصل بالسوية – «على غير دنيا أصبتموها منا ولا مال أعطيتم عليه أحبتمونا في توحيد الله وحده لا شريك له» موقفكم سليم وغايتكم سليمة «إن الله قضى على أهل السموات وأهل الأرض وقال ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾»^(٢٥٥) وليس يبقى إلا الله وحده لا شريك له، اللهم كما كانوا مع آل محمد في الدنيا فاجعلهم معهم في الآخرة» .

هذا دعاء إمامكم بحقكم، بحق الذين لم يتخلوا وبقوا أوفياء و متمسكين بمنهج أهل البيت، والمفخحات تحصدهم ولم يتخلوا عن الشعائر ولم يتركوا زيارة الأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام. أولئك لم يتركونا وسوف

٢٥٣ . بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٣٣

٢٥٤ . سورة آل عمران: الآية ٦٨

٢٥٥ . سورة القصص: الآية ٨٨

لا نتركهم ، وهم معنا يوم القيامة ، « كما كان سرهم على سرهم وعلانيتهم على علانيتهم فاجعلهم في ثقل محمد يوم القيامة »^(٢٥٦) ، هذه أدعية أئمتكم ، فانظروا أين أفق المحبة وعمقها وأين الأبعاد ، واليوم أنت تقف عند محبة ، وهي غير كافية بل لتكون محبة مع موقف ، وسيقف لك رسول الله وأهل البيت يوم القيامة .

عن سلمان المحمدي (رضي الله عنه) قال : « كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذ جاء أعرابي من بني عامر » ، من الصحراء ، والأعرابي ليس لديه لف ودوران ويتكلم بشكل مباشر ، يتكلم بوضوح ويرى عمق الموقف ، « فوقف وسلم وقال : يا رسول الله جاء منك رسول يدعونا إلى الإسلام فأسلمنا » ، قلنا سمعا وطاعة ، « ثم إلى الصلاة والصيام والجهاد فرأيناه حسنا ثم نهيتنا عن الزنا والسرقه والغيبه والمنكر فاتهينا فقال لنا رسولك علينا أن نحب صهرك علي بن أبي طالب » .

ابتعدنا عن الزنا والسرقه والغيبه وسلوك الجاهلية والمنكرات وسمعنا ، لكن اليوم هناك شيء جديد من هذا الرسول ، ولم يكتف بهذا إنما صهرك يجب أن نحبه ، فهل محبة صهرك جزء من الإسلام ومن أين هذا؟ . لاحظ سؤال هذا الأعرابي وماذا أجاب رسول الله .

حب علي

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : « حب علي لخمس خصال » ؛

أولها / «إني كنت يوم بدر جالسا بعد أن غزونا» في بدر الانتصارات الكبرى إذ هبط جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال : «إن الله يقرئك السلام ويقول باهيت اليوم بعلي ملائكتي» ، الله يقول باهيت بعلي الملائكة وهو يجول بين الصفوف وهو يقول الله أكبر «وعزتي وجلالي لا ألهم حبه إلا من أحبه ولا ألهم بغضه إلا من أبغضه» ، الذي أحبه اجعل حب علي بقلبه والذي أبغضه اجعل بغض علي بقلبه ، هذا الموقف الأول ، كما يقول رسول الله في لحظة الانتصار .

والثانية / «إني كنت يوم أحد» لحظة الانكسار ، ففي أحد كما تعلمون انكسروا عسكريا ، «جالسا وقد فرغنا من جهاز عمي حمزة» ، أي دفنت للتو عمي الحمزة ، وأجلس على قبره ، «إذ أتاني جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال : يا محمد إن الله يقول فرضت الصلاة ووضعها عن المريض» الصلاة أوجبتها لكن جعلتها قصرا للمريض ،

ووضعها عن المريض أي هي غير مطلوبة بكامل شروطها منه لأن المريض أحيانا يصلي من جلوس ومستلقيا حسب ظروفه، «وفرضت الصوم ووضعتة عن المريض والمسافر» والصوم أيضا واجب لكن المريض يفطر ويقضي في وقت لاحق، وكذلك في السفر، «وفرضت الحج ووضعتة عن المقل المدقع»، وأوجبت الحج ولكن من استطاع إليه سبيلا ووضعتة عن لا يملك إلا أن يسهل له الله، «وفرضت الزكاة ووضعتة عن لا يملك النصاب»، وأوجبت الزكاة لكن ليس لكل شيء، بل إذا كنت تملك المقدار الذي فيه الزكاة وليس أقل من ذلك، «ولكن جعلت حب علي بن أبي طالب ليس فيه رخصة»، أما محبة أمير المؤمنين فليس فيها رخصة واستثناء وليست كالصيام والصلاة والحج والزكاة، ومن تمام الإسلام حب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الثالثة / «أنه ما أنزل الله كتابا ولا خلق خلقا إلا جعل له سيادا»، وكل شيء له وضع، «فالقرآن سيد الكتب المنزلة» القرآن سيد الكتب المنزلة من السماء، «وجبرائيل سيد الملائكة وأنا سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء وحبي وحب علي سيد ما تقرب به المتقربون من طاعة ربهم»

الرابعة / «إن الله تعالى ألقى في روعي»، هذا وحى، «أن حبه شجرة طوبى التي غرسها الله تعالى بيده.

الخامسة / «إن جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إذا كان يوم القيامة نصب لك منبر عن يمين العرش يا رسول الله والنيون كلهم عن يسار العرش وبين يديه ونصب لعلي كرسي إلى جانبك إكراما له».

والاستنتاج أن رسول الله الآن هو يسأل الأعرابي: «فمن هذه خصائصه»، ماذا تقول يا أعرابي، أنجبه أم لا؟، ويعطيه الفتوى: «فمن هذه خصائصه يجب عليكم أن تحبوه»، هذه مثل الصلاة والصيام، وهي مكملة لهذه الهوية الإسلامية، «فقال الأعرابي: سمعا وطاعة»^(٢٥٧)، نحب عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا حب علي وطاعته والالتزام بنهج علي، وهو نهج رسول الله، وللحديث صلة في الليالي القادمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الرمضانية السابعة عشرة- بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى في كتابه الكريم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٢٥٨)

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم أخواتي الفاضلات ، بداية أعزبكم بذكرى استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ . ليلة عظيمة وحزينة نستذكر فيها حدثا كبيرا غير مسار التاريخ ، نستذكر أسطورة ونستذكر عظيما وجبلا أشم استطاع أن يترك بصماته ويعبر عن منهج وعن رؤية وعن مشروع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يمثل تجسيدا لهذا المشروع .

الفوز بالشهادة

في هذه الليلة هناك ثلاثة أصناف ، صنف يشعر بالمحنة والألم وهم من الموالين والمحبين لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ والسائرين على نهجه ، وهناك فرحة لأعداء ولخصوم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعاصرين لعلي الذين رأوه المنافس الكبير بمؤهلات عظيمة وكل محاولاتهم لتشويه صورة علي من خلال مجموعة من الإجراءات تحدثنا عنها في مناسبات سابقة من سب وشتم وهتك وتشكيك بالنوايا ومحاولة إظهار صورة مخالفة تماما للحقيقة ، كل هذه المحاولات ، وتعيم إعلامي مطبق . وبالرغم من ذلك كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو المنافس الكبير والشرس بحسب مصطلحات السياسة لأولئك الأعداء والخصوم ، وهذه الخصومة لم تكن خصومة

شخصية بل خصومة منهج ، وبالتالي فأعداء علي نجدهم في كل زمان ومكان ولهم نفس المواقف تجاه علي وتجاه قيم ومبادئ ومنهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وهناك شخص علي ، وهذا الجانب الثالث ، وهو السعيد في هذه الليلة ، ولخص مشاعره وأوجز تقييمه لهذه الليلة بكلمات قصيرة ذات مداليل عميقة حينما قال : « فزت ورب الكعبة » ، يقسم برب الكعبة ، بالله وهو الصادق ، ولأنه فاز في هذه الليلة وتوَّج تأريخاً طويلاً من التضحية والفداء والعناء ، توجهها بالشهادة في سبيل الله ، فهو السعيد ، وكان يترقب هذه الشهادة وكان يعاتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ يا رسول الله وعدتني أن تكون نهايتي الشهادة في سبيل الله ، وخرجوا من بدر ومن أحد ، يا رسول الله ألم تعدني ؟ ، وذهب حمزة والآخرون المخلصون ولم يرزق الشهادة ، ويصبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ أنا عند وعدي ، ولكن لم يحن الوقت وأمامك مهمة كبيرة ويجب أن تنجز هذا المشروع وتوصله إلى مستويات ثم حينذاك يتوج هذا الجهد الكبير بالشهادة في سبيل الله .

في هذه الليلة لا يكفي أن نعى علياً ونذرف الدموع على علي ، ويجب أن ننعاه ونذرف الدموع عليه ، ولكنه غير كاف ، وإنما يجب أن نشأر لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ الشأر لعلي من خلال التزام نهجه ومن خلال التمسك بمشروعه ومن خلال الانتصار لقيمته ، بهذا نشأر لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وشخصية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ شخصية مركبة وبحر كلما وضعنا اليد على جانب من جوانبه وجدنا آفاقاً رحبة وكبيرة .

المقارنة بين نهجين

خطر في بالي في هذه الليلة الشريفة ذكرى استشهاد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن نوجد مقارنة بين نهج علي والنهج الآخر ، ولا أريد في هذه المقارنة أن أسوق الموقف المعاصر لعلي ، فكما قلنا إن علياً هو المنهج اليوم ، ونريد إجراء مقارنة بين منهج علي والمنهج المعتمد اليوم للجهة الأخرى في قبال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، ونركز على الجانب المهم ، جانب الحكم ؛ علي الحاكم ، ما رؤيته وسلوكه ومواقفه ، والموقف المقابل لعلي ، ما يقول وما يرى وكيف يتعامل ؟ ، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لخص نظريته في الحكم ، وهي نظرية الإسلام ونظرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عهده لمالك الأشر ، في قبال ذلك هناك وثيقة يمكن أن نقف عندها ونتعرف على منهج الفريق الآخر ، وثيقة تاريخية معمول بها اليوم ويستند إليها ويفتخر

بها، ويتمسك بها الآخرون كما تتمسك بعلي وبنهجه وبوثيقته المعروفة بعهدة لمالك الأشر.

هناك وثيقة تاريخية للمفكر والفيلسوف والسياسي الايطالي نيكولا ميكافيلي الذي توفي في عام (١٥٢٧) للميلاد، والآن مضت خمسمئة سنة على وفاته، هذا الشخص يقال إنه منظر الواقعية السياسية، انظروا إلى العنوان كم هو مثير ولافت للانتباه، من لا يتمنى أن يكون واقعيًا، إذا لم تسر بهذا الدرب فأنت غير واقعي ورجل تعيش بالأحلام، وإنسان تعيش بقيم جوفاء ليس لها قيمة، النظرة الواقعية في ما نقول، وكل شيء في ما عداه فهو ليس واقعيًا ولا يمكن أن يُنتج. المهم في هذا الرجل أنه أيضا كان منظرًا وفيلسوفًا وكان سياسيًا تصدى للسياسة، وهناك فرق بين المنظر الذي يجلس في البيت أو الجامعة ويعطي نظريات ويفلسف الأمور، ومنظر وحاكم وهو سياسي أيضًا، فطبق نظرياته وكان متمسكًا بها حتى وفاته، يلخصها في كتابته المشهور كتاب «الأمير» حتى أصبح هذا المنطق الميكافيلي مثلاً وإشارة يشار بها إلى بعض السياسيين وسلوكهم، الذي يكون عرضة للتقلبات، والذي يقال عنه إن له موقفاً ميكافيلياً، فهي إشارة إلى ذلك الفيلسوف (نيكولا ميكافيلي).

لا أريد أن أطيل وأخذ وقتاً طويلاً فيه، هذا الرجل يقول إن المحرك للتأريخ شيان، المصلحة والسلطة؛ إذا كنت تملك سلطة وهناك مصالح فإن الأمور ستسير، وتلتف الناس حولك وتصبح رقماً، وإذا لم تملك السلطة ومصالح الناس المادية لا ترتبط بك فلا أحد يسمع كلامك وليس هناك من يسمع رأيك، والتأريخ يتحرك على وفق هاتين القضيتين، انظروا كيف يختزل حركة الشعوب والأمم وينظر من هذه الزاوية الضيقة، ليس هناك وقت لتحدث عن نظريته بتفاصيلها، لكن هناك بعض المقولات له تعطي إضاءات لما يعتقد به ميكافيلي، وسننظر إلى علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ماذا يقول.

المبادئ الميكافيلية تتعارض مع نهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

ومن مبادئ القيم الميكافيلية (حب النفس، ولا معنى لحب البلاد والوطن)، لا قيمة للوطن والشعب والبلاد، وحب النفس هو المهم، وإذا أردت أمة متماسكة فلاني أريد أن أتأمر عليها وأنا أكبر، وإذا أردت وطناً متماسكاً فلنأمر به،

واحتل الدنيا كلها، والمعيار هو الذات الشخصية ومصلحتي، أما مصلحة الأمة والوطن والوطنية فهذه كلها كلام لا «يؤكل خبزا» كما نعتبر عنه في لغتنا! .

انظر أين مصلحتك إذا أردت أن تنجح، ورسخ الأنانية في وجودك!، لاحظوا ضحالة هذا المنهج، (من الأفضل أن يخشاك الناس لا أن يحبوك)، إذا كان هناك أناس تحببك فلن يفيدك حب الناس، يجب أن يخافوا منك حتى لو كان ذلك بالقوة والقهر، أما المشاعر والمحبة والعواطف فهذه كلها قصص خيالية وشعر، اترك الشعر واذهب وتمسك بالواقع الحقيقي، والواقع يقول إن المهم هو أن يخشاك الناس ويروك قويا، والذي لا يسير معك تدفعه بقوة لذلك، فضلا عن الإجراءات الشديدة كي تسير الناس وراءك.

ومن مقولاته الشهيرة على ألسنتنا: «الغاية تبرر الوسيلة»، تريد أن تصل إلى هدفك؟، أي طريق يوصلك لهذا الهدف سر به، ولا تهتم لموت أحد أو وقوع الظلم عليه، فكل هذا شعر، انظر إلى هدفك وأي شيء يمكن أن يحقق لك الهدف، فأغمض عينك وسر ودع الناس بعدها تفسر. سر واجعله أمرا واقعا والناس ستسير وراءك.

يقول: (أثبتت الأيام أن الانبياء المسلحين احتلوا وانتصروا بينما فشل الأنبياء غير المسلحين) حتى النبي إذا كان يملك السلاح والجيوش يقاتل ويتنصر، وليس بالموعظة والإرشاد، وهذه القاعدة الأساسية؛ بالقهر والقوة والقسر وإخافة الآخرين وبخشية الناس، فهذا ما يجعل لك هيبة لتسير بمشروعك إلى الأمام. لا تتكلم عن العلاقات الإنسانية والقيم والمبادئ فهذه كلها «شعر». يقول إن الدين ضروري للحكومة، فالحكومة يجب أن تكون متدينة، ولكن ليس لخدمة الفضيلة، فهذا ليس من عملنا، ويجب أن نجلب الدين ليس للفضيلة «لكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس، فالناس متدينون والحاكم يجب أن يتجلبب بجلباب الدين ويظهر الاهتمام بالدين حتى يلعب برؤوسهم ويضحك عليهم ويتآمر عليهم ويدفعهم إلى ما يريد ويشتهي ويتمنى وما يخدم مصالحه الشخصية وما يعزز أنانيته، هذا الدين، دوره وظيفي، أما تعميق الفضيلة والأخلاق ومكارم الأخلاق، «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢٥٩)، فهذا كله غير مقبول ولا

يعطي نتائج ، فالنتيجة إنما تأتي من كيفية الاستحواذ على مشاعر الناس لتذهب إلى ما تريد .

يقول أيضا: «من واجب الحاكم أحيانا أن يساند ديننا ما ولو كان يعتقد بفساده» ، يستهزئ بهذه القيم الدينية ، وليس مهما ما هو خلف الأبواب وما يسيء إلى القيم والمرجعيات والعلماء ويسيء إلى الرموز ، المهم أن يظهر بمظهر الاحترام للدين كي يستطيع أن يأخذ مشاعر الناس .

أيضا من قيمه يقول : «لا يجدي أن يكون المرء شريفا دائما» ، الشرف والنبيل والمبدئية والإيثار والمثابرة والإنصاف والعدالة واحترام الآخرين ، هذه كلها لا تطعم خبزا ولا تحقق نتائج ، بل القوة والأنانية والانتهازية والمكر والخديعة ، هذه هي التي تأتي بالنتائج إذا أردت أن تسيطر على الناس ، هذا هو المنطق الميكافيلي ، ترونه بنص العبارة في كتابه الشهير ، وإلى اليوم ، تقول المدارس التي تقف بوجه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في العالم ، إن منهجنا ميكافيلي ونحن أذعياء الواقعية السياسية ، وهذا منهج هؤلاء ، إذن ، منهج علي ما هو؟ في منهج علي لا أريد ان أبين مبادئ علي لأننا تكلمنا عنها كثيرا .

منطق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

سأذكر مجموعة من المواقف العملية لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكيف تعامل ، لنرى منطق علي ، هذا المنطق الذي يقول عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه موقف تميز به علي ، فلا تجده في غيره ؛ عن أبي أيوب الأنصاري قال : «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا علي إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بشيء أحب إلى الله منها ولا أبلغ عنده منها» ، أعطاك الله زينة غير موجودة عند غيرك من العباد وهذه خصوصيتك والناس تتكلم بها ، وهذه قوتك يا علي ، «الزهد بالدنيا وأن الله قد أعطاك ذلك» .

والزهد ليس ألا تملك شيئا ، البعض يظن أن الزهد هو ألا نملك شيئا وهذا خطأ ، بل الزهد هو كيف تستخدم البيت الواسع الذي تملكه ، ولديك أموال أين توظفها ، المال أسير لديك أم أنت أسير للمال؟ ، قد يشتري الواحد منا سيارة حديثة ، فلا يخرج ، وعينه على السيارة لئلا تخدش ، ويخاف عليها من الشمس والمطر ، إذن أصبح حارسا للسيارة ، والسيارة تشتري لكي يذهب بها ويحقق لنفسه

الراحة، لكن أن تتحطم أعصابك بسبب السيارة فهذا لا يسمى زهدا، فالشيء الذي أنت تملكه زهد، والخطورة في الأشياء أن نصبح نحن عبيدا لما نملك، وقد تتركون الصلاة والعبادات بسبب الاهتمام بالعمل والتجارة وغيرها فانتبهوا لذلك، وقد تعطي أسبابا وأعدارا لترك العبادات، إذن هذا المال قد أذهب العبادات والعلاقات الاجتماعية بسبب العمل والأموال، أو التجارة والمعاملات وغيرها، المال لخدمتك وصرت خادما لهذا المال.

«وإن الله قد أعطاك ذلك» يا علي «وجعل الدنيا لا تنال منك شيئا»، الدنيا لا تأخذ منك ولست أنت الذي لا تأخذ منها، انظروا التعبير الدقيق، لم يجعل للدنيا حصة بك ولا تنال منك شيئا «وجعل لك من ذلك سيماء تعرف به»^(٢٦٠)، الله أراد أن يكون الزهد الدالة على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لاحظوا بعض الأمثلة في هذا الموضوع؛ يروي الشيخ الطوسي أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قيل له أعط من هذه الأموال التي بيدك في بيت المال، لدفع هذه المشاكل، فهناك حرب الجمل وصفين والنهروان، وأناس تدعي قرابة وصحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقف بوجهك، فأعطهم يا أمير المؤمنين، والخزينة مملوءة، ليلتفوا حولك وتدير الأمور، واعط الأموال لمن يخاف فراره إلى معاوية، فالذي تراه ضعيفا ادفع له ليركض وراءك، فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أطلبون أن أطلب النصر بالجور» بظلم الناس فأعطي لهذا وذاك كي يأتوا وأنتصر عسكريا في إدارة دفة حكم لفترة معينة، لكن ما هو الثمن لهذا الانتصار وماهي الفاتورة لكي أدفعا؟، هذه لا أقبل بها، «لا والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم»^(٢٦١)، في مالي الشخصي أواسي بين المسلمين، إنما هي أموالهم، وليس من حقي أن أبذرهما بين هذا وذاك لكي أصنع اصطفايات سياسية لصالحني، والتوظيف السياسي للمال العام محرم كما يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو الخليفة والمال بيده ودائرة المستشارين يقولون اصرف وهذه خطوة صحيحة للحفاظ على الحكم، مع ذلك لا يرضى علي لنفسه هذا الأمر.

٢٦٠ . بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٧٨

٢٦١ . الأمالي: ١٩٤

رعاية الضعفاء

مشهد آخر في رواية الأصبغ أبي مسعدة عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الإمام عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى البزازين فقال لرجل: «بعني ثوبين» فقال له الرجل: «عندي حاجتك يا أمير المؤمنين» فلما أيقن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه عرفه تركه، قال له يا أمير المؤمنين سأخرج لك البضاعة من المخزن، فرأى أنه عرفه، ولا يريد أن يستخدم النفوذ، ويعلم بأنه مادام قد عرفه فسيخجل وربما لن يأخذ نقودا عن الثوبين أو سيخضم من سعرهما حتما احتراماً له أو بلا ربح، والحمد لله، البعض في زماننا بارع في الاستغلال للمواقع؛ فقبل فترة نقل لي أشخاص يعملون بأمرة مسؤول كبير أنه إذا رأى ربطة عنق على عنق أحدهم، يقول له إنه رباط لطيف، أرجو أن ترسل لي تسعة وليس واحداً، وإذا رأى شخصاً يرتدي حذاء جميلاً يقول له أرسل لنا تسعة أحذية، فصاروا عندما يريدون الدخول عليه يخفون أحذيتهم ويأخذون بدلها أحذية ممزقة، وكل من يريد أن يدخل عليه يغير ملابسه أو غير ذلك لئلا يريد تسعة منها!.

علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بمجرد أن عرفه التاجر وقال له حاجتك عندي استدار وذهب لكي لا يستغل ولا يوظف موقعه السياسي لقضية فيها بعد شخصي، فوقف عَلَيْهِ السَّلَامُ على غلام لا يعرفه، وأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، وقال يا قنبر (الخادم) خذ الذي بثلاثة وأنا ألبس الذي بدرهمين، فقال: «أنت أولى به يا أمير المؤمنين تصعد المنبر وتخطب بالناس»، أنا لا يراني أحد وأنت بالوجهة والناس عندما تراك يجب أن تراك بمظهر جيد، فيجب أن يكون مظهرك أنيقاً، فقال: «وأنت شاب ولك شره الشباب وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك».

الثوب اللطيف يؤثر في نفسك، لأنني مسؤول عنك لا يجوز أن ألبس أفضل منك وأتفضل وأزيد عليك، وأنت تحت مسؤوليتي ورعايتي، وقال: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» — وهذه تربية علي إذ يربط الناس دائماً بالأصل في كل قضية، يقول سمعت رسول الله، لكي تبقى الناس مشدودة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يا علي أنت عظيم يقول لا، أنا عبد من عبيد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ألبسوهم» (انظروا أدب

أمير المؤمنين؛ فلا يقول ألبسوا الخدم لكي لا يجرح مشاعره، «ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون»^(٢٦٢). في أحوال بعض مراجعنا أنهم يعملون بهذه الطريقة؛ فيجلس الخادم على مائدة البيت ويأكل معهم، وهذه نقطة أخرى، هي الرعاية لمن هو دونه.

أول حاكم يكشف عن ممتلكاته

إشارة أخرى عن الأصبغ بن نباتة قال: قال علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأهل الكوفة والعراق: «دخلت بلادكم بأشمالي هذه وراحتي»، أول زعيم وحاكم كشف عن ممتلكاته كان علي بن أبي طالب، وسنّ سنّة في الكشف عن الممتلكات، ماذا تملك؟، اليوم صرت أميرا عليكم ولا أملك غير هذا الزي والملبس وهذه الراحلة، يقول علي: «فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين» اليوم الذي أصبحت فيه حاكما لا أملك غير الثوب والراحلة، ويوم أخرج منكم، إذا رأيتم شيئا آخر فإنني من الخائنين. لا طمع لي في مالكم ولا طمع لي في مصالحكم بل أنا خادم، انظروا هذا المنطق والمنطق الميكافيلي. وحينما زار أهل البصرة، وكان البعض معترضا: «يا أهل البصرة ماذا تنقمون مني إن هذا (وأشار إلى قميصه) من غزل أهلي»^(٢٦٣) إذا تمزق سأرقعه وألبسه، لا أريد منكم قميصا، انظروا كيف تعامل علي وهو الحاكم.

رواية أخرى عن عمر بن حريث، فقد رأى طعام الناس وذهب وعينه على أمير المؤمنين ماذا يأكل ودخل بيت علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في وقت الغداء ليرى ما يأكل فأنت فضة (خادمة أمير المؤمنين) بجراب من جلد مختوم، مغلق، فقال الله أعلم ما هذا، معتقدا بأنه من المأكّل الطيب، فأخرج منه خبزا متغيرا خشنا، وتفاجأ عمر فقال عمر: «يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته»، لكون الخبز خشنا وغير طيب وغير طري، «قالت: كنت أفعل فنهاني»، بوذي أن أخدم أمير المؤمنين لكنه لا يقبل، وكنت أضع في جرابه طعاما طيبا، وعندما رأى ذلك بدأ يختمه كي لا يوضع له طعام محسن وجيد، وهو يريد أن ياكله بهذا الشكل، فختم جرابه.

٢٦٢. مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٥٧

٢٦٣. مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٦٧

ثم رأى عمر بن حريث ، أمير المؤمنين قد وضع الخبز في إناء وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسر عن ذراعيه وتناول الطعام هنيئاً مريئاً ، فلما فرغ قال «يا عمر لقد حانت . . .»^(٢٦٤) ، يعني لم يبق شيء من العمر ، فلا أدخل النار من أجل الطعام ولقمة هذه المحاسن ، دعني أكل هذا الطعام وهذا يجزيني لأنه يُشبع ، ولا أريد الطعام الآخر . انظروا إلى عظمة علي عليه السلام .

حكومة علي عليه السلام

في رواية أخرى ، وهذه مسألة مهمة أحببت أن أقرأها لكم ، إن الجو العام في البلاد في عهد الإمام علي عليه السلام لم يكونوا من الفقراء أو لا يملكون ، وكان علي يواسيهم بهذه الأخلاق ، ونعلم أن أجواء الروايات لا توحى بذلك ، ففي العراق كانت النعمة وفيرة في ذلك الوقت والخزينة مملوءة بالمال وعلي عليه السلام حقق لهم نجاحات كبيرة ، ومن يتصور أن حكم علي عليه السلام على المستوى السياسي والخدمي كان فاشلاً فهذا مردود عليه ، فحكومة علي بن أبي طالب كانت حكومة خدمة وطنية وكانت فيها خدمة للمواطنين ، والدليل هذه الرواية ، احفظوها عن الإمام الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) : «كان ليطعم خبز البر» ، يعطي الناس خبز طحين الحنطة ، ويخبز من أفضل أنواع الحنطة ، «واللحم» . علي بن أبي طالب كان يعطيهم خبز الحنطة وليس خبز الشعير واللحم ، «وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل»^(٢٦٥) ، ليس لأنه لا يملك بل لأنه يعطي للناس .

وفي موضع آخر عن علي (عليه السلام) : «ما أصبح في الكوفة أحد إلا نعماً» كل أهل الكوفة ، يعني العراق ، متنعمون بحكم علي ، «إن أدناهم» ، لا نتكلم عن أعلاهم ، بل يتحدث علي عن فقراء العراقيين في زمن حكمه : «إن أدناهم منزلة لياكل البر» ، يأكل أفضل أنواع الحنطة ، وهؤلاء الفقراء وليس الأغنياء ، «ليأكل البر ويجلس في الظل» يعني لديه مسكن ، مشروع حكومة علي بن أبي طالب توزيع المساكن بين المواطنين ، وكل عائلة كان لديها بيت وليس خمسة وعشرة ، بل كل أهل الكوفة ويقصد بها العراق في ذلك الوقت ، وليس الأغنياء بل الفقراء ، «ويشرب من ماء الفرات»^(٢٦٦) من الماء الصافي .

٢٦٤ . مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٦٨

٢٦٥ . مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٦٨

٢٦٦ . مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٦٨

حكم علي بن أبي طالب أربع سنوات كلها حروب، لكن حكومته كانت حكومة خدمة وطنية، وهكذا يتحدث لنا التاريخ عن علي بن أبي طالب، وهناك حقائق أخرى لكن الوقت أدركنا. نسأل الله سبحانه وتعالى بحق هذه الليلة وصاحبها أن يتكرم علينا بقبول الأعمال وأن نكون من السائرين على نهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. أقول قولي هذا وأسألكم الدعاء في هذه الليلة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الرمضانية الثامنة عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان حديثنا في الليالي الماضية من هذا الشهر الفضيل عن رؤية الاسلام تجاه منظومة الحقوق، فكان حديثنا في الحق الخامس وهو حق البصر، ووصلنا إلى الحقيقة الثالثة للرؤية، وهي أن تزيدك علما ومعرفة. وعلينا أن نقف شيئا ما عند هذه الحقيقة، كيف تزيدنا الرؤية علما ومعرفة، وكيف يجب أن ننظر ليتحقق هذا الأمر؟، ونتمين بذكر النصوص والروايات الواردة عن رسول الله وأهل البيت حتى نعرف أكثر ما يقصده صلوات الله وسلامه عليه من هذه الحقيقة، وكيف تصبح هذه النظرة علمية وفيها معرفة وكمال، وفيها قرب من الله سبحانه وتعالى . .

علامات العالم

عن أبي عبد الله الصادق قال: «قال لقمان لابنه» هذه من الحكم التي قالها لقمان لابنه «للعالم ثلاث علامات» .

أولا / «العلم بالله». يجب أن تكون لديك معرفة بالله سبحانه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢٦٧)، ورد في تفسيرها؛ أي ليعرفوا أن معرفة الله هي التي تدفع لعبادة الله، وكلما ازدادت معرفة ازدادت تعلقا واندفاعا في الانقياد والطاعة لله سبحانه وتعالى، لذلك «المعرفة بالله والعلم بالله» هذه الحقيقة الأولى الأساسية.

ثانيا / «وبما يحب»، وتكون لديك معرفة بما يحبه الله سبحانه وتعالى وما يريده، وإذا عرفت ما يحبه الله التزمت به وأخذت به وهذا جانب مهم آخر.

ثالثا / «وما يكره»^(٢٦٨)، الذي يكرهه الله، فالذي يرضى الله عنه ويحبه يجب أن نعمله، وذلك يغضب الله والله يكرهه فنحن نتجنبه. وهذه الثلاث إذا وجدت عندك فأنت عالم لأن العلم كما قلنا في النصوص من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن رسول الله وأهل بيته الكرام، هو ما يُتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، والعلوم الطبيعية هي أيضا علوم، لكن في النصوص لا يُشار إليها، العلم يعني ما يقرب من الله سبحانه وتعالى أيضا.

حقيقة الإيمان

عن جعفر الصادق عن أبيه عن علي عليه السلام قال: «لا يذوق المرء حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال».

أولا / «التفقه في الدين». أول ما تكرر فيه تدينك وإيمانك، التفقه في الدين، وهل تعرف الأحكام الشرعية؟، لثلاث تسلك الطريق الخطأ، طاعة بلا معرفة كمن يسير بلا هاد ولا مرشد، تخرج إلى الشوارع ولا تعرف كيف تصل إلى مبتغاك وهدفك وقد تقضي وقتا طويلا لكي تصل، التفقه في الدين يعني وجود معرفة لديك فتستطيع أن تحقق الإيمان. والإيمان ليس مجرد طقوس وممارسات شكلية يمارسها الإنسان؛ هذا مؤمن، لأن لحيته طويلة ويديه خمس خواتم، من قال إن هذا مؤمن؟. كم من شخص يملأ أصابعه بالخواتم ولا يعرف عن حقيقة الإيمان شيئا، الشكليات ليست هي الأساس، وبالطبع فإن سيماء المؤمنين مهم والنظر إليه يذكر بالله، هذه حقائق تحدثنا عنها في الليالي الماضية، لكن حقيقة الإيمان وجوه الدين، التفقه بالدين ووجود معرفة حقيقية.

ثانيا / «والصبر على المصائب»، إذا أردت أن تعرف المؤمن، فانظر هل يصبر إذا اشتد عليه القدر، وفقد عزيزا، الله يحفظ أعزاءكم، أو خسر نقودا، فهل يصبر ويتحمل، أو لا؟، فإذا صبر فهذه أيضا من علامات الإيمان.

ثالثا / «وحسن التقدير في المعاش»^(٢٦٩)، وهذه قضية مهمة، أمير المؤمنين يربطها بصلب الإيمان، حسن التقدير، اين تنفق مالك وكيف تنفقه؟، فقه الأولويات، فهناك شخص راتبه متواضع جدا، لكنه يسيّر أموره، وكما يقال

٢٦٨ . بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٤١٥

٢٦٩ . بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٠

مستورة والحمد لله ، وهناك شخص راتبه أضعاف هذا ، لكن الراتب ينتهي نصف الشهر ويبدأ بالاستدانة ، لماذا هذه الحالة؟ ، حينما لا يحسن عملية الإنفاق ، وليس له تقدير صحيح لمعاشه ، ما هي الأولويات وأين ينفق وكم ينفق وكيف ينفق؟ ، «في حلاله حساب وفي حرامه عقاب» ، لا تقل إنها نقودي وأنفقها كيفما أشاء ، كلا لا يحق لك ، صحيح أنها أموالك لكن يجب أن تنفقها بشكل صحيح ، وإذا فاض منها شيء خارج عن حاجتك فكيف تنفقه ، وهل للفقراء والمحتاجين والمعوزين حصة من حياتنا وقدراتنا وإمكاناتنا وأموالنا ، أو ليس لهم حصة ولا علاقة لنا بهم؟ . هل إن مجتمعنا قائم على أساس الأنانية أو حب الآخرين والتضامن معهم؟ .

الإنسان يبدأ من نفسه وعائلته ويوفر لهم قدر المعيشة ، وما يزيد عليه يجب أن ينفقه على الآخرين ، يجب أن تعلم أبناءك كذلك على هذا التصرف وكيفية الإنفاق ، وكم تملك وكيف تنفقها؟ ، لا تفسد أولادك بإعطائهم مبالغ كبيرة ، لأن الطفل عندما يرى جيبه دائما ممتلئا ويشترى ما يريد لا تستطيع السيطرة عليه ، وغدا ستكون أول المتضررين وتضره بهذه الطريقة ، من قال إن المال والوفرة والإمكانات سبب للراحة والدعة والرفاه؟ ، كم من مال يتحول إلى وبال على الإنسان ، وكم من إنفاق ويسر ونعمة تفرق عوائل وتفسد شبابا وتوقع كثيرين في رذيلة ومشاكل كبيرة . حسن التقدير في المعيشة من صلب الإيمان ، ويجب أن تكون لديك معرفة بحسن استخدامه ، وإن كان هو مالك فهو مال الله ، في الإنفاق الصحيح وضمن أولويات صحيحة .

دور المسجد في الحياة

عن أبي الحسن موسى بن جعفر (صلوات الله وسلامه عليه) ، ونحن متنعمون بجواره في مدينة بغداد العامرة ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، إذن هذه من روايات السلسلة الذهبية ، يرويها إمام عن إمام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، قال : « دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المسجد ، في ذلك الوقت ليس المسجد كما في زماننا نصلي فيه وننقله ونذهب ، بل قضاء علي في المسجد والعلم في المسجد وحلقات الدرس في المسجد ، فالمسجد كان محطة حيوية وكبيرة ، ولذلك دائما هناك نوع من الحراك في المجتمع الاسلامي آنذاك .

وفي زماننا أصبح المسجد مهجورا، لا يُذكر إلا في وقت الصلاة، وأحيانا ليس في كل أوقات الصلاة، ربما هناك حضور في صلاة واحدة، والناس تبحث عن قاعات وأماكن لأنشطة مفيدة وأعمال مفيدة من صلب الحياة، والمسجد بيت الله، ويجب أن يكون محطة، في موازنة العراق ٢٠١٢، انظر كم هناك من الأموال وميزانية وضعت لبناء منشآت لمحو الأمية مثلا، لماذا نبني قاعات أخرى، وليس هناك منطقة لا يوجد فيها عدد من المساجد، أي شيء أفضل من أن يجتمع الناس في هذه الأماكن ويتعلموا كيف يقرؤون وكيف يكون لهم دور إيجابي في الحياة؟، نحن نعزل المسجد عن مساحته وعن جزء مهم من مهامه الطبيعية التي كانت في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وفي عهد أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، ويجب أن يعود المسجد إلى محطة فاعلة وحيوية.

«دخل رسول الله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل»، رأى شخصا يجلس والناس ملتفة حوله وهو يتحدث لهم، «فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ما هذا؟»، على حد تعبيرنا، شيء جديد وشخص لم نره سابقا، «ف قيل علامة»، أي هذا الشخص علامة، أي عالم كبير، «قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وما العلامة؟»، في أي شيء هو علامة؟، «قالوا أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية وبالأشعار والعربية»، يحفظ أشعار الجاهلية والقصص وأدوار الأشخاص والحرب الفلانية والصحراء الفلانية ومعارك العرب، هو عارف بها وبكل هذه التفاصيل، فهو علامة، ويعرف كل شيء، هذا شريط متحرك، لديه معرفة بتاريخ العرب والجاهلية وما شابه ذلك، «فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه»^(٢٧٠). يعرف كل هذه الأشياء، ثم ماذا؟ كتاب تاريخي متحرك، إن جهلته لا يضره وتستطيع أن تراجع كتب التاريخ وتعرف، وإن علمته لا ينفعلك سوى أن تهدر وقت الناس في حديث عن تفاصيل وقضايا ومسائل ليس فيها أحيانا الكثير من العبر لهؤلاء.

أقسام العلم

يقول الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما العلم ثلاثة؛ آية محكمة»، تعبّر عن الموقف الشرعي في قضية معينة. «أو فريضة عادلة»، في الميراث أو في مواد الاختلاف، كيف تقسم بشكل عادل بين الورثة وما شابه ذلك، فهذه تتحول إلى موقف يساعد الناس وتحل مشاكل وتحل خصومات.

«أو سنة قائمة»^(٢٧١)، أو تعرف السنن من واجبات ومن مستحبات، والله ماذا يريد؟، هذا واجب وهذا حلال وهذا حرام وهذا مكروه، يجب أن تعرف هذه، وهذا علم يقربك إلى الله ويجعلك تسير بشكل مستقيم وتحل مشاكلك ولا تقع في معصية الله سبحانه وتعالى.

عن سفيان بن عيينة قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: وجدت علم الناس كلهم في أربع، أولها أن تعرف ربك والثانية أن تعرف ما صنع بك»، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢٧٢)، يجب أن تعرف ما أعطاك الله، نحن نفكر في ثقافتنا في ما لم يعطنا، وفي مستلزمات الحياة المادية كالبيوت والسيارات، أعطاهم فلان ولم يعطني إياها، الذي لم يعطني إياه أتذكره، وما أعطاني إياه لا أفكر فيه، ولا أتأمل به، كلا يجب أن ترى ماذا صنع بك، وسترى أن ما أعطاك إياه هو كثير.

يجب أن نقلب المعادلة، ودائماً نفكر بالآخرين وما أخذه الله منهم؛ فهذا فقد أعزاء مثلاً، والحمد لله، نسأل الله أن يحفظ أعزائنا، وهذا مريض، والحمد لله الذي أعطاني الصحة، وهذا عنده مشكلة والحمد لله الذي حل مشاكلنا، ودائماً انظر إلى مشاكل وهموم الآخرين كي تشكر ربك على الذي على ما أعطاك إياه، وستتغير نظرتك للحياة، يجب أن نكون إيجابيين في نظرنا للحياة وألا نكون سلبيين.

شخصياً أسمع من تجار ميسوري الحال كبار شكوى دائمة من سوء الأحوال «الأمر تبانة!» وهو ملياردير أو مليونير، وتراه يشكو دائماً أن الأمور «تبانة» والسوق متوقف أو البورصة متوقفة وهكذا، ولكن انزل إلى طبقة الفقراء

٢٧١. الكافي: ج ١ ص ٣٢

٢٧٢. سورة إبراهيم: الآية ٧

والمعتمدين واسألهم كيف الأوضاع؟، فسيقولون الحمد لله، فمع أنهم لا يملكون الكهرباء يقولون الحمد لله، إن بيتنا بارد وننام فيه حتى يأذن الله بالفرج، انظر إلى اختلاف هذه النظرة عن تلك، انظر كم قدم الله لك وما صنع بك.

«والثالثة أن تعرف ما أراد منك»، ماذا يريد الله منك؟ حتى تعمله وتطيعه وتسير بطريق الطاعة لله سبحانه وتعالى.

«والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك»^(٢٧٣)، يعني الخطوط الحمر، ليس في الدنيا وتعاملاتنا بل هناك خطوط حمر في كل شيء، الله سبحانه وتعالى في تعامله مع عباده غفور رحيم ومتسامح، لكن ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾. إذا تجاوزتم الخط الأحمر فسيأتي العذاب الإلهي ويحرق الأخضر واليابس وليس الظالمين وحدهم، فأنت جزء ولم تعترض ولم تقل ولم تدافع، ولم تشرح ولم توضح، انتهى الأمر وسيأتي العذاب ويشمل الكل، نستجير بالله من تلك الذنوب والمعاصي والمخالفات الشخصية أو الاجتماعية التي تستنزل العذاب الإلهي، الله سبحانه وتعالى يغضب فينزل غضبه على أمة بأكملها، برها وفاجرها.

عن أبي جعفر الإمام الباقر (صلوات الله وسلامه عليه)، قال: «متفقه في الدين أشد على الشيطان من عبادة ألف عابد»^(٢٧٤). ألف عابد لا يصلون لمستوى المتفقه بكل صلواتهم الكثيرة، المهم عابد، وليس كل عابد هكذا، هذا العابد الذي لا يملك معرفة ولا يملك علما، اليوم أختم المصحف أو جزءا منه، أو دورة كاملة ٣٠ جزءا، فكم تدبر مما تقرأ؟. إنني أصلي بالليل ١٠٠ ركعة، ماهي الـ ١٠٠ ركعة، وكيف هي معالمها، هل بالك معك، هل تعرف قيمة هذه الركعات، وهل أنت منتبه؟. العابد يعني كما كبيرا من العبادة؛ من دعاء وتلاوة وغيرها بدون وعي كاف، لكن المتفقه في الدين عن بصيرة ووعي ورؤية يعرف حقيقة العلاقة بينه وبين الله، وما هو الوجود الإلهي وصفاته، فيزداد خضوعا وخشوعا، يزداد ذلة بين يدي الله سبحانه وتعالى، يزداد تعلقا بالله سبحانه وتعالى، فهذا يؤدي ركعتي صلاة بهذه المعرفة تعادل مئة ركعة ومئة ألف ركعة من صلاة ذلك العابد.

٢٧٣ . الكافي: ج ١ ص ٥٠

٢٧٤ . بحار الأنوار: ج ١ ص ٢١٣

الحكمة ثمرة الصدق

في رواية أخرى عن أبي بصير قال: «سمعت أبا جعفر الإمام الباقر (سلام الله عليه) يقول: (ومن يؤت الحكمة (الآية الشريفة) فقد أوتي خيرا كثيرا)»، ما الحكمة التي يتكلم عنها القرآن، التي إذا أعطها الله لأحد فقد أوتي خيرا كثيرا؟، هذا المفتاح السحري ما هو؟. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ «معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»^(٢٧٥)، الطاعة لله ومعرفة الإمام، «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٢٧٦) لماذا معرفة الإمام مهمة، إذا لم تعرف الإمام فكل من يرفع راية سنركض وراءه، وستأخذنا موجه وتأتي بنا موجه، وستركض الناس ساعة وراء زيد وساعة تركض وراء عبيد، وكلما مضت وراء شخص تصل إلى قناعة أنه ليس هو الطموح، فتراجع وتجرب شيئا آخر. اذهب منذ البداية وانظر أين راية الحق وتمسك بها والتزم بها، حينذاك ستسعد وستستطيع أن تصل. والطاعة، هذه الحدود الالهية، يجب أن نعرفها حتى لا نتجاوز عليها من حيث نشعر أو لا نشعر.

عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه): «الحكمة ضياء المعرفة»، وهو تعبير غريب، لأن المعرفة هي معرفة وضياء والحكمة ضياء المعرفة، نور النور، حتى المعرفة فيها مراتب، كلما ازددت حكمة كانت قدرتك ومعرفتك في الحقائق أكبر وأعظم، «وميراث التقوى»، الحكمة تورث التقوى، ومخافة الله سبحانه وتعالى، «وثمره الصدق»، الصدق في التعامل يجلب الحكمة والحكمة من الله يعطيها للصادقين، والصدق مهم في الإسلام ومن القضايا الأساسية التي ترتبط بهوية الإنسان المسلم، لا يقول الإنسان إلا الحق وحبل الكذب قصير والدنيا صغيرة، لا تتصور أنك ضحكت على هذا ولعبت على ذلك وقلت شيئا لشخص فمرت عليه، كلا، حبل الكذب قصير، وستكشف الحقائق وتبين الأمور، فالصدق هو من يورث الحكمة، «وما أنعم الله على عبد من عباده نعمة» الله ما أنعم على عبد نعمة «أعظم وأرفع وأنعم وأجزل وأبهى من الحكمة»^(٢٧٧). ماهذه

٢٧٥ . الكافي ج٢ ص ٢٨٤

٢٧٦ . بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ٧٨

٢٧٧ . بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٥

الصفات العظيمة؟ هذه قيمة الحكمة والحكمة تحتاج إلى صدق، وقر الصدق تات الحكمة وتتحقق التقوى وهي سلسلة تراتبية، كل واحدة مرتبطة بالأخرى، نسأل الله أن يرزقنا الحكمة.

العلم بكتاب الله

عن الامام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أنعم الله عز وجل على عبد بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله ومعرفة تأويله ومن جعل الله له من ذلك حظا ثم ظن أن أحدا لم يفعل به ما فعل به وقد فضل عليه فقد حقر نعم الله عليه»، لا شيء أعظم من أن تصبح لديك معرفة بكتاب الله وبحدود الله، وتعرف الله وتعرف ما يريد وتعرف الأحكام، وأخطر شيء إذا عرفت وأصبحت مغرورا؛ نحن والحمد لله نعرف وغيرنا لا يعرف، والله فضلنا على الآخرين وأعطانا ولم يعط الآخر، وأحيانا يأتي هذا الغرور بصيغة التواضع؛ الآخر لا يملك ونحن والحمد لله لدينا، إذن أخذك الغرور؛ نحن نصوم والآخر لا يصوم ونحن نصلي والآخر ليس كذلك، الغرور أكبر وأعظم شيء، «فقد حقر نعم الله عليه»^(٢٧٨)، هذا يحقر النعمة التي أنعمها الله عليه، وهذه ليست منك وهي من الله، لم يعطك إياها الله لتتكبر على الآخرين بل لتتواضع للآخرين، كي يروا التواضع بك ويقولوا هذه هي الخطوة الصحيحة والسلوك الصحيح، ونحن يجب أن نصلي، والغرور والاستعلاء والتكبر من متدينين على غيرهم كما في هذه الرواية الشريفة يؤدي إلى غضب الله سبحانه وتعالى، وهذا تحقير للنعمة، هكذا يعبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يرويه الإمام العسكري (صلوات الله وسلامه عليه).

عن الإمام الجواد: «التفقه ثمن لكل غال وسُلم إلى كل عال»^(٢٧٩)، أي مكان عال تريد أن تصل إليه فالتفقه والمعرفة يوصلانك إليه وكل شيء غال تريد أن تشتريه وتحققه، ليس هو أغلى من الجنة والسعادة الأبدية ومجبة الناس إليك وتأثيرك بين الناس، والتفقه والمعرفة هما المدخل.

٢٧٨ . بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٧

٢٧٩ . بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٨

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الفقه للأديان والطب للأبدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان»^(٢٨٠) انظر توزيع الأدوار وتوزيع المساحات في منطق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الغذاء المعنوي

عن الإمام المجتبي (سلام الله عليه): «عجب لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله» هل هناك من يغمض عينيه ويضع الأكل في فمه، أم يتفحص؟، ماهو الطعام، أهو ضار أم نافع، ملائم أم غير ملائم، مفيد أم لا؟، الغذاء المادي نتفحصه، والغذاء المعنوي ألا نقف عنده ونفكر به؟. «فيجنب بطنه ما يؤذيه»، الشيء الذي يؤدي المعدة لا يأكله الإنسان، فندقق به ونلاحظه في الطعام، والمعدة نعتني بها، «ويودع صدره وقلبه وعقله ما يريده»^(٢٨١) أي ما يؤذيه.

نظرة إلى حرام تترك أثرا في وجودك وتغير الكثير من صفو الروح والنفس والاستقرار المطلوب فيها، وتشجعك على الحرام وتستتفر بك مكامن ذمائم الأخلاق، ونظرة طيبة وصحيحة يمكن أن تعيد الاستقرار والطمأنينة والسكون والراحة، وتدفعك بالاتجاه الصحيح. دقق بماذا تغذي هذا القلب، دقق ماذا ترى وماذا تسمع حتى لا تغذي القلب تغذية خاطئة وتسبب متاعب ومشاكل كبيرة لواقعك المعنوي ولحياتك المعنوية. الحياة الطيبة، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٢٨٢)، الحياة الطيبة ليست فقط أن تنام مرتاحا وتاكل وتشرب وتخرج وتعود، الحياة الطيبة تعني أن تكون حياتك المعنوية حياة طيبة، أي حركتك نحو الله سبحانه وتعالى حركة صحيحة، أي يصبح للحياة معنى في وجودك.

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العلم علمان، مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع»^(٢٨٣)، هناك علم مسموع تسمعه وقد تنساه ويخرج من الأذن الأخرى، وقد تسمع كلاما جميلا ولكن تنساه، وهذا لا يفيد، وهناك علم مطبوع، يعني أنه مستقر وأنت تهضمه ومتفاعل معه، وهذا العلم المطبوع هو الذي يمكن أن يتحول إلى عمل ويفيد، أما معلومات ورؤية آنية تسمعهما

٢٨٠ . بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٨

٢٨١ . ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٠٨٢

٢٨٢ . سورة النحل : الآية ٩٧

٢٨٣ . نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٩

وتسأها، وفكرة معينة تمر عليك مرور الكرام، ولا تقف عندها ولا تتأمل بها ولا تتعمق فهي غير مفيدة، وتذهب كحالة من المسموع.

لذلك فإن نظرتنا يجب أن تكون نظرة علمية، ونظرة فيها معرفة وعمق، ونظرة تقربنا إلى الله سبحانه وتعالى، حتى نكون قد أدينا حق البصر. وبهذا نكون قد ختمنا حق البصر. وسنستمر في الليلة القادمة بإذن الله تعالى، ونحیی ليلة القدر الكبرى يوم غد بإذن الله تعالى. أكتفي بهذا المقدار واستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الرمضانية التاسعة عشرة - بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأبارك لكم هذه الأيام والليالي الشريفة، ولا سيما هذه الليلة التي يُظن أن تكون هي ليلة القدر، ليلة عظيمة ومهمة وليلة حاسمة في مصير الإنسان، والقدر من التقدير لواقعنا المادي؛ الجسم له قدر وله طول وعرض ومساحة يحتلها في هذا الواقع المادي وكل الظواهر والكائنات لها قدر في واقعنا، لكن الحياة المعنوية أيضا لها واقع ولها قدر ولها سعة وجودية كما يعبر الفلاسفة، لكل موجود سعته الوجودية، وكلما تعامل وترفع أكثر وتجرد عن الماديات أخذ مساحة أوسع في تلك النشأة المعنوية والوجود الروحي والمعنوي.

ليلة التقدير والعطاء

ليلة القدر تقدر فيها أعمال الإنسان لسنة كاملة، ويحدد فيها ويعرض الملف في هذه الليلة، وتنزل به ملائكة السماء وتضعه بين يدي ولي الله، ليتعرف على واجباته ويتعرف على واجبات الأمة من موقعه المسؤول (المعصوم)، ليلة القدر ليلة التقدير، ليلة القدر ليلة العطاء، ماذا نقول فيها بعد أن سمعنا هذه الآيات الشريفة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢٨٤)، القرآن أنزل في هذه الليلة، ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾^(٢٨٥)، أنزل القرآن في شهر رمضان، لكن في أي ليلة من هذا الشهر؟، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، في هذه الليلة الشريفة. وكذلك في سورة الدخان الآيات الشريفة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾،

٢٨٤ . سورة القدر : الآية ١

٢٨٥ . سورة البقرة : الآية ١٨٥

القرآن يقول عن هذه الليلة إنها مباركة، والبركة حيث تستنزل الرحمة الإلهية، ليلة مباركة تعني ليلة يُرحم فيها العباد، ليست ليلة غضب بل ليلة رحمة وعطاء، وليلة فيض وجود وكرم من الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢٨٦)، يفصل وتميز الأمور وتوضع في نصابها ويعطى كل ذي حق حقه وتقدر أعماله لسنة كاملة.

ما يقدر لنا في هذه الليلة على نحوين؛ هناك أمور فيها تقدير حتمي لا نستطيع أن نغير هذا القدر، وهناك تقديرات يمكن أن تتغير إذا ما أصلحنا أعمالنا وهذا ما يعني الدعاء وصلوة الرحم والصدقة وفعل الخير حينما تؤثر في مسار الإنسان وحركته، بمعنى أن هناك تقديرا يمكن أن يتغير؛ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢٨٧)، وإذا دخل في اللوح المحفوظ لا يمكن أن يتغير، وما دون ذلك يمحو الله ما يشاء ويثبت ويمكن أن تتغير بعض الأمور، لكن هذه الليلة ليلة الحسم، فكيف سنتعامل معها ونتعاطى معها، وما الذي سنجنه في نهاية هذه الليلة؟.

إن التقدير في واقعه تكريس لنظام العلية والسببية، وهناك ترابط بين الظواهر والحقائق؛ فلا يحصل شيء إلا أن تكون له أسباب، والبعض يقول إذا كانت ليلة قدر والله يحدد فيها أعمالنا لسنة كاملة إذن أين الاختيار؟، فنحن مجبرون، والله قدر لهذا الهداية وذلك له الضلال، فما الفائدة من العمل والحرام والواجب والتقدير قد حصل؟.

ليس الأمر كذلك، فالله حينما يقدر لا يقدر جزافا، بل على أساس واقع الإنسان بما له من مكارم أخلاقية أو ذمائم لا قدر الله، وبما له من إدمار أو إقبال نحو الله وإرادة لحسن الطاعة والانقياد، أو اتجاه آخر، بما له من خشوع وخضوع ورقة قلب بين يدي الله سبحانه وتعالى أو قسوة وتمرد على الله، هذه الحالات في الإنسان هي التي تسبب تقدير الأمور، وإلا فإن الله لا يقدر ظلما للعباد أو جزافا أو بعيدا عن هذا الواقع، واختيارنا وإرادتنا، وليلة القدر هي تكريس حقيقي لقمة الاختيار الذي يمتلكه الإنسان في إطار القواعد الإلهية التي تحكم هذا الكون. ليلة القدر تعبير عن نظام السببية القائم في هذا الكون وليس شيئا آخر، ولذلك

٢٨٦ . سورة الدخان : الآيتان ٣-٤

٢٨٧ . سورة الرعد : الآية ٣٩

نرى أن التعاطي مع هذه الليلة يختلف بين شخص وآخر، وهناك من يعمل لنفسه ويدقق في أعماله وواجباته ومحرماته منذ بداية شهر رجب، حينما دخلنا في هذا الشهر العبادي، وشعبان ورمضان وصولاً إلى ليلة القدر، ونحن في العشر الأخيرة من هذا الشهر الفضيل، وجاء بالأعمال واستعد وروّض نفسه ووصل اليوم إلى مرحلة قطاف الثمر، ويدرك حقيقة هذه الليلة.

استقبال ليلة القدر

وشخص آخر لم يتعب نفسه، وتراه نشطا في كل ليلة إلا في ليلة القدر، يشعر بالنعاس والكسل والإعياء والارهاق، مع العلم أنه في الليالي العادية نشط، البعض منا يكمل للصباح خاصة من ليس لديه عمل، أما ليلة القدر فمن المغرب تبدأ عنده حالة النعاس والكسل والإعياء والإدبار، لماذا؟ وقد كنت تلتذ بقراءة القرآن والدعاء والمناجاة، لماذا في ليلة القدر تأتي حالة من الإدبار وعدم الاندفاع والاستئناس بالدعاء؟، هذه تبعات عملك والنتيجة الطبيعية في نظام السببية، لأنك لم تعد العدة ولم تهين نفسك لهذا اليوم.

هناك طالب يدرس طوال السنة، ويومياً ينجز واجباته المدرسية ويركز مع الأستاذ ويسأل، وليلة الامتحان يكون مرتاحاً لأنه استوعب المادة، وهناك من لم يدرس، ثم قبل الامتحان بليلة أو ليلتين يبدأ بالقراءة من الصباح إلى منتصف الليل لكي ينجح، وبالتوسلات والنذور والأدعية، إما ينجح أو لا، ذلك استعد وهذا لم يستعد، وليلة القدر يوم التقدير، هذه المحطة لمن يستثمرها، ومن أعد العدة لها واستعد وحضر نفسه لها، وحتى من تهيأ فهؤلاء لهم مراتب، وفي ليلة القدر هناك فيوضات إلهية تنقش على قلبه ويستشعر أثرها لسنة كاملة ويتذوق ذكريات ليالي القدر لسنة كاملة، وتعطيه شحنة كبيرة يسير بها لسنة، والبعض لشهر أو لأسبوع أو ليوم، وهناك من هو في المجلس متفاعل وبعد خروجه ينتهي الأمر، وهناك من غايته لصلاة الفجر، وعند نهوضه ينسى ليلة القدر وما عمل ويرجع إلى حياته الطبيعية، وتأثير ليلة القدر في إي منا بمستوى الإعداد الذي أعدناه لأنفسنا والتهيؤ لهذه الليلة، وهنئاً لمن تهيأ واستعد.

إن عظمة هذه الليلة أكبر من أن تُعرف، والقرآن يقول: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(٢٨٨) هذا الذي نسمعه لا يعطيك عمق الحالة بل صورة ولقطة عن الحقيقة «وما أدراك ما ليلة القدر» هذا للتفخيم والتعظيم وليبان منزلة هذه الليلة الشريفة، «هي خير من ألف شهر»، يعني أن العمل فيها يزيد على العمل في ألف شهر.

ليلة القدر باقية حتى قيام الساعة

لاحظوا هذه الرواية الشريفة كيف تشير إلى هذه الحقيقة، عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه): «أنه سأله بعض أصحابنا ويظن أن يكون (سعيد السمان): كيف تكون ليلة القدر خيرا من ألف شهر»، ليلة واحدة أفضل من ألف شهر، كيف تكون هذه الليلة بهذا الشكل؟، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر»^(٢٨٩)، في الليالي الأخرى تعمل ألف شهر، والعمل في هذه الليلة يفوق ويزيد على العمل في ألف شهر في ما سواها.

وقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يومها مثل ليلتها». هذه حقيقة نغفل عنها ونعتقد بأن ليلة القدر تنتهي في الفجر فيما أن يومها كليلها ويجب أن نستثمر كل اليوم بالعبادة والطاعة ونستمر ونواصل العمل حتى نحصل على التقدير، «وهي تكون في كل سنة»^(٢٩٠). هذه غريبة، ليلة القدر بدأت منذ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وواكبت كل الأمم وستبقى إلى قيام الساعة، لا تزول هذه الليلة ما دامت هناك حياة، فهناك ابتلاء ولا بد من أن يكون هناك تقدير.

إذن ليلة القدر ليلة ثابتة لا تخص زمن رسول الله ولا المسلمين وحدهم، إنما تشمل الإنسان منذ آدم وإلى قيام الساعة، في كل عام تتكرر ليلة القدر «تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم»، الملائكة تنزل، وواحد من معاني القدر الضيق، وسميت ليلة القدر لأن الأرض تضيق بعدد الملائكة الذين يقضون ليلتهم على الأرض، وانظروا عندما ينزل العدد الكبير من الملائكة ماذا يعني؟، هناك فرصة كيف تستفيد منها؟.

٢٨٨ . سورة القدر: الآية ٢

٢٨٩ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٤٩

٢٩٠ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٤٩

«من كل أمر»، يستخدم صيغة العموم، في سورة الدخان يقول تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»، ذروة وقمة الرحمة الإلهية تظهر في هذه الليلة، وهنيئاً لمن يستفيد منها ويستثمرها، وفضل هذه الليلة فضل عظيم. والإنسان عندما يقرأ بعض النصوص والروايات يستغرب؛ لأنه قد يظن أن فيها بعض المبالغة ولكن مع كل هذا الفضل، والله يقول: «وما أدراك ما ليلة القدر». لتتضمن ببعض هذه الروايات لتتعرف على فضل هذه الليلة الشريفة.

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «قال موسى (عليه وعلى نبينا السلام) إلهي أريد قربك»، ما أحلى هذا الطلب، أن نكون قريبين من الله سبحانه وتعالى، «قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر»، أتريد القرب الإلهي؟، انظر كيف تتعامل مع هذه الليلة، «قال: إلهي أريد رحمتك»، الرحمة الإلهية، «قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر»، ارحم تُرحم، ليلة القدر ليلة رحمة وليلة شفقة، ليلة تضامن وليلة محبة لعباد الله، وعندما يراك الله تتعامل مع عباده بهذه الطريقة، ينزل رحمته عليك.

«قال: إلهي أريد الجواز على الصراط»، أريد أن أعبر إلى الجنة «قال: ذلك لمن تصدق بصدقة في ليلة القدر»، ساعد الناس في مشاكلهم وستعبر، والصدقة قد تكون مالية ورعاية وقد تكون حل مشكلة وأي شيء أقدمه للآخرين، وأي عمل صالح فهو صدقة، «قال: إلهي أريد من أشجار الجنة وثمارها»، «قال: ذلك لمن سبح تسيحة في ليلة القدر»، مقابل كل تسيحة ثمرة وشجرة في الجنة، «قال: إلهي أريد النجاة من النار»، ماذا نريد أكثر من هذا؟، وهذا ذروة ما تتمناه ونطلبه؛ أن نحصل على السعادة الأبدية ونتخلص من النار.

ليلة الاعتراف بالخطايا

في دعاء عرفة للإمام الحسين، بعد كل ما يطلبه من الله سبحانه في عرفة، ينهي هذا الدعاء بهذا الطلب: «وأسالك اللهم حاجتي التي إن أعطيتها لم يضرني ما منعتني وإن منعتها لم ينفعني ما أعطيتها، أسألك فكاك رقبتني من النار»^(٢٩١)، هذا مطلب أساسي.

«إلهي أريد النجاة من النار، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر»، في

هذه الليلة لا تشغل مع الآخرين ولا تنظر يمينا ويسارا ولا تفكر بأشياء أخرى وفكر بنفسك، وعش مع ذاتك وراجع نفسك واعترف بين يدي الله بخطيئتك، والاعتراف بالخطأ فضيلة، وعندما تتضرع إلى الله؛ إلهي أنا المذنب، أنا المسيء، ليس أمام الآخرين بل بينك وبين ربك، اختل بينك وبين ربك وقل هذا الكلام، هذا هو الذي يستجلب الرحمة.

«قال: إلهي أريد رضاك، قال: رضاي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر»^(٢٩٢)، لم يقل ألف ركعة بل تسيحة وذكر واستغفار، فلا تضع منكم هذه الليلة أحبتي.

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَصَلِّي فِيهَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ سَجْدَةٍ شَجْرَةً فِي الْجَنَّةِ وَبِكُلِّ رُكْعَةٍ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ دَرٍ وَيَاقُوتٍ وَزَبْرُجَدٍ وَلَوْلُؤٌ» طبعاً تلك النشأة أعظم من هذه الأشياء، لكننا لا نعرفها ولا نفهمها لأننا فرحون بالدر والزبرجد والله يعطينا على قدر عقولنا، والرسول يريد أن يشرحها لنا، والناس تتقاتل ويسرق بعضها بعضاً، ياقوت وزبرجد، هذه كلها بهذا الشكل وخير ما تريدون وما تتمنون.

«وبكل آية تاجاً من تيجان الجنة وبكل جلسة درجة من درجات الجنة وبكل تشهد غرفة من غرفات الجنة وبكل تسليم حلة من حلل الجنة فإذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب» الحور العين والنساء الطيبات «المؤلفات أو المؤلفات والجوارى المهذبات والغلمان المخلدين والرياحين المعطرات والأنهار الجاريات والنعم الرقيقات والتحف والهديات والخلع والكرامات وما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون»^(٢٩٣)، يعطيك الله ما تشتهي الأنفس وما تريده في صبيحة هذه الليلة إذا استفدت من أجوائها.

عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكائيل البحار»^(٢٩٤)، لا تستكثر على الله أن يغفر الذنوب مهما كان عددها، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، لا تخاطب المؤمنين والصلحاء بل تخاطب العصاة؛ «يا عبادي»، وفيها قرب للعصاة

٢٩٢ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٤٥

٢٩٣ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٤٥

٢٩٤ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٤٦

وللمجرمين ، يقول الله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٩٥) . هذه الآية تهز كثيرا وتعطي أملا كبيرا ، وكل منا يعلم ما صنع ؛ ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ (٢٩٦) ، يتجمل أمام الآخرين ليظهر نفسه بمظهر حسن ، لكن في قرارة نفسه يعرف طبيئته .

في هذه الليلة لا تستكثر مهما كانت المعصية ، أجارنا الله جميعا ، لكن بني آدم خطاؤون ، مهما كانت معصيتك وذنوبك وتجاوزاتك ، فاليوم هو لحظة القرار ، يا من تسمعي لا تقم من مكانك قبل أن تتخذ قرارا في هذه الليلة ؛ وقل إلهي مهما صنعت وأنت تعلم ، وأنا أريد أن أفتح صفحة جديدة بيضاء نقية فيها انقياد وطاعة وخير وصلاح وخدمة لعباد الله وفيها وفاء بالحقوق والتزام بالواجبات ، توجه لله واعترف له واتخذ قرارك واحصل على التوبة في هذه الليلة الشريفة .

متى ليلة القدر؟

الظن الغالب أن ليلة القدر هي الثالثة والعشرون ، ورواياتنا مختلفة تردها بين التاسعة عشرة أو الحادية والعشرين أو الثالثة والعشرين وهناك روايات أضعف سندنا عندنا تقول السابعة والعشرون ، وهناك روايات تقول العشر الأخيرة من شهر رمضان ، فلماذا أخفيت ليلة القدر بين ليال عديدة؟ ، لعظمتها ، والشيء الكبير تظل تلاحقه ، وربما رفقا بالعباد ؛ فقد تعلم ليلة القدر وترتكب معصية ، فينزل الله عذابه ، وهناك من لا يرعوي حتى في ليلة القدر ، فلو شخصت في ليلة واضحة ، والناس مع علمهم وجزمهم ارتكبوا الذنوب ، فسينزل العذاب الإلهي ، وهذا معناه أنها أخفيت رفقا بالعباد وكرامة لها بين ليالي عدة .

ولكن من خلال بعض النصوص ، فإن ليلة الثالث والعشرين قد تكون الأقوى ؛ وأشهر هذه النصوص رواية الجهني أنه أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو عبد الرحمن بن أنيس الأنصاري وهو رجل لديه غلمان والتزامات في الصحراء ، ولم يكن يستطيع أن يأتي عدة مرات ولديه غنم وإبل . . . ، فجاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : « يا رسول الله إن لي إبلا وغنما وغلما » ، لا يستطيع أن

٢٩٥ . سورة الزمر : الآية ٥٣

٢٩٦ . سورة القیامة : الآية ١٤

أجلبها وأرجع ومكاني بعيد ، « فأحب أن تأمرني ليلة أدخل فيها فأشهد الصلاة وذلك في شهر رمضان « أعطني ليلة ، إي ليلة يا رسول الله ، « فدعاه رسول الله فسرّه في أذنه»^(٢٩٧) ، وجد فيه الاضطراب ، وغيره ليس مضطرا ، والناس لم تسمع ماذا قال رسول الله وبقيت أعينهم متى يأتي الجهني ، وكان إذا كانت ليلة الثالث والعشرين دخل يبأله وغنمه وأهله وولده وغلمته ، فإذا أصبح خرج يبأله وغنمه إلى مكانه ، وعرف المسلمون أن ما سره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو أن يأتي في الليلة الثالثة والعشرين .

فضل زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

ورد الفضل الكبير في زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين في هذه الليلة ؛ لاحظوا الروايات الكثيرة في هذا المجال ومنها ما ورد عن الرضا علي بن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « عمرة في شهر رمضان تعدل حجة واعتكاف ليلة في مسجد الرسول وعند قبته يعدل حجة وعمرة ومن زار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ واعتكف عند العشر الغواير (الأواخر) من شهر رمضان فكأنما اعتكف عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومن اعتكف عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان ذلك أفضل له من حجة وعمرة بعد حجة الإسلام»^(٢٩٨) ، الحجة الواجبة ، ليلة يقضيها في حرم سيد الشهداء كمن يقضيها في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهي تعادل حجة وعمرة في أجرها وثوابها .

وفي رواية أخرى في هذا المضمون عن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « من زار الحسين ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان وهي الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم (شهادة من الإمام الجواد) صافحه روح أربعة وعشرين ألف ملك ونبي كلهم يستأذن الله في زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك الليلة»^(٢٩٩) .

وعن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « إذا كان ليلة القدر يفرق الله عز وجل كل أمر حكيم نادى مناد من السماء السابعة أن الله عز وجل قد غفر لمن أتى قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣٠٠) . كذلك جاء التأكيد على إحيائها حتى الصباح ، والإحياء

٢٩٧ . بحار الأنوار ج ٨٠ ص ١٢٨

٢٩٨ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٥١

٢٩٩ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٦٦

٣٠٠ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٦٦

لا يعني ترك النوم فقط ، ولكنه بحد ذاته من أعمال ليلة القدر ، وحتى الأطفال يجب ألا يناموا وحتى المريض ، ، ومن أعمالها العبادة وطلب العلم والعمل الصالح ، والإحياء أن تبقى جالسا ومستيقظا حتى طلوع الفجر وهو من أعمال ليلة القدر ، وهناك حرص كبير على هذا الموضوع .

عن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يطوي فراشه ويشد مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان وكان يوقظ أهله ليلة الثالث والعشرين ، ولا يدعهم ينامون ، وكان يرش وجوه النيام بالماء في تلك الليلة ، كي لا يحرّموا من فضائل تلك الليلة ، وكانت فاطمة ÷ لا تدع أحدا من أهلها ينام تلك الليلة وتداويهم بقلّة الطعام فيها ، متى كان الطعام إلى حدّ التخمّة في بيت علي؟ ، لكن في تلك الليلة تقلل الطعام ، وعندما تكون المعدة فارغة تكون المقاومة أكثر ، وتتأهب لها وتدع أطفالها ينامون عصرا كي يكونوا نشطين في الليل وتقول : «محروم من خيرها»^(٣٠١) يجب ألا ينام أحدا ولا يحرم من هذه الليلة ومحروم وشقي من حرم منها ومن خيرها ، في ذروة الرحمة الإلهية وفي قمة العطاء الإلهي ، لا يريد أن يرى ويتفاعل ، والمشكلة مشكلته .

من صافحه جبرائيل يرق قلبه وتكثر دموعه

كان أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ مريضا مدنفا (شديدا) فأمر في ليلة القدر فأخرج إلى مسجد رسول الله ، فكان فيه حتى أصبح ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان ، قضاها في المسجد ، والدعاء الجماعي مهم والمجالس العامة مهمة ، ومن يذهب إلى الأماكن العامة قد ينكسر قلبه ، وقد يستجاب دعاء واحد وتنزل الرحمة عليه فتعم الجميع ، والله أكرم من أن يعطي أحدا ويغيّب المحيطين به ، فالإنسان يفعل هذا ، حين يخرج طعاما يشرك معه من كان بجانبه ، والله سبحانه وتعالى حينما ينزل الرحمة يشمل بها الجميع .

والأدعية الجماعية والمجالس العامة فضلها أن الشخص إذا لم يكن لديه توجه فقد يرى إنسانا متفاعلا وداعم العينين فيتفاعل ، وإذا استنزلت الرحمة على أحد تشمل الجميع ، لذلك احرصوا على الدعاء الجماعي . العمل الصالح في شهر رمضان اليوم تقطف ثماره ، «من فطر صائما في شهر رمضان ومن كسب

حلالاً من المال الحلال قرابة إلى الله صلت عليه الملائكة، ليالي رمضان كلها وصافحه جبرائيل ليلة القدر»، كيف نعرف ذلك وما الدليل والإشارة أن جبرائيل صافحنا؟، «ومن صافحه جبرائيل يرق قلبه وتكثر دموعه».

اعرف أن جبرائيل يصافحك وأن أعمالك في هذا الشهر قد قبلت وهذه هي العلامة، ورقة القلب مطلوبة ودمعة العين مطلوبة، وهذا ما أقول، يجب أن نبتعد اليوم عن الدنيا ولا نفكر بشيء آخر. فكر بمصيرك ومستقبلك وعلاقتك مع الله، تحذير شديد في الروايات لمن يضيع هذه الليلة وتمر عليه مرور الكرام ولا يستفيد منها.

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أدرك ليلة القدر فلم يُغفر له أبعد الله»^(٣٠٢)، طريد من الله وشقي وملعون إذا لم يستفد من ليلة القدر، ولدنا في روايات أنه من ضيع ليلة القدر فليس له فرصة للتدارك إلا في صحراء عرفة، قد ينظر إليه الله نظرة رحمة تغيّر المسار، وإلا فإن القضية منتهية. وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله» لأنه لا توجد فرصة أفضل منها، «ولا يحرم خيرها إلا محروم»^(٣٠٣)، شقي وملعون من يحرم منها وإلا فالإنسان إذا امتلك قليلاً من التوجه فقد يستفيد، وكم يستفيد، هذه مراتب، لذلك أحبتي علينا ألا نضيع هذه الليلة ونستثمرها أحسن استثمار وأن نحقق من خلالها رضا الله.

يستحب الدعاء للآخرين في ليلة القدر

في هذه الليلة يستحب الدعاء للآخرين، والدعاء لمن نعرف ونحب، والدعاء لأرحامنا وأقاربنا وأصدقائنا وفي القضايا العامة والهموم العامة، وهناك اليوم شعوب إسلامية تتعرض لمشاكل وأمم تتعرض لمحنة وشعبنا يتعرض لمأساة، وهناك هموم كبيرة عامة وخاصة، ويجب علينا أن نستثمر هذه الليلة الشريفة بالدعاء والتضرع. وورد في أحوال سيدتنا فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ أنها كانت تفضي هذه الليلة حتى طلوع الفجر، ويقال لها سيدتي لم نسمعك تدعين لنفسك وكل دعائك للآخرين، فتقول لم يتسع لي الوقت ولم أقدم نفسي على الآخرين^(٣٠٤)،

٣٠٢. ميزان الحكمة ج ٢ ص ١١١٨

٣٠٣. سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٦

٣٠٤. ينظر وسائل الشيعة ج ٧ ص ١١٣

وتبقى تدعو لهذا وذاك وينتهي الوقت ولا يصل الدور للدعاء لنفسها، وتعرف أن الدعاء للآخر يُكتب للداعي؛ وادع لنفسك فاذا استجاب الله يعطك، وادع لغيرك والله يستجيب لهذا ويعطيك بقدره وزيادة عليه.

في الدعاء يجب أن نتجاوز حالة الأنانية ولا نقضي ساعة أو ساعتين في الدعاء لأنفسنا فقط، ولا تدعو لشعبك ولعائلتك ولأصدقائك، بل أكثر من ذلك؛ ورد الدعاء للضالين، والمنحرفين، والمجرمين، يجب أن تدعو لهم ليهدبهم الله، ليرق قلبنا عليهم، فهم فرحون أن الدنيا بيدهم، ونحن نشفق على حالهم، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يشفق على حال الضالين من أبناء أمته: «اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون»^(٣٠٥) ويطلب الرفق بهم والرحمة لهم، لأنهم يعرفون ولا يعلمون ولو انكشفت الحقيقة لهم فلن يبقوا بهذا الضلال والانحراف، وإذا رأيت شخصا منحرفا ادع له.

أساء شخص لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يكن يعرفه والإمام غيّر طريقه وذهب للمسجد، وبعدها قيل له إن هذا علي بن أبي طالب خليفة المسلمين، وظن أنه الآن سيرسل إليه الشرطة أو كذا، وصار يبحث عن أمير المؤمنين، وقيل له ذهب إلى المسجد ولحق الأمير ليعتذر فوجده في الصلاة، وقال له سيدي أرجو المعذرة فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا جئت لأدعوك وأستغفر لك ليصفح عنك هذه الحالة، فليست نقمة وثأرا من الآخر وكسرا له، بل حتى الضال المنحرف المخطئ ادع له ليصلحه الله واطلب الخير لنفسك وللآخرين.

عن عيسى عليه وعلى نبينا السلام: «كن كالشمس تطلع على البر والفاجر»، وقول نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اصنع الخير إلى أهله وإلى غير أهله»^(٣٠٦)، للمستحق ولغير المستحق، فإن لم يكن أهله فكن أنت أهله، كن أنت من أهل الخير واصنعه لنفسك ولربك وليس لفلان، وحالة الدعاء والرفق والشفقة والرحمة هذه للمسيء تكسر قلبه وعينه، والإنسان لحم ودم ومشاعر، ويراك تحسن له وهو يسيء لك مرة أو مرتين، دعه في المرة الأولى يقل إنه غبي و«غشيم»، ورسول الله قد اتهموه باتهامات كثيرة، ومنهم من كانوا يؤذون النبي ويقولون له لم نكن نقصد، ورسول الله يعلم، لكنه كان يصفح، ويقولون رسول الله أذن، ما

٣٠٥ . بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ١٦٧

٣٠٦ . بحار الأنوار ج ٩٥ ص ١٦٧

نقول له يصدق ، واستغلوا حتى الرحمة والشفقة ومع ذلك لم يكن رسول الله يغيّر منهجه ، لذلك في هذه الليلة علينا ألا ننسى أحدا وندعو للجميع .

إن الله عندما يراك مهتما بالقضايا العامة والههم العام ، سيؤثر ذلك كثيرا في استنزال الرحمة عليك ، لنذكر فلسطين ونحن مقلون على يوم القدس بعد أيام قليلة ، وقضية فلسطين ليست قضية شعب مظلوم فقط وهو شعب عربي مسلم ومظلوم ، لكن القضية لا تنحصر بمظلومية توجهت لشعب ، قضية فلسطين فيها كسر إرادة المسلمين واستهداف للهوية الإسلامية لهذا الشعب ، وتميز فلسطين بالاستهداف للهوية ، لهذا قضية فلسطين لا تخص الفلسطينيين وحدهم ، بل هي قضيتنا جميعا ، ومهما كانت التحولات الكبيرة من الثورات والصحوات في عالمنا العربي والإسلامي ، لكن تبقى قضية فلسطين قضية أساسية ومركزية ويجب أن تكون فاعلة ومتحركة في ضميرنا .

في هذه الليلة الشريفة ادعوا لأبناء شعبنا الفلسطيني المظلوم ولكل مظلوم ، واطلبوا من الله أن ينصرنا على أعدائنا وأن يجعل الغلبة والنصر لأهل الحق ، وهذا ما وعد الله به ، لكن نحن نتمنى أن نكون نحن أداة النصر الالهي ، «اللهم اجعلنا ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بنا غيرنا»^(٣٠٧) ، إلهي نريد النصر ونريده على أيدينا ونحن جنودك وأياديك ، ونحن نكون اليد الضاربة والذراع التي تحقق بها مشروع السماء والخير والتسامح .

نسأل الله أن يتقبل منكم صالح الأعمال وأن يجعلها ليلة مباركة ، وأسألكم الدعاء جميعا وأتمنى ألا تنسوننا من خالص دعائكم ، وأسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِكُمْ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ .



محاضرات محرم الحرام





الليلة الأولى - بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محرم.. رسالة أعمق من الحزن

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ ، وَأَنَاخَتْ بِرُحْلِكَ . عَلَيْكَ مِنَّا جَمِيعًا سَلَامَ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِينَا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكَم . السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ، الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْحُسَيْنِيُّونَ ، الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، يُطَلُّ عَلَيْنَا مِنْ جَدِيدِ شَهْرِ مُحْرَمِ الْحَرَامِ ، شَهْرِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ ، شَهْرِ الْمَصِيبَةِ وَالرِّزْيَةِ ، الرَّزِيَّةِ الْكُبْرَى بِاسْتِشْهَادِ سَيِّدِ الشَّهَادَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ .

شهر محرم ليس شهر بكاء فحسب ويجب أن نبكي ، وليس شهر حزن وحسب ويجب أن نحزن ، ولا يكفي أن نلبس السواد وعلينا أن نلبس السواد ، لكن رسالة محرم رسالة أعمق وأوسع ويجب أن نعرف هذه الرسالة ونسير على ضوئها ، رسالة التولي والتبري ، الولاء للحق والعداء للباطل ، سلم لمن سالمكم ، حرب لمن حاربكم ، ولي لمن والاكم ، عدو لمن عاداكم .

الصراع الذي جرى في يوم عاشوراء في واقعة الطف لم يكن صراعاً بين الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على عظمته ويزيد بن معاوية، كان صراعاً مناهجاً ومشاريعاً، صراعاً بين الحق والباطل، كانت معركة بين الخير والشر، الخير في ذروته وأجمل صورته المتمثل بالطهارة والعصمة المتجسدة في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولئك المخلصين الذين يمثلون ويرمزون إلى الطهارة من أهل بيت الحسين ومن أصحاب الحسين، هذا جانب من المعركة، قمة المكارم الأخلاقية، النبيل والثبات والإصرار والحماسة واليقين والصدق، وكل مكارم الأخلاق التي تجسدت في فريق الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وجهته، أما الجبهة الأخرى فتمثل قمة الخسة والوضاعة الأخلاقية والخديعة والمكر والقسوة، وهذه كلها تجسدت في الجانب الآخر.

معسكر يزيد، الوضاعة والتسافل

الحصول على الماء أبسط حق من حقوق الإنسان، فالإنسان يعطش وقد تنصارع أو تنحارب وليس هناك مانع، لكن لا يجب أن يحرم أحد من الماء، ولا يكتفي بأن يحرم منه المقاتلون، بل تحرم النساء منه والكبار من المرضى وحتى الأطفال، فحتى الطفل الرضيع حرم منه، أين المرءة، أين البطولة وأين البسالة وأين قيم الإسلام، وأين قيم العرب، وأين الإنسانية...؟ هل كان هؤلاء بشراً؟ أين الرحمة وأين المنظومة الأخلاقية وأين المبادئ؟ بماذا نمسككم يا جماعة يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد، بماذا نمسككم ونستدل عليكم؟ أليس لديكم قيم؟، أخبرونا، سنحاسبكم على قيمكم، فإذا كنتم عرباً فالعروبة فيها معايير، وإذا كنتم مسلمين فبقيم الإسلام، لا هذه ولا تلك، هل أنتم بشر؟، تعتقدون أنكم بشر، فالإنسانية فيها مواصفات وقيم وحقوق إنسان، وبالأمس أعطى الإسلام حقوقاً للحيوان، وحق الحياة.

يقول الفقهاء إذا كنت تملك القليل من الماء للوضوء وهناك كلب يموت من العطش ولا تملك إلا هذا القليل من الماء فأعطه للكلب وتيمم بالتراب، ولا يجوز لك أن تتوضأ به للقاء الله والكلب يموت، بل أعطه للكلب ليشربه، هذه قيم الإسلام، وهؤلاء أمامكم، وهم خيار الأمة من بني هاشم، ولهذا ترون أن المعركة معركة بين الحق والباطل، ولذلك أصبحت قضية الحسين مدرسة وجامعة معطاء، مناهجها تتغير وتتعمق وتتطور وفيها الشيء العظيم، وهذا محيط مليء

بالدرر والأسماك وأنت وما تلتقط شبكتك عندما ترميها، وإذا كنت تريد السمك فهو موجود وكذلك الدرر موجودة وأثمن الأشياء، فأنت وعلمك وشبكتك .

ومن واقعة الطف وإلى اليوم، بحدود ألف وثلاثمائة سنة، في كل عام يفكر ويكتب آلاف من الناس أبيات الشعر وعديد المؤلفات، فكم ديوانا كتب في حق سيد الشهداء، وكم كتابا ألف في سيد الشهداء، وكم مفكرا وفيلسوفاً تحدث في سيد الشهداء، وكم من قواعد إنسانية استنبطت من واقعة الطف؟ . ابحثوا عن الأعداد وسوف تجدونها هائلة، وسيسأل سائل هل هذه هي القضية الحسينية وليس هناك جديد؟، الجواب كلا وألف كلا، فبعد ألف أو ألفي سنة سنبقى نحصل على حقائق وأشياء جديدة، وكلما فكرنا أكثر تعمقنا أكثر واستنتجنا حقائق من واقعة الطف . إن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة، مدرسة روحية وأخلاقية وفكرية وثقافية وسياسية، ومدرسة في كل شيء، وقد تعودنا في هذا المجلس الكريم أن نرمي بشبكتنا الصغيرة في محيط الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في هذه المدرسة، ونخرج بعضاً من هذه الدرر ونعرضها على مسامعكم في كل عام.

قضايا لافئة

هذه السنة أيضاً سنستمر على المنهج نفسه إذا مكننا الله سبحانه وتعالى من ذلك، كي نسلط الضوء على بعض الحقائق والأسرار التي تضمنتها واقعة الطف، واحدة من هذه القضايا اللافتة في الإمام الحسين، أن الإمام الحسين من لحظة انطلاقة إلى لحظة استشهاده ظل يركز على قضية يطرقها باستمرار، يتكلم بها ويشرحها ويوضحها ويذكر بها، ليس من خطبة ولا كلمة ولا من موقف له ولأهل بيته ولأصحابه إلا وركزت بشكل كبير على هذه النقطة؛ ألا وهي قضية: (التوكل على الله سبحانه وتعالى).

فقد كان الإمام الحسين يجسد قمة التوكل . إن ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بدأت يوم رأى الإمام الحسين في المنام جده رسول الله وعند قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث رأى هذه النتيجة وهذا الموقف وأنا بانتظارك وعليك أن تتحرك^(٣٠٨)، كان قد قضى ليلته عند قبر جده وهو يبكي ويتضرع إلى الله ويناجي جده رسول الله في

ظروف البلاد والعباد والتطورات التي حصلت والحاكم الظالم إلى آخره، وإلى قريب من الفجر أخذه المنام فرأى رسول الله في منامه .

ثم حين عاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر بني هاشم حتى وصل الخبر إلى أخيه محمد بن الحنفية، فجاء أخوه ليقول: يا أخي أنت أحب الخلق إلي وأعزهم علي ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي، ومن وجب طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك علي، وجعلك من سادات أهل الجنة^(٣٠٩)، وإنني قلبت الأمور ورأيت أن هذه الثورة غير منتجة ولن يصدق معك القوم، وأن التوازنات لا تساعد على الانتصار في هذه الثورة، وقدم له تحليلا سياسيا وتحليلا عسكريا عن الظروف الاجتماعية، ووصل إلى استنتاج أن هذه الثورة تنتهي بأنك ستقتل ومن معك يقتلون ويسبون .

لكن الحسين لم يناقشه بتحليله ولم يقل له أنت مخطئ وأنا سأنتصر، بل كان يوافقه بالتحليل، وأخبره وكشف له عن ذلك المنام وأن القضية أمر إلهي بأن أخرج، ولم اذهب لأنتصر، فأنا أعرف النتائج وواجبي أن أخرج وأقف في مواجهة الظالم حتى لو كان في ذلك الاستشهاد لي ولأهلي ولأصحابي، وعندما عرف محمد بن الحنفية أن القضية أمر إلهي توقف وعرف أن الأمر ليس مجرد استنتاجات ومواقف وتحليلات، وقال له إذا كان الأمر كذلك فهذا ما تراه، والحسين قال لمحمد بن الحنفية ابق بالمدينة وراقب واسمع ما يقولون وأرسل لي بذلك، وبقي هناك .

يشكل البعض بالقول إنه إذا كان محمد بن الحنفية فقيها وعالما رفيعا ومطيعا لأمر إمامه لماذا لم يخرج مع الحسين؟. والواقع أن الإمام الحسين هو من طلب من محمد بن الحنفية البقاء في المدينة، وقد كتب له وصية قصيرة ذكر فيها الوجدانية وإلى آخر القضايا الأساسية، كما ذكر الغاية من ثورته، حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»^(٣١٠). وهذه الوصية

٣٠٩ . ينظر بحار الأنوار ج ٤٤ - ص ٣٢٩

٣١٠ . البحار- مصدر سابق

معروفة، ومحل الشاهد هنا كما رُوي في البحار في الجزء الرابع والأربعين حيث يختم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه العبارة «وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب» .

إذن، التوكل في أول خطوة ثم تستمر عملية التأكيد على التوكل حتى الخطبة الأخيرة وفي اللحظات الأخيرة وهو مخرج بدمائه، وكذلك في الدعاء الأخير قبل أن يحز رأسه الشريف، فقد كان آخر كلامه كما يروى في عدة روايات: أدعوك محتاجا وأرغب بك فقيرا وأفزع إليك خائفا فأبكي مكروبا وأستعين بك ضعيفا وأتوكل عليك كافيا^(٣١١)، إذن، فأول كلامه توكل، وآخر كلامه قبل الاستشهاد «أتوكل عليك»، فكيف نكون متوكلين ونحقق هذا المعنى في أنفسنا؟ .

حقيقة التوكل وحدوده

سنتناول هنا عدة محاور رئيسة، ونحاول في هذه الليالي التحدث بهذه النقاط التالية :

- ما حقيقة التوكل ؟ .
- ما حدود التوكل ؟ .
- ما مراتب ودرجات التوكل ؟ .
- ما آثار ومعطيات التوكل ؟ .
- ما الشواهد القرآنية على التوكل ؟ .

ما معنى التوكل على الله؟

وهو أن يعتمد القلب في جميع أموره على الله سبحانه وتعالى، يعني أن يثق الإنسان بحسن تدبير الله وتقديره، والتوكل على الله هو اعتماد الإنسان في كل جوانحه على الله سبحانه وتعالى وليس مجرد الادعاء . وهو كذلك تفويض الأمور إليه سبحانه، فأتوكل على الله وأقول له إلهي أنت ترى وتعلم أين مصلحتي، والأمر يشبه أن نسلم أرواحنا بيد الطبيب حين يشخص مرضا خطيرا يستدعي إجراء عملية جراحية، فنحن نثق بالطبيب ونسلمه أرواحنا، فكم نثق بالله لنقبل أن ما قدره لنا هو في الحقيقة لمصلحتنا، الأمر ليس سهلا كما هو الكلام،

فنحن كلنا متوكلون على الله إذا ما كنا في خط متصاعد ونجاحات وإمكانات جيدة، ولكن هل نقبل بالمعطيات والتناجج؟، إذ نرى أن الأمر بمجرد أن ينعكس نتساءل لماذا يا إلهي؟.

البعض منا في حالات الغضب والانفعال والرسوب تصدر منه هذه الاعتراضات التي يصدق عليها الكفر والعياذ بالله، مع أن الله أعرف بما نحتاج إليه، ولذلك ترون القرآن الكريم عندما يتحدث عن التوكل، يقول هذه سمة المؤمنين، إذا كنت تملك إيمانا حقيقيا تستطيع تحقيق التوكل، وإذا كنت لا تملك الإيمان لا تستطيع، فالمؤمن يستطيع أن يكون متوكلا، لاحظوا في سورة المائدة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣١٢). إذن التوكل نتيجة الإيمان بالله، وفي سورة آل عمران وفي سورة التوبة حيث جاءت هذه الآية مرتين بنفس التعبير: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣١٣)، فإذا قلت لماذا ليس عندي صبر على قضاء الله وقدره فعليك أن تنظر إلى مستوى إيمانك ودرجتك الإيمانية، فإذا كان إيمانك قويا كان توكلك قويا، وإذا كان إيمانك ضعيفا فإن توكلك ضعيف.

في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣١٤). إن السنن الإلهية والقوانين وآيات الله حينما تعرض عليهم لا يهتزون بل تزيدهم إيمانا ورسوخا وعزيمة وصبرا وثباتا، حتى لو كانت الآيات هي عبارة عن محنة صعبة وفيها الكثير من المنغصات في وجود الإنسان، لكن تزيده إيمانا وثباتا بمقدار ما لديه من إيمان، «وعلى ربهم يتوكلون»، إنما المؤمنون هم الذين على ربهم يتوكلون، لا تستطيع أن تكون مؤمنا إذا لم يكن لديك توكل، ولا تستطيع أن تكون متوكلا إذا لم تتجسد فيك سمات المؤمنين.

الأسباب والمسببات

في الميزان للعلامة الطبطبائي في ذيل الآية ١٧٢ من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، في ذيل هذه الآية يشير العلامة الطبطبائي في

٣١٢ . سورة المائدة: الآية ٢٣

٣١٣ . سورة آل عمران: الآية ١٢٢ - سورة التوبة: الآية ٥١

٣١٤ . سورة الأنفال: الآية ٢

الجزء الرابع من الميزان إلى حقيقة التوكل يقول: «حقيقة الأمر أن مضي الإرادة والظفر بالمراد في نشأة المادة يحتاج إلى أسباب طبيعية وأخرى روحية، والإنسان إذا أراد الورود في أمر يهمله وهياً من الأسباب الطبيعية ما يحتاج إليه لم يحل بينه وبين ما يبتغيه إلا اختلال الأسباب الروحية، كوهن الإرادة والخوف والحزن والطيش والشره والسفه وسوء الظن وغير ذلك وهي أمور هامة»^(٣١٥).

نحن دائماً في هذه النشأة المادية نركز على السبب الطبيعي فقط، لكن أحياناً نخفق في الأسباب الروحية، التي لا تتحقق فتحصل الانكسارات، فالسبب الطبيعي متوفر، فمثلاً أنا درست ولكنني لم أنجح، يجب عليك ألا تترك الدعاء فالله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣١٦)، ولكن للدعاء شروط ومتى ما توافرت تأتي الإجابة من الله سبحانه وتعالى، فإذا لم يستجب فمعنى ذلك أنه لم توفر الشروط والمشكلة بك وليست برب العالمين، أنت لم تعمل وأنا وأنت لم تعمل، حالة وهن الإرادة وضعف الإرادة والخوف والإحباط والانكسار والحزن والطيش والسفه والشره، هذه كلها أسباب روحية لا نراها.

وقد نرى طالباً جامعياً اجتهد في دراسته مرة فحقق درجات عالية، ولكن داخله شعور بالعجب فرأى نفسه أنه ذكي جداً ولكنه يكبو في المرحلة التالية، وكذلك قد نرى رياضياً يتألق ويتعب على نفسه وينجح ولكنه في المرة الثانية يخسر لأنه رأى أنه غير محتاج إلى التدريبات، وكلنا رأينا كيف أن المنتخب العراقي في أحلك الظروف استطاع التغلب على فرق قوية ولكنه بعد ذلك وفي فترة الرخاء حيث أنفقت عليه المليارات وبوجود مدربين أجانب خسر مع فرق ضعيفة وعادية، هذه سنة إلهية.

يقول العلامة الطبطبائي إن الإنسان عندما يتوكل على الله فإن الأسباب الضعيفة ستدلل أمام الله تعالى، وبارتباط الإنسان بالله تكون لديه قوة إرادة ويأتيه التوفيق والشحنة المعنوية من الله سبحانه. فالتوكل على الله يتغلب على تلك الأسباب الروحية حينما تضعف، وعندها ينجح الإنسان ويحقق الغايات، وأحياناً أكثر من هذا، فالتوكل يجعل الله سبحانه ينظر إليك نظرة رحيمة فيتجاوز حتى الأسباب الطبيعية المادية.

٣١٥ . الميزان في تفسير القرآن ج٤ - ص ٦٥

٣١٦ . سورة غافر: الآية ٦٠

معاجز وكرامات الأولياء

أما المعجزة فهي خرق للأسباب الطبيعية، كرمي موسى للعصا فتحولت إلى ثعبان، فليس مألوفاً أن رمي العصا يحولها إلى أفعى، فهو أمر غير طبيعي وهذه معجزة، ومثلها حين وضع يده عَلَيْهِ السَّلَامُ في جيبه فأخرجها بيضاء للناظرين، وهذا ليس أمراً طبيعياً فهو معجزة، وأحياناً نرى كرامة لأولياء الله المعصومين أو الأنبياء، أو لأولياء أو لأناس طبيين، وقد نرى من هذه الحوادث كالمريض الذي يجزم طبيياً بأنه سيموت ونسبة بقائه حياً تساوي صفراً، لكنه قد يعيش عشرين سنة، وهذه كرامة من الله وهي خرق للأسباب الطبيعية.

لهذا فالتوكل على الله كما يذلل الأسباب الروحية، فهو أحياناً يتغلب ويتجاوز الأسباب الطبيعية أيضاً، لأن النظام العام هو نظام أسباب ومسببات، فنظام السببية يحكم هذا العالم بأمر الله، والله تعالى يدعونا إلى أن نعمل ونأخذ بالأسباب كي نصل إلى النتائج، ولا تتحقق النتائج بدون أسبابها، لكن قد تأتي استثناءات في حالات خاصة.

انظروا إلى هذه الرواية في حقيقة التوكل: «سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جبرائيل: ما التوكل على الله؟ فقال جبرائيل: العلم بأن المخلوق لا يغير ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس من الخلق فإذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكل.»^(٣١٧) أي أن تعتقد في قرارة نفسك بأن الله هو من يعطي وهو من يمنع ومن يرفع ومن يضع، يرفع من يشاء ويضع من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

الحسين ودرس التوكل

في لحظة الاستشهاد لم يقل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يا ناس أدركوني، بل قال عليك توكلت، وأريد رضاك يا ربِّي، أنت من ترى مصلحتي وأنا جاهز، وهذه حالة تريح الإنسان كثيراً ولا يبقى معها شعور بالندم والألم. فالإنسان الذي يرى الأسباب الطبيعية ويلجّ بالتساؤل لماذا أصبحت هكذا ولم تكن هكذا سيبقى في حالة صراع داخلي، وفي حالة من العناء والتعب النفسي والضغط.

إن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه تعرضوا إلى أشد حالات الاستهداف، ولا توجد محنة أكبر من محنة الحسين، ففي يوم عاشوراء كان الحسين مضرجا بدمائه ومقطع الأشلاء، وكان أهل بيته وأصحابه مقطعين ومجزرين كالأضاحي في الصحراء، وحرّم رسول الله ونساؤه وأطفاله أصبحوا سبايا، يقودهم أولئك المنحرفون الضالون، ويضربونهم بالسياط، وهذه هي الحالة التي كانوا عليها، حالة من البؤس الشديد والحرمان ومثلت فجيحة مؤلمة، فيما كان يزيد في كبريائه وعبيد الله بن زياد يدق طبول النصر، حاول أن تتخيل تلك اللقطة، إذ يقال إن يزيد انتصر وعبيد الله بن زياد انتصر وعمر بن سعد فرح بالنصر وهو يتصور أن الري أصبح في حوزته، وكأنه لم يسمع الحسين حين قال له سوف لن تهنأ بعدي في الدنيا ولا في الآخرة، وكأنني برأسك على قصبه قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضا بينهم^(٣١٨)، وهذا ما حدث له لاحقا.

إن اليأس من خلق الله يدفعك إلى أن تضع عينك بعين الله وتطلب من الله، وسترى أن كل هذه التفاهات الصغيرة ستتضاءل وتذهب بقوة الله الذي تتوكل عليه، فالإنسان يجب أن تكون لديه ثقة بالله ويتكل عليه وينقاد إليه ويطلب منه، ولو فعلتم ذلك سترون ما يحدث، سترون الإنجازات والشعور بالقوة والشموخ الذي يحصل للإنسان في هذه الحالة، وكما يقول جبرائيل: «إذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكل»، أنا جندي من جنود الله سبحانه وتعالى لا تسخرني لأجل النقود، الله سيعطيني إياها وأكثر، ماذا حصل لأصحاب المليارات وهم يتساقطون اليوم الواحد بعد الآخر؟، وتخرج الأسرار بأن فلانا يملك ستين مليار دولار في المصارف الفلانية، وهذا لديه أربعون مليارا وهكذا، أموال وقوت الشعب في المصارف، سرقوها واحتفظوا بها هناك، هل تعتقدون بأن الفاسدين الذين سرقوا المليارات من الأموال سيهنؤون بها ويرتاحون ويفرحون؟. إن الشخص الذي قد لا يجد قوت يومه ولكن ينام وهو مرتاح الضمير أفضل بكثير من حال هؤلاء.

من أدعية السجادة عَلَيْهِ السَّلَامُ

أقرأ لك هذا الدعاء للإمام السجادة عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنهى حديثي في هذه الليلة . . ورد في الصحيفة السجادية الدعاء الثاني والخمسين قول الإمام السجاد: «وبك أستغيث»، لم يقل أستغيث بك بل قال بك استغيث، كما في قوله تعالى: ﴿إياك

نعبد وإياك نستعين ﴿﴾ ، أي أنت وليس غيرك ، وبك يا ربي ولا نحتاج إلى أحد سوى الله ، « وإياك أرجو ، ولك أدعو ، وإليك ألتجأ ، وبك أثق ، وإياك أستعين ، وبك أؤمن ، وعليك أتوكل ، وعلى جودك وكرمك أتكل »^(٣١٩) . فعيني على جودك وكرمك وعلى منك ولطفك ، وعلى رحمتك وحنانك ، فأنت تعطيني وترفعني وتخلصني ، ونكل أمورنا إليك يا إلهي ، وأمور شعوبنا العربية والإسلامية وشعبنا العراقي ، يا إلهي منك نريد ، وعليك نتوكل وبك نشق .

وفي الدعاء الخامس والخمسين من الصحيفة : « إلهي هب لي صدق التوكل عليك »^(٣٢٠) ، إذن هناك توكل صادق وتوكل غير صادق وادعائي ، أريد التوكل الحقيقي الذي يجعلني قويا أمام الآخرين ولا أضعف أمام المغريات ، أنا الذليل يا الله بين يديك والعزيز أمام الآخرين ، هذه أخلاق الآلام التي تجسدت في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فأصبح مصداقا للتوكل على الله سبحانه وتعالى ، لم يطلب من الآخرين بل طلب من الله فوقف وضحي من أجل الله ، وكانت له هذه المكانة وهذه المنزلة الرفيعة .

فسلام عليك يا أبا عبد الله وسنبقى ما حيننا حسنين ، ونبقى في طريق الحسين ، وسنبقى في خدمة الحسين ما بقينا وبقى الدهر ، وسنبقى في هذا الطريق إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٣١٩ . الصحيفة السجادية ، ص ٣٠٥

٣٢٠ . الصحيفة السجادية ، ص ٣٠٩



الليلة الثانية- بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثورة الحسين.. مائدة الفكر ونوع الدروس الدائم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ ، وَأَنَاخَتْ بِرُحْلِكَ . عَلَيْكَ مِنَّا جَمِيعًا سَلَامَ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِينَا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكُمْ . السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ، الَّذِينَ بَدَّلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

كان حديثنا في الليالي الماضية عن سمة مهمة من سمات الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وسمات أهل بيته وأصحابه تتمثل بالتوكل على الله سبحانه وتعالى ، حيث كان التوكل عنوانا واضحا تجسد في واقعة الطف ، في كل قول وفعل وسلوك صدر من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن أهل بيته وأصحابه

حدود التوكل

الليلة نتحدث عن حدود التوكل ، وما مساحة التوكل ؟ .

يقول البعض إن كل شيء بيد الله ، فلماذا أعمل والله هو الرازق؟ لأجلس والله هو يرزقني بدون عمل! وكذلك الأمر بالنسبة للدراسة أو المرض ، يقول إن الله

هو الشافي ، فيتخلى عن الأسباب الطبيعية ويتجاوز على النظام الذي وضعه الله ؛ نظام السببية ، ويصاب بالتكاليف ، وكل ذلك يدفعه إلى أن يتخلى عن واجباته وعمله ويقول أنا متوكل على الله ، الله هو من يعطيني ويرزقني ويشفيني ويعلمني ويحل مشاكلي ، لا نحتاج إلى أسباب طبيعية ، من قال لكم إن هذا هو التوكل ؟ .

إن التوكل فعل جانحي . . فعل قلبي ، وهذه الأسباب الطبيعية أفعال جوارحية ، وهذه لا تتعارض بعضها مع البعض ، أطلب من الله وأخطو بالأسباب الطبيعية حتى يجعل الله تعالى هذه الأسباب منتجة وتحقق لي ما أريد ، هذا من ناحية ، حيث يتخلى الإنسان عن كل الأسباب الطبيعية ويقول أنا متوكل على الله تعالى ، وفي مقابل ذلك هناك أناس يقعون في الجانب الآخر ، تقول له كيف تحصل على الرزق فيقول أنا أشتغل وأحصل على الأموال بقوتي وذكائي وشطارتي ، ولا يذكر الله أبدا ، وكذلك الطالب الناجح يعتقد بأنه هو فقط سبب النجاح ، ولا يذكر الله تعالى وكذلك المريض ، يقول أنا أذهب للطبيب المحترف ولا يذكر الله .

من يهمل الأسباب الطبيعية ويتخلى عنها خرج عن التوكل ، ومن يركز على الأسباب الطبيعية وينظر إليها بنظرة استقلالية ويعتقد بأن هذه الأسباب هي التي جعلته ينجح ، فهذا أيضا ليس عنده توكل ، حدود التوكل بين هذا وذاك ، أن نذهب باتجاه الأسباب الطبيعية ولكن في الوقت نفسه نعتقد بأن هذه الأسباب لا تؤثر إلا بإرادة الله تعالى ، نعمل ولكن عيننا على الله تعالى ، أبذل وأحاول من الجهود كل ما أستطيع ولكن أتوقع وأعتقد بأن الله تعالى بيده الأمر ، وهذا ما أمرنا الله به بأن نذهب باتجاه الأسباب الطبيعية ونخطو بها ، في القرآن الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٣٢١) استعدوا لقتال أعداء الله .

الاعتداء الإسرائيلي

بالأمس كانت هناك غارة إسرائيلية على غزة ، على الشعب الفلسطيني الأعزل ، فاستهدفوه وقتلوا وجرحوا عددا من الأبرياء ، قائد عسكري كبير أُستهدف ، وكان الغرض من هذا العدوان إخافتهم ، وقد اعتقدوا أن الفلسطينيين سوف لن يستطيعوا أن يردوا على هذا العدوان ، اليوم العالم فتح عينه على حقيقة

أن تل أيبب تُدكّ بالصواريخ، منشآت حيوية تستهدف بالصواريخ ومواقع حساسة في مناطق مختلفة من إسرائيل، أكثر من مئة صاروخ توجه لإسرائيل في غضون سويغات، وصولاً للحديث عن إسقاط طائرة حربية، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ هنا يأتي الأمر الإلهي، نتوكل على الله ولكن يجب أن نذهب إلى الأسباب الطبيعية.

نرى كل هذه الوحشية والهمجية والعدوان على شعب أعزل، فلماذا خلال أربع وعشرين ساعة يستشهد أربعة وعشرون فلسطينياً فيما بلغ عدد الجرحى مئتين وخمسين شخصاً، ومما يثير الانتباه ردود الأفعال الدولية التي تحمّل الفلسطينيين المسؤولية، عجيب!، فقد اعتدى الإسرائيليون في وضح النهار وفجروا وقتلوا، وليس لك حق أن ترد وتدافع عن نفسك؟ هل هذا هو المجتمع الدولي الذي نحن جالسون على أبوابه نطلب منه التدخل لمشروع السلام في الشرق الأوسط؟، هل هؤلاء الذين جعلناهم وسطاء بين العرب وإسرائيل، بين المسلمين وإسرائيل، وهم منحازون كل الانحياز لطرف حتى في أوضح الصور؟.

كل العالم يردد أن إسرائيل ضربت وقتلت واستهدفت، ولكن حينما رد الفلسطينيون على العدوان قالوا إن الشعب الفلسطيني يتحمل مسؤولية التصعيد!، يجب على الشعب الفلسطيني أن يتحمل العدوان!، صرخات وبيانات استنكارية، ليس لك حق أن تدافع عن نفسك!، أي منطق هذا وأية سياسة هذه تحكم العالم؟ أي عدل وإنصاف نبحت عنه في مثل هذا التعامل والسلوك المشين لبعض هذه الدول التي تتحدث وتقول وتتعامل مع القضايا بهذا الانحياز؟، إنه شيء مؤسف، ولكن الحق لا يؤخذ في الأروقة الدولية بل الحق يؤخذ بهذه الطريقة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، الله تعالى يقول هذا؛ عليكم الأخذ بالأسباب الطبيعية، تضرب مرة مئة صاروخ فيأتيك حتى العدو ويحسب مائة حساب قبل أن يضرب الصاروخ الآخر.

ونسأل الله تعالى أن يتغمده هؤلاء الشهداء الأبرار برحمته الواسعة ويمن على الجرحى بالشفاء العاجل ويجعل هذه الشهادة والتضحية في رحاب الحسين وفي ذكرى استشهاد سيد الشهداء، أن يجعل فيها الخير والبركة للشعب الفلسطيني ولأمتينا العربية والإسلامية. قال تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(٣٢٢)، لماذا نحذر

ونحن متوكلون على الله تعالى؟ بل يجب أن نحذر، في صلاة الخوف يقول تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾^(٣٢٣) في ساحة المعركة وأثناء الصلاة يجب أن يكون سلاحك معك، السبب الطبيعي يجب أن يكون حاضرا.

الأخذ بالأسباب

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أوجب الله لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك»^(٣٢٤). تطلب من الله تعالى وتتحرك نحو الأسباب التي جعلها الله تعالى سببا لتحقيق النتيجة، الله جعل العلاج سببا للشفاء، ولكن الشافي هو الله تعالى، هذه هي الموازنة الدقيقة. «رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوما لا يزرعون، قال ما أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا بل أنتم المتكلمون»^(٣٢٥). هذه اتكالية مرفوضة في الإسلام.

وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنه مر يوما على قوم فرأهم أصحابا جالسين في زاوية المسجد، فأنكر ذلك عليهم، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون، قال لا بل أنتم المتأكلة»، والمتأكلة يعني الناس الذين يكونون عبئا على المجتمع، «فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم، قالوا إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا، قال هكذا تفعل الكلاب عندنا، قالوا كيف نفعل؟ قال: كما نفعل، قالوا: كيف تفعل؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا»^(٣٢٦)، وهذا هو الفرق بين منطق هؤلاء ومنطق الإسلام وأمير المؤمنين، هذه ثقافة مهمة، أي ثقافة التعامل مع النعمة، تحافظ على النعمة وتشرك الآخرين بها، الحياة نعمة والإنسان عبد لله تعالى والحياة الشخصية يجب أن تكون خاضعة للمعايير الإلهية، ماذا يريد الله تعالى منك، يجب أن نسير على ما يريد الله تعالى.

الوطن.. تلك النعمة العظيمة

نعمة الوطن نعمة عظيمة فكيف نحافظ عليها؟ إن حب الوطن من الإيمان ويجب تكريس الوطنية والانتماء للوطن والدفاع عنه، وصيانته وبنائه وخدمة

٣٢٣ . سورة النساء : الآية ١٠٢

٣٢٤ . جامع السعادات ، ج٣ - ص ١٨٣

٣٢٥ . مستدرک الوسائل ج ١١ - ص ٢١٧

٣٢٦ . المصدر السابق ص ٢٢٠

المواطن، الوحدة نعمة عظيمة يجب أن نرعاها، يجب أن نتفاهم ونتعاشق ونتواصل، ويجب أن يحترم بعضنا بعضا في حقوق المواطنة، ويجب أن يعترف بعضنا بحقوق البعض الآخر وبالشراكة في هذا الوطن، يجب أن يمد كل منا يده للآخر وأن يؤكد دوما على تحالفاتنا مع الآخر، فكل أبناء هذا الوطن متحالفون بعضهم مع البعض الآخر، المكونات في هذا الوطن متحالفة، الشيعة والسنة متحالفون، العرب والكرد والتركمان متحالفون، المسلمون والمسيحيون والصابئة والإيزيديون متحالفون، القوميات كلها متحالفة.

نتحالف معهم ونحترمهم ونقدرهم ونعطيهم حقوقهم ونأخذ منهم حقوقنا، العتاب حق، أرى حليفي وشريكي يسير في طريق عندي ملاحظة عليه، أعاتبه وهذا لا يتقاطع مع التحالف، وكذلك الأمر بالنسبة له يعاتبني إذا أخطأت، وهذا أيضا حقه، في إطار البيت الواحد، إخوة وأب مع ابنه، زوج مع زوجته، في إطار العشيرة أيضا، العتاب حق لا يتقاطع مع التحالف، فنتعاب ونعود إلى المعايير التي تجمعنا ونبقى متحالفين ومصيرين على هذا التحالف حتى نحافظ على وحدة العراق، وعلى تماسك العراق، فوحدة العراق مسألة مهمة يجب أن نحرص عليها ونعمل جاهدين من أجل تحقيقها.

دم الحسين وحفظ الدين

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣٢٧)، الله يحفظ القرآن، وحين نسأل كيف يحفظ الله القرآن؟ يأتي الجواب أن الحفظ بالأسباب الطبيعية، وهي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل البيت، والحفظ بدم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتورة الحسين كانت لحفظ الإسلام والقرآن وحفظ القيم، هذا هو السبب الطبيعي. فالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الرجل الذي تجسد فيه التوكل بصورة ومعانيه وبأشكاله، لم يقل أنا أتوكل والله ينصرني، بل أعد العدة واستنفر كل الجهود والطاقات حتى ينهض بمسؤوليته وواجبه في هذه العملية.

خطاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يحمل رسالة إنسانية استقطبت المسلمين وغير المسلمين، فاستقطبت الشيخ العربي والعبد الحبشي، ما هذه الرسالة التي تستقطب الجميع؟. انفتح الحسين على الرجل والمرأة، على المجتمع كله معه،

٣٢٧. سورة الحجر: الآية ٩

وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد أن يقول إن قضية كربلاء ليست ثورة وعملا شخصيا من أجل أن يصل الحسين إلى سدة الحكم، فالحسين ليس طالب سلطة، بل جاء الحسين بكل المجتمع حتى يقول إن هذه الثورة ثورة الإنسان، كل الإنسان، بكل توجهاته وشرائحه وفتاته العمرية، بكل أنساقه الاجتماعية، فالجميع حاضر والجميع له دور من دون إكراه حتى يصنع ملحمة إنسانية، ويعطي درسا للبشرية، ثم مهد في الخطاب الإعلامي والسياسي والمفاوضات التي تمت الاستعدادات العسكرية؛ الناطق الرسمي لواقعة الطف الحوراء زينب، الإمام السجاد ودوره في هذه العملية واستمرار نور الرسالة الإلهية بعد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى غير ذلك.

نرى صورة واستعدادات كاملة في كل المجالات بأفضل ما يمكن، وهذه كلها أسباب طبيعية وفرها الحسين، وقال توكلت على الله، وآخر لحظة قال وعليك توكلت، ودائما ظل يردد ذلك، ولكن مع خوض الأسباب الطبيعية. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتوكلين والحسينيين الذين يفهمون حقيقة الحسين ونهجه ويتفاعلون ويتعاطون مع هذا النهج القويم.



الليلة الثالثة - بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ رسالة الحياة لا الموت

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السَّلَام عليك يا أبا عَبْدِ اللَّهِ ، السَّلَام عليك يا ابن رسول الله ، السَّلَام عليك وعلى الأرواح التي حَلَّتْ بفنائِكَ ، وَأَنَاخَتْ بِرُحْلِكَ . عليك مِنَّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، ولا جعلهُ اللهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكُمْ . السَّلَام على الحُسَيْنِ ، وعلى عليِّ بنِ الحُسَيْنِ ، وعلى أولادِ الحُسَيْنِ ، وعلى أصحابِ الحُسَيْنِ ، الذينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الحُسَيْنِ عليه السَّلَام . اللهم اجعل محيانا محيا محمد وآل محمد ومماتنا ممات محمد وآل محمد .

السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الحسينيون ورحمة الله وبركاته ، في رحاب شهر محرم الحرام وعلى مائدة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نستلهم دروسا وعبرا من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وثورته الخالدة ، ونقف لتتعلم كيف نعيش ، وإذا ما أريد لنا أن نضحى من أجل حياة الآخرين كيف نموت ليحيا الآخرون ، فإن رسالة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ رسالة الحياة ، الحسين لم يعلمنا كيف نموت ، بل علمنا كيف نعيش ، وحتى إذا ما أرادت الحياة باستحقاقاتها تضحية ليعيش الآخرون ، فقد علمنا كيف نضحى ليعيش الآخرون وتستمر الحياة وتمضي عملية البناء ، بناء النفوس وبناء البلدان .

سمة التوكل في شخصية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

قلنا إن هناك سمة، وهي واحدة من أهم السمات التي نجدها في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، التي منحتة هذه القوة والصلابة وهذا الوضوح والصرامة في الدفاع عن الحق ومواجهة الباطل، هي سمة استطاعت أن تجعل من الحسين شاخصا ورمزا ونبراسا للإنسانية كلها ليلتف حوله جميع الناس، المسلمون وغيرهم، الرجال والنساء والكبار والصغار، ذوو التوجهات السياسية المختلفة، الشرائح الاجتماعية المختلفة من الشيخ القرشي إلى العبد الحبشي، كلهم نجدهم في واقعة الطف ملتفين حول الحسين ومدافعين عنه ومثابرين في تحقيق أهداف الحسين والدفاع عن نهج الحسين.

ما هذه السمة وهذه القوة وهذه المناعة والسعة والاستيعاب في واقع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟، هي سمة التوكل. التوكل على الله سبحانه وتعالى، وقلنا حينما نستعرض مواقف الحسين وكلماته وخطبه، وكذلك كلمات وخطب أهل بيته وأصحابه، نجدها مليئة تفوح منها رائحة التوكل على الله سبحانه وتعالى.

مراتب التوكل ودرجاته

الموضوع الذي نتحدث عنه اليوم هو «مراتب التوكل ودرجاته». . هل الناس كلهم سواسية في التوكل أو على أصناف؟.

إنهم على أصناف، لاحظوا هذه الرواية التي يرويها العلامة الكليني في الكافي عن علي بن سويد عن أبي الحسن الأول عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «سألته: عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣٢٨) فقال: التوكل على الله درجات؛ منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضيا، تعلم أنه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها».^(٣٢٩)

فالتوكل على الله درجات وليس بدرجة واحدة، منها أن تصل إلى مرحلة تتوكل فيها على الله في كل أمورك وشؤونك فتكون راضيا بما قسمه الله لك، وتؤمن بأنه إذا ما أعطاك فالمصلحة كانت في العطاء وإذا منع عنك فمصلحتك في ألا تحصل

٣٢٨ . سورة الطلاق : الآية ٣

٣٢٩ . الكافي ج٢- ص ٦٥

لثلا يأتيك من المال ما قد تنسى معه صلاتك وعبادتك ، شعور الإنسان بالرضا قضية مهمة جدا، كما يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فما فعل بك كنت عنه راضيا، تعلم أنه لا يألوك خيرا وفضلا»، أي لا يقصر معك ولا يمنعك الخير، فإذا أعطاك فلمصلحتك وإذا لم يعطك، وهو الكريم الجواد الحنان المنان، فإن مصلحتك ألا يتحقق ما تريده، وستواجه بعض المشاكل وتتعدد بعض الأشياء التي قد لا نفهمها، فنحن دائما نريد الوصول إلى مبتغانا بسرعة ولا نعرف أن عدم تحقق النتائج قد تكون فيه فوائد معينة لا نعرف قيمتها إلا بعد حين .

«وتعلم أن الحكم في ذلك له»، فهو من يقدر ويشخص ونحن نرضى برضاه ونسلم لأمره ونثق بما يقدر، «فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه»، فوض أمرك إليه وخُض الأسباب الطبيعية فإذا حدثت النتائج المطلوبة فالحمد لله، وإذا لم تحدث نشعر بالرضا ونوقن بأن في التأخير مصلحة، ولعله يأتي الوقت المناسب الذي تتحقق فيه توجهاتنا .

العلاقة بين التوكل ومعرفة الله

ما يفهم من مجمل النصوص أن درجة التوكل ترتبط بمستوى معرفتنا لمعاني الربوبية الإلهية، فكلما تعمقت رؤيتنا نحو الربوبية ومقام الربوبية الإلهية، أيقنا ألا مؤثر في الوجود إلا الله، وزاد عندنا منسوب التوكل، وكلما انخفض فهمنا ومعرفتنا للربوبية الإلهية نقص منسوب التوكل على الله، ولذلك فعلماء الأخلاق يقسمون المقامات والمراتب للمتوكلين إلى ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

الموحدون، لن نتكلم عن الملحدين، فالذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ووحدانيته هم عموم الناس، وهم عندما تسألهم ما دور الله سبحانه وتعالى؟، يقولون إن الله على كل شيء قدير ومالك لكل شيء، فلا أحد يشك بهذا، الناس كلها تردد هذا الكلام، ولكن هؤلاء يتحدثون بهذا الحديث في الوقت الذي لا يلتزمون به في العمل والوجدان والسلوك، وفي تعاملهم مع الأمور، فهم يرفعون هذا الشعار ويزعمون أن الأمور بيد الله سبحانه وتعالى لكن فعلهم أو سلوكهم لا يوحي بذلك، إذ إنهم متوغلون في القضايا المادية ومتابعة الأمور بأسبابها الطبيعية .

يقول إن الأمر بيد الله، ولكن إذا مرض ابنه يركض به إلى الطبيب وينسى أن يقول يا إلهي شافٍ وعافٍ ولدي، فالله تعالى إذا استجاب دعاءك يجعل شفاء ولدك على يد هذا الطبيب، فقد تكون ذهبت إلى الطبيب الخطأ وقد يعطيك العلاج الصحيح بناء على دعائك ويقدر الله ذلك، وحتى لو كان التشخيص صحيحاً أحياناً ولكن قد يكون للعلاج مضاعفات، فالدعاء له أثر كبير والشافي الحقيقي هو الله وليس الطبيب.

وقد نقل لي أحد الأشخاص، وهو إنسان محترم، قال إنه راجع أفضل الأطباء وأفضل التقنيات ولم يجد علاجاً لحساسية في جلده مع كل العلاجات التي حصل عليها والتشخيصات الدقيقة لمرضه، وذات يوم خرج فصادفته صيدلية صغيرة بائسة جداً وقديمة بالية، ولكن كان قد توسل قبل خروجه بالله تعالى، في تلك الصيدلية وجد صيدلياً كبيراً في السن، فشرح له معاناته مع حساسية الجلد، فقال له إن العلاج سهل وأعطاه مرهماً للعلاج، يقول هذا الشخص إنني أخذتها وأنا شبه يائس بسبب ذهابي إلى المستشفيات الراقية وليس من المعقول أن أجد الدواء الناجع في هذه الصيدلية الصغيرة، ولكن العجيب أنه ما إن استخدم هذا العلاج حتى زال الألم وذهبت الحكمة من المناطق التي عالجها بهذا الدواء، وإلى اليوم انتفت هذه المشكلة كلياً لديه.

يجب أن نذهب إلى المستشفيات ويجب أن نبحث عن الطبيب الجيد والأجهزة المتطورة ونوفرها للمواطنين، لكن الله من يشفي، هذا المقام الأول من مقامات التوكل؛ أن نؤمن أن كل شيء بيد الله، لذا على الإنسان أن يطلب حاجته أولاً من الله فإذا توفرت فالحمد لله تعالى، وإذا لم تتوفر يرجع إلى الله ويسأله؛ يا ربي أريد منك لا من عبادك، وهذه للأسف غير موجودة عند كثير من الناس، وحتى عندما يدعو عامة الناس فدعاؤهم من باب التقليد أو العادة، فيما ذهنه منصرف إلى غير الله.

كما أن البعض منا حينما يدعو فهو يدعو من باب ليت ولعل فيرجو الإجابة، أي أن الدعاء ربما يفيد وليس من باب التأكد والثقة بالله، ولكن هذه الحالة هي دون التوكل، إنها توكل ادعائي والبعض يتعامل بهذه الطريقة. عندما نأتي إلى أمور الدنيا لا نذكر الله ونظّل نركض وراء الأسباب الطبيعية والمادية، فنبحث

عمن يحل لنا المشكلة وكيف نحقق ذلك ، وكأن الله غير موجود ، والغريب أن هذا الشخص نفسه لا ينتبه حتى لصلاته ، وحين تسأله يقول لك إن الله عظيم ولا يبحث عن هذه الصغائر ، فيكفي أن تتوكل على الله وتصفي قلبك وتطهره ، عجباً! ، في شؤون الآخرة يتوكل ويترك الأسباب الطبيعية وفي شؤون الدنيا ينسى ذلك ويتمسك بالأسباب الطبيعية ، وهذا تناقض .

المرتبة الثانية

وهي متطورة يصعد فيها منسوب التوكل ، فأولئك الذين يتوكلون على الله ، لا يتكلمون فقط ، وعندما تسأله لماذا تتوكل على الله؟ ، سيقول إن الدليل العقلي أوصلني إلى ذلك ، والآية والرواية ، إذن هذا لا بد من أن يكون ، هكذا يقول الدليل ، كيف؟ ، إن الله عليم بكل شيء ، وهو يعلم احتياجاتنا وقضايانا ، إذن فالله عالم ، أستطيع حل المشكلات أم لا؟ وهذه لا يشك بها أحد ، لأن الله قدير على كل شيء ، الإنسان قد يكون أحيانا قادرا ولكنه يبخل بمساعدته للآخرين ، ولكن حاشا لله أن يكون بخيلا وهو يعلم ويقدر وهو كريم كذلك ، وأحيانا يكون الإنسان عالما بالمشكلة وقادرا على حلها أيضا ولكنه يحتفظ بموقف معين تجاه صاحبها فلا يقدم له المساعدة ، وهذا المانع هو الآخر ينتفي عن الله ، لأن الله تعالى رؤوف ورحيم بعباده ، وعليه فإذا كان الله عليما وقديرا وكريما ، وقد اجتمعت هذه الصفات الأربع فيه تعالى ، فإذن من المستحيل أن تكون هناك حاجة فيها مصلحة لي ويمنعها الله سبحانه عني .

وهكذا يقال لك أنا متوكل بالدليل العقلي ، فالعقل أرشدني إلى التوكل ، هؤلاء وإن كانوا من ناحية نظرية علمية يؤمنون بالتوكل ويعتقدون بالدليل العقلي ، لكن قد تكون قلوب بعضهم مشدودة إلى غير الله ، فربما يكون عقله مع التوكل وقلبه مع الأسباب الطبيعية ، فالعقل مشدود نحو الله والقلب مشدود نحو الأسباب ، فيعيش الإنسان بين العقل والقلب . ففي اللحظة التي يتغلب فيها العقل تراه متوكلا ، وفي اللحظة التي يتغلب فيها القلب ويتحرك ستراه يخرج عن دائرة التوكل ، وهذه مشكلة كبيرة يقع فيها الإنسان .

الصراع بين العقل والقلب

في واقعة الطف وصف الفرزدق أهل الكوفة حينما سأله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقول: قلوبهم معك وسيوفهم عليك^(٣٣٠)، القلوب هنا تعني العقول على جاري استخدام العرب قديماً، أي أن عقولهم مع الحسين ابن بنت رسول الله، صاحب الحق والحق معه والمنطق معه والتأريخ معه وسعادتنا معه، فمن يزيد شارب الخمر واللاعب مع القردة والخنازير وقاتل النفس المحترمة؟ فالعقل يقول الحسين، لكن ماذا تقول المصالح والتعيينات والأموال والإمكانات والوجاهات والفرص؟ بالطبع هي عند يزيد، ويزيد يعرف ذلك، ولهذا حين ألقى خطبة النصر، خطبة الخلافة المزعومة وولايته على الناس فإن أول ما قال إن معاوية كان يذهب بكم إلى الحرب وأنا لا أخرج بكم إليها، وهو كان يعطيكم وأنا أعطيكم الضعف، فتحدث لهم بالإغراءات فبقي عقل الناس مع الحسين ومصالحهم مع يزيد.

وهذا التجاذب جعلهم يفتقدون إلى الإرادة، فكانت قلوبهم مع الحسين ولكن سيوفهم على الحسين، هذه مشكلة تقع فيها كبشر، حيث يرتكب الإنسان معصية والعياذ بالله ويكي على نفسه، ألم تكن تعلم؟، نعم أعرف، فلماذا تفعل الحرام وأنت تعلم؟، لم أستطيع، عقلي يقول لا تعمل لكن قلبي مع المعصية والشهوات، لا أستطيع أن أغمض عيني وأمسك أعصابي، ولا أستطيع أن أمسك نفسي عن الحرام، أتعلم؟، نعم أعلم، لديك رؤية دقيقة عن الحلال والحرام؟، نعم، فلماذا إذن ترتكب الخطأ؟، لا أعرف، هذه هي حالة الصراع بين القلب والعقل، بين النظرية واستحقاقات الواقع واندفاعات الإنسان لما يرى فيه مصلحة لنفسه.

المرتبة الثالثة

من مراتب التوكل مرتبة الإيمان، وهذا يتجسد في الشخص الذي يؤمن قلبه بأن الأمور بيد الله سبحانه وتعالى، فيذهب إلى الطبيب ولكن عينه على الله وليست على الطبيب، يدرس ويجتهد ولكن عينه على الله في أن يوفقه فالله دائماً ماثل أمامه، يخطو نحو الأسباب الطبيعية ولكن يرى أن سبب الأسباب ومسبب

٣٣٠. دلائل الإمامة للطبري، ص ١٨٢

الأسباب والأمور هو الله سبحانه وتعالى ، فدائماً نظرته إلى الله . هنيئاً لمثل هذا الشخص الذي لا يرى إلا الله ، والله يفتح عليه ويسهل أمره ويفرج عنه ، كم نحن بحاجة لأن نوجد هذه الحالة ، لأن النار قد تراها من بعيد ، وقد تضع يدك عليها ، لكن الفرق كبير ، فتلك صورة عن النار المحرقة وعند وضع يدك فيها ستشعر بالنار في صميم مشاعرك وأحاسيسك ومن أعماق وجودك ، تشعر بحرقه النار ، وشتان بين من يرى ومن يلمس هذه النار .

وقد يسمع أحدهم محاضرة عن الجوع ولكنه لم يشعر بالجوع يوماً فإله وقر له كل شيء ، ويقال له إن الصيام من الفجر إلى المغرب فلا تأكل ، وهنا يعيش الجوع الحقيقي ويفهم ما هي مشكلة الفقير ، أي أنه يعيش مشكلة الفقير في النهار .

إن الكثير من المشاكل تواجهنا اليوم لأننا نتعامل معها تعاملًا علمياً ، واليوم لا يوجد من يقول إن الفساد جيد في هذا البلد أو غيره ، فالكل يشجب ويستنكر ويدين الفساد والكل يدين المحاصصات والكل يدين الترف والتلاعب بالمال ، والكل يتحدث عن خدمة الوطن والمواطن كقضية طبيعية ، أما على أرض الواقع فالقضية مختلفة ، حيث السعي وراء المناصب والامتيازات وحشر مع الناس عيد وهكذا يبدأ التبرير لكل شيء ، والكل يشجب الفساد لكن عندما تأتي الأموال بيدي من صفقة أو عقد وما شابه يكون التعامل خلاف الحديث ، إذن شتان بين العلم بالشيء والإيمان بالشيء واليقين والاعتقاد به ، انظروا إلى هذه الحوارية اللطيفة بين الإمام الحسين وزوج النبي أم سلمة ، حينما استعد الحسين للخروج من المدينة إلى كربلاء وجاءت إليه أم سلمة .

إيمان بلا حدود

انظر حالة الإيمان واليقين : «قالت أم سلمة : لا تخرج إلى العراق ، فقد سمعت رسول الله يقول : يقتل ابني الحسين بأرض العراق ، وعندى تربة دفعها إليّ في قارورة ، فقال : إني والله مقتول كذلك وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً وإن أحببت أن أريك مضجعي ومصرع أصحابي ، ثم مسح بيده على وجهها

ففسح الله عن بصرها حتى رأيا ذلك كله وأخذ تربة فأعطاهما من تلك التربة أيضا في قارورة أخرى وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا فاضت دما فاعلمي أنني قتلت»^(٣٣١).

قد تُقَطَّع قنبلة شخصا ويذهب شهيدا إلى الله، ومرة أخرى يعلم أنه يلاقي الموت ويذهب لأنه تكليف ويلقي بنفسه إلى الموت، وفرق بين من وقع الموت عليه ومن وقع على الموت، وهذا الذي يقوله علي الأكبر: «أولسنا على الحق؟ إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا»^(٣٣٢)، وهذه منزلة عالية. إن أم سلمة بقيت تراقب التربة وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورتين فإذا هما يفوران دما فأيقنت أن هذا هو الوقت الذي استشهد فيه الحسين.

أن يكون الحسين عارفا ومتيقنا بما ستؤول إليه الأمور ويقدم بتلك البسالة ويعمل كل الإجراءات ولم يقل إنني ما دمت قد اخترت الشهادة فلماذا استمع لنصيحة هذه أو ذاك، فأنا ذاهب إلى عملية استشهادية وانتهى الأمر، لا، كان واجبه أن يصنع ملحمة خالدة بكل هذه الأبعاد، الخطب والبيانات والأحاديث وسجلاته وإطالة أمد المعركة، وكان يستطيع في ليلة عاشوراء أن ينهي القضية كلها، لأنهم اثنان وسبعون شخصا والجانب الآخر ثلاثون ألفا أو سبعون ألفا، فليس هناك تكافؤ في موازين القوى والمعركة محسومة عسكريا، لكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال أمهلونا عشية هذه الليلة حتى نصلي لربنا.

فكان له ولأصحابه دويّ مثل دويّ النحل، ثم في الصباح لم يقل استعدوا لتنتهي القضية بربع ساعة، وانتظر إلى قريب من العصر، وكل منهم يخرج وينصح ويقول ما هو مدلول القضية؟. فالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يصنع قضية ومشهدا متكاملًا، لتبقى البشرية جمعاء تنهل منهما تلك الدروس والعبر، واليوم، حين نضع يدنا على أية قضية وموقف وكلمة مما قيلت في ذلك اليوم، نجد فيها عبرة عظيمة وكبيرة، هذا الوضوح والتوكل على الله نجده في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا منطقتنا؛ «إحدى الحسنين النصر أو الشهادة».

ولهذا نقول لأعدائنا إننا مكلفون بواجبنا، النتائج لا تهمنا، فهي عمل الله والمصالح التي يقدرها سبحانه، فالله قد يرى مصلحتنا في عدم النصر وهو أعلم

٣٣١ . بحار الأنوار ج ٤٥ - ص ٨٩

٣٣٢ . لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ص ٩٨ .

بشؤون عباده، وهذه تعطي راحة وطمأنينة، فعليك كإنسان أن تعمل واجباتك والنتائج بيد الله، أنت مسؤول عن المقدمات ويجب عدم التقصير بها، وهذا منطوق مهم، وهذا هو منهج التوكل على الله الذي نجده في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسنكمل ذلك في الأيام القادمة واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الليلة الرابعة - بتاريخ ٢٠١٢/١١/١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحسين (عليه السلام) تجسيد الثقة بالله والتوكل عليه

السَّلام عليك يا أبا عبدِ الله ، السَّلام عليك يا ابن رسول الله ، السَّلام عليك وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك ، وأناخت برحلك . عليك منّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد منّا لزيارتكم . السَّلام على الحسين ، وعلى علي بن الحسين ، وعلى أولاد الحسين ، وعلى أصحاب الحسين ، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السَّلام .

السَّلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الحسينيون ورحمة الله وبركاته ، نجتمع في هذه الليالي الحزينة لنستذكر واقعة الطف الأليمة ونعيش هذه الأيام والليالي مع الحسين عليه السَّلام ، ونستذكر ما جرى عليه فنستدر الدموع وتخرج منا العبرة ولكننا لا نقف عندها ، وإنما نتقل من العبرة (بفتح العين) إلى العبرة (بكسر العين) ومن الدموع إلى الدروع .

التوكل على الله تعالى

ذكرنا أن واحدة من السمات المهمة التي تجسدت في الحسين عليه السَّلام وفي أهل بيته وأصحابه هي سمة التوكل على الله سبحانه وتعالى ، نجدها في كل كلمة وفي كل قول وفي كل فعل وكل موقف ، وفي كل سلوك صدر من الحسين عليه السَّلام ومن أهل بيته وأصحابه .

آثار التوكل

نتحدث في هذه الليلة عن آثار التوكل ، فما الذي يحصل عليه الإنسان المتوكل على الله؟ ، وما الآثار المترتبة على ذلك وما السلاح الذي بيده؟ ، وما الأوراق التي لديه والقوة التي يشعره بها والمعطيات التي تترتب على ذلك؟ .

أولا/ يسيطر على نفسه ويخرج عن سلطة وهيمنة الشيطان ، شيطان الجن والإنس ، يسيطر على أعصابه من الوقوع في المعصية ، لاحظوا قول الله تعالى في سورة النحل : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(٣٣٣) ، عندك إيمان وتوكل إذن ليس للشيطان سلطان عليك ولا يؤثر فيك ولا يستطيع أن يضللك ويحرفك ، «إنما سلطانه على الذين يتولونه» ، إذن فسلطان الشيطان على من يتولاه ، على الذين يذهبون ويطرقون باب الشيطان ويقولون نحن قادمون نريد أن نبايعك ، ونحن أتباعك وأنت المتبوع ونريد تسليمك زمام القيادة بيدك أيها الشيطان ، والشيطان بطبيعة الحال جاهز للقيادة .

يقال إن أحدهم رأى في عالم الرؤيا الشيطان بيده حبال وسلاسل مختلفة بعضها خفيفة وبعضها غليظة ، فسأل الشيطان عن ذلك فقال الشيطان : هذه السلاسل للناس ، فمن يسلم رقبتة أسحبه إليّ ، فقال له : لماذا هي أشكال وأنواع؟ قال الشيطان : لأن الناس مختلفون وبعضهم أؤشر إليه فيأتي راكضا ، وهناك من يحتاج إلى خيط وبعضهم يحتاج إلى حبل وبعضهم يحتاج إلى سلاسل ، وهم من لديهم مقدار من الإيمان والتوكل على الله .

قال : يا إبليس أسالك سؤالا؟ قال له تفضل ، قال أيها لي؟ قال له : أنت من النوع الذي يأتي بالإشارة فلا تحتاج إلى سلاسل ولا حبال ، إذن ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾^(٣٣٤) ، الذين وضعوه شريكا مع الله سبحانه وتعالى ، فهؤلاء في كلامهم يعكسون أنهم مؤمنون بالله ، وهو الحق والمالك وهو الرب ، وأما في واقع العمل فعين على الله وعين على الشيطان ، إذن وضعوا الشيطان شريكا مع الله سبحانه وتعالى ، فالشيطان سلطانه على هؤلاء أما المؤمن المتوكل فلا طريق للشيطان عليه ، فإذا أردت أن تخرج من هيمنة الشيطان والطواغيت والظالمين فعليك بالإيمان والتوكل .

٣٣٣ . سورة النحل : الآية ٩٩

٣٣٤ . سورة النحل : الآية ١٠٠

السيطرة على النفس وكبح الشيطان

المؤمن المتوكل لا طريق للشيطان إليه ، وإذا أردت أن تخضع لهيمنة الشيطان والوقوع في الرذيلة والعياذ بالله فسبحانه يقول : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي أنت من تختاره بعملك وليس بكلامك ، فبالكلام كلنا نقول لا ، ولكن في العمل أنت من تختاره شريكا لله . لاحظوا في هذه الرواية : « لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض »^(٣٣٥) . أي أن الإنسان إذا استطاع أن يتحرر من الشيطان ويفتح عينيه فسيرى حقيقة ملكوت السموات وبواطنها والعالم الآخر والنشأة الآخرة ، وهذه يستطيع الإنسان أن يراها ويحيط بها ويتعرف عليها حين يتحرر من سلطة الشيطان ، فتحصل لذة المناجاة وحلاوة العبادة لله ، هذه الحلاوة عندما تأتي تتصاغر أمامها كل اللذات المادية والدنيوية .

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ آية بارزة من آيات الله سبحانه وتعالى في هذا الجانب ، وقد برز لديه التوكل بأوضح صورته وحصل على هذه الهيمنة على نفسه في قبال هيمنة الشيطان ، ولهذا نسمعه يقول حينما وبخ أولئك المنحرفين ونههم إلى هذه الحقيقة ، يقول في أول خطبة يوم عاشوراء مخاطبا أولئك القوم بهذه العبارة : « فنعلم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وأمنتتم بالرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم » ، طاعتهم كانت عبر الكلام فقط ، ولكن سلوكهم أنهم قاموا بذبح أولاد الأنبياء وذرية الأنبياء ، « لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتبا لكم ولما تريدون »^(٣٣٦) .

ثم يحتاج عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فهو ليس شخصا عاديا بل يعرف الأمور ويعرف الحسين ولديه علم وفهم ، والحسين عندما يحتاجه ليس كما يحتاج الآخرين ، لماذا هذا الموقف ؟ ، فيحنى عمر ويقول للحسين وعدوني إذا ما خرجت إلى قتالك ومعركتك بملك (الري) ، وكانت الري ولاية كبيرة في ذلك الوقت وهي منطقة أصبحت قريبة من مدينة طهران ، وحينها كانت الري مدينة كبيرة ، إن الدنيا والشيطان استحوذا عليه ، تولى الشيطان والشيطان سيطر عليه وهذه المشكلة ، كل الانحرافات التي تحصل للإنسان إنما تقع حينما يتجاهل ذكر

٣٣٥ . بحار الأنوار ج ٦٠ - ص ٣٣٢

٣٣٦ . البحار ج ٤٥ - ص ٦

الله سبحانه والتقرب إلى الله والتوكل على الله، لأن المرء مع هذه سيمسك الأمور بيده ولن تفلت منه، ولا يذهب باتجاه الشيطان ولا يسيطر عليه.

الوقاية من الفتنة

لاحظوا الآية الأخرى التي تشير إلى هذه الحقيقة في سورة يونس: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٣٣٧)، هل أنت مؤمن بالله؟. نتيجة هذا الإيمان يجب أن تكون التوكل على الله، ولا يمكن أن يجتمع الإيمان وعدم التوكل، لأنك حين تؤمن بأن الله بيده كل شيء فلن تتركه وتذهب إلى غيره، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣٣٨)، هذه هي المشكلة، الوقوع في الفتنة، وفتنة الظالمين ترغيبهم وترهيبهم؛ تأتي معي وستكون لك الامتيازات والمواقع والأموال، وإلا فإنني أسجنك وألاحقك وأتابعك، الظلمة شياطين الجن والإنس على طول الخط، وهذه طريقتهم، يقول بنو إسرائيل توكلنا على الله ثم يطلبون من الله، «ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين»، فكلما كان الإيمان أعظم وأوثق كان التوكل على الله أعظم والخوف والطمع بما في يد الظالم أقل.

يكفي الإنسان ألا يخاف، فأقصى شيء أن يتم تهديده بالقتل، يقول الحسين عليه السلام: «أبالموت تخوفني»^(٣٣٩)، هذا ما نطمح إليه فلا نخوفنا بالموت، نحن نتمنى الشهادة وندعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الشهادة وأنت تهددني بها؟ وهي مكرمة الله سبحانه وتعالى؟، «القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة»^(٣٤٠)، إذن فالموت لا أخاف منه، فلا يستطيع الضغط عليّ، وهذه أولى الفوائد العظيمة للتوكل.

ثانيا/ الهمة العالية، عندما تكون متوكلا على الله تشعر بالقوة وأنت مستند إلى ركن وثيق هو الله سبحانه وتعالى، فترفع رأسك وتشعر بالقوة وهي قوة الله، تشعر بالثقة لارتباطك بالله سبحانه وتعالى، وتشعر بالعزة لأنك مرتبط بالعزيز وتشعر بالعظمة لأنك مرتبط بالعظيم، وتشعر بالكرامة لأنك مرتبط بالكريم، من

٣٣٧ . سورة يونس : الآية ٨٤

٣٣٨ . سورة يونس : الآية ٨٥

٣٣٩ . مناقب آل أبي طالب ج٣ - ص ٢٤٦

٣٤٠ . البحار ج٤٥ - ص ١١٨

شدة هذا الارتباط وهذا التوكل تصبح قويا وذا هممة عالية، عن الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه قال: «الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال»، عندما تصبح لديك ثقة تستطيع تحقيق كل شيء فبالثقة بالله تحصل على الإرادة وهي توفر لك فرص تحقيق كل ما تصبو إليه وتريده، «وَسُلِّمَ إِلَى كُلِّ عَالٍ»^(٣٤١)، الطريق لكل شيء عالٍ هو الثقة بالله والتوكل عليه.

هممة أصحاب الحسين

كان أصحاب الحسين من أصحاب هذه هممة العالية، وعندما تنظر إلى اثنين وسبعين شخصا في مقابل سبعين ألفا مدججين بالسلاح ولديهم المال والطعام والشراب، في حين كان أولئك قد أخذ العطش مأخذا كبيرا من صغارهم فضلا عن كبارهم، وهم يتضورون من الجوع والعطش كما أنهم غرباء وأولئك في أماكنهم يقاتلون، فالقضية منتهية وليست بحاجة إلى حساب وليس هناك من فرص، وليس هناك توازن وتكافؤ أقل أو أكثر، فلا مقارنة بين السبعين شخصا والسبعين ألفا، وبالتالي فالمعركة محسومة عسكريا قبل أن تبدأ. لكن كيف كان تعامل أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟.

عندما أراد عمرو بن الحجاج أن يستفز قومه ويحرضهم على القتال قال لهم: «أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوما مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم»^(٣٤٢)، انظروا الدناءة فبرغم الكثرة العددية والإمكانات المادية فإن كل هذه لا تمنع الإنسان من أن يدخل إلى مداخل غير شريفة وغير نظيفة لتحقيق غاياته، «الغاية تبرر الوسيلة»، فما دامت غايتنا قتل الحسين، فأى وسيلة تقتل الحسين وأصحابه فليس هناك مانع.

أما أهل الحق فلا يقولون الغاية تبرر الوسيلة، أهل الحق يقولون إن الوسائل يجب أن تكون من جنس الغايات، الغاية شريفة فلا بد من أن تكون الوسيلة شريفة، هناك هدف سام فكيف أوفر له وسائل غير سامية وغير نظيفة؟، لا يجوز، فهذه من تبريرات الشيطان وتلبيس الشيطان. لذلك نجد أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما

٣٤١. ميزان الحكمة ج٤- ص ٣٦٦٠

٣٤٢. البحار ج٤٥- ص ١٩

جاءه الحر بن يزيد الرياحي مع جيشه سقوهم الماء لأنه حق إنساني وليس له علاقة بالمعركة، نحن أعداء أو أصدقاء لكن أنت إنسان وأنا إنسان، ولك حق الحياة وهذا الماء من حقك، لكن كيف تعاملوا هم؟ تعاملوا بطريقة أخرى.

أم البنين نموذج للتوكل

انظروا إلى أم البنين صلوات الله وسلامه عليها، وهي قد فقدت أربعة في هذه المعركة، هم عبد الله وعثمان وجعفر وأبو الفضل العباس سلام الله عليهم، وهذا شيء ثقيل والأمهات اللواتي تُكلن بأبنائهن، الله يحفظكم جميعا، وهن مفجوعات ومتألّمات يعلمن ما أقول، ولكن حين جاؤوا يريدون إخبار أم البنين بمصير أولادها، قالوا لها: عظم الله أجرك يا أم البنين، بابنك عبد الله وبابنك عثمان وبابنك جعفر، وأخبروها باستشهاد أولادها، وهي تسألهم ماذا عن أبي عبد الله الحسين؟ أولادي فداء للحسين، فقولوا لي ما أخبار الحسين؟.

انظروا مقدار التوكل على الله، انظروا المبدئية العالية والوضوح والبصيرة، لم تهتز حتى قيل لها عظم الله أجرك بابي عبد الله الحسين، فهنا انهارت، وشقت الراية ورأت الإمام قد تعرض للاستهداف والمشروع تعرض للاستهداف، هنا شعرت بالقلق، هذا التوكل شيء عظيم وكبير، إذا استطعنا أن نوجده في أنفسنا سنكون حسينيين جميعا ما بقينا وبقي الليل والنهار.

الحسين لا يمثل شخصا مهما كان عظيما، فرسول الله وهو سيد الأنبياء، وجدّ الحسين، هذا الإنسان العظيم، يقول الله عنه في قرآنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٣٤٣)، فعظمة الرسول ليست بشخصه بل برسالته لأنه رسول من الله سبحانه وتعالى، وعظمة الحسين لأنه صاحب مشروع وحامل رسالة ومدافع عن الحق والحق ينبض في كل شيء منه، لأن الحسين جسّد الصراع بين الحق والباطل، وهذا الصراع لا يقف في كل مكان وزمان، لذلك نقول دائما: «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»، ففي أي زمان ومكان كنا، فإن هناك صراعا بين الحق والباطل، علينا أن نقف ونتعلم من دروس الحسين، ونسأل الله أن يجعلنا من المتوكلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الليلة الخامسة - بتاريخ ١٩ / ١١ / ٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوكل على الله سمة واقعة الطف الأبرز

السَّلام عليك يا أبا عبد الله ، السَّلام عليك يا ابن رسول الله ، السَّلام عليك وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك ، وأناخت برحلك . عليك ممَّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد ممَّا لزيارتكم . السَّلام على الحسين ، وعلى عليّ بن الحسين ، وعلى أولاد الحسين ، وعلى أصحاب الحسين ، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السَّلام .

السَّلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الحسينيون ورحمة الله وبركاته ، إن الدموع التي نذرفها على سيد الشهداء ، إنما هي بكاء على نهجه الذي استهدف يوم عاشوراء ، الحسين قضية ومنهج ومشروع ، وهذه العظمة التي نجدها في سيد الشهداء وفي إحياء ذكره إنما ترتبط بذلك المشروع العظيم ، نجلس على مائدة الحسين لتتعلم دروس الحياة .

تحدثنا عن آثار ومعطيات التوكل ؛ ما الفوائد والآثار التي تترتب على الإنسان في حياته حينما يكون متوكلاً؟ . وذكرنا أن واحداً من هذه الآثار هو الخروج عن هيمنة الشيطان ومسك زمام المبادرة والسيطرة على النفس ، مما يمنع الإنسان من الوقوع في المعصية ، وكذلك تحدثنا عن أثر آخر هو الهمة العالية التي تحصل للإنسان المتوكل ، فيكون ذا همة وإرادة وعزيمة وإصرار ، وهذه سمات المتوكلين .

والذي نتحدث عنه اليوم هو القدرة على اتخاذ القرار ، الإنسان المتوكل

يتحلى بالقدرة على الحسم واتخاذ القرار، وهذا واحد من أهم أسرار النجاح في المنظومة القيادية، أي مسؤول يتصدى في أي مستوى من المسؤولية، سواء كان مسؤولاً عن عائلة من ثلاثة أو أربعة أشخاص، أو مسؤولاً عن شركة أو مصنع أو عن مهام أكبر، وصولاً إلى مسؤولية دولة وشعب وأمة، في كل هذه المراحل فإن القدرة على اتخاذ القرار والحزم والوضوح والإقدام وتجاوز عقدة التردد أمور مطلوبة، ودائماً تكون هناك خيارات صعبة، وكل خيار فيه إيجابيات وسلبيات، أن تغرق في الهواجس والمخاوف أو أن تذهب نحو التهور واتخاذ قرارات ارتجالية، فكلاهما خطر كبير، لكن أن تكون عندك قدرة على أن تأخذ القرار الصحيح في الوقت الصحيح فهذا هو سر النجاح وهذا من آثار التوكل على الله سبحانه وتعالى.

توفير مقدمات النجاح

لاحظوا هذه الآية الشريفة من ال عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَلَّوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣٤٤). يا رسول الله، واحدة من سمات القيادة الناجحة في إدارتك لهذه الأمة أن تكون رحيماً ودوداً ومشفقاً وليناً، تتعامل بشفقة ورحمة مع العباد، إذا كنت تتعامل بخشونة وبفظاظة مع الناس فستفطرط عنك وتبتعد؛ آلة الرئاسة سعة الصدر^(٣٤٥). في الشؤون الدنيوية والأخروية، يجب أن تكون ليناً ورحيماً وهذا لا يتقاطع مع الحزم كما سيأتي من سياق الآية الشريفة.

«فاعف عنهم»، هذه الآية تشير إلى قانون العفو العام للعباد، ونحن نعرف أنها نزلت في أجواء غزوة أحد، ففي هذه الغزوة جمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المسلمين واستشارهم؛ قال لهم إن الأعداء قادمون فأين سنقاتلهم؟ أنجلس في بيوتنا أو نخرج إلى أسوار المدينة؟ أو خارج المدينة في الصحراء؟ ماذا تقولون أين نقاتلهم؟ ما رأيكم؟. وقد تحمس البعض كثيراً النظرية أن نخرج خارج المدينة ونلاقيهم على سفح جبل أحد، فنذهب ونتمترس فيه، وعندما يصل العدو

٣٤٤. سورة آل عمران: الآية ١٥٩

٣٤٥. من أقوال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ينظر خصائص الأئمة للشريف الرضي، ص ١١٠

سبأغته ونفأجئه ، وكان هذا الرأى على خلاف رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، لكن ليس هناك قرآن نزل يحدد موقع المعركة ، وهذا درس عظيم ، فالقائد حتى لو كان معصوما بمنزلة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعنده تشخيص دقيق ويعرف المصالح لكنه لا يتجاوز الأمة ورأى الآخرين ، بل يأخذ بمشورتهم حتى لو كانت خطأ ، فالأهم أن تجتمع الأمة ، ولا بأس بأن تكبو مرة ومرتين وتتعلم فهذا خير من أن يذهب القائد بمفرده ويترك الأمة غير مقتنعة .

لذا نزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند إرادتهم وذهب على خلاف قناعته الشخصية التي بيّنها لهم ، وعند ذهابهم ظهر الانكسار واستشهد عدد كبير من المسلمين ورجعوا وجاء هؤلاء الذين أشاروا وألحوا بهذا المنطق والموقف نادمين مطأطي الرؤوس لرسول الله يطلبون منه العفو والصفح ، وقالوا إننا يا رسول الله تعلمنا درسا عظيما ، ولو كنا سمعنا كلامك يا رسول الله لما حدث الذي حدث ، لكننا لم نكن قاصدين وعقولنا قاصرة وتجارينا قالت إن المعركة هناك أفضل ، هنا أنزل الله سبحانه وتعالى الآية على رسوله الكريم ، فالحديث الآن ليس عن تشفٍ وليس عن ملامة وليس عن نعمة وليس عن إجراءات ، فهم بحسن نية قالوا واخطؤوا ولم يسمعوا رؤية رسولنا الكريم وأصروا على رؤيتهم وصار الانكسار .

وكما نلاحظ تبدأ الآية بتوصية النبي باللين والرحمة والشفقة ، «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» ، هذا أولا ، والآن ، هناك انكسار نفسي عند المسلمين وليس الوقت وقت معاتبة بل يجب لملمة الأمور وتهئية الأوضاع وإعادة شحذ العزائم من جديد للإمساك بزمام المبادرة ، فالمسألة ليست تسجيل نقاط ، فالقيادة لا تسجل نقاطا على الأمة وعلى المستشارين ، وعلى أهل الحل والعقد وأهل الخبرة والمعرفة ، بل هي عملية تكامل وعملية عون ومساعدة وعملية اكتشاف الأخطاء حتى لا تتكرر ، وليست ترديد الخطأ ونبقى نظرق على رأس صاحبه ؛ أنت أخطأت ، هذا هو المنهج القرآني : «فاعفُ عنهم» ، بعد اللين والشفقة جاء أمر الله بالصفح عنهم ، بعد أن جاؤوا معترفين نادمين مطأطي الرؤوس وتلقوا الدروس ، تجاوزوا واعف عنهم ، إذن العفو العام عند الندم .

درس قرآني

إن العفو العام في منطق القرآن حينما يكتشف الإنسان خطأه ويقرر ألا يكرر هذا الخطأ، وحينما ينسجم مع السياقات الصحيحة، وحينما يندفع نحو المشروع الصحيح، هذه البيئة وأجواء العفو العام كما يذكرها القرآن الكريم «فاعف عنهم» وليس العفو فقط، بل تجاوزه إلى الاستغفار: «واستغفر لهم»، جاؤوا يطلبون العفو والمغفرة وأنت اطلب لهم، ودعاؤك مستجاب؛ فأنت رسول عندما تدعو أستجيب لك، فاطلب لهم مني المغفرة كي أصفح عنهم، وهذا درس إلهي آخر في سلسلة المراتب وإن كانت طويلة وليست عرضية.

ثم تأتي قمة الروعة في المنهج الإسلامي والقرآني: «وشاورهم في الأمر»، عجيب! لقد خرجنا للتو من معركة ذهب فيها شهداء وحدث فيها انكسار، وقدنا جولة وخسرنا في هذه المعركة نتيجة المشورة فهل نرجع للتشاور؟، نعم، لأن تكون نتيجة المشورة في حالة ما غير منتجة وغير صائبة فهذا لا يؤثر في مبدأ المشورة، يجب أن تبقى يا رسول الله تتشاور معهم وتبقى تشعرهم بأنهم جزء من قرارك ومن حركتك ومن مشروعك، ودعمهم يخطئون مرة أخرى ليتعلموا فهكذا تنضج الأمة، لكن بعدما حصل الذي حصل فهم سيقبلون رأيك أكثر من ذي قبل، وسيقفون عنده ويراجعون قناعاتهم، لهذا فقد خسرتم جولة لكن كسبتم معركة، وكسبتم بناء أمة وحصلتم على فرصة أن تجتمع الأمة وتتوحد حول قيادتها، انظروا إلى المنطق القرآني العظيم، الذي يطلب من رسول الله أن يعود ليستشيرهم، فانظروا أهمية المشورة وكم تدرأ من المشاكل وكم تدفع من النقم وتسهل حالة التعايش والتواصل بين الناس.

ضرورة الحوار والمشورة

اليوم في بلدنا نرى قوات مسلحة عراقية مع قوات مسلحة عراقية، هذه بجلباب وطني وتلك بجلباب مناطقي ويقف واحدهم بوجه الآخر؟ لماذا؟ أين الحوار والحديث وأين المنطق؟ وأين التفاهم وأين التواصل والتشاور؟. يجب ألا نسمح بأن تنفلت الأمور، وفي كل خصومة بين اثنين من الصعب تحميل المسؤولية الكاملة لطرف واحد، نقول هذا هو الحق المطلق وذاك هو الشر المطلق، هذا أمر صعب جدا، نحن لا نتعامل معاملة معصوم، قد تكون هناك أخطاء وقد يتطلب

من كل منا أن يخطو خطوة نحو الشريك ويرى هواجس الآخر، ما هي وكم منها تنسجم مع مرجعياتنا الدستورية ومعايرنا التي وضعناها لبلدنا؟.

فإذا كان كل اختلاف في وجهات النظر يعني أن يشهر بعضنا السلاح باتجاه الآخر فهذا يكشف عن وجود ثغرة في نظامنا، إذا كان كل منا يحمل الآخر المسؤولية الكاملة فهذا يعني أنه مجرد نفسه عن المسؤولية، وهذا أمر غير صحيح. عندما نسمع اليوم في وسائل الإعلام التصريحات، وكل طرف عنده قائمة من الملاحظات تبدو مهمة ويجب أن يُستمع لها ويُصغى لها حتى تعالج الأمور، نحتاج إلى حوار ونحتاج إلى حديث ومتابعة ورصد، وطبعاً في هذه الشرارة التي انطلقت قبل أيام فإن من الإنصاف القول إن هناك حكمة كبيرة كانت في سرعة الإقدام وإجراء الاتصالات وإيقاف التداعي، لكن هذا لا يكفي، فنحن نحتاج إلى معالجات جذرية وإلى حلول حقيقية، وهذه الحلول تبدأ من الثقة.

«فبما رحمة من الله لنت لهم»، فأول شيء هي الرحمة والشفقة، «فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر» هذه الإجراءات من الرحمة والشفقة والتجاوز والصفح والاستغفار وفتح صفحة جديدة والتشاور معهم في الأمر، كلها عندما تتحقق فستحل المشاكل وتفتح نافذة حقيقية لمعالجات جذرية، «فإذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين»، هنا الشاهد في التوكل وتأثيره في اتخاذ القرار، فنرى في الآية الطلب من الرسول بأن يشاورهم ولكنه يفرد الضمير في «فإذا عزمتم»، أي بعد أن تأخذ الرأي وتقلب الأمور يأتي دورك بأن تصل إلى مرحلة العزم وحينها توكل على الله.

امض بوضوح وحزم متوكلاً على الله، فإذا كنت متوكلاً تحصل على حالة العزم والجرأة في اتخاذ القرار الصحيح والمضي قدماً في الحل، ثم تتمه هذه الآية في ما بعدها، حيث تشير إلى آثار ومعطيات هذا التوكل حينما يحصل، إذا تعاملت برفق وغفرت لهم وشاورتهم ثم عزمتم وأخذت القرار متوكلاً على الله سبحانه وتعالى «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» فإذا نصرك الله من يقف بوجهك؟، لا غالب له.

ونرى هنا أن تحقيق النتيجة الصحيحة ليس مقصوداً على المقدمات، فالنبى كما نرى تساهل وتعامل بمرونة، ثم شاور أصحابه وأزال الموانع واستفاد من عقول الآخرين، واكتشف نقاط القوة ونقاط الضعف وقلب أوجه الأمور ثم عزم

متوكلا على الله وأقدم، وبعد كل هذا، إذا كانت هناك مصلحة في النصر فلن يقف أحد أمام الإرادة الإلهية؟ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣٤٦)، وهكذا إذا ما أراد الله أن يخسر جولة في هذه المعركة التي فيها جولات فلا بد من أن هناك مصلحة معينة في ألا تتحقق النتائج في هذه الخطوة، ومن ذا ينصرك ويعينك غير الله. «وعلى الله فليتوكل المؤمنون» يا مؤمن على الله توكل واربط قرارك ومصيرك وإرادتك بالله سبحانه وتعالى، ولا تقصر في الأسباب والمقدمات، امض بهذا الطريق وحقق هذا النجاح وحقق الخطوات الصحيحة وانظر كيف تتلاحق الانتصارات نحوك واحدا تلو الآخر.

التوكل في واقعة الطف

ونحن نتحدث عن التوكل كيف لنا ألا ننظر إلى واحد من المشاهد العظيمة للتوكل في واقعة الطف، مسلم بن عقيل هذا الرجل الكبير العظيم يكفيه عظمة أن اختاره الحسين لمهمة عظيمة، من نوعية المرسل والرسالة تكتشف أهمية الرسول، حينما يكون المرسل هو الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحينما تكون الرسالة استكشاف الواقع وإتمام الحجة في قضية ليست ليومها وإنما للإنسانية جمعاء على طول الخط، إذن نكتشف عظمة الرسول وأهمية هذا الرسول الذي اختاره الحسين، ويمكننا أن نكتشف شخصية مسلم بن عقيل من خلال الكتاب الذي كتبه الحسين مخاطبا أهل الكوفة وسلمه بيده وقال له اقرأه على أهل الكوفة رسالة من الحسين، رسالة يعين فيها مهمة هذا الرسول.

يبدأ الإمام الحسين في هذه الرسالة بعد التسليم والشهادة لله سبحانه وتعالى إلى غير ذلك، بالقول: «وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي»^(٣٤٧)، كم هو عميق ودقيق هذا الوصف، حيث يشهد لمسلم بالأخوة، وهو الثقة من أهل بيت الحسين، وكان الحسين قد قال له حين دفع إليه هذه الرسالة «إني موجهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء»^(٣٤٨).

٣٤٦. سورة آل عمران: الآية ١٦٠

٣٤٧. الكامل في التاريخ ج٢- ١٥٣

٣٤٨. الفتوح لابن أعمش الكوفي ج٢- ٣١

ما أرجوه لنفسى ولك يا مسلم الشهادة، الحديث عن التضحية والشهادة، لأن القضية واضحة للحسين لكنها حجة إلهية يجب أن تحصل ودرس عظيم للإنسانية يجب أن يكون بأوضح وأجلى صورة حتى نتعلم منه جيلا بعد جيل، «فامض ببركة الله وعونه فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها»، وهذا درس قيادي آخر، تعامل مع الثقة ومع أبناء الأصول وأبناء الحمولة، واذهب إلى أناس لا يغدرون وأناس مجريين ومحترمين وانفتح على علية القوم وكبرائهم في التقوى والورع والدين، فالناس عندما يرونك نزلت عند فلان سيقال إن فيه سمات عالية وهذا هو مصداق لصحة المسار.

ومسلم حينما ذهب ودخل الكوفة قصد دار المختار الثقفي ونزل عنده ضيفا تلبية لإشارة أبي عبد الله الحسين، وأمره بتقوى الله والنظر في ما اجتمع عليه أهل الكوفة. فذهب مسلم بن عقيل وجلس في دار المختار واجتمع الناس إليه، يقول البعض إنهم بلغوا ثمانية عشر ألفا جاؤوا إلى دار المختار، وروايات أخرى تقول هم خمسة وعشرون ألفا وروايات تقول أربعون ألفا، وأيا كانت الأرقام لو أخذنا الحد الأدنى وهو ثمانية عشر ألفا فهو بمعايير ذلك الزمان رقم مهول، وقد يمثل نصف الكوفة أو ثلاثة أرباعها، فما الذي حدث في غضون أيام؟. إن هذا التجمع الخيّر لم يوزع أموالا ليقال إنهم جاؤوا للمال، أو لديه تعيينات ليقال اجتمعوا على التعيينات، بل كانوا صادقين وجادين وكانوا مندفعين، جاؤوا وبايعوا مسلما وبايعوا الحسين من خلاله بصدق، فما الذي حصل ولماذا تفرقوا؟.

أساليب دنيئة للسلطة

انظروا إلى الرأي العام كيف يتلاعب به، انظروا الوسائل غير الشريفة التي استخدمت من يزيد بن معاوية حينما أوفد عبيد الله بن زياد واتباعه سياسة الترغيب والترهيب وماذا فعلت بالأمة التي بفطرتها تشخص الموقف الصحيح ثم تمضي وتلتف حوله وتجتمع تحت شعاره ولوائه؟. تبدأ الأمة تفرق وتتفكك نتيجة القيل والقال والشبهات والتحريض والترهيب، جيش الشام كان بعبء لأهل الكوفة يخافون منه، وثمة حالة رهبة عندهم، وأبو عبيد الله بن زياد كان في الكوفة وهو يعرف طبائع الناس فاستخدم هذه الورقة، فأشاع أن جيش الشام قد وصل أو على أعتاب الكوفة، وأرسل أناسا إلى السوق حتى يبشوا هذه الإشاعات، والناس تناقلتها كالنار في الهشيم، انظروا كيف تفكك الموقف الصلب الواضح الحقيقي بالتدريج.

قرأ مسلم بن عقيل كتاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، عابس بن شبيب الشاكري، هذا العبد الصالح الصحابي الجليل من أصحاب أبي عبد الله الحسين وقاتل معه حتى النفس الأخير، كان حاضرا في هذا المجلس، وسُجل له أنه أول من وقف وتحدث وبايع أبا عبد الله الحسين حينما بلغه النداء، حيث قال: «أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه والله لأجيبنكم إذا دعوتهم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله»^(٣٤٩)، إنه موقف لله وليس لك أو للحسين، فأنا أف مع الحسين لأنه طريق إلى الله سبحانه وتعالى، انظروا قمة التوكل.

وقال حبيب بن مظاهر «وأنا والله الذي لا إله إلا هو أنا على مثل ما أنت عليه»^(٣٥٠)، الثالث الذي تحدث حينها هو سعيد بن أبي عبد الله الحنفي، وهكذا كل شخص يتكلم عن نفسه، وأن أمره بيده ويعرض موقفه، ثم بدأ بعد ذلك التفكك في الموقف فوجد مسلم نفسه غريبا وحيدا وليس معه أحد، وتناقص العدد ليصل إلى ثلاثين شخصا في آخر صلاة وعند خروجه منها نظر ورأى أنه لم يتبق سوى ثلاثة معه، وبعد خطوتين ابتعد هؤلاء الثلاثة ليجد نفسه وحيدا وهو عطشان وغريب بعد صلاة المغرب والعشاء في تلك الليلة المظلمة. فطرق باب طوعة كما هو معروف وبقي في تلك الليلة مناجيا ربه في إحدى الغرف التي وفرتها طوعة له واكتشف أمره ابنها فوشى به، إلى آخر القصة المعروفة.

التوكل لدى مسلم بن عقيل (رض)

بعد صلاة الصبح كان مسلم جالسا يعقب فسمع حوافر الخيل وعرف أنهم اكتشفوا أمره، وأنهم متوجهون له، فلم يشأ أن يضر المرأة فهم إذا هاجموا البيت سيتلفونه ويقتلونه وطوعة المسكينة التي لا ذنب لها. فأراد أن يخرج إلى خارج البيت لتكون المعركة خارج الدار ولا تتضرر طوعة، فقال لها وهو يخرج من بيتها: «قد أدبت ما عليك من البر وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنت معي غدا»^(٣٥١).

٣٤٩. تاريخ الطبري ج ٤، ص ٢٦٤

٣٥٠. المصدر السابق

٣٥١. نفس المهموم، ص ٥٦

إذن فقد أخذته غفوة ورأى أمير المؤمنين معه وهو يراقب العملية ، ويقول له ستموت غدا ، فهل تردد مسلم وهل تراجع؟ كلا ، لم يتراجع وبقي ثابتا ومصررا وخلق تلك الملحمة وصنع أسطورة وقتل أكثر من أربعين ، حتى طلبوا إمدادات ، فجاءت الأفواج لتساعد على قتل هذا الرجل الواحد الغريب ، ولكنهم لم يتمكنوا منه فصعدوا إلى السطوح وصاروا يرمونه بالحجارة ويضرمون النار ويرمونه بها ، حتى جرحوه ثم حفروا له حفرة واستدرجوه إليها حتى وقع فيها ، وهنا فقط استطاعوا إمساكه .

وذهب إلى عبيد الله بن زياد واقفا كالجبل الأشم وصارحه بالحقائق وقال له كلمة الحق التي يجب أن تقال ، وبقي حتى لحظة الاستشهاد وهو يهمل ويكبر ويسبح متوجها إلى الله ، ومن على سطح قصر الإمارة قبل أن يقتل وفي اللحظة الأخيرة توجه نحو مدينة رسول الله وقال السلام عليك يا أبا عبد الله ، يريد أن يعبر عن قمة الوفاء وأن يظهر للعالم كله ولنفسه مدى مبدئيته ومدى صدقيته ومدى وفائه لهذه الأمانة وأنه قدم ما عليه ، فدخل التاريخ من أوسع أبوابه وأصبح اليوم رمزا كبيرا من رموز كربلاء ، ولا نتحدث عن واقعة الطف إلا ووقفنا عند مسلم بن عقيل ، انظروا ماذا يصنع التوكل بالإنسان ، انظروا الشموخ والعظمة التي يحصل عليها الإنسان حينما يكون متوكلا على الله سبحانه وتعالى ووفيا لمبادئه ، فسلام عليه وسلام على أبي عبد الله الحسين ، وعلى أهل بيته وأصحابه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الليلة السادسة- بتاريخ ٢٠/١١/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ، وَأَنَاخَتْ بِرُحْلِكَ. عَلَيْكَ مِنَّا جَمِيعًا سَلَامُ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِينَا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكُمْ. السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ، الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الْحُسَيْنِيُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فِي رِحَابِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى مَائِدَةِ سَيِّدِ الشَّهَادَةِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْحَزِينَةِ نَجْلِسُ لِنَسْتَلْهِمَ الدُّرُوسَ وَالْعِبْرَ.

كَانَ حَدِيثُنَا فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ عَنِ الْقُدْرَةِ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ لِلْمَتَوَكِّلِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمَتَوَكِّلَ تَصْبِحُ لَدَيْهِ قُدْرَةٌ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ وَكُنَّا نَسْتَعْرِضُ بَعْضَ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

التوكل في القرآن الكريم

نشير في هذه الليلة الشريفة إلى آية أخرى من الآيات الكريمات في هذا الصدد، وهي الآية التاسعة والسبعون من سورة النمل، وهي قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾، يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا دَمْتَ عَلَى حَقِّ وَصَوَابٍ وَمَادَامَ مَنْطِقُكَ قَوِيًّا وَمَعَكَ الْحِجَّةُ وَالْبِرْهَانُ فَتَوَكَّلْ وَأَقْدِمْ وَلَا تَخَفْ وَلَا تَتَرَدَّدْ، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٣٥٢)، الْقَنَاعَاتُ الْمَهْزُوزَةُ هِيَ الَّتِي سَتْتَهَاوِي وَمَنْ يَقِفُ فِي

٣٥٢. سورة الرعد: الآية ١٧

صف الباطل مهما بدا قويا بقوة سلاحه ووجهته أو بقوة أمواله ولكنه سيتهوى أمام الحق وسيتهشم على صخرة الحقيقة، هذا هو المنطق القرآني .

وهذه الآية نزلت في سياق الحديث عن بني إسرائيل وأتباع الرسالات السماوية، وتحدث الآيات السابقة عليها عن الخلط الذي حصل بين قيم السماء التي جاء بها أولئك الأنبياء والمرسلون والخرافات التي أضيفت وروجت فاختلف الحابل بالنابل، واختلط ما هو حق وحقيقة بما هو من أفكارهم وأهوائهم وشهواتهم ورجباتهم، فجعلوها بحلة الحق وأبسوها جلاباب الحقيقة وجلاباب الدين، وقد تحدثت الآيات القرآنية عن هذه الظاهرة، ثم انتهت هذه الآية إلى دعوة رسول الله إلى الفرز وتفكيك هذه الأمور؛ فاشرح ووضح ما هو حقيقة إلهية وميز ما هو خرافة وأبعدها حتى تكون الرسالات السماوية نقية ظاهرة صافية واضحة بينة هادية ومرشدة للبشرية جمعاء .

فكل الديانات وكل الرسالات جاءت لتؤكد على حقيقة واحدة في ما هو الحقيقي منها وفي ما هو المرتبط بالسماء منها، وليس ما ورد واختلط بها من أوهام وخرافات، ثم إن الآية الشريفة تأمر النبي بأن يقدم ولا يتردد، ولا يأخذ باعتراضات البعض، ثم تستكمل الآيات الشريفة وكأنها تقول؛ يا رسول الله لا تتوقع من هؤلاء أن يقبلوا منك فالبعض منهم ضالون ولديهم مصالح وتمترسوا خلف خرافاتهم ليستفيدوا منها، فلا تتوقع أن يقبلوا كلامك ويلتزموا بالحق ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٥٣).

أولئك موتى القلوب والذي يموت قلبه كمن يموت جسده، فسمات الحياة هي التفاعل، وهؤلاء أناس أموات القلوب لا يتفاعلون ولا يتعاطفون ولا يسمعون وطبع الله على قلوبهم، فلا تستطيع أن تأخذ وتعطي معهم ولا يبحثون عن حقيقة لكي تتعب نفسك معهم، «إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين»، فالإنسان الأصم لا يسمع النداء والدعاء، وبالطبع فهم ليس لديهم صمم في آذانهم ومسامعهم الظاهرية بل لديهم صمم في مسامعهم المعنوية؛ فالقلب لا يلتقط هذه الإشارات ولا يعي ولا يستفيد منها شيئا، «وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم»، اليوم بعض مواطنينا من ذوي الاحتياجات الخاصة ممن

فقدوا نعمة السمع يظهر لهم على شاشات الأخبار والبرامج أناس يشرحون بلغة الإشارة فيفهمونها، ولكن هؤلاء أعينهم أيضا لا ترى، ليس العين الظاهرية والبصر بل البصيرة، فهم فاقدو البصيرة، فلا القلب يعي ولا الأذن تسمع ولا العين ترى.

ذوو البصيرة

فلذلك ليس لديك طريق، كيف يا رسول الله تتواصل معهم حتى توصل لهم الحقيقة وهم مانعو أنفسهم من تلقي هذه الرسائل والإشارات الإلهية؟، لا أحد منهم يستطيع أن يتفاعل ويتعاطف أو أن يفهم، «إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»، لكن يا رسول الله اذهب إلى المؤمن المسلم المتوكل، فالمؤمن المتوكل له أن يأخذ بكلامك ويسمعه ويتعلمه ويتفاعل معه ويأخذ به وينفذه فيستفيد ويفيد ويصلح المجتمع، لديه حس لتشخيص الموقف وقدرة على أن يحلل الأمور ولديه عقل يتدبر به، لديه قلب ينبض بالحياة ويتفاعل مع الحقائق وهذه أول سماته، لديه أذن صاغية يسمع ويعي وهذه قضية مهمة جدا.

لديه عين تمتلك البصيرة وتنظر وترى وتتفاعل وتعتبر، فالإنسان مهما كان مشبعا بفكرة معينة ويظن نفسه على حق لكن من المهم جدا ألا يقطع الطريق على الرأي الآخر، اعتز بموقفك وبرؤيتك وأعتقد بأنها صائبة لكن ضع نسبة من الصواب في الرأي الآخر واسمع له وتفاعل معه وانظر الحجة. نحن أصحاب الدليل أينما مال نميل، الإنسان المحق من يبحث عن دليل ويبحث عن الحقيقة، ولا يكون مصابا بالجهل المركب وسائرا في الطريق الخطأ ومتصورا أنه على صواب، فلا يسمع ولا يتعاطى مع الآخرين، فيخسر فرصة تعرفه على الحقيقة التي تعيده إلى صوابه وتقوم انحرافه وتصحح مساره، يفقد هذه الفرصة.

والحقيقة أن الإنسان كلما كان أقدر على أن يعي فسيفتح قلبه وأذنه وعينه ويدقق في الحقائق ويستكشف الأمور، فإذا رأى أن قناعاته هي الصحيحة ستزيده هذه تمسكا برأيه، وحين يرى الأفكار الأخرى يزداد اعتزازا بأحقيته ورؤيته إذا كانت على حق، وإذا ما كان جانب من الحقيقة لدى الآخر يأخذ منه ما هو حق. فالإنسان يعيش حالة من التطور المستمر والتفاعل مع شؤون الحياة وهذا هو المنطق القرآني الذي يتحدث عنه.

الحسين وتعامله مع أعدائه

نرى أن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كان دائماً يعمل على أن يخلق مثل هذه الحالة، حتى مع أولئك الظالمين، فكان يحاول أن يعلمهم ليفتح أعينهم ويبين لهم ويتكلم معهم ويشرح لهم الحقيقة، فحينما وقف خطيباً بهم في صباح عاشوراء والمعركة تكاد تبدأ والصفوف متكاملة والتهيؤ للمعركة قائم على قدم وساق اعتقد الحسين في هذه اللحظات الأخيرة أن بعضهم قد يخشع قلبه والبعض قد يفتح أذنه وقد يفتح بعضهم عينه، لهذا وقف وقال فيهم ضمن ما قال:

«أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي»،
 حق الأمة على الإمام أن يوضح ويشرح ويقيم الحجة حتى لا يقول أحدهم لا أعرف. ولم يقل لنا أحد اسمع هذا مني، «وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»^(٣٥٤)، أقول الحقيقة وأبينها فإذا لم تشأ أن تسمعها وتراها ولم ترغب في أن تعيها فهذه مشكلتك وليست مشكلتي، لكن ما هو حقك عليّ هو أن أبين لك هذه الحقيقة وأشرحها لك وأنت قرر بعد ذلك.

وعودا إلى الآيات الكريمة، يقول الله تعالى؛ يا رسول الله إن هؤلاء لن يعوا ولكن عليك أن تبين وتفرز المناهج وتوضح الأمور ثم تمضي متوكلاً على الله، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾^(٣٥٥)، مادمت على الحق فامض بحزم ووضوح، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وهكذا نرى أن قدرة اتخاذ القرار بالتوكل.

الثقة والطمأنينة لدى المتوكلين

المعطى والأثر الآخر هو حالة الثقة والاطمئنان، وعدم القلق من الرأي الآخر، فالإنسان عندما يتصدى في أي موقع كبير أو صغير يكون لديه هاجس من أن يشوّش عليه، إن التوكل يقضي على هذه الهواجس، فالآخر قد يكسب

٣٥٤ . بحار الأنوار ج ٤٥ - ص ٦

٣٥٥ . سورة النمل : الآية ٧٩

جولة ولكن كن على ثقة أنك ستكسب المعركة . كان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرف أنه سيخسر هذه الجولة عسكرياً في يوم عاشوراء ولكن سيكسبها استراتيجياً ، أين الحسين اليوم؟ إنه يملأ الدنيا فيما تهاوى يزيد ومنطقه ومنهجه ولا يذكره أحد سوى النواصب الذين يتبححون بانتمائهم ليزيد ومنهجه .

فالجميع عدا هؤلاء لا يتشرف بأن ينتمي إلى يزيد ، لكننا جميعاً نتشرف بأن نكون الخدم الصغار على مائدة الحسين ونهج الحسين وطريق الحسين ، هذا المنطق القرآني نلاحظه في الآية الشريفة الحادية والثمانين من سورة النساء ، وهي تتحدث عن ظاهرة خطيرة ، ظاهرة المنافقين : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ، أي عندما يخرجون من عندك يذهبون إلى اجتماعات في الظلام فيجلسون ويتآمرون ، فهم يكيدون لك ويسئون إليك ويخططون لإضعافك ، فأمامك لهم كلام ووراءك ثمة كلام آخر ، وهذه هي حالة النفاق والازدواجية ، وهي حالة تكشف عن وهن وضعف في الشخصية الإنسانية .

ومع الأسف تعاني مجتمعاتنا أحياناً من مثل هذه الظواهر ، فأمام الشخص يقال شيء ووراءه شيء آخر ، لماذا؟ لم يجبرك أحد ، قل الحقيقة واطرح رأيك ودع الآخرين يعرفون أن لك رأياً ، قف أمامي وقل أنت مخطئ يا عمار حينها تكبر بعيني ، أما إذا كنت ضعيف النفس ولا أتحمل فلا تقل لي ، ولكن لا تأت وتصفق لي وأنت لديك رأي آخر . إن حالة الصفاء والشفافية ، حالة الصراحة والصدق تعتبر سمات مهمة في شخصية الإنسان في المنهج القرآني ، وهكذا كانوا يقولون أمام الرسول طاعة ولكن حين يخرجون من عنده يرددون كلاماً آخر ، لماذا لم تقل كلامك أمام النبي؟ وإذا كانت لديك شبهة والتباس فقد تسمع منه الجواب ، وربما جوابه سيكون مقنعاً .

«والله يكتب ما يبئنون» ، يظنون ألا أحد يعلم بهم عندما أغلقوا الأبواب خلفهم ولا يعرفون أن الله يعلم ويسجل ويكتب وسيأتي يوم يحاسبهم فيه ، ولبعض هذه التصرفات آثار في الدنيا قبل الآخرة ، فمن له موقف مزدوج ويعيش حالة الانقسام في الشخصية السياسية والازدواجية في الموقف الاجتماعي ؛ أمام المتصدي يقول شيئاً وخلفه يقول شيئاً آخر ، فستأتي الآثار الوضعية لهذا الموقف في الدنيا قبل الآخرة .

الإعراض عن المنافقين

ثم تصل الآية إلى الشاهد: «فأعرض عنهم»، يا رسول الله، نحن نخبرك أنهم منافقون؛ يتكلمون أمامك بشيء ووراءك يتكلمون بشيء آخر، لكن الآن عرفناهم لك فأعرض عنهم وتحملهم واصبر عليهم، فالمعالجات الجذرية تحتاج إلى سعة صدر، والمعالجات الجذرية تحتاج إلى سعة أفق، والمعالجات الجذرية تحتاج أمدا طويلا وصبرا جميلا، ولا تصطدم بهم، صدقية موقفك ومنهجك هي التي ستشق طريقك، وكل هذه التواءات ستذوب، وكل هذه التفرحات ستزول وتتضاءل في المسيرة.

«فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيفا»، توكل على الله والله سبحانه وتعالى هو الوكيل وهو القادر على أن يحل لك المشاكل العويصة والعظيمة، التوكل نجده في أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة عاشوراء، وفي يوم عاشوراء، عندما ينظر الشخص في سمات أصحاب الحسين يجد الانضباط، ويجد الطاعة والوضوح والبصيرة، ويجد الانسجام والوئام والحماس والمشاعر الملتهبة، فكانوا كأسنان المشط فريقا واحدا، وهذا كان من أسباب النصر.

انظروا في صفين إلى علي بن أبي طالب وهو أفضل من الحسين فهو أبو الأئمة، ولكن في صفين لم تكن هناك وحدة موقف وانسجام وليس هناك انضباط والتزام، فحصل الذي حصل وكل شخص يجتهد، أناس من أصحابه ذهبوا مع هذا وأناس مع ذلك وتفرقت الجماهير، والمعركة التي كانت من الممكن أن تتحول إلى انتصار جازم وحاسم تحولت إلى هزيمة وفشل عسكري ذريع، فرق الطف عن صفين هو هذا الانضباط وهذا الالتزام والموقف الواضح خلف الحسين.

الانسجام والانضباط في معسكر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

لذلك يقول الحسين في حق أصحابه: «لا أعلم أصحابا خيرا من أصحابي»^(٣٥٦)، إن الإمام المعصوم لا يعلم ولا يجد ولم ير أفضل من هؤلاء الناس، كل هذا نتيجة الانضباط والتماسك، أحدهم كان في معركة الطف إلى صف جيش عمر بن سعد وبعد رجوعه من المعركة إلى أهله عيروه وقيل له:

أتقاتل ابن بنت رسول الله؟ أليس عيبا عليك؟ . بماذا يجيب؟ ، انظر إلى قوله ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، قال : «إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها كالأسود الضارية ، تحطّم الفرسان يمينا وشمالا ، تلقي نفسها على الموت ، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية»^(٣٥٧) . هكذا كان أصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، إلى النفس الأخير .

موقف مسلم بن عوسجة (رض)

انظروا إلى مسلم بن عوسجة ، هذا الصحابي الجليل ، انظروا إلى وقتته ودفاعه عن الإسلام من معركة أذريجان وكان يقف أمامه المشركون فيقاتلهم . جاء إلى المعركة وهو رجل كبير السن وشيخ طاعن وقاتل وسقط صريعا وفيه رمق ، ذهب إليه الحسين يرافقه حبيب بن مظاهر الأسدي ، وحين وصل الحسين إليه وسلم عليه وشكره في اللحظات الأخيرة وجرى حوار بين حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة في اللحظات الأخيرة ، كتبه أرباب السير والمقاتل ، وهو حوار مهم جدا ؛ حيث يقول له حبيب : «عز عليّ مصرعك يا مسلم ، أبشُر بالجنة ، فقال قولا ضعيفا : بشرك الله بخير ، فقال حبيب لو لم أعلم أنني في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بما أهمك»^(٣٥٨) .

ف عند الموت يقال للشخص ما توصي ، وهنا يقول حبيب له لو لم أعلم أنني في الأثر لكنت أحب أن أسمع وصيتك وأنفذها لك ، فقال مسلم وهو يرفع يده في اللحظة الأخيرة : «أوصيك بهذا وأشار إلى الحسين ، فقاتل دونه حتى تموت» . يا حبيب أنا قدمت روعي رخيصة من أجل القيم التي من أجلها نهض وثار الحسين وأنا فداء لابن بنت رسول الله ، ووصيتي أنني أريدك أن تكون حصنا حصينا لسيد الشهداء وتقف وتذب عن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقال حبيب «أفعل ورب الكعبة» .

٣٥٧ . شرح ابن أبي الحديد ج ٣ - ص ٢٦٣

٣٥٨ . بحار الأنوار ج ٤٥ - ص ٢٠

موقف أبي ثمامة الصائدي

انظروا الى الوضوح والتوكل وهذا الإصرار، انظروا كيف كان حملة المشروع وأصحاب القضية، وهنا أيضا نسمع أبا ثمامة الصائدي وهو يلتفت إلى الشمس وقت زوالها ويتوجه إلى الحسين ليقول: «إني أرى هؤلاء القوم قد اقتربوا منك لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها»^(٣٥٩) انظروا أهمية الصلاة فهو في المعركة إلى جانب الحق وسيقتل ويذهب شهيدا لكنه يصر على الصلاة قبل أن يغادر الحياة، «فرجع الحسين رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين»، ليؤكد هذا على أهمية التوجه إلى الله في لحظة المعركة ولحظة الشهادة.

سعيد بن عبد الله الحنفي حينما وقف الحسين يصلي استمهلهم؛ قائلاً لهم أمهلونا لنصلي فقط، فنحن مسلمون وأنتم مسلمون، فقال أحدهم: «لا تقبل منك»، فصلوا صلاة الخوف ووقف سعيد يذب عن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويتلقى السهام بصدره حتى لا تصيب الحسين، إلى أن أنخن بالجراح وسقط على الأرض، فقال وهو في اللحظات الأخيرة «اللهم عنهم لعن عاد وثمود وأبلغ نبيك السلام عني وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك ثوابك بنصرة ذرية نبيك»^(٣٦٠)، انظروا التوكل، الله ماثل أمامه وليس شيئاً آخر، ثم التفت إلى الحسين قائلاً «أوفيت يا ابن رسول الله؟، هذا يكفي؟، وقد قدم كل ما لديه وذبح بحياته عن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، انظروا الوضوح والتوكل، «قال له الحسين: نعم أنت أمامي في الجنة».

موقف عابس بن شبيب

كذلك نرى موقف عابس بن شبيب الشاكري، هذا الصحابي الجليل والرجل العظيم، فهو أسطورة في الشجاعة والبراعة والوضوح والبصيرة، وفي التوكل على الله، وقف أمام الحسين مستأذناً وقال: «يا حسين ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ منك، ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز عليّ من نفسي لفعلت، السلام عليك اشهد أني على هداك وهدى أبيك ومشى نحو

٣٥٩ . المصدر السابق، ص ٢١

٣٦٠ . المصدر نفسه .

القوم مصلتا سيفه، وقال ألا رجل؟! فأجمعوا عنه، لأنهم عرفوه أشجع الناس . فصاح عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، فرمي بها، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشد على الناس، وإنه ليطرد أكثر من مائتين، ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل^(٣٦١)، هكذا كان عابس في ذلك اليوم، فهم يرضخونه بالحجارة وهو يتقدم ويدافع عن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

موقف العبد الصالح

جون العبد الأسود، العبد الصالح، مولى أبي ذر الغفاري، جاء هو الآخر مستأذنا الحسين، وحين رآه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: يا جون إنما تبعنا طلبا للعافية فأنت في إذن مني، فوقع على قدمي أبي عبد الله يقبلهما ويقول: أنا في الرخاء أحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، إن ريحي لمنتن وحسبي للثيم، ولوني لأسود، فتنفس علي بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، فأذن له الحسين^(٣٦٢)، إذن فكل من كان في صف الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يمتلك هذا التوكل، ويمتلك هذه البصيرة ويمتلك هذا الوضوح، فحصل على هذه الشجاعة والإقدام بفضل توكله على الله سبحانه وتعالى، فسلام على الحسين وسلام على أصحاب الحسين، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٣٦١ . تاريخ الطبري ج٤-ص٣٣٩

٣٦٢ . مثير الأحران ص٦٣



الليلة السابعة - بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوة الإنسان وثباته انعكاس للتوكل على الله

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ ، وَأَنَاخَتْ بِرِحْلِكَ . عَلَيْكَ مِنَّا جَمِيعاً سَلَامُ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِينَا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكُمْ . السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ، الَّذِينَ بَدَّلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ الْحُسَيْنِيُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

التوكل مفتاح النجاح

في ليلة أخرى من هذه الليالي العشر الحزينة من شهر محرم الحرام ، وهي ليلة السابع من شهر محرم حيث نجتمع من جديد على مائدة الحسين ، ونستلهم درسا جديدا ونكتشف معارف جديدة من قيم الحسين ومن ثورة الحسين ومشروعه عَلَيْهِ السَّلَامُ . كنا نتحدث في الليالي الماضية عن سمة مهمة من سمات الحسين ألا وهي سمة التوكل على الله سبحانه وتعالى

وكان حديثنا منذ الليلة الماضية عن المعطى الرابع من معطيات وآثار التوكل ؛ وهو عدم القلق من المعارضة ومن الرأي العام الذي يتشكل بالضد من الإنسان إذا ما كان ماضيا في طريق الحق ومتحركا ضمن المعايير الصحيحة .

من الشواهد القرآنية على التوكل

نذكر شاهدا قرآنيا آخر في هذا المجال، وهو الآيات الشريفة من سورة التوبة؛ الآية ١٢٨ و ١٢٩، قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم»، نبي أرسلناه لكم ولكن خصوصيته أنه من أنفسكم، ولم أجلب لكم ملكا وأضعه نبيا على البشر، كي لا تقولوا هذا ملك والملائكة لها ظروفها التي تختلف، فلا يمكن أن يتوقع منا نحن البشر أن نقتدي ونسير خلف الملائكة، أولئك المجردين، فهم موجودات لا تقع في الحرام وهم مجبولون على الطاعة، وليس فيهم سمات البشر واحتياجات الإنسان ولا يستطيع أن يفهم ظروف الإنسان، فإذا ما مضى في الطريق الصحيح فليس بالضرورة أنني كإنسان أستطيع أن أسير خلفه، لذلك كان هذا الرسول من أنفسكم، والقرآن يحدثنا أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وحاله كحالكم ولديه احتياجات إنسانية ولديه طموحات وحركة وعلاقات إنسانية، وهذه لا تتعارض مع مهامه الرسالية، وهذه القاعدة القرآنية مهمة جدا.

فالأمة تشعر أن هذا النبي منها ومن نفسها، ونحن نتحدث ليس عن شخص بل عن رسول، إذن عن مهمة وتصد ومسؤولية، ورسول الله كان قائد دولة، ومن الممكن لأي منا أن يكون مسؤولا ومتصديا في مساحة قد تختلف، تزيد أو تنقص، ولكن كيف تستطيع أن توفر هذه السمات في شخصيتك، وأن تشعر الذي أنت مسؤول عنهم بأنك منهم حتى تستطيع النجاح؟.

«عزيز عليه ما عنتم»، هذا النبي لا يعيش حالة اللامبالاة تجاهكم ويعز ويشق عليه الشدائد التي تقعون فيها، فهو يرى محتكم ويتألم، ويرى معاناتكم ويرى فقركم ويرى حاجتكم، إذن هذه سمة أخرى من سمات القيادة، استشعار ألم الرعية، أو المسؤول عنهم، فقد يكون مدير دائرة أو قسم أو مسؤولا عن عائلة وربما يكون رئيس عشيرة أو رئيس شركة أو مصنع، كائنا من يكون وأيما كانت هذه المنظومة القيادية، فالمهم أن يتحسس آلامهم، ويشعرهم بأنه يتألم لمعاناتهم ولديه حرص عليهم وقلق على مستقبلهم، فهو يريد لهم دائما أن يكونوا متقدمين وأن يستفيدوا من فرصهم، «بالمؤمنين رؤوف رحيم»، هذا النبي الذي أرسلناه

إليكم عنده رأفة ورحمة وشفقة، ليس فقط يتحسس ألامكم بل يحبكم، وقضية المحبة والرأفة والرحمة والشفقة وخفض الجناح سمات مهمة جدا في أي قائد أراد أن ينجح وفي أي مستوى قيادي، وهذه من سمات رسول الله صلى الله عليه واله.

القيادة والتوكل على الله

إذن القيادة في المفهوم الإسلامي تجمع بين بعد عقيدي وبعد عاطفي، لا تتصور أيها المسؤول في أي مستوى كنت أن هؤلاء المسؤول عنهم عسكر فتصدر تعليمات وأوامر عسكرية والأمة تتحرك بالأوامر، كلا، فالمفهوم الإسلامي للإدارة والقيادة لا يقر صرف التعليمات والتوجيهات والأوامر، وإنما هناك بعد عاطفي وعلاقة خاصة تربط المسؤول مع الناس، هذا واجبك يا رسول الله، فأنت القائد والرسول عليك أن تتخذ هذه الخطوات وتشعرهم بأنك من أنفسهم ومنهم وتحرص عليهم وتهتم بمشاكلهم وتحسس آلامهم وتحبهم وترأف بهم وتشعرهم بالرحمة.

ولكن إذا عملت بهذه كلها ومع ذلك تولوا عنك «فإن تولوا»، أي رفعوا أيديهم عنك وتركوك وتشكلت جبهة معارضة لك، وتشكل رأي عام مخالف لتوجهاتك ومساراتك وظهرت حالة تمرد وخذلان، وأنت لم تقصر بل أدت ما عليك يا رسول الله، «فقل حسبي الله»، فالله هو من يكفيني وهو معي، وهذه المعية الإلهية ضعها في كفة الميزان وضع البشر كلهم في الكفة الأخرى فسترجح عليها بلا شك.

«حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»، التوكل على الله هو ما يجعلك بمأمن من الرأي العام فلا تقلق ولا تخف ولا ترهب، هناك معارضة سياسية تتشكل ضدك، ولكن امض في منهجك ما دمت على حق وصاحب مشروع، وما دمت تسير في الطريق الصحيح، وما دمت مشفقا على الأمة وتشعر أفرادها بأنك قريب منهم ومتحسس لآلامهم ومشفق على حالهم.

أما هذا الرأي الجمعي الذي تشكل بالضد منك فسرعان ما سيتهاوى؛ لأنه يفتقد المقومات الصحيحة، نعم، الرأي الجمعي الذي يتشكل بإزاء قصور أو تقصير من القيادة فذاك قد يتعمق أكثر ويتوسع، لكن الأمة قد تخضع أحيانا بفعل

ظروف معينة ولا تستطيع أن تقدر الأمر تقديرا صحيحا، فتأخذ مسارات أخرى، فإذا ما كان منهجك صحيحا ومشروعك صحيحا وسلوكك وأداؤك صحيحين فتوكل على الله واستمد منه القوة وسر في طريقك، وذلك الموقف ضدك سيتفكك، لأن الرأي العام والعقل الجمعي والشعور والانطباع العام ستلاشى فورته وينتهي، وهو بخلاف السخط والامتعاض الشعبي الناتج عن أسباب واقعية، فهذا سيبقى يغلي ويكبر ويصعد إلى أن يقتص من أولئك الظالمين والطغاة والمفسدين كما لاحظنا في تأريخنا الطويل، ونحن اليوم نتلمذ في مدرسة الحسين سلام الله عليه وهو المصداق البارز لهذا المسار.

درس قرآني آخر

هناك شاهد قرآني آخر، حين يحدثنا القرآن عن قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم لديهم مشكلتان؛ انحراف عقيدي إذ كانوا يعبدون الأصنام، وانحراف اقتصادي عن خلال عملهم بالربا، فكانوا يتلاعبون ويغشون ويعتقدون بأنهم شطار في ذلك، فيخسسون الناس حقهم ويتلاعبون بالميزان، وهذا ما يحدثنا به القرآن الكريم في سورة هود الآية ٨٧ إلى الآية ٩٠، هذا المشهد القرآني الرائع:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِيَعِيدٍ﴾.

لقد نهاهم شعيب وقال لهم انتهوا، ما هذا الانحراف الاقتصادي؟ ولماذا هذا اللعب بالمال العام؟ هذه ليست شطارة بل لها مردود خطير، فلا تتلاعبوا بهذه الأموال بهذه الطريقة، ولكن ماذا كان تعليقهم وجوابهم؟ قالوا: «يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا»، شعيب كان كثير الصلاة، وكان قومه في عالم آخر، يقول لهم يا قوم إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهناك علاقة بين صحة المسار والصلاة، أحسن صلاتك يتحسن سلوكك ويصبح توجهك نحو الله توجهها حقيقيا.

وفي وقتنا الحالي هناك من هم كقوم شعيب، لا يرون أن للصلاة تأثيرا ولا يستطيع فهم هذه الحقيقة، كيف لعمل أؤديه في خمس دقائق أن يغير حياتي ويقلبها رأسا على عقب؟ قوم شعيب لا يعرفون سر العلاقة بين هاتين الحقيقتين، فكانوا يسألون شعيباً كيف يمكن لصلاتك أن تحدد بأنه لا حق لنا في التصرف بأموالنا. «إنك لأنت الحليم الرشيد»، أنت إنسان عاقل وناضج، وشخص طيب نثق بك فما هذه الكلمات؟ انظروا كيف يدخلون من هذا المدخل الذي عنوانه المدح وواقعه تضليل، لقد كان جواب شعيب أن قال: «يا قومي . . .» وهذا درس آخر، فشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ برغم خصومته مع هؤلاء وبرغم سخريتهم واستهزائهم به لكنه يخاطبهم بلهجة فيها المحبة والشفقة، وفيها الاعتزاز وعواطف الانتماء.

ذلك أن المنهج القرآني في الإدارة والقيادة هو أن تبقى قريباً دائماً ممن أنت مسؤول عنهم، البعد العاطفي له دور كبير في نجاح المنظومة القيادية، وهذه من دروس القرآن، حرك مشاعر الناس وكن قريباً منهم ولا مس أحاسيسهم حتى تنجح. «أرأيتم إن كنت على بينة من ربي»، ألا تعلمون أنني على بينة من ربي وأن الله سبحانه وتعالى منحني الوحي والنبوة، وما أدعوكم إليه ليس كلاماً من عندي بل هو كلام الله سبحانه وتعالى، «ورزقني منه رزقا حسنا»، توجهون لي اللوم على انتقادي للانحراف الاقتصادي وتعتقدون بأنني أريد أن استفيد منكم، كلا . . . فالله يرزقني إذا كان رزقا ماديا، وعلى الجانب المعنوي فالله سبحانه رزقني بالمعارف الإلهية ولست بحاجة إلى أموالكم، ودعوتي لمكافحة الفساد إنما هي لمصلحتكم، فإذا قلت لكم تعاملوا التعامل الاقتصادي الصحيح واستفيدوا من أموالكم بالاتجاه الصحيح وابتوا بلدكم فهذه لمصلحتكم فحسب.

وهنا نلاحظ أيضا درسا آخر؛ فالنبي حينما يتهم في المنظومة القيادية يجب أن يشرح ويوضح ويزيل الالتباس لئلا يبقى ثمة شيء عالقا في بال الناس، لأنهم لا يعرفون الكثير من القضايا، لهذا فعلى المسؤول أن يخرج ويشرح للناس ويوضح لهم موقفه وأسبابه، ولماذا قلت هذا الكلام ولماذا اتخذت هذا الموقف ولماذا عملت هذه الخطوة؟، فنرى أن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نبي، يقف ويشرح للناس بألا يظنوا أنه صاحب مصلحة، فيؤكد لهم أن هذا كلام الله وليس كلامي، وبالنسبة لي فقد رزقني الله بما فيه الكفاية رزقا ماديا ورزقا معنويا، فلا تتصوروا أن في هذه القضية مصلحة خاصة.

المسؤول والمواقف المبدئية الواضحة

هذه قاعدة أخرى ودرس قيادي آخر، يا مسؤول إذا أردت النجاح لا يجوز أن تأمر الناس بشيء وأنت تعمل شيئاً آخر، فالمسؤول كأى مواطن آخر يجب ألا يكون فوق القانون، وحين ينهى عن شيء ويأتي به فستحدث فجوة ومشكلة كبيرة، ويبدأ الشرخ بين القيادة والأمة، ولذلك يشدد شعيب على قومه ويؤكد لهم بأنه أول من يلتزم بهذا الأمر، فهو لا ينهاهم عن الانحراف العقيدي والاقتصادي ويقع فيه، «وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت»، هدفى نبيل وغايتي شريفة وليس لي غاية إلا الإصلاح والمصلحة العامة.

وهذا درس قيادي آخر، يا من تريد أن تنجح في إدارة وقيادة وفي أي منظومة قيادية، لا تذهب إلى الأهداف الصغيرة، لا تركز على المصالح الخاصة، فهذه المصالح الخاصة لا تستطيع أن تجمع شعباً، ولا تستطيع أن توحد أمة، والأهداف المحدودة والضيقة لا تستطيع أن تعبئ الطاقات، فشعيب حينما أراد أن يستوعب الأمة بكل توجهاتها قال لهم: «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت».

الحسين ونهجه الإصلاحى

وهذا ما قاله الحسين سلام الله عليه أيضاً: «إنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»^(٣٦٣)، ولذلك استطاع أن يؤثر ويؤسس ويجمع، فكانت رسالة الحسين رسالة جامعة، فيها المسلم وغير المسلم، فيها العربي والأعجمي، وفيها الكبير والصغير، وفيها الرجل والمرأة، فيها التوجهات السياسية المختلفة وفيها وفيها، الأمة بكل تلاوينها كانت حاضرة في واقعة الطف. الشاهد: «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب»، أنا قوي بقوة التوكل على الله سبحانه وتعالى، ومخالفتكم لا تقلقني ولا تغير من قناعاتي، إن القائد لا يرضخ للرأي العام حينما يكون على خطأ ويكون هو على حق، ويمتلك القدرة على الدفاع عن الحق الذي يؤمن به، هذا منطلق القران، ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾، مرة أخرى يخاطب شعيب قومه بهذه اللهجة المتوددة، أحذركم من المخالفة ومن أن

٣٦٣. مقتل الحسين للخوارزمي ص ١٨٨

تستبد بكم حالة العناد، فلا تسمعون كلامي وهو كلام الله، فيأتيكم العذاب كما أتى من قبلكم.

إن الأنبياء، والقيادة الصالحة، حريصون ومشفقون على الدوام، انتبهوا، فإذا كان الخلاف خلافا شخصيا فلا مشكلة، فبمقدوري أن أتحمّل، ولكن هذا الكلام الذي ترفضونه إنما هو كلام الله، فإذا خالفتوني به فسيشملكم العذاب الذي شمل الأقسام السابقة من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، فأنا أخشى عليكم من ذلك. فنرى أن النبي شعيباً لم يدعُ الله أن ينتقم من قومه لأنهم خالفوه، ولم يضع هذا الخلاف في سياق الأمور الشخصية، بل لأنهم يخالفون كلام الله فهو مشفق عليهم من التبعات، «وما قوم لوط منكم ببعيد»، لماذا يمثل لهم ويركز على قوم لوط؟. لأن قوم لوط من نفس المكان، فكانوا قريبين من قوم شعيب في مدين، كلاهما في بلاد الشام في منطقة قريبة، كما أنهم قريبون منهم زمنياً، كذلك هم قريبون من حيث سبب العذاب، فقوم لوط كان لديهم انحراف وفساد أخلاقي، وقوم شعيب لديهم انحراف وفساد اقتصادي، والروايات دائماً ما تربط بين الفساد الأخلاقي والفساد الاقتصادي، ودائماً ترون ذلك الربط في الروايات بين الربا والزنا، لأن كليهما فساد وانحراف، فهناك تقارب بين قوم شعيب وقوم لوط في المكان والزمان وسبب العقاب، لذلك يحذرهم النبي شعيب من هذا الأمر، «واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود»، إذا انحرقتم لا تقولوا نحن انحرفنا وأخطأنا والنار مثوانا، كلا، لديكم خط رجعة، «إن ربي رحيم ودود»، فالله يغفر والله يرحم فارجعوا إليه.

الاستفادة من ليالي محرم

يا من تحضر في مجلس الحسين، راجع نفسك، لئلا تكون واقفاً في خطأ أو معصية والعياذ بالله، وخالفت شيئاً من تعاليم الله، فأنت الآن في ضيافة أبي عبد الله، فاتخذ قرارك هنا قبل أن تقوم وقل إلهي من الليلة أريد ببركة الحسين أن أفتح صفحة جديدة، أريد أن أغير من سلوكي، واليوم نتعلم من الحسين درس التوكل، فيا إلهي أتوكل عليك، اشفني من مرضي فالمعصية مرض، ونحن كثيراً ما ندعو الله سبحانه وتعالى في أمراضنا البدنية الجسدية ولا ندعوه في الأمراض الروحية.

نحتاج إلى الدعاء لمعالجة الأمراض الروحية بالتوكل على الله سبحانه وتعالى، ونحن اليوم في ليلة السابع من محرم المنسوبة إلى أبي الفضل العباس، هذا الرجل العظيم الذي تخلد في التأريخ وإن لم يكن معصوماً، وكان أنفوس الذخائر لدى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت الأعداء تحذر صولته والعيال مطمئنة بوجوده، كان مبعث قلق للأعداء واطمئنان لحرم رسول الله وأطفال الرسالة، ما دام العباس موجوداً والراية مرفوعة فالعيال والأطفال مطمئنون، بالرغم من كل ما جرى عليهم، فيما ينتاب الأعداء الرعب وهم يرون الراية مرفوعة بيد العباس. ماذا نقول في العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ في وفائه وصدقه وإصراره وثباته؟. وفي البصيرة ووضوح الرؤية التي كان يملكها وتوكله على الله في كل موقف؟.

قمة التوكل في موقف أبي الفضل عَلَيْهِ السَّلَامُ

نرى قمة التوكل في سلوك أبي الفضل العباس صلوات الله وسلامه عليه، وكيفيه ما وصفه به الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: «يا أخي أنت صاحب لوائي وإذا مضيت تفرق عسكري»^(٣٦٤)، معسكري يتفرق بدونك يا أبا الفضل؛ فأنت حامل اللواء والعمود الفقري لهذه المعركة. لقد انتهى الأصحاب وجاء دور العباس، وهو لا يستطيع الصبر على بكاء الأطفال وغدر هؤلاء، فجاء مستأذناً أبا عبد الله الحسين، ولكن آلى على نفسه قبل أن يخرج أن يرى إخوته الثلاثة بين يديه يقاتلون ويقتلون فداءً لأبي عبد الله الحسين لئلا يذهب ويُقتل فيصيبهم الضعف، فكان يريد أن يشد أزهرهم لذا قال لهم: «تقدموا بأبي أئتم وأمي حتى أراكم نصحتهم لله ولرسوله»^(٣٦٥).

انظروا التوكل، فتقدم الثلاثة، وبعد ذلك جاء يطلب الرخصة من أبي عبد الله الحسين، فرفض الإمام الحسين وقال له إذا ذهبت يتفرق الوضع، ولكن اذهب واطلب الماء للأطفال، حتى أنه لم يقل للنساء ولم يقل للمقاتلين، بل قال للأطفال، وهنا يريد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يلقي الحججة على القوم، وأن تبقى رسالة مدوية للتأريخ تنقل خسة هؤلاء، فالطفل ليس جزءاً من المعركة وليس له ذنب في ما يجري، ولا حتى مطلوب منه البيعة ليزيد بن معاوية.

٣٦٤ . بحار الأنوار: ج٤٥ - ص٤١

٣٦٥ . مشير الأحرار - ص٦٧

ثم جاء العباس يخطب بهم ويعظهم ويوضح لهم وقال في ما قال موجهها الخطاب لعمر بن سعد قائد المعركة: «هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى فاسقوهم من الماء، قد أحرق الظمأ قلوبهم»^(٣٦٦)، فأثر كلامه في نفوسهم حتى بكى بعضهم، ذلك لأن المنطق واضح ولا بد لإنسان من أن يتقبله، ولكن الشمر صاح بأعلى صوته: «يا ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد»^(٣٦٧)، انظروا الخسة والدناءة والغدر، وفقدان كل قيم الرجولة والشجاعة. فرأى أبو الفضل ألا فائدة من النصيحة فلم يتمالك نفسه وانطلق نحو الفرات وكان هناك أربعة آلاف مقاتل يسدون الطريق، فهزمهم وفتح طريقه نحو النهر ووصل إلى شاطئ الفرات واغترف من الماء ليشرب وهو عطشان، ولكنه تذكر عطش الحسين ومن معه فرمى الماء من يده، وقال:

«يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين باراد المعين

تالله ما هذا فعال ديني»

فألقي الماء من يده وملاً القربة وعاد مسرعاً ليوصل الماء إلى الأطفال والنساء، عاد يرتجز:

«لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقي

نفسي لسبط المصطفى الطهروقا إني أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشر يوم الملتقى»

استشهاد أبي الفضل عليه السلام

انظروا الى التوكل على الله، فالعباس لا يخاف ولا يقلق، فهو قوي بقوة الله سبحانه وتعالى، أربعة آلاف فارس من الأعداء لا يستطيعون الخروج لمقاتلته، حتى كمن له زيد بن الرقاد الجهمي من وراء نخلة، فقطع اليد اليمنى لأبي الفضل العباس، لكن أبا الفضل العباس لم يعبأ بذلك، وكان همه إيصال الماء

٣٦٦. فاجعة الطف للسيد القزويني - ص ٢٥

٣٦٧. المصدر السابق

إلى أطفال الحسين وعياله، فواصل ماسكا القربة بيده اليسرى فكمن له حكيم بن الطفيل وراء نخلة أخرى وقطع يساره، فحمل القربة بأسنانه، انظروا الإصرار على تحقيق هدفه وهو أن يوصل الماء إلى المعسكر ولا يهتم لنفسه، تقاطرت بعد ذلك السهام فأصاب سهم القربة وسهام أخرى في بدنه الطاهر، وسقط من على ظهر جواده، ويدها مقطوعتان والسهم نابت في القربة وسهم آخر في عينه وسهام في صدره.

الوفاء والإيثار

وحتى في هذه الحالة لم يكن العباس عَلَيْهِ السَّلَام ليفكر بنفسه، فما إن سقط حتى قال: «عليك مني السلام أبا عبد الله»، وكأنه يقول سيدي أبا عبد الله، هذا ما علي ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك، وقد حاولت أن أوصل الماء لأطفالك ونسائك ولكن القدر لم يسعفني، فأجابه الحسين بقوله: «الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي»^(٣٦٨)، لقد شعر الحسين بأن ظهره انكسر بسقوط أبي الفضل العباس، ونرى هنا قمة الوفاء وقمة التوكل على الله، هكذا يكون الإنسان وهذه قمة المواقف التي يمكن أن يتخذها في حياته، فالحياة موقف وأنفاس تأتي وتذهب والأهم كيف تتعامل وكيف تكون وفيها وصابرا ومتوكلا، وكيف تكون مقداما، كيف تترك بصمات في هذه الدنيا.

لقد تألق أبو الفضل العباس، والحسين وكل أصحابه وأهل بيته، وقد كان الحسين يجمع كل أصحابه عندما يسقطون إلى الفسطاط إلا العباس تركه في مكانه، ويومها لم يعرف الناس السبب، لكننا اليوم نرى أن هذه الخطوة جعلت لأبي الفضل العباس مقاما ومكانة عظيمة، حتى أنه في آداب الزيارة أن تزور أبا الفضل العباس، ثم منه تذهب إلى زيارة أبي عبد الله فإنه باب الحسين، فادخلوا البيوت من أبوابها، وصارت له هذه المنزلة والمكانة الرفيعة، نسأل الله أن يجعلنا من السائرين على نهجه ومن المتوكلين عليه في كل مواقفنا، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الليلة الثامنة - بتاريخ ٢٢/١١/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة لا ينضب عطاؤه

السَّلَام عليك يا أبا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَام عليك يا ابن رسول الله، السَّلَام عليك وعلى الأرواح التي حَلَّتْ بفنائك، وَأَنَاخَتْ بِرِحْلِكَ. عليك مِنَّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقيْنَا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، ولا جعلَهُ اللهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكُمْ. السَّلَام على الْحُسَيْنِ، وعلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وعلى أولادِ الْحُسَيْنِ، وعلى أصحابِ الْحُسَيْنِ، الذينَ بذُلُوا مُهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام، السَّلَام عليكم أيها الإخوة والأخوات الحسينيون ورحمة الله وبركاته.

الحسين مدرسة معطاء

في ليلة الثامن من المحرم وهي إحدى الليالي الحزينة التي نؤين بها ونستذكر الإمام الحسين، وكلما أطلت هذه الليالي عشنا الفجيرة والألم للرزية والمصيبة التي ألمت بسيد الشهداء، وكلما جلسنا جلسة تدبر وتأمل وتعمق في دروس الحسين عَلَيْهِ السَّلَام، هذه المدرسة المعطاء، وكلما أخذنا منها، تفتحت أمامنا آفاق جديدة، وكلما تعلمنا منها اكتشفنا حقائق جديدة. هذه الجامعة وهذه المدرسة، مدرسة الحسين، بئر لا تنضب وعطاؤها مستمر ودائم، لأن قضية الحسين قضية مستمرة ودائمة ولا تقف عند حد.

الحديث عن التوكل

في هذه الليلة نشير إلى مشاهد وصورة قرآنية رائعة، تؤكد الأثر العظيم للتوكل، وهي الآيات الشريفة ضمن المقطع الأخير من سورة هود، وهي الآيات ١٢٠ إلى ١٢٣ ونعرف أن سورة هود قد كُرسَتْ في جانب مهم منها للحديث عن الأنبياء والرسالات السماوية، والحديث عن الأمم السابقة وكيف تعاملوا مع الأنبياء، فهي سورة حافلة باستعراض مواقف الأنبياء والأمم السابقة، وتحدثت عن نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم من الأنبياء عليهم وعلى نبينا وآله السلام، ثم بعد هذا الاستعراض يأتي هذا المقطع الأخير ليستنتج ما جاء في هذه السورة الشريفة والكريمة، يبدأ هذا المقطع القرآني بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

يا رسول الله، قصصنا عليك ما جرى على الأنبياء والرسل السابقين، «كل» فيها إشارة إلى التنوع الذي تحدثت عنه هذه السورة، تنوع في الاصطفافات وفي التحالفات لأولئك الذين وقفوا بوجه الأنبياء، ودخلوا في تحالفات مهمة وحققوا اصطفافات واسعة وجندوا إمكانات وفرصا سياسية وعسكرية ودعما لوجستيا، فأرادوا أن يطفنوا نور الله من خلال مواقفهم ومن خلال اصطفافاتهم بوجه مشروع السماء، هذا المشروع الصالح.

كما تحدثت عن التنوع في الانحرافات التي تجسدت في هذه القوى المعادية للأنبياء، منها الانحراف العقدي وعبادة الأوثان والأصنام، ومنها الانحراف الأخلاقي والشذوذ الجنسي والفساد الأخلاقي، الذي كان من سمة بعض هذه الأمم في ظواهر تحدثت عنها القرآن الكريم في هذه السورة وفي غيرها، ومنها الانحراف الاقتصادي والفساد المالي الذي تحدثنا عنه بالأمس في قوم شعيب، ومنها الانحراف الاجتماعي وبناء علاقات اجتماعية للانتقاص من المشروع الإلهي، ولإيقاف عجلة التقدم والإصلاح للشعوب والمجتمعات والأمم، فهذه السورة عبّرت عن هذا التنوع في الانحرافات أيضا.

تنوع العقوبة الإلهية

وفي جانب ثالث أشارت هذه السورة إلى تنوع في العقوبات الإلهية، التي شملت هذه الأمم، وكيف أن الأمة حينما تنحرف في مسارها عن حركة الصلاح والهداية ومشاريع السماء ومشاريع الإصلاح تستحق العقاب، وكيف ينزل عليها العقاب الإلهي، وما هي هذه العقوبات الإلهية، فهذا مما نجده أيضا في هذه السورة، كذلك تحدثت هذه السورة عن تنوع في وسائل وأنماط الانتصار للأنبياء، الأنبياء الذين دخلوا في مواجهة مع هذه الأمم والتحالفات الواسعة ومع قوى الشر والظلام، ما الوسائل وما المداخل وما عناصر القوة التي توافرت لدى الأنبياء ومكنتهم من التغلب على هذه التيارات المنحرفة في هذه المعركة؟. هنا في مقام الاستنتاج، يوجه القرآن الكريم خطابه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويقول: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل»، يا رسول الله، حينما قصصنا هذه القصص وحينما استعرضنا تأريخ الأنبياء أردنا أن نتفتح على كل هذه التنوعات وتتعرف على هذه الأسرار والحقائق في الأمم السابقة.

التأريخ دروس وعبر

ثم تتحدث هذه الآيات عن أربع فوائد مهمة لاستعراض التأريخ وهذه المواقف لحركة الرسالات الإلهية، فتشير الآيات الكريمة إلى: «ما ثبت به فؤادك»، يا رسول الله، عندما ذكرنا كل هذه الانحرافات والاصطفافات وكل هذه المكائد والخدع، وكل هذه الإمكانيات الفكرية والمالية واللوجستية والعسكرية التي وُظفت لاستهداف مشروع السماء، مشروع الإصلاح ومشروع الهداية في الأرض، وكيف تغلب أولئك الأنبياء عليها، فقد كان الهدف الأساسي منها أن نهدي فؤادك، وألا تعيش حالة القلق وحالة الاضطراب والضرر والألم، فالغدر شيء صعب ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تعرض إلى الكثير من الأذى من هذه القوى المصطفة وهذه التحالفات حتى ورد في حقه: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»^(٣٦٩)، فالاستهداف كان شديدا والحملة همجية والاصطفافات واسعة والتحالفات شريرة وكبيرة، والمعارضة كانت شديدة وقاسية بوجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فجاء

هذا الاستعراض لتثبيت القلب ولربط الجأش ولشحن الإرادة وتقوية العزيمة عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

ماذا نفهم من هذا الكلام؟ نفهم أن المتصدي والقائد الذي يقود مشروع الإصلاح، لو كان بحجم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهو أيضا بشر يتأثر بالعدو ويتأثر بالتشويه وبالتشويش الإعلامي وبالاصطفافات السياسية وبالاستهداف الظالم وبإثارة الشبهات والاتهامات حوله، فالإنسان المتصدي يتأثر ويهتز حينما يكون في مرمى سهام بهذا المستوى، فإذا كان هذا يصدق في حق رسول الله، فهو يصدق بمراتب أكثر وأكثر في من هو دونه في الفضل والمراتب الكمالية.

اهتمام القرآن بالأحداث التاريخية

هذا يؤكد أهمية التأريخ ومراجعة التأريخ والوقوف عند حقائق التأريخ، فالذي ينظر إلى التأريخ يرى فيه الكثير من العبر ويقوى بقوة تلك التجارب، ومن يهمل قراءة التأريخ ولا يقف عند تلك الحقائق يتحول هو إلى عبرة من عبر التأريخ، الذي لا يتعلم سيكون هو درسا يتعلم منه الآخرون، وهو يصبح وسيلة رسالة معينة تصل إلى الأجيال القادمة، إن القرآن الكريم توقف طويلا عند مسألة التأريخ وحركة الرسالات والأمم، ماذا جرى على الأنبياء وكيف تمت معارضتهم؟، وكيف هي السكينة والطمأنينة التي كان يتسم بها الأنبياء في هذه المعركة الحاسمة التي حُسمت لصالح الحق؟.

إن أهل الباطل كسبوا جولات على الدوام، ولكن المعارك كسبها أهل الحق في هذا التأريخ الطويل، إذن فهذه هي الفائدة الأولى؛ أن تثبت به فؤادك، أن تشعر بالاطمئنان يا رسول الله وأنت سائر بطريق منتج مهما كانت الصعوبات.

الفائدة الثانية: «وجاءك في هذه الحق»، يا رسول الله، إن هذه تعطيك فرصة أن تتعرف على الحقائق وعناصر القوة وعناصر الضعف وعناصر الانتصار، وعناصر الهزيمة في حركة الشعوب والأمم، حينما تراجع التأريخ ستكتشف هذه العناصر وحينما نقص لك قصص الأنبياء والأمم السابقة ستكتشف منها كل هذه الأمور.

الفائدة الثالثة والرابعة: «وموعظة وذكرى للمؤمنين»، أي أن هذه القصص وهذه العبر فيها الموعظة وأن في تلك الحقائق تذكرة، تستفيد وتعتبر وتذكر وتتعلم

من استعراض التاريخ، إذن دروس التاريخ لا تجعلنا نعيش الماضي، فهي ليست استعراضاً وسرداً تاريخياً نتعرف عليه ثم نلقيه جانبا ونشغل بحياتنا اليومية، بل إن حياتنا نسخة عن ذلك التاريخ، تتغير الوجوه وتتغير الأمكنة والأزمنة ولكن السنن الإلهية والقواعد التي تتحكم بمجرى التاريخ هي لا تتغير، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٣٧٠).

الإفادة من التاريخ

فمن يقرأ هذا التاريخ قراءة صحيحة واعية فسوف يستطيع أن يطبقه في حياته اليوم، ومن يكتشف منا دروساً كبيرة يشعر بالقوة، ويعرف كيف يتعامل مع التحديات التي تواجهه، لا نقبل هذا المنطق الذي يقول أنتم رجعيون، أنتم غارقون في الماضي، انظروا أمامكم ولا تبقوا غارقين في التاريخ، وهذه كلمة حق يراد بها باطل، نعم يجب ألا نغرق في الماضي، بل نأخذ من ماضينا بقدر ما يخدمنا في بناء حاضرنا ومستقبلنا.

لكن يجب أن نقف عنده وقفة عبرة لنستلهم الدروس من الماضي في بناء الحاضر والمستقبل، وحينما نقف عند حقائق القرآن الكريم وعند استعراض الأمم السابقة، وما جرى على الأنبياء وما واجهته الرسالات السماوية، فهذه كلها دروس وعبر، يمكن أن نعتبر بها في بناء الحاضر والمستقبل، فهو كالشجرة التي كلما امتدت جذورها في بطون الأرض ارتقت أغصانها إلى عنان السماء، هكذا يجب أن ننظر إلى الأمور.

«وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون»، أولئك المعارضون والمنحرفون الذين لا يريدون كلمة الحق ولا يريدون أن ينصاعوا للحقائق في هذه الدنيا، ولا يتماشون مع النور ويبحثون عن الظلام كالخفافيش وحياتهم ورأس مالهم في الظلام وفي الدهاليز المظلمة، قل لهم يا رسول الله؛ سيروا بمشروعكم الظلامي وسنرى أين يوصلكم، أما نحن فسائرون بمشروعنا ونحن ماضون بمشروع الحق.

«وانظروا إنا منتظرون»، يا أهل الباطل والانحراف انظروا وافرحوا، وقولوا متى سيهزمون ومتى سينهارون ومتى سيتفكك مشروعهم؟، ومتى سيضيعون؟،

قولوا هذا الكلام . بزعمكم سنهزم وبزعمكم أن المال والسلاح والتأمر هي التي تحقق النتائج ، وأن المشاريع الصادقة والصحيحة لا تستطيع أن تشق طريقها في هذه الدنيا ، هكذا تعتقدون ، لا بأس انتظروا ولكن لن يتحقق لكم ما تريدون ، ونحن كذلك سننتظر كيف سيتفكك مشروعكم الظلامي وكيف ستتهار مشاريعكم الرخيصة ، لأنها لا تستند إلى حقائق ولا تستند إلى مسارات صحيحة ، ولا تعتمد على أطر صادقة . فهي ستتهار ونحن أيضا ننتظر الهزيمة لكم ونحن ننتظر تفكك مشاريعكم ، ونحن ننتظر العقوبة الإلهية التي ستطولكم على أيدينا أو من قبل الله سبحانه وتعالى مباشرة .

انظروا هنا مستوى التوكل ومنسوب الثقة بالنفس ، المستندة إلى ثقة بالله سبحانه وتعالى لدى أصحاب مشاريع السماء الصادقة ، إن دعوة الانتظار هذه ليست أمرا بل هي للثديد والتهديد والتحدي ، فحين نقول انتظروا فهذا يعني أن انتظاركم سيطول ، وأما انتظارنا لتحقيق النتائج فليس كذلك ، كما في قول الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ الضُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾^(٣٧١) ، لأننا على حق ، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣٧٢) ، وهذا هو المنهج الذي استخدمه القرآن في أكثر من موقع من سورة فصلت ، كآية أربعين : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وذلك في مخاطبة الملحددين ، فالقرآن الكريم يقول اعملوا ما شئتم والله ناظر إلى ذلك وهو عالم ويتابع ويرصد ، وإن كل جهودكم إلى فشل وإلى نكد .

محدودية علم الغيب لدى الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

في سورة الإسراء الآية ٦٤ يأتي الخطاب موجها إلى الشيطان : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ ، أي حرك جيوشك الخيالة والمشاة لنرى ماذا سيفعلون لك ، ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ ﴾ ، ضع يدك على أبنائنا واسع في إفسادهم وسنرى أين ستصل . . وعدهم ومنهم وأعطهم وعودا كاذبة ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، سنرى كيف ستتهار الأمور ، سيسير ضعاف النفوس والإيمان وراءك لكن المخلصين والطيبين والصادقين والمتوكلين ، أولئك لا تستطيع أن تصل إليهم .

٣٧١ . سورة هود: الآية ٨١

٣٧٢ . سورة الرعد: الآية ١٧

«ولله غيب السماوات والأرض»، هنا ينتقل القرآن الكريم للحديث عن أسباب هذه القوة، وهذه العزة وهذه المنعة، «لله غيب السماوات والأرض»، توحيد معرفي، ونحن موحدون ونعتقد بأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فالله عليم بكل شيء وهو وحده من يعلم الغيب في السماء والأرض، وإذا ما كان هناك من علم جزئي بالغيب للأنبياء وللأئمة كما نعتقد، فهذا يختلف كلياً عن علم الغيب الإلهي، ذلك أن علم الغيب عند الله سبحانه وتعالى هو علم مطلق، والله بكل شيء عليم، وهو علم ذاتي يعلمه الله من نفسه.

لكن علم الأنبياء والأئمة بالغيب هو علم محدود وليس علماً مطلقاً، فهو إذن علم مكتسب وليس من أنفسهم، فالله يعلمهم ويوحى إليهم، والله هو من يطلعهم، فيجب ألا نخلط بين علم الغيب للأنبياء والأئمة وهو علم محدود ويأذن الله ومكتسب من الله، وعلم الغيب من الله وهو علم مطلق وعلم ذاتي، وهذا ما نؤمن به في توحيدنا لله سبحانه وتعالى، وهذا ما نؤشر إليه وتؤكد عليه العديد من الآيات القرآنية، لاحظوا مثلاً في سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٣٧٣).

العلم الإلهي المطلق

فالأنبياء والأئمة يعلمون بالغيب بشكل محدود ويقدر ما يطلعهم عليه الله سبحانه وتعالى، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣٧٤)، أنا بصير ولكن بصري من الله وهو من يدلني ويعطيني ويفتح لي، ونرى أيضاً في سورة الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧٥).

إذن فالأنبياء والأئمة يعلمون بالغيب بشكل محدود ويقدر ما يطلعهم الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى يذكره القرآن حتى لغير الأنبياء والأئمة، فأم موسى عليه وعلى نبينا وآله السلام، قد أطلعها الله على شيء من الغيب كما تحدثنا بذلك الآية ٧ من سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ

٣٧٣ . سورة الأنعام: الآية ٥٠

٣٧٤ . سورة الأنعام: الآية ٥٠

٣٧٥ . سورة الأنعام: الآية ١٨٨

الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧٦﴾ ، سنرجعه إليك وسنجعله نبيا وهذا علم غيب ولكن الله هو من أطلع عليه أم موسى ، وهذا لا يتعارض مع علم الغيب لله .

وما يرد على مدرسة أهل البيت في هذا المجال لا وجهة فيه ، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٧٦﴾ ، الله عليم يعلم غيب السماوات والأرض ، وهو قدير وكل شيء في قبضته سبحانه ، وهذه تشير إلى التوحيد الأفعالي ، في أفعالنا كلها يكون الفعل مرتبطا بالله سبحانه وتعالى . ماذا يترتب على كون الله على كل شيء قدير ، وهو يعلم بكل شيء ؟ ، «فاعبده» ، التوحيد في العبادة ، يعلم كل شيء ، إذن لا شيء يخفى على الله ، فأين تذهب أنت ؟ ، أتترك من يعلم بكل شيء ، وتذهب إلى من قد يعلم بعض الشيء ؟ ! هذا ليس منطقا أن تذهب وتتوسل وتمسك بطواغيت الجن والإنس ، لماذا لا تمسك برب العالمين القادر على كل شيء ؟ .

وإذا كان الله عالما بكل شيء وقديرا على كل شيء ، فلا بد من أن يكون هو المعبود ، لأننا نعبد من هو مستغن عن العباد ومن يحتاج إليه الجميع فهو إذن مستحق للعبادة ، ولذلك فالتوحيد في الصفات يدفعنا ويسوقنا إلى التوحيد في العبادة وانظروا عمق القرآن الكريم .

استشهاد القاسم بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ

الشاهد ، «وتوكل عليه» ، مادام الله عالما بكل شيء وقديرا على كل شيء إذن سر وراءه وتوكل عليه وأشعر بالقوة والعزة والمكنة ، ولا تذهب يمينا أو شمالا ، ولا تترك القوي وتذهب إلى الضعيف المحتاج ، هذا التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى ، والعلم بمقام الربوبية هو الذي يوصلنا إلى مقام التوكل على الله سبحانه وتعالى ، «وما ربك بغافل عما تعملون» ، فالتوكل يعطي قوة وعزة ، وهذا ما وجدناه في قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حيث تتجلى هذه القوة والعزة وهذه البسالة وهذا الوضوح ، في كل موقف .

إن هذا التوكل الخالص على الله سبحانه وتعالى لدى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه أتى من هذه الرؤية العقدية ، المتجذرة والعميقة في وجودهم ، ولذلك تجدها بقوة في الكبار والصغار ، في الرجال والنساء ، في أهل البيت

وفي الأصحاب، وفي الجميع نجد هذا التوكل، القاسم بن الحسن مثال شاهد من الشواهد على ذلك، فهو فتى لم يبلغ الحلم، ولم يدخل سن التكليف بعد؛ فقد كان عمره ١٢ أو ١٣ سنة أو ١٠ سنوات، لكنه قمة في التوكل وبلغ ذروة الانشداد إلى الله سبحانه وتعالى.

ورد في حاله أنه تقدم صلوات الله وسلامه عليه وهو في هذا العمر يطلب الرخصة من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما نظر إليه الحسين اعتنقه وبكى، لم يستطع الحسين أن يتمالك نفسه ليرى الغلام الذي لم يبلغ الحلم وهو بعمر الورود يخرج ويُقتل. صحيح أن المعركة لا تكتمل إلا باستشهاد كل هذه الأنساق الاجتماعية كما شرحنا في ليال ماضية، فمعركة الطف بلا عبد الله الرضيع والقاسم بن الحسن لن يكون لها هذا الوهج الإنساني، فهي معركة الإنسان كل الإنسان ومعركة الحق ضد الباطل، والحق في كل مكان وفي كل هذه الشرائع، إذن فالطفل يجب أن يُقتل في عاشوراء لتكون رسالة الطفولة المغيبة والمستهدفة في واقعة الطف، وتكون واقعة الطف انتصارا للطفولة في كل زمان ومكان، هذا ما يجب أن يكون، لا مناص عنه، ولهذا فهذا البكاء فيه مشاعر وفيه رقة وهي من سمات الكمال الإنساني وليست ملمحا من ملامح الضعف.

موقف القاسم في واقعة الطف

استأذن القاسم الإمام الحسين للمبارزة، فأبى الحسين أن يأذن له، توقف الحسين، كيف يسمح لهذا الغلام الصغير في السن وهو البقية الباقية من أبيه الحسن المجتبي أن يخرج إلى ساحة المعركة؟، فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه، انظروا الإصرار والوضوح، لم يقل ما دام الحسين لم يوافق سقط التكليف فلاذهب وأجلس في الخيمة، كلا، بل راح يقبل ويتوسل ويرجو، لأنه صاحب قضية ومشروع، فإذن له الحسين، فبرز وقد كان وجهه شقة قمر ويده السيف وعليه قميص وإزار، وفي رجليه نعلان.

ثم مشى بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى، وأنف ابن النبي الأعظم أن يحتفي في الميدان فهذا ابن الحسن المجتبي، ابن رسول الله، ولا يقبل لنفسه أن يمشي حافيا في الميدان أمام الآخرين، انظروا مسألة الهندام التي تدخل ضمن عملية الوقار وتشكيل شخصية الإنسان. فالنظافة والأناقة والهندام جزء أساسي من شخصية الإنسان الملتزم، والقاسم بن الحسن في ساحة المعركة لم يرتضِ

لنفسه أن يمضي خطوة وهو حافٍ، فوقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلا بمثله، طفل بهذا العمر لا يعرف عن الحرب شيئاً ولم يتربّ على الصراعات والمعارك، فهو تربى في بيت من بيوت النبي وأهل بيته، ينهل العلم والمعرفة ولكنه الآن أمام الأمر الواقع وعليه أن يتحمل هذه المسؤولية.

الدناءة والخسة الأموية

وبينما هو على هذه الحال إذ شدّ عليه عمر بن سعد الأسدي، فقال له حميد بن مسلم وما تريد من هذا الغلام، كيفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه؟ فيا عمر ماذا تريد؟ العمل غير متوقف عليك وغيرك سيتناوله؟ هذا ليس مقاتلاً كبيراً كي يعجز الآخرون عن قتاله، إنه مجرد غلام شاب، فقال: «والله لأشدن عليه»، انظروا الحقد والكرهية.

البعض من أهل الضلال يكون ملكياً أكثر من الملك، ولكن على ماذا تضيع دنياك وآخرتك؟ ماذا يزيدك أن تقتل هذا الغلام وهو ابن بنت رسول الله ﷺ؟ ولكنها الخسة والدناءة، يجب أن يبرز أمثال هؤلاء ليكونوا عيرة لمن اعتبر وما أكثرهم في كل زمان وفي كل مكان، وفي كل مجتمع، فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف فوق القاسم، فقال «يا عماء»، بمن يستنجد القاسم بن الحسن؟، يستنجد بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، لعله يغشه، فأناه الحسين كالليث الغضبان، فضرب عمر بالسيف، وانجلت الغبرة وإذا الحسين قائم على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه في اللحظات الأخيرة، والحسين يقول: «بُعدا لقوم قتلوك وخصمهم يوم القيامة جدك»، ثم قال «عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفحك صوت والله كثر واتره وقل ناصره»^(٣٧٧).

ثم احتمله على صدره وهو يعتنقه وأخذه إلى الفسطاط ليضعه إلى جانب الشهداء، ورجلاه تخطان في الأرض، البعض وقف عند هذه الكلمة، فالحسين ذلك الرجل الطويل القامة ذو المواصفات البدنية المعروفة، وهذا غلام صغير فعندما يضع صدره على صدره يُفترض أن يرتفع هذا الغلام، فكيف يصف لنا أرباب السير والمقاتل بأن رجليه تخطان في الأرض؟. هذا معناه أن الحسين شعر بانكسار شديد وهو يسير محني الظهر، وهذه الحالة التي تجعل رجلي القاسم

بن الحسن تخطان في الأرض بالرغم من أنه أقصر من الإمام الحسين ، وهذه تكشف عن حالة الانكسار والألم الذي كان يعيشه أبو عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، فسلام عليه وعلى كل أولئك الأبطال المتوكلين على الله سبحانه وتعالى ، الذين جعلوا من قضية الحسين وثورته قضية عادلة إنسانية نعيشها في كل زمان وفي كل مكان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ، وَأَنَاخَتْ بِرِحْلِكَ . عَلَيْكَ مِنَّا جَمِيعًا سَلَامَ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِينَا وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِكُمْ . السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ، الَّذِينَ بَدَّلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات الحسينيون ورحمة الله وبركاته، نقرب من ليلة الفجيعة الكبرى، من يوم الرزية العظمى، من يوم المصيبة التي ألمت بآل بيت الرسول في واقعة الطف وفي يوم عاشوراء، وكلما اقتربنا من هذه اللحظة ومن تلك الساعات، ينبض القلب حرقه وألما وحرنا على سيد الشهداء وعلى أهل بيته وأصحابه، وتستنفر المشاعر والعقول في استلهام الدروس والعبر والاستفادة من هذه المدرسة المعطاء، مدرسة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الكفاية من آثار التوكل

الكفاية هي بلوغ الأمر وبلوغ المراد، فكل إنسان لديه غايات شريفة ونبيلة، ومن خلال التوكل على الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يحقق هذه الغايات وتتوفر له حالة الكفاية . لاحظوا في القرآن الكريم، في سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٣٧٨)، المؤمن همه كيف ينتصر في المعركة والله

٣٧٨ . سورة الأحزاب: الآية ٢٥

سبحانه وتعالى يكفيه ويحقق له الانتصار ويحقق غايته ومراده، وفي سورة الحجر الآية ٩٥: «إنا كفيناك المستهزئين»، فالإنسان يضيق صدره بمن يستهزئ به ويسيء إليه ويشهّر به، وهنا يقول الله سبحانه يا رسول الله «إنا كفيناك». هذا مطمحه ونحن حققناه.

في سورة النساء الآية ٧٩: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، يكفيناك أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليك ويعرف ما تقوم به من أعمال صالحة وطيبة، كل ما يتمناه الإنسان من غاياته المشروعة يتحقق، فإذا كان التوكل هو المدخل لتحقيق هذه الغايات وهو المدخل لتحقيق الكفاية فهذا هو السر الحقيقي في النجاح، لاحظوا هذه الرواية عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه، قال: «من أعطي ثلاثا لم يمنع ثلاثا»، إذا أعطاك الله ثلاثة أشياء لن تمنع ثلاثة أشياء، «من أعطي الدعاء أعطي الإجابة» لأن الله سبحانه وتعالى هو يقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣٧٩) وليس القصد من الدعاء هنا لقلقة لسانه فقط، اللهم أعطني وغيرها، كلا، وإنما الدعاء بشروطه المعروفة، ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾^(٣٨٠)، إذن هناك داع يدعو وداع لا يدعو، وهذا الأخير هو من يدعو بقلقة لسان، فقلبه ليس مع الله، وهذا ليس داعيا، «أجيب دعوة الداعي» متى؟ الجواب «إذا دعان». إذن الداعي الذي يدعو من أعماق وجوده أجيبه وأعطيه سؤله، فالله سبحانه وتعالى إذا أعطانا الدعاء فسيعطينا الإجابة، كما يقول الإمام الصادق.

«ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة»، هناك من يحصل على نعمة معينة فيحتكرها، سواء كانت موقعا أو منصبا لأي سبب من الأسباب، فتراه يحتكرها ويختص جماعته وأقاربه بكل الفرص التي يوفرها له الموقع، فهذا ليس شاكرا، من يُعْطَ نعمة الشكر يُعْطِ الزيادة مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣٨١)، والشكر ليس كلمة الشكر لله فهذه لا تكفي، بل الشكر يتم بالقول والفعل والسلوك والاستفادة من هذه النعمة، فإذا استفدت من النعمة فائدة صحيحة، فعندها تكون شاكرا لله.

«ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية»^(٣٨٢)، حينما تُعطى التوكل وتكون متوكلا

٣٧٩ . سورة غافر: الآية ٦٠

٣٨٠ . سورة البقرة: الآية ١٨٦

٣٨١ . سورة إبراهيم: الآية ٧

٣٨٢ . الكافي ج٢- ص ٦٥

على الله سبحانه وتعالى فإن الله يعطيك الكفاية ، والله سبحانه وتعالى يقول في قرآنه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣٨٣) ، فإذا كانت عينك على الله سبحانه وتعالى ، ترجوه وتطلب منه وليس من غيره ، فالله سبحانه وتعالى يكفل لك تحقيق هذه الغايات «فهو حسبه» فالكفاية من الله سبحانه وتعالى ، وستبلغ حاجتك وتحقق ما تريد من خلال التوكل على الله ، وهذا أيضا معطى آخر مهم .

التوكل والشجاعة

الأثر السادس من آثار التوكل على الله الشجاعة ، فإذا كنت متوكلا تصبح لديك شجاعة وثقة عالية بالنفس تستمدتها من الثقة بالله سبحانه وتعالى ، فتكون لديك جرأة وإقدام ولا تهاب المنغصات والتحديات التي تقف بوجهك ، وهذه من السمات المهمة للمتوكلين .

لاحظوا هذا المقطع القرآني اللطيف في سورة يونس : الآية ٧١ إلى ٧٣ التي تشير إلى هذا الأثر العظيم في التوكل ، يقول عز من قائل :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾

هذه الآيات وما بعدها تشير إلى عدد من الأنبياء ، في مقطع تاريخي مهم يمتد من نوح إلى موسى عليه وعلى نبينا وآله السلام . وهو مقطع مهم لعدد من الأنبياء الذين كانت لهم بصماتهم في التاريخ الإنساني ، يا رسول الله اتل عليهم نبأ نوح ، «إذ قال لقومه يا قوم» ، وقد تحدثنا بالأمس قليلا عن هذا الموضوع ، أمم ناكرة للجميل ومجحفة بحق أنبيائها وأدبرت وولت وانحرفت وتمردت لكن الأنبياء في خطابهم يحرصون على التقرب منهم والحديث بلهجة ودود ، ذلك أن على المتصدي ألا يخلق فجوة بينه وبين الأمة ، وهذا درس قرآني عظيم ، وقوم نوح من الأقوام التي وقفت بوجه قيادتها ، ولكن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ وقف يخاطبهم

بمنطق القرب منهم ، كما يخبرنا القرآن الكريم «يا قومي» ، أي أنتم قومي وأهلي وعشيرتي ، حتى لو عارضتموني وأنا على حق وأنتم على باطل .

الأنبياء لا يجاملون

«إن كان كبر عليكم مقامي» ، إذا شق عليكم مقامي بينكم وكنتم غاضبين لوجودي بينكم ، فالله سبحانه وتعالى أرسلني إليكم ، وربما يكون القصد من المقام هو المنزلة ، منزلة الرسالة الإلهية ، وهذا يعني أن هناك من يشعر بالحسد تجاهه ، فالكثير من الناس لا يطيق أن يرى خيرا لأحد ، سواء على الصعيد المادي من أموال ووجاهات وفرصة مادية ، أو على الصعيد المعنوي ، فلا يتحمل أن يرى الخير يعم الآخرين فهو يريد لنفسه .

«وتذكيري بآيات الله» ، وأنا أتلو آيات الله عليكم وأعظكم وأنصحكم وأذكر لكم الحقائق ، ولا تريدون سماعها لأن كلام الحق مر ، وكثير من الناس لا يرغب بسماع الحق ، فالحق يجرحهم ويتقاطع مع مصالحهم ، وأنا نوح لا أستطيع أن أجاملكم ؛ فالأنبياء لا يجاملون ، عظمتهم وعزتهم وقوتهم أنهم أنبياء ورسول من الله ، وعليهم أن يبلغوا الرسالة كما هي ، بلا نقيصة أو زيادة ، فإذا كان شق عليكم ذلك وكنتم غاضبين وجاحدين ومتمردين لأنني أقول الحق بالرغم من أن سلوكي ليس سلوكا خاطئا والخطوة التي أقوم بها هي خطوة مدروسة تنسجم مع المعايير الصحيحة ، لكن إذا كان هذا يشق عليكم «فعلى الله توكلت» ، انظروا الأثر ، أمة بأكملها تقف بوجهه ولا تريده ولا تقبل به وهي تغلق أذانها وأعينها عن سماع ورؤية الحق ، ومع ذلك يقول أنا قوي بقوة التوكل على الله .

القوة قوة الحق والمبادئ

إن التوكل يمنح الإنسان الشجاعة ويمنحه الجرأة والإقدام والقدرة على المواجهة ، «فاجمعوا أمركم وشركاءكم» لملموا صفوفكم أنتم وشركاؤكم ، والشركاء هم الآلهة أو الأصنام التي يعبدونها ويعتقدون بأنها ستساعدهم ، أو قد يكون الشركاء حلفاء ، من داخل البيت أو من خارج البيت ، فأنا وحدي أقف بوجهكم ، لأنني قوي بقوة الله والتوكل على الله ، أنا قوي بقوة الحق الذي أتمسك به وأعمل به ، «فأجمعوا أمركم وشركاءكم» ، إذن لملموا كل أوضاعكم واجمعوا كل طاقاتكم ، وهو أمر تعجيزي كما يذكر المفسرون ، فهم لا يستطيعون

اللملمة لأن الله لا يعطيهم مثل هذا التوفيق ولا يكتب لهم النجاح، ودائما ما تكون صفوف الباطل خاوية؛ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُتُوتِ لَيَبُتُّ الْعُنْكَبُوتِ﴾^(٣٨٤).

فقد تتوقع أن تراهم أمة واحدة وجبهة واحدة لكنهم في واقعهم مشتتون ومبعثرون، فنرى نوحا وهو في حالة من السيطرة على أعصابه قويا وشجاعا لأنه متوكل على الله سبحانه وتعالى، ويكفي الإنسان أن يتوكل حتى تتصاغر أمامه كل التحديات والأخطار. ونحن اليوم نعيش واحدة من التجارب الإلهية، فهذه غزة أمامنا، منطقة صغيرة وأناس مستضعفون وإسرائيل في عنجهيتها وإمكاناتها كانت تتوقع أنه في غضون ساعات ينهار كل شيء ويرفع الفلسطينيون الرايات البيضاء، وإذا بهم يباغتون ويفاجؤون بصبر وثبات ومبادرة، وها هي إسرائيل تبحث عند هذا وذاك من يجلب إليها الهدنة لإنقاذ نفسها من هذه الورطة.

كنت أسمع اليوم أحد الصحفيين يقول إنه لم يخرج أحد في الإعلام الإسرائيلي ويدعي أن إسرائيل قد انتصرت في هذه المعركة سوى رئيس الوزراء وجماعته في مؤتمره الصحفي، لكن الرأي العام لا يرى أي انتصار تحقق لإسرائيل. انظروا ماذا يعطي التوكل على الله من شجاعة وقوة.

«ثم لا يكن أمركم عليكم غمة»، لملموا أنفسكم ثم لا أحد يعتب، ومعنى الغمة هي الضيق الذي يجلب الكآبة والحزن لصاحبه، وقد تأتي بمعنى الغطاء غطاء على القلب، فلذلك يشعر المرء بضيق، ومعنى الآية الكريمة هو ادرسوا القضية بشكل صحيح أنتم وشركاؤكم في غرف العمليات، وضعوا الخرائط وانظروا إمكاناتكم ثم لا تأتوا وتقولوا لا نعلم، وقد كنا في غفلة من أمرنا، كلا، اذهبوا وادرسوها وإذا اطمأنتم بنجاحكم وانتصاركم تعالوا وانظروا كيف ستنكسرون، فنحن لا نريد التعامل مع المغفلين ولا نأخذكم وأنتم في حالة من الغفلة، كلا، لا نريد شيئا مستورا، بل نريده مكشوفاً وواضحاً.

ضع رجلك على أرض صلبة بحساباتك المادية وتعال وانظر كيف سأكسرك وسأخذلك بقوة المنطق والتوكل على الله سبحانه وتعالى، كم هو قوي هذا المنطق!، منطلق المتوكلين ومنطق الأنبياء ومنطق أصحاب المشاريع الإصلاحية، ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(٣٨٥)، بعد الدراسة والتأكد امضوا وتعالوا واستهدفوني

٣٨٤. سورة العنكبوت: الآية ٤١

٣٨٥. سورة يونس: الآية ٧١

بشخصيتي ، وكما تعلمون ، فإن الاستهداف أحيانا يكون جسديا بالقتل وأحيانا يكون استهدافا معنويا ؛ حيث يشوش عليك الآخر ويستهدف سمعتك ، وهذا أحيانا أخطر من الأول .

المتوكلون والحرب النفسية

في حرب نفسية من هذا النوع يمنح التوكل على الله الإنسان ثقة عالية بالنفس ، وهذه ليست ثقة وهمية إذا كانت تستند إلى جذور عميقة لعلاقتك مع الله ، انظروا إلى هذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية التي يعلمنا القرآن إياها ، والتي خاضها الأنبياء في مواجهة تلك الأمم الضالة والمنحرفة ، أمم بأكملها كان الأنبياء يعيشون وسطها في عزلة وحصار مفروض عليهم ، ولكن نتيجة هذه الشجاعة والبسالة المستمدة من التوكل على الله سبحانه وتعالى ، استطاعوا أن يحققوا الإنجازات العظيمة .

إن الحرب النفسية تمنح الإنسان ثقة عالية بالنفس وهذه ليست ثقة وهمية ، وما شاء الله ، ففي زماننا ما أكثر هذه الشواهد ، حيث يصرخ هذا وذاك ، وهو كالطبل الأجوف ليس لديه أية قوة في منطقته ، ولعله يعتقد بأنه بالصرخ يستطيع أن يغطي الحقيقة ، لكن الحقيقة لا تُغطى بهذه السهولة ، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣٨٦) . هذا الاستفزاز إنما يؤتي أكله وثماره حينما يكون ناتجا من قوة وصلابة حقيقية وشجاعة وإقدام حقيقي مستمد من التوكل على الله سبحانه وتعالى .

إن هذه الآيات مكية نزلت على قلب رسول الله في مكة يوم العسرة والحصار ، ويوم الغربة ويوم الوحدة لرسول الله وسط عدد قليل من المسلمين ممن كانوا حوله ، فكان الله سبحانه يريد أن يقوي قلبه ؛ ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾^(٣٨٧) ، ويربط جأشه ، يا رسول الله انظر إلى نوح ، فقد كان وحده ومع عدد محدود من الناس معه ، ولكنه هكذا قال لهم وانتصر عليهم ، وأنت أيضا لا تنظر إلى الاصطفافات الواسعة وأنت محاصر من كل الاتجاهات ، فأنت محاط بقوة الله فقف بوجوههم وقل لهم اجمعوا كل طاقاتكم لنرى ماذا تفعلون؟ .

٣٨٦ . سورة الرعد: الآية ١٧

٣٨٧ . سورة هود: الآية ١٢٠

وهذا درس لكل المتصدين، فهذه الدروس لا تخص الأنبياء وحدهم، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣٨٨)، هذه قضايا نفتدي بها ونتأسى بها، والمتصدي يكون في مرمى السهام وعليه أن يتحمل ويصبر ويواجه مادام على الحق، وإذا كان هناك خلل في أدائه ومنطقه ومشروعه فعليه أن يصحح الخلل، لكن مادام المشروع صادقاً ومادامت النوايا سليمة وكان الأداء ضمن المقاييس، فإن عليه أن يمضي والله سبحانه وتعالى يقيض له الأسباب وينصره. هذا الجانب المعنوي الذي تطرحه النظرية الإسلامية والقرآنية بمنطق السماء، أما المنطق المادي فلا يحسب له حساب، لذلك فالمعنويات والإيمان بالغيب والتوكل على الله والاستمداد من الله، لها دور كبير في المعركة مع الأعداء.

المتصدي ورضا الله

نعيش في أجواء ذكرى الحسين، وعلى مائدة سيد الشهداء، وعلينا أن ندعو الله ونتوسل إليه ونتوكل عليه ليخلص هذا الشعب والوطن مما يعانیه من الشقاء، وأن يمنحه التقدم والازدهار. «فإن توليتم»، إذا تمردتم - قوم نوح - ولم تسيروا معي في مشروع السماء الإصلاحية «فما سألتكم من أجر»، هذا لن يغيظني ولن يتسبب لي بخسارة شيء، فأنا لا أبحث عن فائدة مادية أو معنوية، فلا أريد أن تأمر عليكم فأجري ليس عليكم بل على الله، فإذا أقبلتم فأنتم من تسعدون، وإذا أدبرتم فأنتم من تشقون وتحرمون وتعاقبون من الله سبحانه وتعالى.

انظروا إلى المنطق وهذا الدرس العظيم، فيا أيها المتصدي حينما تصدى لا تضع عينك على منفعة مباشرة، ضع عينك على الله، وكما شرحنا في الأيام السابقة، عندما نتكلم عن المنظومة القيادية فإنها منظومة تبدأ من رب الأسرة المسؤول عن ثلاثة أو أربعة أشخاص وتمتد إلى المدير في دائرة وإلى وزير في وزارة معينة وإلى الأمير وغيره، فكل هؤلاء مشمولون رغم أنهم يقودون منظومات مختلفة، لكن هناك قواعد موحدة تحكمها. أيها المتصدي، إذا كانت عينك على الأجر من الناس الذين أنت مسؤول عنهم فلن تستطيع اتخاذ القرارات الصحيحة لأن بعض القرارات الصحيحة قد لا تعجبهم ويخالفونها وستصرف عنها لأن لديك مصلحة معهم، وبذلك ستسير على خلاف المنهج الصحيح.

«فإن توليتم فما سألتكم من أجر أن أجري إلا على الله»، الله من يعطيني وهو من يرزقني وأتوقع الأجر من الله، فهو يرفع من يشاء ويضع من يشاء، وهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو الذي يعطي من يشاء ويمنع عن من يشاء، فليس بيدكم بل بيد الله ولا تستطيعون أن تمنعوني شيئاً، وهذا هو منطق الأنبياء. «وأمرت أن أكون من المسلمين»، أنا مأمور بالتسليم إلى الله وقضائه وقدره.

العاقبة للمتقين

كل هذه النصائح والإنذار لم يستمعوا إليها، ولم يقبلوا بها، ولم يأخذوا الحقيقة واقتصروا على حساباتهم المادية، وكانت النتيجة: «فنجيناه ومن معه في الفلك»، أي أركبناهم في السفينة وأنجيناهم، والله لا يخلف وعده وحاشا لله ذلك، «وجعلناهم خلائف»، لم يكتب الله النجاة لنوح ومن معه فقط، بل جعلهم خلفاء في الأرض، وهم ولاية وأمراء، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (٣٨٩).

هذا هو الوعد الإلهي والسنة الإلهية، وهذا ما لا يقوى على فهمه الطغاة والمستبدون والظالمون والمنحرفون في كل زمان ومكان، وهذا ما نجده اليوم في الربيع العربي وما وجدناه من أنظمة ظالمة بدأت من المقبور ولم تنته عند حد، وهذه كلها شواهد واضحة على هذه الحقيقة القرآنية ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٣٩٠)، جعل المستضعفين أئمة هي سنة من السنن الإلهية والقاعدة التي تتحكم بمجرى التاريخ. «وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا»، ليس فقط أنجينا المؤمنين وأمرناهم بل أغرقنا الذين كفروا وأنزلنا عليهم العذاب، «فانظر كيف كان عاقبة المنذرين»، انظر إلى عاقبة الذين أتاهم الإنذار.

إذن فهذا هو التوكل وهذه منزلته وهذا هو دوره في بعث الحماسة والشجاعة والقوة والصلابة للإنسان. لذلك نجد أن أبا عبد الله الحسين في خطبته يوم

٣٨٩ . سورة النور: الآية ٥٥

٣٩٠ . سورة القصص: الآية ٥

عاشوراء يستشهد بهذه الآية الشريفة: «وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقصوا إليّ ولا تنظرون»^(٣٩١)، إذن، فالتوكل على الله يحقق هذه النتائج، في عصر يوم عاشوراء دق عمر بن سعد طبول النصر، وعبيد الله بن زياد في قصره يعيش الفرح والسعادة لأنه انتصر في المعركة وكذلك كانت الدنيا لا تسع فرحة يزيد، وما إن تحركت الأيام حتى تبيّن الذل والهوان والخزي والعار والانتكاسة الكبرى للظالمين في يوم عاشوراء، والعز والشرف والكرامة والفخر والانطلاقة الحقيقية للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولمنهج الحسين وقضية الحسين.

موقف علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد ١٤٠٠ سنة ماذا يقول الواقع؟ يقول إن انطلاقة الحسين كانت يوم عاشوراء وليست نهايته، الله سبحانه وتعالى أراد أن يحقق هذه السنّة الإلهية بهذه الطريقة، وهذه السنّة لا يمكن أن تتخلف في حالة من الحالات، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٣٩٢)، علي الأكبر وهذه الليلة الشريفة منسوبة إليه، ليلة التاسع من محرم، هو واحد من المتوكلين الذين تألقوا وبرزوا في يوم عاشوراء وتخلدوا لمواقفهم. علي الأكبر مثل المصداق الواضح للشباب المؤمن، وقد كان في عمر السابعة والعشرين وفي ذروة الشباب، كان يتميز بميزات كبيرة، فهو أشبه الناس برسول الله خلقا وخلقا ومنطقا، والحسين يشهد له بذلك.

إن أشبه الناس برسول الله منطلقا يعني أنه مستوعب للمشروع وحامل للقضية على أكتافه وهاضم للرسالة الإسلامية ويتجسد كل ذلك في أقواله وأفعاله، ولهذا تألق علي الأكبر وهو شاب غير معصوم، لكنه مع هذا أشبه الناس برسول الله، أنت أيها الشاب حينما تسمعني تستطيع أن تجعل عليا الأكبر أمامك قدوة، فهذا الشاب تألق وعاش قمة التوكل على الله سبحانه وتعالى، كان أول أهل البيت الذين برزوا بعد أن استشهد الأصحاب جميعهم، فجاء دور أهل البيت، فكان أول من برز منهم علي الأكبر.

٣٩١. الطبري- ج ٤، ص ٣٢٢

٣٩٢. سورة فاطر: الآية ٤٣

وكان لخروجه وبروزه أثر ووقع خاص في قلب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلي الأكبر هو ابن ليلى بنت ميمونة بنت أبي سفيان، إذن جد والدته أبو سفيان ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إذن أبو سفيان الذي هو جد يزيد هو جد ليلى أم علي الأكبر من أمها، جد من الأم، لهذا حينما برز علي الأكبر صاح رجل إن لك رحما بـ (أمير المؤمنين) يزيد، ونريد أن نرحم الرحم فإن شئت آمنك يا علي، فإن جد أمك أبو سفيان وهو جد (أمير مؤمنينا)، انظر الجواب العميق لعلي الأكبر حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ «إن قرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أحق أن ترعى، ثم شد يرتجز:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أحامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي قرشي»^(٣٩٣)

انظروا إلى التوكل والإقدام والبسالة والشجاعة والوضوح في الرؤية عند علي الأكبر. الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يرى عليا الأكبر في هذه الحالة مقدما، كأنه رق قلبه فهو يراه بعمر الورود يبرز إلى المعركة، فصاح بعمر بن سعد «مالك قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله وسلط عليك من يذبحك على فراشك»^(٣٩٤)، ورفع شيبته المقدسة نحو السماء ودعا بدعاء معروف واستمر علي الأكبر في القتال، فقتل مائة وعشرين ورجع إلى المعسكر متعبا يشكو له الظمأ والحسين ليس لديه ماء فبكى وقال: «واغوثاه ما أسرع الملتقى بجدك فيسقيك بكأسه شربة لا تظمأ بعدها أبدا»^(٣٩٥)، يا علي اصبر وتحمل فرسول الله ادخر لك كأسا من الماء، فرجع علي إلى الميدان مبتهجا ببشارة إمامه الحسين بلقاء جده، واستمر في القتال حتى أكمل المائتين، فقال مرة بن منقذ العبدى: «علي آثام العرب إن لم اثكل أباه به»^(٣٩٦)، الله اكبر! لا يقول علي الآثام إن لم اقتله بل إن لم أثكل أباه، فالمشكلة مع الحسين والحقد على الحسين والضعينة على الحسين والسهام للحسين فهو يريد أن يقتل عليا الأكبر ليحرق

٣٩٣ . الإرشاد للمفيد ج٢- ص١٠٦

٣٩٤ . بحار الأنوار ج٤٥- ٤٣

٣٩٥ . مقتل الحسين للخوارزمي، ج٢- ص٣١

٣٩٦ . تأريخ الطبري، ج٤- ص٣٤٠

قلب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فطعنه بالرمح في ظهره وضربه بالسيف على رأسه ففلق هامته، الله أكبر، واعتنق فرسه فاحتمله إلى معسكر الأعداء وأحاطوا به حتى قطعوه بسيوفهم إرباً إرباً، ونادي رافعا صوته «عليك مني السلام أبا عبد الله» انظروا إلى التوجه نحو الحسين، فصاحب القضية لا يغادرها، بل ينظر بعين الله ويتحمل بصبر أولياء الله. فسلام عليه يوم ولد ويوم قدم ويوم استشهد في طريق الله متوكلا، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الليلة العاشرة - بتاريخ ٢٤/١١/٢٠١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين ، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السَّلام عليك يا أبا عَبْدِ اللَّهِ ، السَّلام عليك يا ابن رسول الله ، السَّلام عليك وعلى الأرواح التي حَلَّتْ بفنائِكَ ، وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ . عليك مَنَّا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد منّا لزيارتِكُمْ . السَّلام على الحسين ، وعلى علي بن الحسين ، وعلى أولادِ الحسين ، وعلى أصحابِ الحسين ، الذين بذلوا مَهْجَهُمْ دونَ الحسينِ عليه السَّلام . السَّلام عليكم أيها الحسينيون الأوفياء ورحمة الله وبركاته .

ليلة المكاشفة والاستعداد للشهادة

ليلة العاشر من محرم ليلة يتجدد فيها المصاب ، وتشهد فيها اللوعة والرزية الكبرى والمصيبة العظمى التي ألمت بأهل بيت الرسالة ، بالحسين وأهل بيته وأصحابه ، ليلة حزينه وأليمة نعيش فيها جرحاً نازفاً وحرقة على ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته وأصحابه ، ولا سيما حينما يقف الإنسان على ما دار في هذه الليلة ، وينظر كيف تعامل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه وهم يستعدون للشهادة في سبيل الله ، وقد كانوا يشاهدون تلك الاصطفافات الواسعة ، ليلة كلها دروس وعبر وعلينا أن نستلهم هذه الدروس ونتعلم من الحسين ، وأن نقف عند هذه المدرسة المعطاء ، كي نزداد وضوحاً وبصيرة ، ونزداد توكلنا على الله تعالى ، فالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من أهم سماته التوكل على الله في كل موقفه

وحركاته وسكناته وفي كل أقواله وأفعاله ، وهذا ما دعانا للحديث عن التوكل في الليالي الماضية .

التوكل يمنح الشجاعة والإقدام

انتهى بنا الحديث إلى سمة أخرى وأثر آخر من آثار التوكل وهو الشجاعة ، فالإنسان المتوكل إنسان شجاع مقدام لا يقلق من أي شيء ، ولنقف عند مشهد قرآني آخر يشير إلى هذه الشجاعة عند المتوكلين ، هذا المقطع ورد في سورة الأحزاب من الآية ٤٥ إلى الآية ٤٨ ، فيه دروس وعبر وإشارات مهمة وتأكيد يتوج هذا المقطع ببيان أهمية التوكل على الله تعالى ، الخطاب في هذه الآيات موجه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويشمل المؤمنين والمتصدين لمهام رسالية ولمشاريع إصلاحية ، تبدأ هذه الآيات بقوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ، وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ . يذكر هذا المقطع خمس صفات لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم خمسة واجبات ، وبما أن الخطاب للنبي ، إذن فالخصوصية التي تجعل الرسول يتصف بهذه الصفات ويكلف بهذه المهمات هي خصوصية الرسالة ، فكل من يتصدى ويتحمل المسؤولية الإلهية عليه أن يوفر هذه الصفات في نفسه ، وعليه أن يفي بتلك الواجبات والمهام والمسؤوليات .

الصفات الخمس

الصفة الأولى / «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا» ، النبي شاهد على الأمة ، لأن أعمال العباد تُعرض على النبي والأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فهو يطلع ويتعرف على أعمال العباد كما تشير الآية الشريفة ١٠٥ من سورة التوبة : ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، والمؤمنون إشارة إلى الأئمة الأطهار ، وأيضا هو شاهد على الأنبياء ، وكل نبي كان شاهدا على أمته ، ورسول الله هو شاهد على الشهداء ، كما تشير الآية ٤١ من سورة النساء : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ . فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شاهد على أحقية الرسالة من خلال سلوكه وصفاته وتأريخه وبرنامجه ومشاريعه وخططه ،

كلها تؤكد حقانية الادعاء بالانتماء إلى الله تعالى، وكلها تعمق وترسخ المفاهيم الإسلامية التي أرادها الله تعالى للعباد.

الصفة الثانية والثالثة/ «ومبشرا ونذيرا»، تبشر المحسن بثواب الله والأجر العظيم والسعادة برضا الله، وبالمستقبل المشرق والواعد وبسلامة المسار، تعطيه القوة والعزيمة وتبشره بأنه في الطريق الصحيح، وهذا ما نجده في ليلة عاشوراء، إذ إن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يبشر الأصحاب بما ستؤول إليه أمورهم، ونذيرا، أي محذرا للكفار والمنافقين من انحرافهم وما ستؤول إليه أمورهم في الدنيا والآخرة، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣٩٧)، فمن كان منهجه صحيحا وارتباطه قويا بالله تعالى سيكون مرتاحا ويحيا السعادة، وهذه السعادة ليست بالمال والإمكانات المادية، بل السعادة في راحة القلب والضمير.

إذن، يا رسول الله، عليك أن تكون بشيرا لمن يستحق ونذيرا لمن يستحق، هذه البشارة والإنذار جناحان يطير بهما الإنسان، البشارة عملية ترغيب واستحضار المصلحة، مادية كانت أو معنوية، والبشارة تنطبق على القضايا المادية والمعنوية، وفي مقابل ذلك الإنذار والتحذير الذي يشمل أيضا قضايا مادية ومعنوية، فالإنسان مجبول على البحث عن المصلحة في الدنيا وفي الشؤون المعنوية، ويتجنب المخاطر والأضرار ويدفعها عن نفسه، وفي الضرر المادي الدنيوي وفي الضرر المعنوي، يعيش الإنسان أيضا بين الخوف والرجاء وبين الترغيب والترهيب، يا رسول الله، عليك أن تجمع بين الركنين معا وتكون مبشرا ونذيرا، فالذي يسير في الطريق الصحيح تبشره والذي يسير في الطريق الخطأ تنذره وتحذره، في القضايا الأخروية، الله تعالى رؤوف بعباده وقد أرسل الأنبياء والرسالات وأوضح للناس المنهج القويم رغبة في أن يسيروا كلهم في طريق الهدى.

السمة الرابعة/ «وداعيا إلى الله بإذنه»: وأن تدعو إلى الله، فهذه صفتك وهذه سمتك، فعليك أن تبين وتشرح وتبلغ الناس بمنطق السماء ومشروع السماء، وقد يسأل سائل أليست السمات الأخرى بإذن الله؟. بالطبع كلها بإذن الله، ولكن جاءت هنا للتأكيد على أن أهم مهمة للأنبياء هي الدعوة إلى الله، وهي أشد وأخطر المهام، الدعوة إلى الله تتقاطع مع مصالح الناس، فلدى الناس رغبات

٣٩٧ . سورة الرعد: الآية ٢٨

وشهوات، ولا تقبل منك النصيحة، فهذه أخطر مهام الأنبياء وهي الدعوة إلى الله .

الصفة الخامسة/ : «سراجا منيرا»: يا رسول الله، أنت سراج منير، والسراج هو المصباح المنير، تشع بالنور وتقدم عطاءك وتعرض لهم المشروع الإلهي، وعلامة صدقتك إنما هي مضمون الرسالة التي تحملها، ويلاحظ في القرآن الكريم أن كلمة سراج استعملت أربع مرات، ثلاث منها للشمس وهذه الرابعة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد جاء في الآية الشريفة ١٦ من سورة نوح: ﴿وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾، ولكن لماذا كان رسول الله والأنبياء والرسول سراجا منيرا؟.

حينما ترى نوره ومشروعه وبرنامجه ومضمونه، فكلها تدل على ذلك، الصديقة والواقعية والمضمون تدلنا قبل الأدلة العقلية والنظرية والنقلية وما شابه، سلوكه ومنطقه كله يدل على هذا الأمر، فالشمس نور والنور يطرد الظلمة، والظلمة وحشة وغربة والظلمة خروج عن السياق، والنور تجمع والتفاف حول الشيء، وهذا من سمات النور، اللهم إلا إذا كان أعمى، لأنه لا يستطيع أن يرى النور وهذا ابتلاء، فالنور موجود ولكنه لا يستطيع رؤيته، فمنهج الأنبياء نور ساطع وواضح، وقد كان أبو جهل عندما يُقرأ القرآن يسد أذنه بأصابعه، وحين سأله عن ذلك قال إنه يخشى إذا سمع القرآن أن يتأثر به، لا يريد ذلك لأن لديه مشكلة؛ فقد طبع الله على قلبه، وهذه ليست مشكلة النبي، فالنبي سراج منير لأن كل سمات الشمس في بعدها المادي موجودة في البعد المعنوي لرسول الله، وحياة الإنسان الطيبة باتباع الرسالات الإلهية، وهذا مشروع الأنبياء، وهذا وجه التشبيه، فالانتماء للأنبياء يبعث الطمأنينة في قلب الإنسان، كما هو النور قبالة الوحشة.

الواجبات الخمسة

الأول/ «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا»، الفضل هو عطاء بلا استحقاق، العطاء بإزاء العمل، كما الأجر إزاء العمل، وتقديم العبادة يستدعي الأجر، وهكذا الصلاة والصوم لهما أجر وإحياء شعائر الحسين له أجر، لكننا لا نتكلم عن الأجر في طاعات الله، وفي الآية الكريمة يريد الله أن يعطي هؤلاء فضلا

منه ولا يحاسبهم واحدة بواحدة، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٣٩٨)، ومن يخطُ باتجاه الله خطوة واحدة يخطُ الله إليه سبعمائة خطوة، ومصادقا لما ورد في سورة البقرة: الآية ٢٦١: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وهناك آيات كريمة عديدة تبين هذا الفضل الإلهي: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٣٩٩)، وفي سورة السجدة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤٠٠)، وهكذا أخط خطوة صحيحة وسترى نتائجها عند الله سبحانه وتعالى.

التاسع من محرم

اليوم التاسع من محرم وأبناء وبنات شهيد المحراب في كل العراق قد خرجوا عن بكرة أبيهم، آخر الليل قالت الأنواء الجوية إن هناك مطرا شديدا في عموم العراق وانخفاضا كبيرا في درجات الحرارة، وهذا يعني أن الذين خرجوا موطنون أنفسهم على استقبال البرد والمطر، وهم يهتفون يا أبا عبد الله بآبي أنت وأمي، تلقيت السهام ألا أتلقى المطر؟.

في كل مجلس من مجالس الحسين نقول: «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما»، إن كل هذه الحشود التي خرجت إنما خرجت لتعبّر عن وفائها لسيد الشهداء، ماذا نقول لهم، شكرا لكم؟، ما قيمة الشكر وشكر الله أعظم، ورأيت الزينبيات في بغداد في ذلك الحماس والوهج والاندفاع والتعبير الصادق، انكسر قلبي، ولا حظت الحسينيين وشكرت الله سبحانه وتعالى لأن هذا الخط الشريف والشعب الكريم مع الحسين، يتفانى من أجل الحسين، فهنيئا لكم يا أبناء شهيد المحراب، هنيئا يا شعب العراق، هنيئا لكم يا أتباع أهل البيت وهنيئا للمسلمين وهنيئا لكل من يشارك في هذا البرد القارص، المجلس الحسيني لم يؤخره المطر.

٣٩٨ . سورة الأنعام: الآية ١٦٠

٣٩٩ . سورة ق: الآية ٣٤

٤٠٠ . سورة السجدة: الآية ١٧

الثاني والثالث/ «ولا تطع الكافرين والمنافقين»: يا رسول الله لا تطع الكافرين والمنافقين، ومن الطبيعي، فإن رسول الله لا يطيعهم، فهي هنا للتأكيد وأيضا للاقتداء، ونحن المتصدين عندما نسمع هذه الرسالة نقول هذه لنا، وكذلك الطغاة والمنافقون من الكفار، يعرفون أنها جاءت للتهديد والترغيب، فالمنافقون يشوشون ويشوهون السمعة ويستهدفون ويكذبون ويتهمون، أيها المتصدي لا تخف ولا تهتز، لا تضعف يجب أن تكون قويا، ونرى في الآية الشريفة هذا الاقتران بين الكافر والمنافق، فالمنافق يشهد الشهادتين في الظاهر ولكن قلبه في مكان آخر، والله يجمع بينه وبين الكافر في هذه الآية.

يا رسول الله، لا تطع الكافر، ولا تطع المنافق كذلك، لأنه يتظاهر بالإسلام وقلبه في الواقع مع جبهة الكفر، فالله سبحانه ينظر إلى المواقف، نعم، شهدتم الشهادتين وتنطبق عليكم أحكام الإسلام، ولكن «الدين المعاملة»، فانظر هل سلوكك سلوك مسلم؟، فالسلوك يتحدد بالقلب والمشاعر والمواقف، أما أنت فموقفك ليس معنا، ليس كل من أطال لحيته وأمسك بمسبحة أصبح من أهل الإيمان، فالإيمان بالموقف الذي يراد أن تتخذه في لحظة الحقيقة.

هذا التهديد خطر وخطورته بمستوى التحذير الإلهي الذي وجه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فرسول الله تعرض إلى استهداف واسع من قبل المنافقين، وكانوا يأتون إليه من مداخل مختلفة، يا رسول الله، إذا كنت تريد أن تهدينا فيجب ألا تذكر آلهتنا بسوء ولا تسب أوثاننا ولا تنتقدنا على هذه الأمور، وشيئا فشيئا نستطيع أن نتفاهم معك ونصبح مسلمين، انظروا المدخل!. ومرة يأتون من مدخل آخر، يا رسول الله، نحن قلبنا مع آلهتنا وأنت تقول الله، فهل يجوز أن نعبد إلهك سنة وتعبد أنت آلهتنا سنة أخرى؟. ومرة ثالثة جاؤوا إليه وقالوا حديثك حق لكن اسمح لنا أن نبقى على عبادة آلهتنا لعام وسنأتي لنعبد ربك في العام القادم.

هذه كلها مكائد وفخاخ، فإذا قال لهم نعم سيروا سنة مع آلهتكم لكانت قد انهارت النظرية الإلهية، وانتهت الرسالة الإسلامية ومبادئها التوحيدية، وهذا المنطق واجهه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ حيث جاؤوا وقالوا يا رسول الله

نحن من سادة القوم وأغنيائهم كيف لنا أن نجلس مع الفقراء والعبيد، انظروا إلى هذه الحقائق التي مرت على رسول الله، وهو إنسان ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٤٠١)، يا رسول الله سنعطيك موقعا قياديا وسنعطيك أجمل بناتنا ونؤمرك علينا، وكل هذه الإغراءات إنما هي ترهيب وترغيب، وهما جناحان استخدمتا في معركة الكفار والمنافقين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلذلك حذر الله رسوله: «ولا تطع الكافرين والمنافقين».

الرابع/ «ودع أذاهم»، الأذى قرآنيا مستخدم في الأذى المادي الجسدي وفي الأذى المعنوي، تشويه السمعة هذا أثر معنوي، لاحظوا في القرآن الكريم حيث يشير إلى هذه الحقيقة في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾^(٤٠٢)، فالرسول كان متسامحا معهم ويقبل أذاهم في كل مرة بعد أن يسيئوا إليه، وهنا ينتصر القرآن للرسول الكريم: «قل أذن خير لكم»، فإن كان يقبل أذاهم في كل مرة فذلك خير لكم وليس العكس. إن أصحاب المشاريع الإصلاحية الصادقة هم الذين ينجحون ويحققون الإنجازات.

الخامس/ وهو الشاهد في حديثنا: «وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا»، يا رسول الله، تريد القوة والعزة في الوقوف بوجه الكفار والمنافقين ومكائدهم ومؤامراتهم فالطريق هو التوكل على الله، وهذا الطريق يعطيك بسالة وقوة ويعطيك إقداما، ويمكنك من هؤلاء لتنتصر عليهم، وهذه سمة أبي عبد الله الحسين في يوم عاشوراء وأهل بيته وأصحابه، نرى لديهم الوضوح والتوكل العالي على الله تعالى. هذه الليلة، هي الليلة الأخيرة من ليالي هذا المجلس، وهناك بعض النصوص الواردة في ليلة عاشوراء حول ما جرى في هذه الليلة.

ليلة عاشوراء

جمع الحسين أصحابه قرب المساء قبل مقتله بليلة فقال: «أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من

٤٠١ . سورة الكهف: الآية ١١٠

٤٠٢ . سورة التوبة: الآية ٦١

أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعا خيرا ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»^(٤٠٣).

ثم نرى أهل البيت والأصحاب فكأنهم قد نشطوا من عقال بين مباشرة للعبادة واستعداد للقتال، لهم دوي كدوي النحل بين قائم وقاعد وراكم وساجد، وهناك قضايا لافتة في هذه الليلة؛ منها خروج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، وهذا درس كبير في نزول القائد إلى الميدان ليرى الأمور ويتفقد بنفسه، فتبعه نافع بن هلال البجلي، فسأله الحسين عما أخرجه، قال يا ابن رسول الله أفرعني خروجك لجهة المعسكر، فقال الحسين إني خرجت أنفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون.

ثم رجع عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قابض على يد نافع، وهو يقول هي هي والله وعد الله لا خلف فيه، ثم قال له ألا تسلك بين هذين الجبلين وتنجو بنفسك، فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يتعب سيفي وفرسي عن قطع الرؤوس الباغية وملاحقة الأعداء^(٤٠٤)، ثم دخل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ خيمة العقيلة زينب ÷ ووقف نافع بجانب الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له: «هل استعلمت من أصحابك نياتهم»، العقيلة قلقة وتسأل عن أصحابه ومدى إخلاصهم، وهي تقول: «إني أخشى أن يسلموك عند الوثبة»، فقال: «والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس، يستأنسون بالمنية دوني استثناس الطفل بمحالب أمه».

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيته، وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت مما قاله لأخته زينب، قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة، قلت إني خلفته عند أخته وأظن أن النساء شاركنها في الحسرة فهل تجمع أصحابك وتواجهونهن بكلام يطيب قلوبهن، فقال حبيب يا أصحاب الحمية، فقال لبني هاشم ارجعوا لمقركم لا سهرت عيونكم، ثم التفت إلى أصحابه وحكا لهم ما شاهده وسمعه فقالوا أجمعهم والله الذي من علينا

٤٠٣ . بحار الأنوار ج ٤٤ - ص ٣١٥

٤٠٤ . معالي السبطين: ج ١، ص ٣٤٤، الدمعة الساكبة: ج ٤، ص ٢٧٣

بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة، فجد نفسا وقر عينا فجزاهم خيرا، فقال هلم معي نواجه النسوة ونطيب خواطرهن، فجاء حبيب ومعه أصحابه إلى حرائر رسول الله، فقال: هذه الصوارم آلينا إلا نغمدها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرقنا فيكم، فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل يقلن أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين، فضج القوم بالبكاء^(٤٠٥).

الفهرست

المقدمة ٥

الملتقيات الثقافية

٩	٢٠١٢/٢/١٥	الملتقى الثقافي - بتاريخ
٢٣	٢٠١٢/٢/٢٢	الملتقى الثقافي - بتاريخ
٣٨	٢٠١٢/٢/٢٩	الثقافي - بتاريخ
٥٢	٢٠١٢/٣/٧	الملتقى الثقافي - بتاريخ
٦٨	٢٠١٢/٣/١٤	الملتقى الثقافي - بتاريخ
٨٠	٢٠١٢/٤/١٨	الملتقى الثقافي - بتاريخ
٩٢	٢٠١٢/٥/٢	الملتقى الثقافي - بتاريخ
١٠٦	٢٠١٢/٥/٩	الملتقى الثقافي - بتاريخ
١٢١	٢٠١٢/٥/١٦	الملتقى الثقافي - بتاريخ
١٣٦	٢٠١٢/٥/٣٠	الملتقى الثقافي - بتاريخ
١٥٢	٢٠١٢/٩/١٩	الملتقى الثقافي - بتاريخ
١٦٨	٢٠١٢/١٠/٣	الملتقى الثقافي - بتاريخ
١٨١	٢٠١٢/١٠/١٠	الملتقى الثقافي - بتاريخ

الأمسيات الرمضانية

١٩٧	الأمسية الرمضانية الأولى
٢٠٦	الأمسية الرمضانية الثانية
٢١٣	الأمسية الرمضانية الثالثة
٢٢٣	الأمسية الرمضانية الرابعة
٢٣٧	الأمسية الخامسة
٢٤٧	الأمسية الرمضانية السادسة
٢٥٥	الأمسية الرمضانية السابعة
٢٦٤	الأمسية الرمضانية الثامنة
٢٧٣	الأمسية الرمضانية التاسعة
٢٨٠	الأمسية الرمضانية العاشرة
٢٨٩	الأمسية الرمضانية الحادية عشرة
٢٩٧	الأمسية الرمضانية الثانية عشرة
٣٠٦	الأمسية الرمضانية الثالثة عشرة
٣١٤	الأمسية الرمضانية الرابعة عشرة
٣٢٤	الأمسية الرمضانية الخامسة عشرة
٣٣٢	الأمسية الرمضانية السادسة عشرة
٣٤٠	الأمسية الرمضانية السابعة عشرة
٣٥٠	الأمسية الرمضانية الثامنة عشرة
٣٦٠	الأمسية الرمضانية التاسعة عشرة

محاضرات محرم الحرام

٣٧٥	الليلة الأولى
٣٨٥	الليلة الثانية
٣٩١	الليلة الثالثة
٤٠٠	الليلة الرابعة
٤٠٦	الليلة الخامسة
٤١٥	الليلة السادسة
٤٢٤	الليلة السابعة
٤٣٤	الليلة الثامنة
٤٤٥	الليلة التاسعة
٤٥٦	الليلة العاشرة

